

تفسير الجلالين

للعلامة جلال الدين المحلى

والعلامة جلال الدين السيوطى

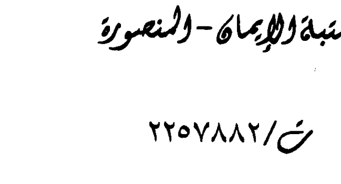
راجعه وأعدّه للنشر

د / محمد محمد تامر

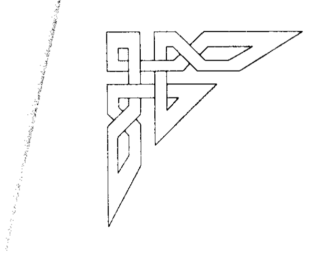
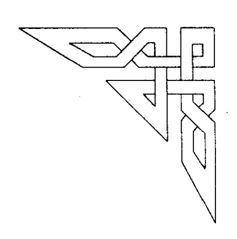
كلية دار العلوم - قسم الشريعة

الناشر

مكتبة الإيمان - المنصورة



ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

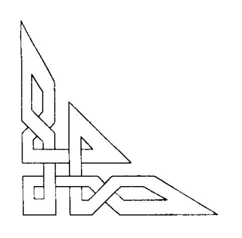
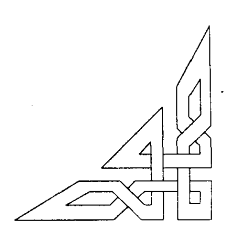



حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

٢٢٥٧٨٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ، وبعد :

يعتبر تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي – رحمهما الله – من أشهر كتب التفسير بالرأي ، وقد كان عملهما فيه على النحو التالي ، حيث :

فسر الإمام جلال الدين المحلي النصف الثاني منه ، ومعه سورة الفاتحة . وفسر الإمام جلال الدين السيوطي النصف الأول منه عدا سورة الفاتحة .

ويظهر ذلك مني قول السيوطي – رحمه الله – في آخر تفسير سورة الإسراء :

«هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي – رضي الله عنه» . أهـ .

وقد سار السيوطي رحمه الله وفق منهج المحلى في تفسيره ، من حيث : الاختصار ، والدقة ، وعدم الاستطراد في تفسير الآيات ، مما يُشعر وكأن الكتاب كله لمؤلف واحد ..

تنبيه :

١ – قد وقع في هذا التفسير بعض المخالفات الخاصة بآيات الأسماء والصفات ، حيث نجد فيها بعض الموافقة لأقوال الأشاعرة ، أو الجهمية ، أو المعتزلة ، أو غيرهم .

والحق في ذلك – وما عليه أهل السنة والجماعة – : إثبات ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته له رسول الله ﷺ ، بما يليق به سبحانه وتعالى ، من غير تشبيه ، ولا تأويل ، ولا تعطيل ، مع اعتقاد عدم مشابهة المخلوق ، قال تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

ترجمة الإمام جلال الدين المحلي

هو : محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي -الملقب بجلال الدين- الأصولي المتكلم الفقيه المفسر ..

ولد بمصر سنة ٧٩١هـ

وكان بارعًا في العديد من الفنون والعلوم ، وكان آية في الذكاء والفهم ومن السائرين على سنة السلف في الصلاح والورع والتقوى ، يقول الحق ، ولا يخشى في الله تعالى لومة لائم .. وعرض عليه القضاء فامتنع ..

وقد تولى التدريس في المدرسة المؤيدية والبرقوقية ...

وله العديد من المصنفات العلمية في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم ، ومنها :

- شرح الورقات في الأصول .
- شرح المنهاج في الفقه .
- شرح جمع الجامع في الأصول .
- كتاب في الجهاد .

وغيرها من المصنفات القيمة .

وتوفي سنة ٨٦٤هـ . رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعنا والمسلمين بعلمه ، وألحقنا به على خير حال إنه هو السميع المجيب .

* * *

ترجمة الإمام جلال الدين السيوطي

هو : عبد الرحمن جلال الدين بن كمال الدين الخضيري السيوطي - العالم المحدث المتبحر في شتى فنون العلم ، صاحب التصانيف المشهورة . ولد سنة ٨٤٩هـ بمصر .

وقد كان ذا عقلية موسوعية حافظًا لكثير من المتون في مختلف العلوم وكان رحالة في طلب العلم ، حيث رحل إلى : الشام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، وغيرها من البلدان ، طلبًا للعلم .

وقد كان أشهر أهل زمانه ، وأغزرهم علمًا ، وقد تولى التدريس والإفتاء في عصره ، وطبقت شهرته الآفاق ..

وقد نشأ رحمه الله يتيمًا ، وعاش في حياته متخلقًا بأخلاق العلماء والأفاضل ، غني النفس ، عفيفًا كريمًا ، متباعدًا عن ذوي الجاه والسلطان .

وكان طلبه العلم على أيدي كثير من المشايخ ، يقول : أخذت العلم عن ستمائة نفس ، وقد نظمتهم في أرجوزة اهـ .

أما عن تصانيفه ومؤلفاته ، فحدِّث ولا حرج ، فما أكثرها وأجودها !!

ذكر تلميذه الداودي المالكي أنها : أنافت على خمسمائة مصنَّف .

وقال ابن إياس (في تاريخه) : إنها بلغت ستمائة مصنَّف .

وتناولت هذه المصنفات شتى علوم الدين واللغة من : فقه وحديث وتفسير ونحو وبلاغة وأدب وتاريخ وكان صاحب موهبة شعرية وله في ذلك دواوين ..

ومن مصنفاته :

١- في علوم القرآن والتفسير :

- الاتقان في علوم القرآن .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .
- لباب النقول في أسباب النزول ... وغيرها .

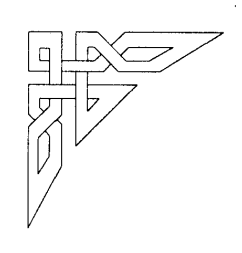
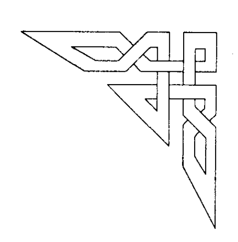
٢- وفي الحديث الشريف وعلومه :
- تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير .
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج .
- زهر الربى على المجتبى ، وهو شرح لسنن النسائي ...
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ... وغيرها .

٣- في الفقه :
- الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي .
- الحاوي للفتاوي .
- آداب الفتيا .
- الجامع في الفرائض .
- الأزهار الغضة في فقه الروضة .. وغيرها .

٤- في اللغة وعلومها :
- الأشباه والنظائر النحوية .
- تعريف الأعجم بحروف المعجم .
- الفريدة في النحو والتصريف والخط .
- الموشح في علم النحو .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ... وغيرها .

٥- في التراجم والطبقات :
- طبقات الحفاظ .
- طبقات الأصوليين .
- بغية الوعاة في طبقات النحاة .
- طبقات المحدثين .. وغيرها .

وقد توفي الإمام السيوطي رحمه الله سنة ٩١١ هـ - .

تفسير الجلالين

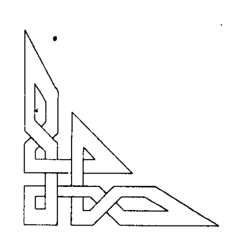
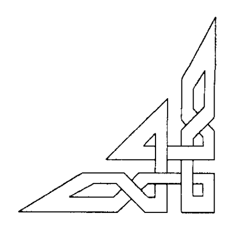
للعلامة جلال الدين المحلي

والعلامة جلال الدين السيوطي

راجعه وأعدَّه للنشر

د/ محمد محمد تامر

كلية دار العلوم - قسم الشريعة

تفسير الجلالين
للإمام جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى :

١سورة الفاتحة

[مكية ، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها ، والسابعة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وإن لم تكن منها، فالسابعة : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ويقدر في أولها «قولوا» ليكون ما قبل ﴿إياك نعبد﴾ مناسباً له بكونها من مقول العباد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ١]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢]

٢ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها على أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمدوه ، والله علم على المعبود بحق ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم ، يقال عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك ، وغلب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم وهو من العلامة لأنه علامة على موجده .

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ٣]

٣ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة : ٤]

٤ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي الجزاء وهو يوم القيامة ، وخُصَّ بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحد إلا لله تعالى بدليل ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ ومن قرأ «مَالِكَ» فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة أو هو موصوف بذلك دائماً كـ ﴿غافر الذنب﴾ فصح وقوعه صفة لمعرفة .

---

* مقدمة كتاب لباب النقول للإمام السيوطي . قال رحمه الله تعالى :

لمعرفةِ أسباب النزول فوائدُ ، وأخطأ من قال : لا فائدة له ؛ لجريانه مَجْرَى التاريخ . ومن فوائده : الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال .

قال الواحدي : «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيانِ سبب نزولها» .

وقال ابن دقيق العيد : «بيان سبب النزول طريقٌ قوي في فهم معاني القرآن» .

وقال ابن تيمية : «معرفة سبب النزول يُعِين على فهم الآية . فإن العلم بالسبب يُورث العلمَ بالمسبب ، وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آياتٍ حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال» .

وقد بسطتُ أمثلة ذلك في النوع التاسع من كتاب «الإتقان في علوم القرآن» ، وذكرت له فوائد أخرى من مباحث وتحقيقات لا يحتملها هذا الكتابُ .

قال الواحدي : ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها .

وقد قال محمد بن سيرين : سألت عَبيدةَ عن آية من القرآن، فقال : اتقِ الله وقُلْ سَدادًا ; ذهب الذين يعلمون فِيمَا أُنْزِلَ القرآن.

وقال غيره : معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائنَ تَحْتَفُّ بالقضايا وربما لم يجزم بعضُهم فقال : أحسب هذه الآيةَ نزلت في كذا ، كما قال الزبير في قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...﴾ الآية .

وقال الحاكم في «علوم الحديث» : إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مُسْنَد . ومشى على هذا ابنُ الصلاح وغيره ومَثَّلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها في قُبُلها جاء الولد أحولَ . فأنزل الله ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ الآية [البقرة : ٢٢٣] .

وقال ابن تيمية : «قولهم : نزلت الآية في كذا يُراد به تارة أنها سببُ النزول ، ويُراد به تارة أن ذلك داخلٌ في الآية وإن لم يكن السببَ كما نقول : عُنِيَ بهذه الآية كذا . وقد تنازع العلماء في قول الصحابي : نزلت هذه الآية في كذا ، هل يجري مجرى المسند كما لو ذَكَرَ السببَ الذي أُنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند ؟ فالبخاري يُدْخله في المسند وغيرُه لا يدخله فيه. وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذَكَر سببا

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

٥ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة وغيرها

﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

٦ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي أرشدنا إليه ويبدل منه

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

٧ ويبدل منه : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية ويبدل من الذين بصلته ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿وَلَا﴾ غير ﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم النصارى ، ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *

نزلت عَقِبَه فإنهم كلهم يُدخلون مثلَ هذا في المسند» . انتهى.

وقال الزركشي في «البرهان» : قد عُرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكمَ ، لا أنَّ هذا كان السببَ في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع .

قلت : والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة ; فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك ، وكذلك ذكره في قوله : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ سبب اتخاذه خليلا ، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى .

تنبيهات :

الأول : ما جعلناه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضا لكنه مرسل ، فقد يُقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

الثاني : كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابًا متعددةً وطريقُ الاعتماد في ذلك أن تنظر إلى العبارة الواقعة فإنْ عبر أحدهم بقوله : نزلت في كذا . والآخرُ : نزلت في كذا وذكر أمرًا آخر فقد تقدم أن هذا يُراد به التفسير لا ذِكْرُ سبب النزول فلا منافاةَ بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما كما بينته في كتاب «الإتقان» وحينئذ ، فَحَقُّ مثلِ هذا أن لا يُورد في تصانيف أسباب النزول وإنما يُذكر في تصانيف أحكام القرآن.

وإنْ عَبَّرَ واحدٌ بقوله : نزلت في كذا ، وصَرَّح الآخر بذكر سبب خلافِه فهو المعتمد كما قال ابن عمر في قوله : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ : إنها نزلت رخصةً في وطء النساء في أدبارهن ، وصرح جابر بذكر سبب خلافه فاعْتُمِدَ حديثُ جابر .

وإنْ ذَكَر واحدٌ سببًا وآخرُ سببًا غيرَه فقد تكون نزلت عقيب تلك الأسباب كما سيأتي في آية اللعان ، وقد تكون نزلت مرتين كما سيأتي في آية الروح ، وفي خواتيم النحل ، وفي قوله ﴿ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ....﴾ الآية [التوبة : ١١٣] .

ومما يُعتمد في الترجيحِ النظرُ إلى الإسناد وكونُ راوي أحد السببين حاضرَ القصة أو من علماء التفسير كابن عباس وابن مسعود ، وربما كان في إحدى القصتين «فتلا» فوهم الراوي فقال «نزلت» كما سيأتي في سورة الزمر .

الثالث : أشهرُ كتابٍ في هذا الفن الآن كتابُ الواحدي. وكتابي هذا يَتميز عليه بأمور :

أحدها : الاختصار .

ثانيها : الجمع الكثير ، فقد حوى زياداتٍ كثيرةً على ما ذكر الواحدي .

ثالثها : عَزْوُه كلَّ حديث إلى مَن خرَّجه من أصحاب الكتب المعتبرة كالكتب الستة والمستدرك وصحيح ابن حبان وسنن البيهقي والدارقطني ومسانيد أحمد والبزار وأبى يعلي ومعاجم الطبراني وتفاسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبى الشيخ وابن حبان والفريابي وعبد الرزاق وابن المنذر وغيرهم .

وأما الواحدي فتارة يُورد الحديثَ بإسناده وفيه - مع التطويل - عدم العلم بمخرج الحديث فلا شك أن عزوه إلى أحد الكتب المذكورة أولى من عزوه إلى تخريجِ الواحدي لشهرتها واعتمادِها وركونِ الأنفس إليها . وتارة يُورِده مقطوعًا فلا يُدْرَى هل له إسنادٌ أوْ لا .

رابعها : تمييز الصحيحِ من غيره ، والمقبولِ من المردود .

خامسها : الجمع بين الروايات المتعددة .

سادسها : تنحية ما ليس من أسباب النزول . وهذا آخر المقدمة ، ومن هنا نشرع في المقصود بعون الملك المعبود .

٢ سورة البقرة

[مدنية ٢٨٦ أو ٢٨٧ آية]

قال الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ:

الحمد لله حمدًا موافيا لنعمه ، مكافئا لمزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنوده وبعد فهذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلِّي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته ، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعاريب محلُّها كتبُ العربية . واللهَ نسأل النفعَ به في الدنيا وأحسنَ الجزاء عليه في العُقْبى بِمَنِّه وكرمه.

﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك .

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]

٢ ﴿ذَلِكَ﴾ أي هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثان أي هاد ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]

٣ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿ويقيمون الصلاة﴾ أي يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله .

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]

٤ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]

٥ ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]

٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المُسَهَّلَة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف [1].

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]

٧ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ غطاء فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوي دائم .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]

٨ ونزل في المنافقين : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ

---

(١) [أسباب نزول الآية ٦ ، ٧] أخرج الفريابي وابن جرير عن مجاهد قال : أربع آيات من أول البقرة نزلت في المؤمنين، وآيتان في الكافرين ، وثلاث عشرة آية في المنافقين . وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيتين أنهما نزلتا في يهود المدينة.

وأخرج عن الربيع بن أنس قال : آيتان نزلتا في قتال الأحزاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ - إلى قوله : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ روعي فيه معنى من، وفي ضمير يقول لفظها.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]

٩ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين، وفي قراءة ﴿وما يخدعون﴾.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]

١٠ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي نبيَّ الله، وبالتخفيف أي قولهم آمنا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]

١١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾

١٢ قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿أَلَا﴾ للتنبيه ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾

١٣ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال؟ أي لا نفعل كفعلهم. قال تعالى ردا عليهم: ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾

١٤ ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان[1].

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

١٥ ﴿الله يستهزئ بهم﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿ويمدهم﴾ يمهلهم ﴿في طغيانهم﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يعمهون﴾ يترددون تحيرا حال

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]

١٦ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ أي استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ أي ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]

١٧ ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ

---

(١) [أسباب نزول الآية ١٤]: أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان والسُّدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبيّ: انظروا كيف أردُّ عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحبًا بالصِّديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثمَّ أخذ بيد عمر فقال: مرحبًا بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا.

فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأثنوا عليه خيرًا. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك فنزلت هذه الآية.

هذا الإسنادُ واهٍ جدًا، فإنَّ السُّدي الصغير كذاب، وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف.

﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿ناراً﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿ما حوله﴾ فأبصر واستدفأ وأمن ممن يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه ، وجُمع الضمير مراعاة لمعنى الذي ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب .

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]

١٨ هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول ﴿بكمٌ﴾ خرسٌ عن الخير فلا يقولونه ﴿عُمْيٌ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]

١٩ ﴿أَوْ﴾ مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي كأصحاب مطر، وأصله صيوب من صاب يصوب أي ينزل ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي السحاب ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو الملك الموكل به وقيل صوته ﴿وَبَرْقٌ﴾ لمعان صوته الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي أصحاب الصيب ﴿أَصَابِعَهُمْ﴾ أي أناملها ﴿فِي آذَانِهِمْ مِنَ﴾ أجل ﴿الصَّوَاعِقِ﴾ شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج والبينة المشبهة بالبرق، يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علما وقدرة فلا يفوتونه (١).

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

٢٠ ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ أي في ضوئه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا ، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾ ومثله إذهاب ما ذكر

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]

٢١ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿اعْبُدُوا﴾ وحدوا ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَ﴾ خلق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عقابه ، ولعلَّ في الأصل للترجي ، وفي كلامه تعالى للتحقيق

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

٢٢ ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ حال بساطا يفترش لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ﴾ أنواع

---

(١) أسباب نزول الآية ١٩ : أخرج ابن جرير من طريق السُّدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: كانا رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفَرَق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمدًا فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحَسُن إسلامهما فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلًا للمنافقين الذين بالمدينة. وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقًا من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء، أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما و «كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ»، فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابوا غنيمة أو فتحًا مشَوا فيه، وقالوا: إنَّ دين محمد ﷺ حينئذ صدق واستقاموا عليه، كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق «وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا» فكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين محمد فارتدُّوا كفارًا، كما قال ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما.

﴿الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء في العبادة ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الخالق ولا يخلقون، ولا يكون إلها إلا من يخلق

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]

٢٣ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي المنزل و(من) للبيان أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب . والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فإنكم عربيون فصحاءُ مثلُه .

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]

٢٤ ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذُكر لعجزكم ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبداً لظهور إعجازه اعتراض ﴿فَاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها ، يعني مفرطة الحرارة تتقد بما ذُكر ، لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِّئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يعذبون بها، جملة مستأنفة أو حال لازمة

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]

٢٥ ﴿وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ حدائق ذات شجر ومساكن ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أي المياه فيها ، والنهر هو الموضع الذي يجري فيه الماء لأن الماء ينهره أي يحفره وإسناد الجري إليه مَجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أطعموا من تلك الجنات ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي﴾ أي مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبله في الجنة لتشابه ثمارها بقرينه ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ أي جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرها ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون. ونزل ردًّا لقول اليهود لمَّا ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ والعنكبوت في قوله : ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة ؟ فأنزل الله :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]

٢٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أي مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾ مفرد البعوض وهو صغار البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي أكبر منها أي لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ تمييز أي بهذا المثل ، وما استفهام إنكار مبتدأ ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره أي: أي فائدة فيه قال تعالى في جوابهم ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته [١] .

(١) **أسباب نزول الآية ٢٦** : أخرج ابن جرير عن السُدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقوله: ﴿أَو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: «إِنَّ الله لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا»، إلى قوله: «هُمُ الخَاسِرُون» . وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني ابن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إنَّ الله ذكر آلهة المشركين، =

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]

٢٧ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك وأن بدل من ضمير به ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]

٢٨ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِاللَّهِ وَ﴾ قد ﴿كُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفا في الأصلاب ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم ، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم . وقال دليلا على البعث لما أنكروه:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]

٢٩ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ بعد خلق الأرض أي قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه : أي صيرها كما في آية أخرى ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجملاً ومفصلاً ، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادرٌ على إعادتكم

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]

٣٠ ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي نقول سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك فاللام زائدة والجملة حال أي فنحن أحق بالاستحلاف ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم ، فقالوا لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض أي وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]

فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا»، وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمّد، أيُّ شيءٍ كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية.

عبد الغني واهٍ جدًا. وقال عبد الرزاق في تفسيره: أخبرنا معمر عن قتادة: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يُذكران؟ فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما نزلت «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ» قال المشركون: ما هذا من الأمثال فيضرب، أو ما يشبه هذا الأمثال، فأنزل الله «إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا» الآية.

قلت: قول الأول أصح إسنادًا وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية. وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ: «قالت اليهود» وهو أنسب.

٣١ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي أسماء المسميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية والمغرفة بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسميات وفيه تغليب العقلاء ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيتا ﴿أَنبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ المسميات ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]

٣٢ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]

٣٣ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ أي الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ المسميات فسمّى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ تعالى لهم موبخاً ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تُسِرُّون من قولكم لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]

٣٤ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع عن السجود ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبّر عنه وقال : أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]

٣٥ ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد وكان خلقها من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين .

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]

٣٦ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس أذهبهما ، وفي قراءة ﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾ نحّاهما ﴿عَنْهَا﴾ أي الجنة بأن قال لهما : هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرض أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضا ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ مما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَى حِينٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]

٣٧ ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ألهمه إياها، وفي قراءة بنصب آدم ورفع كلمات ، أي جاءه وهي ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ الآية فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]

٣٨ ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرره ليعطف عليه ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إنْ الشرطية في ما الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة أن يدخلوا الجنة

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]

٣٩ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]

٤٠ ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي على آبائكم من الإنجاء من فرعون و فلق البحر و تظليل الغمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]

٤١ ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ من أهل الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضا يسيرا من الدنيا أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ خافون في ذلك دون غيري

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]

٤٢ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تفترونه ولا ﴿تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]

٤٣ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلّوا مع المصلين محمد وأصحابه ، ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين اثبتوا على دين محمد فإنه حق

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

٤٤ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوءَ فعلِكم فترجعون ، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري[1] .

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

٤٥ ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أفردها بالذكر تعظيما لشأنها وفي الحديث كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة ، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]

٤٦ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيهم

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]

٤٧ ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٤٤** : أخرج الواحدي والثّعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه .

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

٤٨ ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أي ليس لها شفاعة فتقبل ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداءٌ ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]

٤٩ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي آباءكم ، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده والجملة حال من ضمير نجيناكم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿بَلَاءٌ﴾ ابتلاء أو إنعام ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]

٥٠ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بِكُمُ﴾ بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]

٥١ ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامريُّ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٢]

٥٢ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا ذنوبكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]

٥٣ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]

٥٤ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]

٥٥ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه ﴿يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانا ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الصيحة فمتم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما حل بكم

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٦]

٥٦ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]

٥٧ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وباله عليهم

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]

٥٨ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي بابها ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُولُوا﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي أن تحط عنا خطايانا ﴿نَغْفِرْ﴾ وفي قراءة بالياء والتاء مبينا للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابا

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]

٥٩ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا : حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾ عذابا طاعونا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]

٦٠ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى﴾ أي طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فر بثوبه ، خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان فضربه ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم . وقلنا لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها من عثي بكسر المثلثة أفسد

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾

٦١ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ﴾ أي نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئا ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أخس ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف أتأخذونه بدله ، والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى : ﴿اهْبِطُوا﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم ، وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أي الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كزكريا ويحيى ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي ظلما ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي وكرره للتأكيد

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

﴿يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

٦٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالأنبياء من قبل ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ روعي في ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها (١).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

٦٣ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار أو المعاصي

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤]

٦٤ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]

٦٥ ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ تجاوزوا الحد ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أهل إيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مبعدين فكانوا وهلكوا بعد ثلاثة أيام

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]

٦٦ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي الأمم التي في زمانها أو بعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]

٦٧ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ وقد قتل لهم قتيل لا يُدرى قاتله وسألوه أن يدعوَ الله أن يبينه لهم فدعاه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مهزوءاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ أمتنع ﴿بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المستهزئين

﴿قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨]

٦٨ فلما علموا أنه عزم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي ما سنُّها ؟ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ﴾ أي الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ مسنة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ نصف ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور من السنين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به من ذبحها

﴿قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]

٦٩ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديد الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ إليها بحسنها أي تعجبهم

﴿قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٦٢**: أخرج ابن أبي حاتم، والعدني في مسنده من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قال سلمان: سألت النَّبيَّ ﷺ عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: «إن الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا» الآية. وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: لمَّا قصَّ سلمانُ على رسول الله ﷺ قصةَ أصحابه قال: «هم في النَّار». قال سلمان: فأظْلَمَتْ عليَّ الأرض، فنزلت «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا» إلى قوله تعالى: «يَحْزَنُون» قال: فكأنما كُشِف عني جبل. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السُّدي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي.

عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠]

٧٠ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أي جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بُيِّنَت لهم آخر الأبد

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]

٧١ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ غير مذللة بالعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة ذلول داخلة في النفي ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لَا شِيَةَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مَسكها ذهباً ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها وفي الحديث: «لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم».

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]

٧٢ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ﴾ فيه إدغام الدال في التاء أي تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراض وهو أول القصة

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]

٧٣ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيي وقال: قتلني فلان وفلان لابني عمه ومات فحُرما الميراث وقُتلا، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون فتعلموا أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.

* * *

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]

٧٤ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أيها اليهود صلبت عن قبول الحق ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]

٧٥ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون والهمزة للإنكار أي لا تطمعوا فلهم سابقة بالكفر

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

٧٦ ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي عرفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ ليخاصموكم واللام للصيرورة ﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتهوا[١].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]

٧٧ قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير والواو الداخل عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعَوُوا عن ذلك

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]

٧٨ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾ أكاذيبَ تَلَقَّوها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظنا ولا علم لهم

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]

٧٩ ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي مختلقا من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرُّشا جمع رشوة[١].

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]

٨٠ ﴿وَقَالُوا﴾ لما وعدهم النبي النار ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ قليلة أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل [وقيل أربعة أيام] ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقا منه بذلك ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ به، لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾

٨١ ﴿بَلَى﴾ تمسكم وتخلدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركا ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ بالإفراد وبالجمع أي استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ روعي فيه معنى من.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٧٦**: أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: «يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عَبَدَةَ الطاغوت». فقالوا: من أخبر بهذا محمدًا؟ ما خرج هذا إلا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم؟ فنزلت الآية.

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا أن صاحبكم رسولُ الله، ولكنه إليكم خاصة وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا: أيحدِّثُ العربَ بهذا؟ فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله: «وَإِذَا لَقُوا» الآية. وأخرج عن السُّدي قال: نزلت في ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا، وكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا: نحن أحبُّ إلى الله منكم وأكرمُ على الله منكم؟.

(١) **أسباب نزول الآية ٧٩**: أخرج النَّسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في أحبار اليهود، وجدوا صفةَ النَّبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل، أعين، رَبْعَة، جعدَ الشَّعر، حسن الوجه، فمحوه حسدًا وبغيًا، وقالوا: نجده طويلًا، أزرق، سبط الشَّعر.

(٢) **أسباب نزول الآية ٨٠**: أخرج الطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول إنّما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنّما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك «وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ» إلى قوله: «فيهَا خَالِدُون». وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس أنّ اليهود قالوا: لن ندخل النَّار إلاّ تحلَّة القسم، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فإذا انقضت انقطع عنا العذاب. فنزلت الآية.

٨٢ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]

٨٣ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خبر بمعنى النهي، وقرئ: ﴿لا تعبدوا﴾ ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برا ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ قولاً ﴿حُسْنًا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرفق بهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف فيه مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عنه كآبائكم

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤]

٨٤ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]

٨٥ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بقتل بعضكم بعضا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء وفي قراءة التخفيف على حذفها تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم. ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ وفي قراءة «أسرى» ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿تفادوهم﴾ تنقذونهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله ﴿وتخرجون﴾ والجملة بينهما اعتراض: أي كما حرم ترك الفداء، وكانت قريظة حالفوا الأوس، والنضير الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم، وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم؟ فيقولون حياء أن تستذل حلفاؤنا. قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هوان وذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]

٨٦ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون منه

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

٨٧ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي أتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا﴾

جاءكم رسول بما لا تهوى﴾ تحب ﴿أنفسكم﴾ من الحق ﴿استكبرتم﴾ تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿ففريقاً﴾ منهم ﴿كذبتم﴾ كعيسى ﴿وفريقاً تقتلون﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية: أي قتلتم كزكريا ويحيى

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]

٨٨ ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول قال تعالى: ﴿بَلْ﴾ للإضراب ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ ما زائدة لتأكيد القلة أي: إيمانهم قليل جدا

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

٨٩ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة هو القرآن ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ من الحق وهو بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدا وخوفا على الرياسة وجواب لما الأولى دل عليه جواب لما الثانية ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ (١)

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]

٩٠ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، وما: نكرة بمعنى شيئا تمييز لفاعل بئس والمخصوص بالذم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أي كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ مفعول له ليكفروا: أي حسدا على ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]

٩١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢]

٩٢ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى

---

(١) **أسباب نزول الآية ٨٩**: أخرج الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هُزمت يهود. فعاذت يهود بهذا الدعاء: اللهم إنَّا نسألك بحق محمد النَّبي الأميّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزَّمان ألاَّ نصرتنا عليهم. فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان، فلمَّا بُعث النَّبي عليه الصلاة والسلام كفروا به، فأنزل الله «وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِين كَفَرُوا». وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس: أنَّ يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ ابن جبل، وبشر بن البراء، وداوٗد بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنَّه مبعوث وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله» الآية.

الميقات ، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذه

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]

٩٣ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم.

المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل ، والمراد آباؤهم: أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً ، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]

٩٤ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلق بـ ﴿يتمنوا﴾ الشرطان على أن الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه (١) .

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]

٩٥ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من

(١) **أسباب نزول الآية ٩٤** : أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قالت يهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا...» فقال الله: «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ الله خَالِصَةً» الآية.

كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]

٩٦ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لو مصدرية بمعنى أن وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول يود ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ مبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ فاعل مزحزحه أي تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء فيجازيهم . وسأل ابن صوريا النبيَّ أو عمرَ عمَّن يأتي بالوحي من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدونا يأتي بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتي بالخصب والسلم فنزل :

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]

٩٧ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظا ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

(١) **أسباب نزول الآية ٩٧** : روى البخاري عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيٌّ: ما أوَّل أشراط الساعة، وما أوَّل طعام أهل الجنَّة، وما ينزعُ الولد إلى أبيه أو إلى أمِّه؟. قال: «أخبرني بهنَّ جبريل آنفًا»، قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُّوا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّه نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ».

قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري: «ظاهر السِّياق أَنَّ النَّبي ﷺ قرأ الآية ردًا لقول اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ». قال: «وهذا هو المعتمد». فقد صح في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبد الله بن سلام. فأخرج أحمد،

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]

٩٨ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه بياء ودونها ﴿وَمِيكَالَ﴾ عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة ميكائيل بهمزة وياء وفي أخرى بلا ياء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أوقعه موقع لهم بيانا لحالهم

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩]

٩٩ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات حال، رد لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]

١٠٠ (أ)كفروا بها ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ بنقضه، جواب كلما وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

١٠١ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي التوراة ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

والتّرمذيّ، والنّسائي، من طريق بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أقبلت يهودُ إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنَّا نسألُك عن خمسةِ أشياء، فإنْ أنبأتنا بهنَّ عرفنا أنَّك نبي. فذكر الحديث وفيه «أنهم سألوه عما حرَّم إسرائيل على نفسه، وعن علامة النّبي وعن الرّعد وصوته، وكيف تُذكر المرأة وتؤنث، وعمَّن يأتيه بخبرِ السماء إلى أنْ قالوا: فأخبِرْنا مَنْ صاحبُك؟ قال: جبريل، قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب، عدوُّنا، لو قلتَ ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيرًا، فنزلت».

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده، وابنُ جرير من طريق الشعبي: أنّ عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة، فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن. قال: فمرَّ بهم النبي ﷺ، فقلت: نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله، فقال عالمهم: نعم نعلم أنه رسول الله، قلت: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: سألناه من يأتيه بنبوته فقال عدونا جبريل لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك، قلت: فمن رسلكم من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل ينزل بالقطر والرحمة، قلت: كيف منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر من الجانب الآخر.

قلت: فإنه لا يحل لجبريل أن يعادي ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل، وإنني أشهد أنهما وربهما سلم لمن سالموا، وحرب لمن حاربوا، ثم أتيت النبي ﷺ، وأنا أريد أن أخبره، فلما لقيتُه قال: ألا أخبرك بآيات أنزلت عليَّ؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فقرأ «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ»، حتى بلغ «لِلْكافِرِين» قلت: يا رسول الله، والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم، فوجدت الله قد سبقني. وإسناده صحيح إلى الشعبي لكنه لم يدرك عمر. وقد أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم من طريق آخر عن الشعبي. وأخرجه ابن جرير عن طريق السُّدي عن عمر. ومن طريق قتادة عن عمر. وهما أيضًا منقطعان.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديًا لقي عمر بن الخطاب، فقال: «إنَّ جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: «مَنْ كَانَ عَدوًّا لله وَمَلائِكتهِ وَرُسُلِهِ وجبريل وميكائيل فإن الله عدُو لِلكَافِرِينَ». فنزلت على لسان عمر». فهذه طرق يقوِّي بعضُها بعضًا.

وقد نقل ابن جرير الإجماع على أنَّ سبب نزول الآية ذلك.

(١) أسباب نزول الآيتين ٩٩، ١٠٠: قوله تعالى: «ولقد أنزلنا إليك...» الآيتين. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال ابن صوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بيّنة فأنزل الله في ذلك «وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آياتٍ بيِّنَاتٍ» الآية. وقال مالك بن الصَّيف حين بُعث رسول الله وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمَّد: والله ما عُهد إلينا في محمَّد، ولا أُخذ علينا ميثاقًا، فأنزل الله تعالى: «أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا» الآية».

بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]

١٠٢ ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُو﴾ أي تلت ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَى﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدوِّنونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه فرفضوا كتب أنبيائهم. قال تعالى تبرئة لسليمان وردًّا على اليهود في قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ الجملة حال من ضمير كفروا ﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ أي ألهماه من السحر وقرئ بكسر اللام الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين ، قال ابن عباس : هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحاً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بلية من الله إلى الناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه فإن أبى إلا التعلم علماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ بأن يبغض كلا إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾ بالسحر ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ومَنْ موصولة ﴿اشْتَرَاهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئا ﴿شَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي الشارين: أي حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه [١].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]

١٠٣ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب لو محذوف: أي لأثيبوا دل عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثواب ، وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

١٠٤ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي ﴿رَاعِنَا﴾ أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبي فنُهي المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها ﴿انْظُرْنَا﴾ أي انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار [٢].

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٢** : أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: قالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحرًا يركب الريح، فأنزل الله تعالى: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية أن اليهود سألوا النبي ﷺ زمانًا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا، وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه، فأنزل الله: «واتبعوا ما تتلو الشياطين» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ١٠٤** : أخرج ابن المنذر، عن السُّدي قال: «كان رجلان من اليهود: مالك بن الصَّيف، ورفاعة بن زيد إذا لقيا النبي ﷺ قالا وهما يكلمانه: راعنا سمعك واسمع غير مسمع، فظنَّ المسلمون أنَّ هذا شيءٌ كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى: «يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرنَا واسمعوا» الآية».

وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق السُّدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: راعنا بلسان اليهود السب القبيح، فلما سمعوا أصحابه يقولون أعلنوا بها له فكانوا يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنزلت فسمعها منهم سعد بن معاذ، فقال لليهود: يا أعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لأضربن عنقه.

وأخرج ابن جرير عن الضحَّاك قال: «كان الرجل يقول:

﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]

١٠٥ ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب عطف على أهل الكتاب ، ومِن للبيان ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْرٍ﴾ وحي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ نبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٠٦ ولما طمع الكفار في النسخ وقالوا إن محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل: ﴿مَا﴾ شرطية ﴿نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ نزل حكمها: إما مع لفظها أو لا. وفي قراءة بضم النون من أنسخ: أي نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ نؤخرها فلا ننزل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ وفي قراءة بلا همز في النسيان أي ننسكها ، أي نمحها من قلبك وجواب الشرط ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير[1] .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

إرعني سمعك فنزلت الآية». وأخرج عن عطية قال: «كان أناس من اليهود يقولون أرعنا سمعك حتى قالها أناس من المسلمين، فكره الله لهم ذلك». فنزلت الآية.

وأخرج عن قتادة قال: «كانوا يقولون راعنا سمعك، فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك فنزلت».

وأخرج عن عطاء قال: «كانت لغةَ الأنصار في الجاهلية فنزلت». وأخرج عن أبي العالية قال: «إن العرب كانوا إذا حدَّث بعضهم يقول أحدهم لصاحبه: أرعني سمعك. فنهُوا عن ذلك».

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٦ :** أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «كان ربما ينزل على النبيﷺ الوحي بالليل ونسيه بالنهار، فأنزل الله «مَا نَنْسَخْ» الآية».

١٠٧ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عذابه إن أتاكم ، ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهباً

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]

١٠٨ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى﴾ أي سأله قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم : أرنا الله جهرة وغير ذلك ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق والسواء في الأصل الوسط[1] .

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٨ :** أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله: يا محمد ائتنا بكتاب تنزِّلهُ علينا من السماء نقرؤه، أو فجّر لنا أنهارًا نتّبعك ونصدِّقك، فأنزل الله في ذلك: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ» إلى قوله: «سَواءَ السَّبِيل».

وكان حُييّ بن أَخطب وأَبو ياسر بن أَخطب من أَشَدِّ اليهود حسدًا للعرب إذ خصهم الله برسوله، وكانا جاهِدَيْن في رد النَّاسِ عن الإِسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ» الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: سألتْ قريشٌ محمدًاﷺ أنْ يجعل لهم الصفا ذهبًا، قال نعم وهو لكم كمائدة بني إسرائيل إنْ كفرتم، فأبَوا ورجعوا، فأنزل الله: «أَمْ تريدُونَ أن تسألوا رسولكمْ» الآية.

وأخرج عن السُّدي قال: «سألتِ العرب محمدًاﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة، فنزلت». وأخرج عن أبي العالية قال: «قال رجل: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل !، فقال النَّبيﷺ : ما أعطاكم الله خير . كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفَّارتها، فإن كفَّرها كانت له خزيًا في الدُّنيا، وإن لم يكفِّرها كانت له خِزيًا في الآخرة، وقد أعطاكم الله خيرًا من ذلك، قال تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ» الآية. والصَّلواتِ الخمس والجمعة إلى الجمعة كفَّاراتٌ لما بينهنَّ، فأنزل الله «أَمْ تُريدونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولكم» الآية».

﴿ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ مفعول له كائناً ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿الْحَقُّ﴾ في شأن النبي ﴿فَاعْفُوا﴾ عنهم أي اتركوهم ﴿وَاصْفَحُوا﴾ أعرضوا فلا تجازوهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠]

١١٠ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ طاعة كصلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

١١١ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هائد ﴿أَوْ نَصَارَى﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ أي قال اليهود لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى لن يدخلها إلا النصارى ﴿تِلْكَ﴾ القولة ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه .

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

١١٢ ﴿بَلَى﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]

١١٣ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٌّ به وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ معتد به وكفرت بموسى ﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى ، وفي كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك: أي قالوا لكل ذي دين ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين فيُدخِل المحقَّ الجنةَ والمبطل النار[1] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]

١١٤ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل ، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحدٌ آمناً. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار[2] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١٣** : أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لمّا قدم أهل نجران من النّصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا، فقال رافع بن حُرَيملة: ما أنتم على شيء، وكفَر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران لليهود: ما أنتم على شيء، وجَحد نبوة موسى وكفَر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: «وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ١١٤** : أخرج ابن أبي حاتم من

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]

١١٥ ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه (١).

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]

١١٦ ﴿وَقَالُوا﴾ بواو وبدونها اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عنه ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً والملكية تنافي الولادة وعبر بـ «ما» تغليباً لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]

١١٧ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهم لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَى﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]

١١٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أنك رسوله

الطريق المذكور أَنَّ قريشًا منعوا النَّبي ﷺ الصَّلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ الله» الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: «نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية»..

(١) أسباب نزول الآية ١١٥: أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعًا أينما توجهت به، وهو آتٍ من مكة إلى المدينة، ثمَّ قرأ ابن عمر «وَلله المَشرِقُ والمَغْرِبُ»، وقال في هذا نزلت هذه الآية».

وأخرج الحاكم عنه قال: «أنزلت «فأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله» أَنْ تصلِّيَ حيثما توجهتْ بك راحلتك في التطوع». وقال: «صحيح على شرط مسلم».

وهذا أصح ما ورد في الآية إسنادًا، وقد إعتمده جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا، وقد تقدم ما فيه وقد ورد التصريح بسبب نزولها.

فأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود، فاستقبلها بضعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله «فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»، فارتاب من ذلكِ اليهود، وقالوا: «مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا»، فأنزل الله: «قُلْ لله المَشْرِقُ والمَغْرِبُ». وقال: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله».

إسناده قوي. والمعنى أيضًا يساعده فلْيُعتَمَد.

وفي الآية روايات أخرى ضعيفة: فأخرج الترمذي، وابن ماجه، والدارقطني، من طريق أشعث السَّمان، عن عاصم بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: «كنَّا مع النَّبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمةٍ فلم ندر أين القِبلة، فصلَّى كل رجلٍ منَّا على حياله، فلمَّا أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله» الآية».

قال الترمذي: «غريب، وأشعثُ يضعَّف في الحديث».

وأخرج الدارقطني وابن مردويه من طريق العرزمي عن عطاء عن جابر قال: «بعث رسول الله ﷺ سريةً كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منَّا: قد عرفنا القبلة، هي هاهنا قبل الشمال فصلُّوا وخطُّوا خُطوطًا، وقال بعضنا: القبلة هى هاهنا قبل الجنوب، فصلُّوا وخطُّوا خطوطًا، فلمَّا أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلمَّا قفلنا من سَفرِنا سألنا النَّبي ﷺ فسكت وأنزل الله «وَلله المَشرِقُ وَالمَغرِبُ» الآية».

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أَبي صالح عن ابن عبَّاس «أَنَّ رسول الله ﷺ بعث سرية فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة، فصلُّوا ثمَّ استبان لهم بعد ما طلعت الشَّمس أنَّهم صلُّوا لغير القبلة، فلمَّا جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدَّثوه، فأنزل الله هذه الآية «وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ» الآية».

وأخرج ابن جرير عن قتادة «أَنَّ النَّبي ﷺ قال: إنَّ أَخًا لكم قد مات - يعني النجاشي - فصلُّوا عليه، قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال فنزلت: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِالله» الآية. فقالوا: إنَّه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله: «وَلله المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ» الآية».

غريب جدًا وهو مرسل أو معضل.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: لمَّا نزلت «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم». قالوا: إلى أين؟ فنزلت «فَأَيْما تُولوا فَثَمَّ وَجْهُ الله».

﴿أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ﴾ مما اقترحناه على صدقك ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعنت وطلب الآيات ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراحُ آيةٍ معها تعنُّت (١) .

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]

١١٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ النار ، أي الكفار ما لهم لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم تسألْ نهياً (٢) .

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

١٢٠ ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾ لام قسم ﴿اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها فرضاً ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعك منه (٣) .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

١٢١ ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي يقرؤونه كما أنزل ، والجملة حال وحقَّ نصبٌ على المصدر والخبر ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٢]

١٢٢ ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقدم مثله

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

١٢٣ ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]

١٢٤ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ابْتَلَى﴾ اختبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وفي قراءة «إبراهام» ﴿رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامر ونواه كلفه بها ، قيل هي مناسك الحج ، وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الشعر وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أداهن تامات ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ بالإمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١٨** : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس

قال: «قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: إنْ كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » الآية».

(٢) **أسباب نزول الآية ١١٩** : قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» فما ذكرهما حتَّى توفاه الله». مرسل.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: أخبرني داود ابن أبي عاصم «أن النبي ﷺ قال ذات يوم: أين أبواي؟» فنزلت، مرسلٌ أيضًا.

(٣) **أسباب نزول الآية ١٢٠** : أخرج الثَّعلبي عن ابن عباس قال: «إنَّ يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أنْ يصلِّي النَّبي ﷺ إلى قبلتهم، فلمَّا صرف الله القبلة إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم وأَيسوا أَن يوافقهم على دينهم فأنزل الله «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى» الآية».

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾

١٢٥ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ مرجعا يثوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنًا﴾ مأمنا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره ، كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أيها الناس ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف ، وفي قراءة ﴿واتَّخذوا﴾ بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد المصلين (١) .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]

١٢٦ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ ذا أمن ، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه

(١) أسباب نزول الآية ١٢٥ : روى البخاري وغيره عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى، فنزلت «وَاتَّخِذوا مِنْ مَقَام إبْراهِيمَ مُصَلًّى»، وقلت: يا رسول الله إنَّ نساءك يدخل عليهنَّ البرّ والفاجر فلو أمرتهنَّ أنْ يحتجبنَ فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغَيْرة، فقلت لهنَّ: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْرًا مِنْكُنَّ» فنزلت كذلك . له طرق كثيرة منها:

ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لما طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتَّخذه مصلًّى؟ فأنزل الله «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَام إبْراهِيمَ مُصَلًّى». وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنَّه مرَّ من مقام إبراهيم، فقال: يا رسول الله أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى ، قال: أفلا نتَّخذه مصلًّى؟ فلم يلبث إلاَّ يسيرًا حتى نزلت «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَام إبْراهِيم مُصَلًّى».

وظاهرُ هذا وما قبله أنَّ الآية نزلت في حجَّة الوداع.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة ﴿لقوله لا ينال عهدي الظالمين﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿وَ﴾ ارزق ﴿مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ بالتشديد والتخفيف في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدر ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ يبنيه ، متعلق بيرفع ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم ، يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]

١٢٨ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين ﴿لَكَ وَ﴾ اجعل ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ ومن للتبعيض ، وأتى به لتقدم قوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ ﴿وَأَرِنَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعاً وتعليماً لذريتهما

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]

١٢٩ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم ، وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]

١٣٠ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا ﴿يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخلة ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى(١).

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

١٣١ واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ انقد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

١٣٢ ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة «أوصى» ﴿بِهَا﴾ بالملة ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه قال: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]

١٣٣ ولما قال اليهود للنبي ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ؟ نزل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضورا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عدُّ إسماعيل من الآباء تغليب ، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وأم بمعنى همزة الإنكار أي لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]

١٣٤ ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنّث لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي جزاؤه استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

١٣٥ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ أو للتفصيل وقائل الأول يهود المدينة والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١)

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]

١٣٦ ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمؤمنين ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَى﴾ من الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٣٠**: قال ابن عيينة: روي أنَّ عبد الله بن سلام دعا ابنَيْ أخيه سلمة ومهاجرًا إلى الإسلام فقال لهما: «قد علمتما أنَّ الله تعالى قال في التوراة: إنّي باعث من ولد إسماعيل نبيًا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون» فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت فيه الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ١٣٥**: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال ابن صوريا للنبي ﷺ: ما الهُدى إلاّ ما نحن عليه فاتّبعنا يا محمد تَهْتَدِ، وقالت النَّصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: «وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهتدوا».

١٣٧ ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ أي اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ﴾ مثل، والباء زائدة ﴿مَا ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم .

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]

١٣٨ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر، أي صبغنا الله والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ .

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾

قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبيا لكان منا فنزل:

١٣٩ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ تخاصمونا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبيا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفي من عباده من يشاء ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ نجازى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ تجازون بها فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء والهمزة للإنكار والجمل الثلاث أحوال

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

١٤٠ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أي الله أعلم، وقد برأ منها إبراهيم بقوله ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى عن الناس ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم .

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]

١٤١ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]

١٤٢ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي ومنهم أنتم دل على هذا.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

١٤٣ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خياراً عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ صيرنا ﴿الْقِبْلَةَ﴾ لك الآن الجهة ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولا وهي الكعبة وكان ﷺ يصلي إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفا لليهود فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعُ

الرَّسُولَ﴾ فيصدقه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي يرجع إلى الكفر شكا في الدين وظنا أن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي: وإنها ﴿كَانَتْ﴾ أي التولية إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم ، والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]

١٤٤ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَرَى تَقَلُّبَ﴾ تصرف ﴿وَجْهِكَ فِي﴾ جهة ﴿السَّمَاءِ﴾ متطلعاً إلى الوحي ومتشوقا للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه أدعى إلى إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحولنك ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ نحو ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ خطاب للأمة ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي التولي إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره وبالياء أي اليهود من إنكار أمر القبلة [1] .

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

١٤٥ ﴿وَلَئِنْ﴾ لام القسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَا تَبِعُوا﴾ أي لا يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إن اتبعتهم فرضا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

١٤٦ ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمدا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

١٤٧ ﴿الْحَقُّ﴾ كائن ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من لا تمتر

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]

١٤٨ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه في صلاته ، وفي قراءة مُوَلاها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها

---

(١) أسباب نزول الآيات ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ : قال ابن إسحاق: حدثني إسماعيل بن خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال: «كان رسول الله يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. فقال رجل من المسلمين: وددنا لو علمنا من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

وقال السفهاء من الناس: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى آخر الآية».

له طرق بنحوه. وفي الصحيحين عن البراء: «مات على القبلة - قبل أن تحوّل - رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم؟ فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾».

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩]

١٤٩ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء تقدم مثله، وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]

١٥٠ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرره للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا ، وقول المشركين يدّعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالعناد فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه والاستثناء متصل والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على لئلا يكون ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق (١) .

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]

١٥١ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بأتم أي إتماما كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمدا ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

١٥٢ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل معناه أجازيكم ، وفي الحديث عن الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]

١٥٣ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خصها بالذكر لتكررها وعظمها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون .

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]

١٥٤ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿أَمْوَاتٌ﴾ بل هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت لحديث بذلك ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه (١) .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

١٥٥ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٥٠** : وأخرج ابن جرير من طريق السُّدي بأسانيده قال: «لمّا صُرِف النّبي ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحيَّر على محمّد دينه، فتوجه بقبلته إليكم، وعلم أنّكم أهدى منه سبيلاً، ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله «لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكم حُجَّةٌ» الآية».

(١) **أسباب نزول الآية ١٥٤** : أخرج ابن منده في معرفة الصَّحابة من طريق السُّدي الصَّغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «قتل تميم بن الحُمَام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت «وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ في سَبيلِ الله أَمْوَاتٌ» الآية». قال أبو نعيم: اتَّفقوا على أنَّه «عُمير بن الحمام»، وأن السُّدي صحَّفه.

﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح ، أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]

١٥٦ وهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكا وعبيدا يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازينا كما في الحديث من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف الله عليه خيرا وفيه أن مصباح النبي ﷺ طفئ فاسترجع فقالت عائشة: إنما هذا مصباح فقال: «كل ما أساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]

١٥٧ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ مغفرة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]

١٥٨ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة ، وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إثم عليه ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعا ، نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما ، وعن ابن عباس أن السعي غير فرض لما أفاده رفع الإثم من التخيير وقال الشافعي وغيره ركن ، وبين ﷺ فريضته بقوله «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره وقال ابدؤوا بما بدأ الله به يعني الصفا. رواه مسلم ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ وفي قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوما وفيه إدغام التاء فيها﴿يطَّوعْ﴾ ﴿خَيْرًا﴾ أي بخير ، أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلِيمٌ﴾ به (١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

١٥٩ ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة (٢) .

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] .

١٦٠ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٥٨ :** أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة قال: «قلت لعائشة زوج النبي ﷺ : أرأيت قول الله: «إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»، فما أرى على أحدٍ شيئًا أن لا يطوّف بهما. فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي إنّها لو كانت على ما أوّلتها عليه كانت: فلا جناح عليه أنْ لا يتطوّف بهما، ولكنّهما إنّما أنزلت لأنَّ الأنصار قبل أن يُسلموا كانوا يُهلّون لمناة الطّاغية وكان من أهلّ لها يتحرّج أنْ يطوف بالصّفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّا كنّا نتحرج أنْ نطوف بالصّفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله «إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ »، إلى قوله: «فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»».

وأخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال: «سألت أنسًا عن الصفا والمروة قال: كنّا نرى أنّهما من أمر الجاهليّة فلمّا جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله «إِنَّ الصَّفا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله». وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: كانت الشّياطين في الجاهليّة تعزف اللّيل أجمع بين الصّفا والمروة، وكان بينهما أصنام لهم، فلمّا جاء الإسلام قال المسلمون : يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة فإنّه شيءٌ كنّا نصنعه في الجاهليّة، فأنزل الله هذه الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ١٥٩ :** أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: سأل معاذ

﴿اللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]

١٦١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة. والناس قيل: عام. وقيل: المؤمنون .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾

١٦٢ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو لمعذرة

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]

١٦٣ ونزل لما قالوا صف لنا ربك: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ وطلبوا آية على ذلك فنزل:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

١٦٤ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَآيَاتٍ﴾ دالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون [1].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

١٦٥ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَندَادًا﴾ أصناما ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما ، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله. ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالياء والتاء تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون ﴿الْعَذَابَ﴾ لرأيت أمرا عظيما وإذ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة ﴿يرى﴾ بالتحتية والفاعل قيل ضمير السامع ، وقيل الذين ظلموا فهي بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا في الدنيا شدة عذاب

ابن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجةُ بن زيد نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه وأبوا أنْ يخبروهم، فأنزل الله فيهم « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ١٦٤** : أخرج سعيد بن منصور في سننه، والفريابي في تفسيره، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الضحى قال: «لما نزلت «وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ» تعجَّب المشركون وقالوا إله واحد ! لئن كان صادقًا فليأتنا بآية فأنزل الله «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» إلى قوله: «لقوم يَعْقِلُونَ»».

قلت: هذا معضل، لكن له شاهد. أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء قال: «نزل على النبي ﷺ بالمدينة «وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرحمن الرحيم»، فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد، فأنزل الله «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأرضِ» إلى قوله «لقوم يَعْقِلُونَ»».

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق جيد موصول عن ابن عباس قال: «قالت قريش للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصَّفا ذهبًا نتقوَّ به على عدوِّنا، فأوحى الله إليه إني معطيهم، ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبتهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، فقال: رب دعني وقومي فأدعوهم يومًا بيوم، فأنزل الله هذه الآية: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» وكيف يسألونك الصَّفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم».

الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أندادا

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]

١٦٦ ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ أي الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على تبرأ ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]

١٦٧ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ اليوم ولو للتمني ونتبرأ جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَاتٍ﴾ حال ندامات ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ بعد دخولها

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]

١٦٨ ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة أي مستلذا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]

١٦٩ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾ الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعا ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]

١٧٠ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي الكفار ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر.

قال تعالى: ﴿أَ﴾ يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق ؟ والهمزة للإنكار(١) .

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

١٧١ ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ يصوت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ أي صوتا ولا يفهم معناه أي في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه ، هم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

١٧٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]

١٧٣ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي أكلها إذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي ما لم يذك شرعا ، وألحق بها بالسنة ما أبين من حي وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّمَ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا

(١) أسباب نزول الآية ١٧٠ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حريملة ومالك بن عوف: بل نتَّبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرًا منا، فأنزل الله في ذلك «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله» الآية».

يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعد عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك ، وخرج الباغي والعادي ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعي

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]

١٧٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتمل على نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مآلهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غضبا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار(١) .

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]

١٧٥ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أي ما أشد صبرهم ، وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأيُّ صبرٍ لهم

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]

١٧٦ ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

١٧٧ ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نزل ردا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي ذا البر وقرئ بفتح الباء أي البار ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أي الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ الله أو الناس ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الله(١)

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٧٤ :** أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله: «إِنَّ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَاب»، والتي في آل عمران: «إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بعَهْدِ الله» نزلتا جميعًا في يهود.

وأخرج الثَّعلبي من طريقِ الكلبي عن أَبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أنْ يكون النبيُّ المبعوث منهم، فلمَّا بعث الله محمدًا ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثمَّ أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النَّبي الذي يخرج في آخر الزمانِ لا يُشبه نعت هذا النبيّ، فأنزل الله: «إِنَّ الذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ الله مِنَ الكِتاب» الآية».

(١) **أسباب نزول الآية ١٧٧ :** قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]

١٧٨ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ وصفاً وفعلاً ﴿الْحُرُّ﴾ يقتل ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾ وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة في الدين فلا يُقتل مسلمٌ ولو عبدا بكافر ولو حرا ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ بأن ترك القصاص منه، وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولي الشافعي والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورجح ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَاءٌ﴾ الدية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مطل ولا نجس ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم حيث وسع في ذلك ولم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل [1].

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]

١٧٩ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي بقاء عظيم ﴿يَاأُولِي الأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل مخافة القود

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]

١٨٠ ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالا ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بكتب ومتعلق بإذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أي فليوص ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغني ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله. وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث: لا وصية لوارث رواه الترمذي

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]

١٨١ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي الإيصاء من شاهد ووصي ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي الإيصاء المبدل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصي فمجاز عليه

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢]

١٨٢ ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ﴾ مخففا ومثقلا

عن قتادة قال: «كانت اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق، فنزلت «ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم» الآية».

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية مثله. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: «ذُكر لنا أنَّ رجلًا سأل النَّبي ﷺ عن البرِّ، فأنزل الله هذه الآية: «لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا»، فدعا الرَّجلَ، فتلاها عليه، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أَنْ لا إله إلاَّ الله وأَنَّ محمدًا عبده ورسوله، ثمَّ مات على ذلك يرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله: « لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ» وكانت اليهود توجَّهت قبل المغْرب، والنَّصارى قِبل المشرق».

[1] **أسباب نزول الآية ١٧٨**: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: «إنَّ حيَّين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قَبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قَتَلوا العبيد والنِّساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا أنْ لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منَّا الحرُّ منهم، والمرأة منا الرَّجل منهم، فنزل فيهم «الحرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بالأُنْثَى»

﴿جَنَفًا﴾ ميلا عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

١٨٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]

١٨٤ ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام أو بـ «صوموا» مقدرا ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي، وقلّله تسهيلا على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافر سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يرجى برؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي قدر ما يأكله في يومه وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة فديةُ طعام بإضافة فدية وهي للبيان وقيل لا غير مقدرة وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله من شهد منكم الشهر فليصمه، قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مبتدأ وخبره ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه[1].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

١٨٥ تلك الأيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، منه ﴿هُدًى﴾ حال هاديا من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحات ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ مما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَ﴾ من ﴿الْفُرْقَانِ﴾ بما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ولكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم عطف عليه ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْعِدَّةَ﴾ أي عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

١٨٦ وسأل جماعة النبي ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه، فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون[1].

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٨٤**: أخرج ابن سعد في طبقاته عن مجاهد قال: «هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾. فأفطر وأطعم لكل يوم مسكينًا».

(١) **أسباب نزول الآية ١٨٦**: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو الشيخ، وغيرهم من طرق عن جرير ابن عبد الحميد عن عبدة السجستانيّ عن الصَّلت بن حكيم

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْـَٔانَ بَٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي الْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٨٧]

١٨٧ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع ، نزل نسخا لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام ، وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ﴾ إذ أحل لكم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن. ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي أباحه من الجماع أو قدَّره من الولد ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الليل كله ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أي من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ متعلق بعاكفون ، نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حدها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من لا تعتدوها المعبر به في آية أخرى ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمه [1] .

ابن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: أقريب ربُّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه، فأنزل الله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» الآية».

* وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال: «سأل أصحابُ رسول الله ﷺ النبي ﷺ أين ربنا؟ فأنزل الله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» الآية». مرسل، وله طرق أخرى.

* وأخرج ابن عساكر عن علي قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل عليّ «ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ». فقال رجل: يا رسول الله ربُّنا يَسمع الدعاء، أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي » الآية».

* وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أنَّه بلغه لمَّا نزلت «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ». قالوا: لو نعلم أيَّ ساعة ندعو؟ فنزلت «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ». إلى قوله: «يَرْشُدُونَ».

(١) **أسباب نزول الآية ١٨٧**: روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا ثم إن رجلًا من الأنصار يقال له قيس بن صرمة صلَّى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح مجهودًا وكان عمر أصاب من النساء بعدما نام فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم». إلى قوله: «ثم أتموا الصيام إلى الليل». هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ وله شواهد.

* فأخرج البخاري عن البراء قال: «كان أصحاب النَّبي ﷺ إذا كان الرَّجل صائمًا، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا، فلمَّا حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعامٌ؟ قالت: لا ولكني أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلمَّا رأته قالت: خيبةً لك. فلمَّا انتصف النَّهار غشي عليه، فذُكر ذلك للنَّبي ﷺ فنزلت هذه الآية: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُم». ففرحوا بها فرحًا شديدًا ونزلت: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ».

* وأخرج البخاري عن البراء قال: «لمَّا نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النِّساء رمضان كلَّه، فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله «عَلم اللَّهُ أَنَّكم كنتم تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَى عَنْكُمْ».

* وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: «كان النَّاس في رمضان إذا صام الرَّجل، فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء، حتى يُفطر من الغد، فرجع عمر من عند النَّبي ﷺ وقد سمُر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها، فقالت: إني قد نمت، قال: ما نمتِ، ووقع عليها، وصنع كعب مثل ذلك، فغدا عمر إلى النَّبي ﷺ فأخبره فنزلت الآية».

* قوله تعالى: «مِنَ الفَجْرِ». روى البخاري عن سهل بن سعد قال: «أنزلت «وكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ»، ولم ينزل «مِنَ الفَجْرِ»، فكان رجالٌ إذا أرادوا الصَّوم رَبط أحدهم في رجله الخيط الأبيض

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

١٨٨ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام شرعا كالسرقة والغصب ﴿وَ﴾ لا ﴿تُدْلُوا﴾ تلقوا ﴿بِهَا﴾ أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون (١).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]

١٨٩ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ جمع هلال ، لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وإفطارهم ﴿وَالْحَجِّ﴾ عطف على الناس أي يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقبا تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي ذا البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ الله بترك مخالفته ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ في الإحرام كغيره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون (٢).

﴿وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

١٩٠ ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حد لهم ،

والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد «مِنَ الْفَجْرِ»، فعلموا أنما يعني الليل والنهار».

* قوله تعالى: «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ».

أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء فنزلت «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ».

(١) **أسباب نزول الآية ١٨٨** : أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن أشوع الحضرمي اختصما في أرض وأراده امرؤ القيس أن يحلف ففيه نزلت: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ».

(٢) **أسباب نزول الآية ١٨٩** : أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عبّاس قال: «سأل النّاس رسول الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لم خُلقت الأهلّة، فأنزل الله «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ».

* وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السّدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يدو ويطلع دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ».

* قوله تعالى: «وَلَيْسَ الْبِرُّ...» الآية.

روى البخاري عن البراء قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» الآية». وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم - وصححه - عن جابر قال: «كانت قريش تدعى الحمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينا رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا: يا رسول الله إنّ قطبة بن عامر رجل فاجر وإنّه خرج معك من الباب، فقال له: ما حملك على ما فعلت ؟ قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت. قال: إني رجل أحمسي. قال له: فإنّ ديني دينك، فأنزل الله «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» الآية».

* وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وأخرج الطيالسي في مسنده عن البراء قال: «كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرّجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية». وأخرج عبد بن حميد عن قيس بن جبير النهشلي قال: «كانوا إذا أحرموا لم يأتوا بيتًا من قبل بابه وكانت الحمس بخلاف ذلك فدخل رسول الله ﷺ حائطًا ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن تابوت ولم يكن من الحمس فقالوا: يا رسول الله نافق رفاعة. فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: تبعتك. فقال: إني من الحمس. قال: فإن ديننا واحد فنزلت «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا».

وهذا منسوخ بآية براءة [1] أوبقوله:

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

١٩١ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي من مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظم ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي في الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه ، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القتل والإخراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٢]

١٩٢ ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]

١٩٣ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]

١٩٤ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ المحرم مقابل ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله رد لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر [1] .

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]

١٩٥ ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي أنفسكم والباء زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي يثيبهم [2] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٩٠ :** أخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا صُدَّ عن البيت هو وأصحابه، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه القابل، فلما كان العام القابل تجهَّز هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أنْ لا تفي قريش بذلك، وأن يصدُّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ذلك».

(١) **أسباب نزول الآية ١٩٤ :** وأَخرج ابنُ جرير عن قتادة قال: «أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه فاعتمروا في ذي القعدة ومعهم الهَدي، حتَّى إذا كانوا بالحديبية صدَّهم المشركون، وصالحهم النَّبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثمَّ يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام فيها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية فأقصَّه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردُّوه في ذي القعدة فيه، فأنزل الله «الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قَصَاصٌ»».

(٢) **أسباب نزول الآية ١٩٥ :** روى البخاري عن حذيفة قال: «نزلت الآية في النفقة». وأخرج أبو داود، والترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: «نزلت الآية فينا معشرَ الأنصار، لما أعزَّ الله الإسلام وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سرًا: إنَّ أموالنا قد ضاعت، وإنَّ الله قد أعزَّ الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يردّ علينا ما قلنا : «وَأَنْفِقُوا في سَبيلِ الله وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ». فكانت التَّهلكة الإقامة على أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: «كانت الأنصار يتصدقون ويطعمون ما شاء الله، فأصابتهم سَنَّة فأمسكوا، فأنزل الله: «وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ» الآية».

* وأخرج أيضًا بسند صحيح عن النُّعمان بن بشير قال: «كان الرجل يُذنب الذَّنب فيقول: لا يُغفر لي فأنزل الله: «وَلاَ

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

١٩٦ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أدوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ منعتم عن إتمامهما بعدو ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليكم وهو شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي لا تتحللوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ المذكور ﴿مَحِلَّهُ﴾ حيث يحل ذبحه وهو مكان الإحصار عند الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويُفرَّق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كقمل وصداع فحلق في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ لثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي ذبح شاة وأو للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة ، وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ العدو بأن ذهب أو لم يكن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي في حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذي الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جملة تأكيد لما قبلها. ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي فإن كان فلا دمَ عليه ولا صيام وإن تمتع. وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان ، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعي والثاني لا ، والأهل كناية عن النفس وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معا أو يدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه [(١)] .

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]

١٩٧ ﴿الْحَجُّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة وقيل كله

تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ». وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم.

(١) **أسباب نزول الآية ١٩٦**: أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ متضمخ بالزعفران، عليه جبّة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ فأنزل الله: «وَأَتِمّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلَّهِ». فقال: أين السائل عن العمرة؟ قال : ها أنذا. فقال له: ألقِ عنك ثيابك، ثمَّ اغتسل، واستنشق ما استطعت، ثمَّ ما كنت صانعًا في حجّك فاصنعه في عمرتك».

* قوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا» الآية. روى البخاري عن كعب بن عجرة أنه سأل عن قوله ففدية من صيام قال: «حُمِلْتُ إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك فنزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة». وأخرج أحمد عن كعب قال: «كنّا مع النّبي ﷺ بالحديبية ونحن محرمون، وقد حصر المشركون، وكانت لي وفرة، فجعلت الهوامُّ تسّاقط على وجهي، فمرَّ بي النّبي ﷺ فقال: أيؤذيك هوامّ رأسك؟ فأمره أنْ يحلق. قال: ونزلت هذه الآية: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيام أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ». وأخرج الواحدي من طريق عطاء، عن ابن عباس، قال: «لمَّا نزلنا الحديبية جاء كعب بن عُجرة تنتثر هوامُّ رأسهِ على جبهته فقال: يا رسول الله هذا القمل قد أكلني، فأنزل الله في ذلك الموقف: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا» الآية».

﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ جماعٌ فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ معاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصامٌ ﴿فِي الْحَجِّ﴾ وفي قراءة بفتح الأوَّلين، والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فيجازيكم به ، ونزل في أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كَلاًّ على الناس: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ما يتقي به سؤال الناس وغيره ﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول [1] .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾

١٩٨ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج نزل رداً لكراهتهم ذلك ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له قُزَح وفي الحديث أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جدًّا. رواه مسلم ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل هداه ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [2] .

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]

(١) أسباب نزول الآية ١٩٧ : روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتوكلون، فأنزل الله «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى» .

(٢) أسباب نزول الآية ١٩٨ : روى البخاري عن ابن عباس قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتَّجروا في المواسم فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» في مواسم الحج». وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، والحاكم، وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال: «قلت لابن عمر إنَّا نُكري فهل لنا من حجٌّ؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يُجبه، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ». فدعاه النَّبي ﷺ فقال: أنتم حجاج».

١٩٩ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعا عن الوقوف معهم وثم للترتيب في الذكر ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم [1] .

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]

٢٠٠ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ﴾ أديتم ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ من ذكركم إياهم ، ونصب أشدَ على الحال من ذكر المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا﴾ نصيباً ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ نصيب [2] .

* * *

(١) أسباب نزول الآية ١٩٩ : أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ »». وأخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «كانت قريش يقفون بالمزدلفة، ويقف الناس بعرفة، إلا شيبة بن ربيعة، فأنزل الله «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٠٠ : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم، ويحمل الحمالات، ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: «فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا الله» الآية».

* وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا أيامهم في الجاهلية، وفعال آبائهم فنزلت هذه الآية». وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهمَّ اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحُسْن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا، فأنزل الله فيهم: «فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيا وَمَا لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ». ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين، فيقولون: «رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَالله سَرِيعُ الحِسَابِ».

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

٢٠١ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله:

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]

٢٠٢ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِن﴾ أجل ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

٢٠٣ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي هم مخيرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]

٢٠٤ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقاً حلوَ الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدني مجلسه فأكذبه الله في ذلك ومرَّ بزرع وحُمُرٍ لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى[١]:

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾

٢٠٥ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ انصرف عنك ﴿سَعَى﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي لا يرضى به

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]

٢٠٦ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

٢٠٧ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ رضاه، وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه[٢].

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٠٤**: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «لما أصيبت السَّرية التي فيها عاصم ومرثد، قال رجلان من المنافقين: يا ويح هؤلاء المقتولين، الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ» الآية». أخرج ابن جرير عن السُّدي قال: «نزلت في الأخنس ابن شُريق الثقفي، أقبل إلى النبي ﷺ فأظهر له الإسلام، فأعجبه النَّبي ﷺ ذلك منه، ثمَّ خرج من عند النبي ﷺ فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحُمر، فأحرق الزَّرع، وعقَر الحُمر، فأنزل الله الآية».

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٠٧**: أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: «أقبل صهيب مهاجرًا نحو النَّبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته، ثمَّ قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلًا، وايم الله لا تصلون إليَّ حتَّى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثمَّ أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

٢٠٨ ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظَّموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ حال من السلم أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة [(١)]

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]

٢٠٩ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾

٢١٠ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي أمره كقوله أو يأتي أمر ربك أي عذابه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ تم أمر هلاكهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل في الآخرة فيجازي كلا بعمله

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۢ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

٢١١ ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ تبكيتاً ﴿كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعول آتينا ومميزها ﴿مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدلوها كفرا ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]

٢١٢ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]

٢١٣ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ «أنزل» ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من الدين ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي الدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ

شيء، ثمَّ افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة، وخليتم سبيلي قالوا: نعم. فلمَّا قدم على النَّبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى ربح أبا يحيى، ونزلت: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ الله وَالله رَءُوفٌ بِالعبادِ». وأخرج الحاكم في المستدرك نحوه، من طريق ابن المسيب، عن صهيب موصولًا.

*وأخرج أيضًا نحوه من مرسل عكرمة. وأخرجه أيضًا من طريق حمَّاد بن مسلمة، عن ثابت، عن أنس، وفيه التصريح بنزول الآية، وقال صحيح على شرط مسلم. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «نزلت في صهيب، وأبي ذر وجندب بن السَّكن»، أحد أهل أبي ذر.

(١) **أسباب نزول الآية ٢٠٨**: أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «نزلت في ثعلبة، وعبد الله بن سلام، وابن يامين، وأسد وأسيد ابْنَيْ كعب، وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد، كلّهم من يهود قالوا: يا رسول الله يومُ السبت يومٌ نعظمه فدعنا فَلْنُسْبِتْ فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها بالليل، فنزلت: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً» الآية».

أُوتُوهُ﴾ أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد ، ومن متعلقة بـ «اختلف» وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ﴾ للبيان ﴿الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

٢١٤ ونزل في جهد أصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ﴾ شبه ما أتى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمْ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع أي قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وُعدناه فأجيبوا من قبل الله ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه [1].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]

٢١٥ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي الذي ينفقونه ، والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فسأل ﷺ عما ينفق وعلى من ينفق ؟ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيانٌ لما شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذي هو أحد شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه [1].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

٢١٦ ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ مكروه ﴿لَكُمْ﴾ طبعا لمشقته ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيراً لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر وفي تركه وإن أحببتموه شرا لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]

٢١٧ وأرسل النبي ﷺ أول سراياه وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ المحرَّم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم وزرا مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ منع للناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بالله ﴿وَ﴾ صد عن

---

(1) **أسباب نزول الآية ٢١٤:** قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة قال: «نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب، أصاب النّبي ﷺ وأصحابه يومئذ بلاءٌ وحصر».

(1) **أسباب نزول الآية ٢١٥:** أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم؟ فنزلت: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» الآية». وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان، أن عمرو بن الجموح سأل النّبي ﷺ: «ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت».

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون وخبر المبتدأ ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلا وعليه الشافعي ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (1) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٢١٨ ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]

٢١٩ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار ما حكمهما ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فِيهِمَا﴾ أي في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم ، وفي قراءة بالمثلثة ﴿كثير﴾ لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كد في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ أي ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربها قوم وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره ﴿قُلِ﴾ أنفقوا ﴿الْعَفْوَ﴾ أي الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم ، وفي قراءة بالرفع بتقدير هو ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (1) .

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

٢٢٠ ﴿فِي﴾ أمر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن واكلوهم يأثموا وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها فيجازي كلا منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه (2) .

---

(1) **أسباب نزول الآية ٢١٧:** أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير، والبيهقي في سننه، عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطًا، وبعث عليهم عبد الله ابن جحش، فلقوا ابن الحضرمي، فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: «قتلتم في الشهر الحرام»، فأنزل الله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» الآية. فقال بعضهم: «إن لم يكونوا أصابوا وزرًا ليس لهم أجر»، فأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

* وأخرجه ابن منده في الصحابة من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس.

(1) **أسباب نزول الآية ٢١٩:** قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ» يأتي حديثها في سورة المائدة.

* قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أن نفرًا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ، فقالوا: «إنَّا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا فما ننفق منها؟ فأنزل الله «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ».

* وأخرج أيضًا عن يحيى: أنَّه بلغه أنَّ معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إنَّ لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله هذه الآية».

(2) **أسباب نزول الآية ٢٢٠:** أخرج أبو داود، والنسائي،

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]

٢٢١ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ تتزوجوا أيها المسلمون ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ أي الكافرات ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية ﴿والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ تُزوِّجوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أي الكفار المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لماله وجماله ﴿أولَئِكَ﴾ أي أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون[1] .

* * *

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

٢٢٢ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قذر أو محله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطأهن ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي وقته أو مكانه ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ويكرم ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأقذار[1] .

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]

٢٢٣ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي محله وهو القبل ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار ونزل ردا لقول اليهود: من أتى امرأته في قبلها أي من جهة دبرها جاء الولد أحول ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح كالتسمية عند الجماع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة[2] .

* * *

والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: «لمَّا نزلت: «وَلاَ تَقْرَبُوا مالَ اليَتيم إلاَّ بِالَّتي هي أَحْسَنُ». و «إنَّ الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى» الآية، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى» الآية».

(١) **أسباب نزول الآية ٢٢١:** أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والواحدي، عن مقاتل قال: «نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي، استأذن النَّبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وهي مشركة، وكانت ذا حَظّ وجمال، فنزلت.

قوله تعالى: «وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ» الآية» أخرج الواحدي من طريق السُّدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمَة سوداء، وأنَّه غضب عليها فلطمها، ثمَّ إنَّه فزع فأتى النَّبي ﷺ فأخبره وقال: لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا ينكح أمة، فأنزل الله هذه الآية». وأخرجه ابن جرير عن السُّدي منقطعًا.

(١) **أسباب نزول الآية ٢٢٢:** روى مسلم، والترمذي، عن أنس: «أنَّ اليهود كانوا إذا حاضتِ المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحابُ النَّبي ﷺ، فأنزل الله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحيضِ» الآية، فقال: اصنعوا كلَّ شيءٍ إلاَّ النِّكاح». وأخرج البارودي في الصَّحابة من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس أنَّ ثابت بن الدَّحداح سأل النَّبي ﷺ، فنزلت: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحيضِ» الآية. وأخرج ابن جرير عن السُّدي نحوه.

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٢٣:** روى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٢٤ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ علة مانعة ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي نصباً لها بأن تكثروا الحلف به ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفِّر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم (١)

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

٢٢٥ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو والله ، وبلى والله ، فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصدته من الإيمان إذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦]

٢٢٦ ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧]

٢٢٧ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي عليه بأن لم يفيئوا فليوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

٢٢٨ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي لينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق ، جمع قَرْء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان وهذا في المدخول بهن أما غيرهن

ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم».

* وأخرج أحمد، والترمذي، عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هلكتُ. قال: وما أهلكك؟ قال: حوَّلت رحلي الليلة، فلم يردَّ عليه شيئًا، فأنزل الله هذه الآية: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم». يقول: أقبل وأدبر واتَّق الدُّبر والحيضة».

* وأخرج ابن جرير، وأبو يعلى، وابن مردويه، من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: «أنَّ رجلًا أصاب امرأته في دبرها ، فأنكر النَّاس عليه ذلك فأنزلت: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» الآية». وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: «أنزلت هذه الآية في إتيان النِّساء في أدبارهنَّ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد عنه قال: «إنَّما أُنزلت على الرسول ﷺ: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» رخصة في إتيان الدُّبر». وأخرج أيضًا عنه: «أنَّ رجلًا أصاب امرأةً في دبرها في زمن رسول الله ﷺ فأنكر ذلك، فأنزل الله: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ»».

* وأخرج أبو داود، والحاكم، عن ابن عباس قال: «إنَّ ابن عمر والله يغفر له وهِم، إنَّما كان أهل هذا الحيِّ من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحي من يهود - وهم أهل كتاب - كانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أنَّهم لا يأتون النساء إلاَّ على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا ويتلذذون منهن مقبلات ، ومدبرات، ومستلقيات. فلمَّا قدم المهاجرون المدينة تزوَّج رجلٌ منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنَّما كنَّا نُؤتي على حرف فسرى أمرهما، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فأنزل الله: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم» أي مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد».

* قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: «وهذا السَّبب - الذي ذكره ابن عمر - في نزول الآية مشهور، وكأن حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوَهَّمه فيه».

(١) **أسباب نزول الآية ٢٢٤**: أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: «حُدِّثت أنَّ قوله: «وَلَا تَجْعَلُوا الله عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ» الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مِسْطَح».

فلا عدة عليهن لقوله ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِن عِدَّةٍ﴾ وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والإماء فعدتهن قرءان بالسنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن ولو أبين ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما لا إضرار المرأة ، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعى وأحق لا تفضيل فيه إذ لا حق لغيرهم من نكاحهن في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبّره لخلقه [1] .

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

[البقرة: ٢٢٩]

٢٢٩ ﴿الطَّلَاقُ﴾ أي التطليق الذي يراجع بعده ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي اثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ أي فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ أي إرسال لهن ﴿بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ إذا طلقتموهن ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي الزوجان ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفي قراءة ﴿يُخافا﴾ بالبناء للمفعول فأن لا يقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية في الفعلين إلا أن تخاف لاتقيما ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ ن ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسهما من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [1]

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾

٢٣٠ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ أي بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها كما في الحديث رواه الشيخان ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي الزوجة والزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون .

* * *

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٢٨** : أخرج أبو داود، وابن أبي حاتم، عن أسماء بنت يزيد بن السَّكن الأنصارية قالت: «طُلِّقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدَّة، فأنزل الله العدَّة للطلاق: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»». وذكر الثَّعلبي، وهبة الله بن سلامة في «النَّاسخ» عن الكلبي، ومقاتل، أنَّ إسماعيل بن عبد الله الغفاري: «طلَّق امرأته قَتيلة على عهد رسول الله ﷺ ولم يعلم بحمْلِها، ثمَّ علِم فراجعها، فولدت فماتت ومات ولدها، فنزلت: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»».

(١) **أسباب نزول الآية ٢٢٩** : أخرج التِّرمذي، والحاكم، وغيرهما عن عائشة قالت: «كان الرَّجل يطلِّق امرأته ما شاء أن يطلِّقها، وهي امرأته، إذا ارتجعها وهي في العدَّة، وإن طلقها مائة مرة وأكثر. حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلِّقك فتبيني منِّي ولا آويك أبدًا. قالت : وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلَّما همَّت عدَّتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة وأخبرت النَّبي ﷺ، فسكت حتى نزل القرآن: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ».

* قوله تعالى: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ» الآية. أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عبَّاس قال: «كان الرَّجل يأكل من امرأته نحلته الذي نَحَلَها وغيره لا يرى أنَّ عليه جُناحًا، فأنزل الله: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا»».

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس، وفي حبيبة وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال أتردِّين عليه حديقته؟ فقالت: نعم، فدعاه، فذكر ذلك له، فقال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم ، قال: قد فعلت، فنزلت: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْيَخَافَا» الآية».

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]

٢٣١ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنتهي عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول لأجله ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ مهزوءاً بها بمخالفتها ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولا يخفى عليه شيء [1]

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

٢٣٢ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾ أي الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي ترك العضل ﴿أَزْكَى﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتبعوا أوامره [1].

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٣٠**: أخرج ابن المنذر عن مقاتل ابن حيان قال: «نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن ابن عتيك، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها، فطلّقها طلاقًا بائنًا، فتزوّجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، فطلقها. فأتت النّبي ﷺ فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى الأول؟ فقال ﷺ: لا حتى يمسَّ... ونزل فيها: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ». فيجامعها: «فَإِنْ طَلَّقَهَا» بعد ما جامعها «فلا جناح عليهما أن يتراجعا»».

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٣١**: أخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عبّاس، قال: «كان الرّجل يطلّق امرأته ثمّ يُراجعها قبل انقضاء عدّتها، ثمّ يطلّقها. يفعل ذلك يضّارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآيةُ».

* وأخرج عن السُّدي قال: «نزلت في رجل من الأنصار يُدعى ثابت بن يسار طلّق امرأته، حتّى إذا انقضت عدّتها إلاّ يومين أو ثلاثًا راجعها ثمّ طلقها مضارة. فأنزل الله: «وَلاَ تُمسِكوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا»».

* قوله تعالى: «وَلاَ تَتَخِذُوا آياتِ الله هُزُوًا». أخرج ابن أبي عمر في مسنده، وابن مردويه عن أبي الدَّرداء قال: «كان الرَّجل يطلّق ثم يقول: لعبت ويعتق ثمّ يقول لعبت، فأنزل الله: «وَلاَ تَتَخِذُوا آياتِ الله هُزُوًا»». وأخرج ابن المنذر عن عبادة بن الصامت نحوه. وأخرج ابن مردويه نحوه عن ابن عباس. وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل الحسن.

(١) **أسباب نزول الآية ٢٣٢**: روى البخاري، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم، عن معقل بن يسار أنَّه زوَّج أخته رجلًا من المسلمين، فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العِدَّة، فهويها وهويته، فخطبها مع الخطّاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتُكها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبدًا، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه فأنزل الله: «وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ» إلى قوله: «وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ»، فلمّا سمعها معقل قال: سمعٌ لربي وطاعة، ثمّ دعاه وقال: أزوجك وأكرمك». وأخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة.

* ثمّ أخرج عن السُّدي قال: «نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري، وكانت له ابنة عم فطلّقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها، ثمّ رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، فقال: طلقت ابنة عمنا ثمّ تريد أن تنكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته، فنزلت هذه الآية». والأوّل أصح، وهو أقوى .

٢٣٣ ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي ليرضعن ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مؤكدة، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ أي بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي وارث الأب وهو الصبي أي على وَليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فطاما له قبل الحولين صادرا ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مراضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إليهن ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل كطيب النفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]

٢٣٤ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي ليتربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي وهذا في غير الحوامل وأما الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق والأمة على النصف من ذلك بالسنة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

٢٣٥ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ﴾ لوحتم ﴿بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة كقول الإنسان مثلا: إنك لجميلة ، ومن يجد مثلك ، ورب راغب فيك ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي ما عرف شرعا من التعريض فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن تنتهي ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾

٢٣٦ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ أي تجامعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا ، وما مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضيق الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَاعًا﴾ تمتيعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً صفة متاعاً ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية أو مصدر مؤكدة ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

٢٣٧ ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي الزوجات فيتركنه ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوج فيترك لها الكل ، وعن ابن عباس: الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

٢٣٨ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَانِتِينَ﴾ قيل مطيعين لقوله ﷺ : كل قنوت في القرآن فهو طاعة رواه أحمد وغيره ، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام ، رواه الشيخان[1]

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾

٢٣٩ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع

(١) أسباب نزول الآية ٢٣٨ : أخرج أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود، والبيهقي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت: «أنَّ النَّبي ﷺ كان يصلِّي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصَّلاة على أصحابه، فنزلت: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ». أخرج أحمد، والنَّسائي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت: «أنَّ النَّبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلاَّ الصَّف والصفان، والنَّاس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»». وأخرج الأئمة السّتة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال: «كنَّا نتكلَّم على عهد رسول الله ﷺ في الصَّلاة يكلِّم الرَّجل منَّا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت : «وَقُومُوا لله قَانِتِينَ» فأمرنا بالسّكون ونُهينا عن الكلام». وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا يتكلَّمون في الصَّلاة، وكان الرَّجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله: «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ».

﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي مشاة صلوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب أي كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويومئ بالركوع والسجود ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما مصدرية أو موصولة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]

٢٤٠ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة بالرفع أي عليهم ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ ويعطوهن ﴿مَتَاعًا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعا كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه ، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول ، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله[1] .

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾

٢٤١ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ يعطينه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدر ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضا إذ الآية السابقة في غيرها[2] .

(١) أسباب نزول الآية ٢٤٠ : أخرج إسحاق بن راهويه في تفسيره عن مقاتل بن حيان: «أنَّ رجلا من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامرأته، فمات بالمدينة، فرُفِع ذلك إلى النبي ﷺ فأعطى الوالدين، وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئًا، غير أنَّهم أمروا أن يُنفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول، وفيه نزلت «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا» الآية».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٤١ : أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت: «وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى المحسِنِين». قال رجل: إنْ أحسنتُ

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

٢٤٢ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما يبين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

٢٤٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب وتشويق إلى استماع ما بعده أي ينته علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أوثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حِزْقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي [وهو نبي الله ذو الكفل] فعاشوا دهرا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٤٤ ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فيجازيكم

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٢٤٥ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ وفي قراءة ﴿فيضعِّفه﴾ بالتشديد ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحانا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم[1] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٢٤٦ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ الجماعة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَى﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ هو شمويل ﴿ابْعَثْ﴾ أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَ﴾ ن ﴿لَا تُقَاتِلُوا﴾ خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَ﴾ ن ﴿لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ بسببهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أي لا مانع منه مع وجود مقتضيه ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ عنه وجبنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمجازيهم وسأل النبيُّ إرسال ملكٍ فأجابه إلى إرسال طالوت

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ

فعلَتُ وإنْ لم أرد ذلك لم أفعل. فأنزل الله: «وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ».

(١) أسباب نزول الآية ٢٤٥ : روى ابن حبّان في صحيحه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر قال : «لمّا نزلت: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ» إلى آخرها . قال رسول الله ﷺ : ربِّ زد أمتي، فنزلت: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

٢٤٧ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغا أو راعيا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يستعين بها علي إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]

٢٤٨ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق وكان فيه صور الأنبياء أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ﴾ وهي نعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفا .

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

٢٤٩ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس وكان الحر شديدا وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من ماءه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي من أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ فلما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغرفة روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثير ﴿مِنْ فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]

٢٥٠ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]

٢٥١ ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَاهُ﴾ أي داود ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بني

إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصنعة الدروع ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض .

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]

٢٥٢ ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد بإن وغيرها رداً لقول الكفار له لست مرسلا.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

٢٥٣ ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾ صفة والخبر ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست بغيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي محمداً ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لهدى الناس جميعا ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل أي أممهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضا ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء وخذلان من شاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]

٢٥٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ زكاته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه وهو يوم القيامة ، وفي قراءة برفع الثلاثة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

٢٥٥ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم بالبقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ أي لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أي لا يعلمون شيئا من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل أحاط علمه بهما وقيل ملكه وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته ، لحديث: ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس. ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٥٦ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو

الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل (١).

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

٢٥٧ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ذكر الإخراج إما في مقابلة قوله ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أو في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به ﴿أولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

٢٥٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ جادل ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لـ ﴿أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمرود ﴿إِذْ﴾ بدل من حاجَّ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما قال له من ربك الذي تدعونا إليه ، ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فلما رآه غبياً ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلا إلى حجة أوضح منها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تحير ودهش ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]

٢٥٩ ﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَالَّذِي﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس راكبا على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما خربها بُخْتُنَصَّر ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعظاماً لقدرته تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وألبثه ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت هنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول الزمان ، والهاء قيل أصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت وفي قراءة بحذفها ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح! فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ على البعث ﴿لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ نحييها بضم النون وقرئ بفتحها من أنشز

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٥٦:** روى أبو داود، والنَّسائي، وابن حِبَّان، عن ابن عباس قال: «كانت المرأة تكون مقلاة، فتجعل على نفسها إنْ عاش لها ولد أن تهوده، فلمَّا أُجليت بنو النَّضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله: «لاَ إِكْرَاهَ في الدِّين».

* وأخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «نزلت: «لاَ إِكْرَاهَ في الدِّين». في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصَين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلمًا، فقال للنبيِّ ﷺ: ألا أستكرههما، فإنَّهما قد أبيا إلاَّ النَّصرانية؟ فأنزل الله الآية».

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٥٧ :** أخرج ابن جرير عن عبدة بن أبي لبابة في قوله: «الله وَلِيّ الَّذين آمنوا». قال: «هم الذين كانوا آمنوا بعيسى، فلمَّا جاءهم محمَّد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية». وأخرج عن مجاهد قال: كان قومٌ آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به. فلمَّا بُعث محمد ﷺ آمن به الَّذين كفروا بعيسى، وكفر به الَّذين آمنوا بعيسى، فأنزل الله هذه الآية.

ونشز لغتان وفي قراءة «ننشرها» بالراء نحركها ونرفعها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة «اعْلَمْ» أمر من الله له.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

٢٦٠ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ﴾ تعالى له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ بقدرتي على الإحياء ، سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما أجاب فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قَلْبِي﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد وضمها ، أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ سريعا ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فأخذ طاووسا ونسرا وغرابا وديكا وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٦١ ﴿مَثَلُ﴾ صفة نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعفت لسبعمائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

٢٦٢ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلا: قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿وَلَا أَذًى﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]

٢٦٣ ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلام حسن ورد على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ بالمن وتعيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

٢٦٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أي أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالا ﴿كَالَّذِي﴾ أي كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مرائيا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ صلبا أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا أي لا يجدون له ثوابا في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا

﴿وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]

٢٦٥ ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقات ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي تحقيقا للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له ومن ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ [مطر غزير] ﴿فَآتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلي ما يثمر غيرها ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، المعنى: تثمر وتزكو كثر المطر أم قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]

٢٦٦ ﴿أَيَوَدُّ﴾ أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ﴾ قد ﴿أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فضعف من الكبر عن الكسب ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ أولاد صغار لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمان في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة والاستفهام بمعنى النفي ، وعن ابن عباس هو الرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]

٢٦٧ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ أي زكوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال ﴿وَمِـ﴾ـن طيبات ﴿مَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ تقصدوا ﴿الْخَبِيثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي المذكور ﴿تُنْفِقُونَ﴾ ـه في الزكاة ، حال من ضمير تيمموا ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال(١) .

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٦٨ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ على الإنفاق ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقا خلفا منه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمنفق.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]

٢٦٩ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أي العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وما

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٦٧**: روى الحاكم، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، عن البراء قال: «نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، كنَّا أصحابَ نخل، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان النَّاس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقوا مِنْ طَيباتِ مَا كَسَبْتُم» الآية».

* وروى أبو داود، والنَّسائي، والحاكم، عن سهل بن حنيف قال: «كان النَّاس يتيمّمون شرَّ ثمارهم يخرجونها من الصَّدقة، فنزلت: «وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُون». وروى الحاكم عن جابر قال: «أمر النَّبيُّ ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء فنزل القرآن: «يا أيُّها الَّذين آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُم» الآية». وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يشترون الطَّعام الرخيص ويتصدَّقون به، فأنزل الله هذه الآية».

يذّكر﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾

٢٧٠ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ أديتم من زكاة أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ فوفيتم به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

٢٧١ ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أي النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي نعم شيئا إبداؤها ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والنون مجزوما بالعطف على محل فهو مرفوعا على الاستئناف ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٢٧٢]

٢٧٢ ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين ليسلموا نزل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا خبر بمعنى النهي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئا والجملتان تأكيد للأولى [1].

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

٢٧٣ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الصدقات ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي حبسوا أنفسهم على الجهاد ، نزلت في أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفراً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يا مخاطب ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئاً فيلحفون ﴿إِلْحَافًا﴾ أي لا سؤال لهم أصلا فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]

٢٧٤ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [2] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٧٢**: روى النَّسائي، والحاكم، والبزَّار، والطبراني، وغيرهم عن ابن عباس قال: «كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخَّص لهم، فنزلت هذه الآية: «لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ» إلى قوله: «وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمونَ». وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «أنَّ النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلاَّ على أهل الإسلام، فنزلت: «لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُم» الآية. فأمر بالتَّصدق على كلِّ من سأل من كل دين».

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٧٤**: أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، عن يزيد بن عبد الله بن عَريب، عن أبيه ، عن جده، عن النَّبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية: «الَّذِينَ يُنْفِقون أَمْوَالَهُم باللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُم». في أصحاب الخيْل».

* يزيد وأبوه: مجهولان. وأخرج عبد الرزَّاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطَّبراني، بسند ضعيف، عن ابن عباس قال:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

٢٧٥ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي يأخذونه وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قياما ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الجنون ، متعلق بيقومون ﴿ذَلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ في الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى ردا عليهم ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظ ﴿مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عن أكله ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي أي لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله مشبها له بالبيع في الحل ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]

٢٧٦ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر بأكله أي يعاقبه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

٢٧٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]

٢٧٨ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي بربا كان لهم من قبل[1] .

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

٢٧٩ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُوا﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم فيه تهديد شديد لهم ولما نزلت قالوا لا يد لنا بحربه ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]

٢٨٠ ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له أي عليكم تأخيره ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين وضمها أي وقت يسر ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد وبالتخفيف على حذفها أي تتصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه وفي الحديث «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم.

«نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة دراهم، فأنفق بالليل درهمًا، وبالنهار درهمًا، وسرًا درهمًا، وعلانية درهمًا».

* وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: «الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، في نفقتهما في جيش العُسرة».

(١) **أسباب نزول الآية ٢٧٨ :** أخرج أبو يعلى في مسنده، وابن منده، من طريق الكلبي، عن أبي صالح ، عن ابن عباس، قال: «بلغنا أنَّ هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يُربون لثقيف، فلمَّا أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الرّبا كلَّه. فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتَّاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة : ما جعلنا أشقى النَّاس بالرّبا، ووضِعَ عن النَّاس غيرنا، فقال بنو عمرو: صالحنا أنَّ لنا ربانًا فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها».

* وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «نزلت هذه الآية في ثقيف منهم مسعود ، وحبيب، وربيعة، وعبد ياليل، بنو عمرو، وبنو عمير».

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]

٢٨١ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تسيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

٢٨٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسلم وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ استيثاقا ودفعا للنزاع ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب الدين ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذ دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها، والكاف متعلقة بيأب ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يمل الكاتب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ﴾ أي الحق ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم ﴿بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا﴾ أشهدوا على الدين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ أي الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لدينه وعدالته وتعدد النساء لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الذاكرة ﴿الْأُخْرَى﴾ الناسية ، وجملة الإذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه وفي قراءة بكسر ﴿إِنْ﴾ شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلا أو كثيرا ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ وقت حلوله حال من الهاء في تكتبوه ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي أعون على إقامتها لأنه يذكرها ﴿وَأَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ﴾ وفي قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَ﴾ ن ﴿لَا تَكْتُبُوهَا﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه فإنه أدفع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعة لا حق ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ

يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٣]

٢٨٣ ﴿وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ وفي قراءة «فَرُهُنٌ» جمع رَهْن ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها، وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فالتقيد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي الدائن والمدين على حقه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ أي المدين ﴿أَمَانَتَهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيتم لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه إذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

٢٨٤ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾ يخبركم ﴿بِهِ اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط والرفع أي فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

٢٨٥ ﴿ءَامَنَ﴾ صدق ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه ﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث، ولما نزلت الآية التي قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل [1]:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

٢٨٦ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير أي ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر أي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، وقالوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي

(١) **أسباب نزول الآية ٢٨٥**: روى أحمد، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة قال: «لما نزلت: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ الله» اشتدَّ ذلك على الصَّحابة، فأتوا رسول الله ﷺ ثمّ جثوا على الرُّكب، فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: أتريدون أنْ تقولوا كما قال أهلُ الكتابين من قبلكم: «سمعنا وعصينا»؟ بل قولوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ». فلمَّا اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في إثرها: «آمَنَ الرَّسُولُ» الآية، فلمَّا فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل: «لاَ يُكلفُ الله نَفَسًا إلاَّ

الحديث لما نزلت هذا الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة قد فعلت.

* * *

٣ سورة آل عمران

[مدنية وآياتها ٢٠٠ آية ، نزلت بعد الأنفال]

﴿الٓمٓ﴾ [آل عمران: ١]

١ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]

٢ ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ (١)

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]

٣ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الكِتَابَ﴾ القرآن متلبسًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وأَنزَلَ التَّوْرَاةَ والإنجيلَ﴾

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾

٤ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾ حال بمعنى هادين من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ممن تبعهما ، وعبّر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزّل المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وأَنزَلَ الفُرْقَانَ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾

٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ﴾ كائن ﴿فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]

٦ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صنعه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]

٧ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكما في قوله ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ بمعنى أنه ليس فيه عيب ، ومتشابها في قوله ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿الفِتْنَةِ﴾ لجهالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره ﴿ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره ﴿إِلاَّ اللَّهُ﴾ وحده ﴿والرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون ﴿فِي العِلْمِ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ومَا يَذَّكَّرُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ويقولون أيضا إذا رأوا من يتبعه:

وُسعَهَا» إلى آخرها». وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوَه.

(١) أخرج ابن أبي حاتم، عن الربيع: «أنّ النّصارى أتوا إلى النّبي ﷺ فخاصموه في عيسى عليه السلام، فأنزل الله: «الم * الله لا إِلَهَ إلا هو الحيّ القيوم * نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل...» إلى بضع وثمانين آية منها».

* وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال: «لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم، نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها». أخرجه البيهقي في الدلائل.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

٨ ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تثبيتا ﴿إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]

٩ يا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم ﴿لاَّ رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها ، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ إلى آخرها ، وقال فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال وذكر منها أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب الحديث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾

١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ ولا أولادهم ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿شَيْئًا وأُوْلَئِكَ هُمْ وقُودُ النَّارِ﴾ بفتح الواو ما توقد به.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

١١ دأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ والَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ والجملة مفسرة لما قبلها ﴿واللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام بعد مرجعه من بدر فقالوا له لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش أغمارا لا يعرفون القتال:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]

١٢ ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك ﴿وتُحْشَرُونَ﴾ بالوجهين في الآخرة ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وبِئْسَ المِهَادُ﴾ الفراش هي(١) .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]

١٣ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عبرة وذكر الفعل للفصل ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿التَقَتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجال ﴿وأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو ألف ﴿رَأْيَ العَيْنِ﴾ أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿واللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ﴿بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنوا

(١) **أسباب نزول الآية ١٢**: روى أبو داود في سننه والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: «أنَّ رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشًا. فقالوا: يا محمد لا يغرنَّك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنَّك والله لو قاتلتنا لعرفت أنَّا نحن النَّاس وأنَّك لم تلق مثلنا، فأنزل الله: «قُلْ لِلَّذِينَ كفروا سَتُغْلَبُون». إلى قوله: «لأولي الأبْصَارِ».

* وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: «قال فِنْحاص اليهودي يوم بدر: لا يغرنَّ محمدًا أن قتل قريشًا وغلبها، إنَّ قريشًا لا تحسن القتال. فنزلت هذه الآية»

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

١٤ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه ، زينها الله ابتلاء أو الشيطان ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ المجمعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]

١٥ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدؤه ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي مقدرين الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يستقذر ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان أي رضا كثيراً ﴿مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عالم ﴿بِالْعِبَادِ﴾ فيجازي كلا منهم بعمله

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]

١٦ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من الذين قبله ﴿يَقُولُونَ﴾ يا ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ صدقنا بك وبرسولك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]

١٧ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

١٨ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ بين لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شهد بذلك ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالإعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى أي تفرد ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيدا ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

١٩ ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد وفي قراءة بفتح «أن» بدل من أنه الخ بدل اشتمال ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي المجازاة له

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]

٢٠ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ انقدت له أنا ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ مشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي أسلموا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

٢١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة ﴿يقاتلون﴾ ﴿النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم اليهود روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء في خبر إن لشبه اسمها الموصول بالشرط

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾

٢٢ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]

٢٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ حظا ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبول حكمه نزلت في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا (١).

* * *

(١) **أسباب نزول الآية ٢٣**: أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نُعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أيِّ دين أنت يا محمد؟ قال: على ملّة إبراهيم ودينه، قالا: فإنَّ إبراهيم كان يهوديًا، فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلمَّا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه، فأنزل الله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ» إلى قوله: «يَفْتَرُون».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

٢٤ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي بسبب قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم﴾ متعلق بقوله ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم ذلك.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

٢٥ ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]

٢٦ ونزلت لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ بإيتائه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ﴿الْخَيْرُ﴾ أي والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧]

٢٧ ﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ﴾ تدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾

(١) **أسباب نزول الآية ٢٦**: أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: «ذُكر لنا أنَّ رسول الله ﷺ سأل ربَّه أنْ يجعل مُلْكَ الرُّوم وفارس في أُمَّته، فأنزل الله: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ» الآية».

كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وتُخْرِجُ المَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ الحَيِّ وتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقا واسعا

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾

٢٨﴿لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي غير ﴿المُؤْمِنِينَ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي يواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دين ﴿اللَّهِ فِي شَيْءٍ إلاَّ أن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ مصدر تقيته أي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري فيمن هو في بلد ليس قويا فيها ﴿ويُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿وإلَى اللَّهِ المَصِيرُ﴾ المرجع فيجازيكم (١).

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩]

٢٩﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ و﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾

٣٠اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ومَا عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِن سُوءٍ﴾

(١) **أسباب نزول الآية ٢٨**: أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: كان الحجّاج بن عمرو حليفَ كعب بن الأشرف وابن أبي الحُقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاءِ النفر من يهود، واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبَوا. فأنزل الله فيهم: «لاَ يَتَّخِذِ المؤْمِنُونَ». إلى قوله: «وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير».

مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد ﴿واللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

٣١ونزل لما قالوا ما نعبد الأصنام إلا حبا لله ليقربونا إليه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بمعنى أن يثيبكم ﴿ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٌ﴾ به (١).

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]

٣٢﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

٣٣﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ اختار ﴿آدَمَ ونُوحًا وآلَ إبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ﴾ بمعنى أنفسهما ﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم

﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٣٤﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ﴾ ولد ﴿بَعْضٍ﴾ منهم ﴿واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

٣٥اذكر ﴿إذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ حنة لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يا ﴿رَبِّ إنِّي نَذَرْتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾

(١) **أسباب نزول الآية ٣١**: أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: «قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنَّا لنحبُّ ربَّنا، فأنزل الله: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُوني» الآية».

للدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالنيات ، وهلك عمران وهي حامل

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]

٣٦ ﴿فَلَمَّا وضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاما إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتذرة يا ﴿رَبِّ إِنِّي وضَعْتُهَا أُنثَى واللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا وضَعَتْ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء ﴿ولَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالأُنثَى﴾ التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ المطرود في الحديث ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها رواه الشيخان

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]

٣٧ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي قبل مريم من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها الأحبار سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى ﴿وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدودا ومقصورا والفاعل الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من أين ﴿لَكِ هَذَا قَالَتْ﴾ وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقا واسعا بلا تبعة..

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]

٣٨ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما دخل المحراب للصلاة في جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدا صالحا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]

٣٩ ﴿فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿وهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ﴾ أي المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي بأن وفي قراءة بالكسر بتقدير القول ﴿اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ مثقلا ومخففا ﴿بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بعيسى أنه روح الله وسمي كلمة لأنه خلق بكلمة كن ﴿وسَيِّدًا﴾ متبوعا ﴿وحَصُورًا﴾ ممنوعا من النساء ﴿ونَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾

٤٠ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ ولد ﴿وقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ﴾ أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمان وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاما منكما ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١]

٤١ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ عليه ﴿أَ﴾ ن ﴿لاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي بلياليها ﴿إِلاَّ رَمْزًا﴾ إشارة ﴿واذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وسَبِّحْ﴾ صل ﴿بِالْعَشِيِّ والإِبْكَارِ﴾ أواخر النهار وأوائله

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]

٤٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك ﴿وطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال ﴿واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانك

﴿يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]

٤٣ ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعيه ﴿واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي صلي مع المصلين

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]

٤٤ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ومَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ ومَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]

٤٥ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تنبيها على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿والآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿ومِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦]

٤٦ ﴿ويُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي طفلا قبل وقت الكلام ﴿وكَهْلاً ومِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]

٤٧ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكِ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ﴾

٤٨ ﴿ويُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط ﴿والْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنجِيلَ﴾

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِءَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْىِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]

٤٩ ﴿و﴾ نجعله ﴿رَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي ﴿أَنِّي﴾ وفي قراءة بالكسر استئنافا ﴿أَخْلُقُ﴾ أصور ﴿لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة طائر ﴿بِإِذْنِ اللّهِ﴾ بإرادته فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا [ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم أن الكمال لله] ﴿وأُبْرِئُ﴾ أشفى ﴿الأكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿والأَبْرَصَ﴾ وخُصا بالذكر لأنهما داءا إعياء

وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ كرره لنفي توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقا له وابن العجوز وابنه العاشر فعاشوا وولد لهم ، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿وأُنَبِّئُكم بِمَا تَأْكُلُونَ ومَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بعد ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَةً لَّكُمْ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠]

٥٠ ﴿و﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ ولأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصة له وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل ﴿وجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرّره تأكيداً وليبني عليه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]

٥١ ﴿إنَّ اللَّهَ رَبِّي ورَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]

٥٢ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾ أعواني ذاهباً ﴿إلى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصّارين يحورون الثياب أي يبيّضونها ﴿آمَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ واشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بأنا مسلمون﴾ .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]

٥٣ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿واتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾

٥٤ قال تعالى: ﴿ومَكَرُوا﴾ أي كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكّلوا به من يقتله غيلة ﴿ومَكرَ اللَّهُ﴾ بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء ﴿واللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾ أعلمهم به

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]

٥٥ اذكر ﴿إذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿ورَافِعُكَ إلَيَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿ومُطَهِّرُكَ﴾ مبعدك ﴿مِنَ الَذِينَ كَفَرُوا وجَاعِلُ الَذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدّقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ الَذِينَ كَفَرُوا﴾ بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إلَي يَوْمِ القِيَامَةِ ثُمَّ إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦]

٥٦ ﴿فَأَمَّا الَذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿والآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منه

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]

٥٧ ﴿وأَمَّا الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي يعاقبهم ، روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة ، وعاشت أمه بعده ست سنين .

وروى الشيخان حديث أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي حديث مسلم أنه يمكث سبع سنين وفي حديث عن أبي داود الطيالسي أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]

٥٨ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الآيَاتِ﴾ حال من الهاء في نتلوه وعامله ما في ذلك من معنى الإشارة ﴿والذِّكرِ الحَكِيمِ﴾ المحكم أي القرآن (١).

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]

٥٩ ﴿إنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ شأنه الغريب ﴿عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أم ولا أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُ﴾ أي آدم أي قالبه ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾ بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ أي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾

٦٠ ﴿الحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي أمر عيسى ﴿فَلا تَكن مِّنَ المُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾

٦١ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُمْ ونِسَاءَنَا ونِسَاءَكُمْ وأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه به فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: إذا دعوت فأمِّنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه أبو نُعيم، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا ، وروي: لو خرجوا لاحترقوا

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]

٦٢ ﴿إنَّ هَذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ القَصَصُ﴾ الخبر ﴿الحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿ومَا مِنْ إلَهٍ إلاَّ اللَّهُ وإنَّ اللَّهَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صنعه.

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥٨ :** أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «أتى رسول الله ﷺ راهبا نجران، فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتَّى يأمره ربه، فنزل عليه: «ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ وَالذكرِ الحكِيم» إلى: «مِنَ المُمْتَرين».

* وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «أَنَّ رهطًا من أهل نجران قدموا على النَّبي ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: مَنْ هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنَّه عبد الله، فقال محمد: أجل ، فقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك: «إنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ»، إلى قوله: «مِنَ المُمْتَرِين».

* وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده: «أَنَّ رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه: «طَس... سليمان»، باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب: من محمد النَّبي...» الحديث، وفيه: «فبعثوا إليه شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبارًا الحرثي، فانطلقوا فأتوه فسألوه، فلم يزل به وبهم المسألة، حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟».

قال: ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم. فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآيات: «إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله» – إلى قوله – «فَنَجعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبين».

* وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: «قدم على النَّبي ﷺ أسقف نجران والعاقب، فعرض عليهما الإسلام فقالا: إنَّا كنَّا مسلمينْ قبلك، قال: كذبتما، إنَّه منع منكما الإسلام ثلاث قولكما: اتَّخذ الله ولدًا، وأكلكما لحم الخنزير، وسجودكما للصنم، قالا: فمن أبو عيسى؟ فما درى رسول الله ﷺ ما يردّ عليهم حتَّى أنزل الله: «إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله» إلى قوله: « وإنَّ الله لَهُوَ العَزِيزُ الحكِيمُ». فدعاهما إلى الملاعنة فأبيا وأقرَّا بالجزية ورجعا».

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾
[آل عمران: ٦٣]

٦٣ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

٦٤ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مصدر بمعنى مستوٍ أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي ﴿أَ﴾ ن ﴿لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
[آل عمران: ٦٥]

٦٥ ونزل لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه، وقالت النصارى كذلك: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم (١).

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦]

٦٦ ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ يا ﴿هَؤُلاءِ﴾ والخبر ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ من شأن إبراهيم ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأنه ﴿وأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ قال تعالى تبرئة لإبراهيم:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]

٦٧ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصْرَانِيًّا ولكن كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿ومَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]

٦٨ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمد لموافقته له في أكثر شرعه ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم ﴿واللَّهُ وليُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم وحافظهم

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

٦٩ ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم: ﴿ودَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ومَا يُضِلُّونَ إلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿ومَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠]

٧٠ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه حق

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: ٧١]

٧١ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿الحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وتَكْتُمُونَ الحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﴿وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق

---

(١) **أسباب نزول الآية ٦٥**: روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال: «اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا. وقال النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا. فأنزل الله: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ» الآية». أخرجه البيهقي في الدلائل.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

٧٢ ﴿وقالت طّائفةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي القرآن ﴿وجْهَ النَّهَارِ﴾ أوله ﴿واكْفُرُوا﴾ به ﴿آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه [1].

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٧٣ وقالوا أيضا ﴿ولا تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿إلاَّ لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال ، والجملة إعتراض ﴿أن﴾ أي بأن ﴿يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل ، «وأن» مفعول تؤمنوا ، والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى المعنى: لا تقروا بأن أحدا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿يُحَاجُوكُمْ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة لأنكم أصح دينا ، وفي قراءة: أأن بهمزة التوبيخ أي إيتاء أحد مثله تقرون به ؟ قال تعالى: ﴿قُلْ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿واللَّهُ واسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله.

* * *

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤]

٧٤ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

٧٥ ﴿ومِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿ومِنْهُم مَّنْ إن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ذَلِكَ﴾ أي ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ﴾ أي العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى ، قال تعالى ﴿ويَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون .

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

٧٦ ﴿بَلَى﴾ عليهم فيه سبيل ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿واتَّقَى﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر أي يحبهم بمعنى يثيبهم .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٧٧ ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة وفيمن حلف كاذباً في دعوى أو في بيع سلعة: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي ﷺ وأداء الأمانة ﴿وأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به تعالى كاذبين

---

(١) أسباب نزول الآية ٧٢: روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «قال عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض، تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتَّى نُلْبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: «يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ »، إلى قوله: «وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي عن أبي مالك قال: «كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: «لا تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ»، فأنزل الله: «قُلْ إنَّ الهُدى هُدَى الله».

﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا ﴿أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ غضبا عليهم ﴿ولا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يرحمهم ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم (١)

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

٧٨ ﴿وإنَّ مِنْهُمْ﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ أي يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي المحرَّف ﴿مِنَ الكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﴿ومَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ ويَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ومَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ويَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

٧٩ ونزل لما قال نصارى نجران إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً ولما طلب بعض المسلمين

(١) **أسباب نزول الآية ٧٧**: روى الشيخان وغيرهما أَنَّ الأشعث بن قيس قال: «كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني فقدَّمته إلى النَّبي ﷺ، فقال: ألك بينة؟ قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا» إِلى آخر الآية».

* وأخرج البخاري عن عبد الله بن أَبي أوفى «أَنَّ رجلًا أَقام سلعة له في السوق ، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يُعطه، ليوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت هذه الآية: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا»».

* قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: «لا منافاة بين الحديثين، بل يحمل على أَنَّ النزول كان بالسببين معًا».

* وأخرج ابن جرير عن عكرمة: «إِنَّ الآية نزلت في حيي ابن أخطب، وكعب بن الأشرف، وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدَّلوه وحلفوا أَنَّه من عند الله».

قال الحافظ ابن حجر: الآية محتملة، لكن العمدة في ذلك ما ثبت في الصحيح.

السجود له ﷺ ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ والْحُكْمَ﴾ أي الفهم للشريعة ﴿والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ولَكِن﴾ يقول ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيما ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الكِتَابَ وبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا (١) .

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

٨٠ ﴿ولا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالرفع استئنافا أي الله ، والنصب عطفاً على يقول أي البشر ﴿أن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيراً والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له هذا

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

٨١ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَا﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أي للذي ﴿آتَيْتُكُم﴾ إياه ، وفي قراءة ﴿آتيناكم﴾ ﴿مِّن كِتَابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة وهو محمد ﷺ

(١) **أسباب نزول الآية ٧٩**: أَخرج ابن إسحاق، والبيهقي، عن ابن عباس قال: «قال أبو رافع القُرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنَّصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الإسلام: أَتريد يا محمد أَنْ نعبدك كما تعبد النَّصارى عيسى؟ فقال : معاذ الله، فأنزل الله في ذلك: «مَا كَانَ لِبَشَرٍ» إلى قوله: «بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

* وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن الحسن قال: «بلغني أَنَّ رجلًا قال: يا رسول الله نسلِّم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ولكن أكرموا نبيَّكم واعرفوا الحق لأهله، فإنَّه لا ينبغي أَنْ يُسجد لأحدٍ من دون الله، فأنزل الله: «مَا كَانَ لِبَشَرٍ» إِلى قوله: «بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم إن أدركتموه وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ عهدي ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

٨٢ ﴿فَمَن تَوَلَّى﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

٨٣ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء أي المتولون ﴿ولَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وكَرْهًا﴾ بالسيف ومعاينة ما يلجئ إليه ﴿وإلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالتاء والياء والهمزة في أول الآية للإنكار

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]

٨٤ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ ومَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ومَا أُنزِلَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿ومَا أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى والنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّق بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

٨٥ ﴿ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤيدة عليه

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦]

٨٦ ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إيمَانِهِمْ وشَهِدُوا﴾ أي شهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ و﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي الكافرين [1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٧]

٨٧ ﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ والْمَلائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٨]

٨٨ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ولا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]

٨٩ ﴿إلاَّ الَذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾

٩٠ ونزل في اليهود ﴿إنَّ الَذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إيمَانِهِمْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفارا ﴿وأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾

* * *

(١) **أسباب نزول الآية ٨٦**: روى النَّسائي، وابن حِبَّان، والحاكم، عن ابن عباس قال: «كان رجلٌ من الأنصار أسلم ثمَّ ارتدَّ ثمَّ ندم فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله هل ليَ من توبة؟ فنزلت: «كيف يَهْدِي الله قَوْمًا كَفَرُوا» إلى قوله: «فإنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ» فأرسل إليه قومه فأسلم».

وأخرج مسدد في مسنده، وعبد الرزاق، عن مجاهد قال: «جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ثمَّ كفر، فرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه القرآن: «كَيْفَ يَهْدِي الله قَوْمًا كَفَرُوا» إلى قوله: «غَفُورٌ رَحِيمٌ». فحملها إليه رجلٌ من قومه، فقرأها عليه، فقال الحارث: إنَّك والله ما علمتُ لصدوق، وإنَّ رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإنَّ الله لأصدق الثلاثة، فرجع وأسلم وحسن إسلامه».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾
[آل عمران: ٩١]

٩١ ﴿إِنَّ الَذِينَ كَفَرُوا ومَاتُوا وهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا ولَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منه

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾

٩٢ ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ﴾ أي ثوابه وهو الجنة ﴿حَتَّى تُنفِقُوا﴾ تَصَدَّقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿ومَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾
[آل عمران: ٩٣]

٩٣ ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً﴾ حلالاً ﴿لِّبَنِي إسْرَائِيلَ إلاَّ مَا حَرَّمَ إسْرَائِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر إن شفي لا يأكلها فحُرِّم عليه ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى:

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٤]

٩٤ ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]

٩٥ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين إلى الإسلام ﴿ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]

٩٦ ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلتكم ﴿إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وضِعَ﴾ مُتعَبداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بالباء لغة في مكة سميت بذلك لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة أي تدقها ، بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين وفي حديث «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته» ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من الذي أي ذا بركة ﴿وهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾
[آل عمران: ٩٧]

٩٧ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها ﴿مَّقَامُ إبْرَاهِيمَ﴾ أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه ﴿ومَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿ولِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ﴾ واجب بكسر الحاء وفتحها لغتان في مصدر حج قصد ويبدل من الناس ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً﴾ طريقاً فسَّرَه ﷺ بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره ﴿ومَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم[1]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩٧ :** أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: «لما نزلت: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلام دِينًا» الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ : إِنَّ الله

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]

٩٨ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿واللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩]

٩٩ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي دينه ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بتكذيبكم النبي وكتم نعمته ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق ﴿وأنتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم دين الإسلام كما في كتابكم ﴿ومَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾

١٠٠ ونزل لما مر بعض اليهود على الأوس والخزرج وغاظهم تآلفهم فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (١)

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

١٠١ ﴿وكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وفِيكُمْ رَسُولُهُ ومَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك ﴿بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

١٠٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا يا رسول الله و من يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ موحدون

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

١٠٣ ﴿واعْتَصِمُوا﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي دينه ﴿جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إذْ كُنتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إخْوَانًا﴾ في الدين والولاية ﴿وكُنتُمْ عَلَى شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

١٠٤ ﴿ولْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿ويَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وأُوْلَئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ

فرض على المسلمين حجَّ البيت، فقالوا: لم يُكتب علينا، وأبوا أن يحجُّوا، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾.

(١) أسباب نزول الآية ١٠٠: أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شرٌّ، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ الآية. والآيتان بعدها.

* وأخرج ابن إسحاق، وأبو الشيخ، عن زيد بن أسلم قال: «مرّ شاس بن قيس، وكان يهوديًا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شابًا معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بُعاث ففعل، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بن قيظي من الأوس، وجبّار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبّار، ومن كان معهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾. الآية، وفي شاس بن قيس: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ الآية».

﴿المُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ، ومن للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل. وقيل زائدة أي لتكونوا أمة.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

١٠٥ ﴿ولا تكونوا كالَّذِينَ تفرَّقوا﴾ عن دينهم ﴿واختلَفُوا﴾ فيه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ البيِّناتُ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

١٠٦ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوهٌ﴾ أي يوم القيامة ﴿فأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وجوهُهُمْ﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخا ﴿أكَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فذُوقوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكفُرُونَ﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]

١٠٧ ﴿وأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي جنته ﴿هُمْ فِيهَا خالِدُونَ﴾

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]

١٠٨ ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿آياتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ ومَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلعَالَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جرم

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٩]

١٠٩ ﴿ولِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿الأُمُورُ﴾

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

١١٠ ﴿كُنتُمْ﴾ يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ولَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿وأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾ الكافرون

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾

١١١ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إلاَّ أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وإن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾ عليكم بل لكم النصر عليهم

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]

١١٢ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إلاَّ﴾ كائنين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ويَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ﴾ تأكيد ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ﴿وكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام .

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

١١٣ ﴿لَيْسُوا﴾ أي أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وعن أصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي في ساعاته ﴿وهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون ، حال[1] .

(١) أسباب نزول الآية ١١٣: أخرج ابن أبي حاتم،

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]

١١٤ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ويُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وأُوْلَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر الله ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥]

١١٥ ﴿ومَا يَفْعَلُوا﴾ بالتاء أيتها الأمة والياء أي الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين أي يعدموا ثوابه بل يجازون عليه ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦]

١١٦ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ولا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

١١٧ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي الكفار ﴿فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي من صدقة ونحوها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿ولَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

١١٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سركم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ نصب بنزع الخافض أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿ودُّوا﴾ تمنوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عنتكم وهو شدة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظهرت ﴿البَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سركم ﴿ومَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم (١).

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

١١٩ ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ يا ﴿أُوْلاءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿ولا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وإذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وإذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ

والطبراني، وابن منده في الصحابة، عن ابن عباس قال: «لما أسلم: عبد الله بن سلام وثعلبة بن سَعْية، وأسيد بن سَعْية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتّبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك: «لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ» الآية». وأخرج أحمد والنسائي وغيره عن ابن مسعود قال: «أخّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثمّ خرج إلى المسجد فإذا النّاس ينتظرون الصّلاة فقال: أما إنّه ليس من أهل الأديان أحدٌ يذكر الله هذه السّاعة غيركم، وأنزلت هذه الآية: «لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ» حتى بلغ: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ»».

(١) **أسباب نزول الآية ١١٨**: أخرج ابن جرير، وابن إسحاق، عن ابن عباس قال: «كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم فنهاهم عن مباطنتهم تخوّف الفتنة عليهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ» الآية».

﴿الغَيْظِ﴾ شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازا وإن لم يكن ثم عض ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أي ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

١٢٠ ﴿إن تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وإن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالوهم فاجتنبوهم ﴿وإن تَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿وتَتَّقُوا﴾ الله في موالاتهم وغيرها ﴿لا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد وسكون الراء وضمها وتشديدها ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا إنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم فيجازيهم به

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]

١٢١ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ، وهو يوم أحد خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاثة من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال: أنضحوا عنا بالنبل لا يأتوا من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نصرنا [1] .

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

١٢٢ ﴿إذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿أَن تَفْشَلا﴾ تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا وقال لأبي جابر السلمي القائل له أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم: لو نعلم قتالا لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿واللَّهُ ولِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ ليثقوا به دون غيره

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

١٢٣ ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله: ﴿ولَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾

١٢٤ ﴿إذْ﴾ ظرف لنصركم ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطمينا ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أن يُمِدَّكُمْ﴾ يعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ بالتخفيف والتشديد

﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾

١٢٥ ﴿بَلَى﴾ يكفيكم ذلك ، وفي الأنفال

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٢١** : أخرج ابن أبي حاتم، وأبو يعلى، عن المسور بن مخرمة قال: «قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يوم أحد، فقال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ»، إلى قوله: «وَإِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ». قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله: «وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْت مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ». قال: هو تمني المؤمنين لقاء العدو إلى قوله: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ». قال: هو صياح الشيطان يوم أحد: قُتل محمَّد، إلى قوله: «أَمَنَةً نُعاسًا». قال: ألقى عليهم النَّوم».

* وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: «فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة: «إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا»».

* وأخرج ابن أبي شيبة من المصنَّف، وابن أبي حاتم، عن الشَّعبي: «أنَّ المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمدُّ المشركين، فشقَّ عليهم، فأنزل الله: «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُم رَبُّكُمْ» إلى قوله: «مُسَوِّمينَ» فبلغت كرزًا الهزيمة فلم يمدَّ المشركين ولم يمدَّ المسلمون بالخمسة».

بألف لأنه أمدهم أولا بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى ﴿إن تَصْبِرُوا﴾ على لقاء العدو ﴿وتتَّقُوا﴾ الله في المخالفة ﴿ويَأْتُوكُمْ﴾ أي المشركون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو وفتحها أي معلَّمين وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾

١٢٦ ﴿ومَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿ولِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿ومَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧]

١٢٧ ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بنصركم أي ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا﴾ يرجعوا ﴿خائِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

١٢٨ ولما كسرت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أحد وقال: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم؟ نزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى إلى أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر (١).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١٢٩ ﴿ولِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿ويُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿واللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

١٣٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ بألف و دونها بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿واتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون (١)

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾

١٣١ ﴿واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها

---

(١) أسباب نزول الآية ١٢٨ : روى أحمد، ومسلم، عن أنس: «أنَّ النبي ﷺ كُسِرَت رَبَاعيته يوم أحد ، وشجَّ في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْء» الآية». وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللّهم العن فلانًا، اللّهم العن الحارث بن هشام، اللّهم العن سهيل بن عمرو، اللّهم العن صفوان بن أمية، فنزلت هذه الآية: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ». إلى آخرها، فَتِيبَ عليهم كلهم». وروى البخاري عن أبي هريرة نحوه.

قال الحافظ ابن حجر: «طريق الجمع بين الحديثين: أنَّه ﷺ دعا على المذكورين في صلاته بعد ما وقع له من الأمر المذكور يوم أحد، فنزلت الآية في الأمرين معًا فيما وقع له وفيما نشأ عنه في الدعاء عليهم». قال: «لكن يُشكل على ذلك ما وقع في مسلم من حديث أبي هريرة أنَّه ﷺ كان يقول في الفجر: اللّهم العن رعلًا وذكوان وعصيَّة، حتى أنزل الله عليه: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ»، ووجه الإشكال أنَّ الآية نزلت في قصة أحد، وقصة رعل وذكوان بعدها، ثمَّ ظهرت لي علة الخبر وأنَّ فيه إدراجًا، فإن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري على من بلغه، بيَّنَ ذلك مسلم، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته». قال: «ويحتمل أنْ يقال أنَّ قصتهم كانت عقب ذلك، وتأخَّر نزول الآية عن سببها قليلًا، ثمَّ نزلت في جميع ذلك». قلت: «ورد في سبب نزولها أيضًا ما أخرجه البخاري، في تاريخه، وابن إسحاق، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ ، فقال: إنَّك تنهى عن السبّ، ثمَّ تحوَّل فحوَّل قفاه إلى النبي ﷺ ، وكشف أسْتَه، فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ» الآية. ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه. مرسل غريب».

(١) أسباب نزول الآية ١٣٠ : أخرج الفريابي عن مجاهد قال: «كانوا يبتاعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل زادوا عليهم، وزادوا في الأجل، فنزلت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً». وأخرج أيضًا عن عطاء قال: «كانت ثقيف تداين بني النُّضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نُرْبيكم وتؤخّرون عنَّا، فنزلت: «لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً».

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾

١٣٢ ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾

١٣٣ ﴿وسَارِعُوا﴾ بواو ودونها ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ﴾ أي كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى ، والعرض السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

١٣٤ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ﴾ اليسر والعسر ﴿والْكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم ﴿واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال ، أي يثيبهم

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾

١٣٥ ﴿والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ومَن﴾ أي لا ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا﴾ يداوموا ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ بل أقلعوا عنه ﴿وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾

١٣٦ ﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة، أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿ونِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجر

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾

١٣٧ ونزل في هزيمة أحد: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فأنا أمهلهم لوقتهم

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾

١٣٨ ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ومَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ منهم

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

١٣٩ ﴿ولا تَهِنُوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿ولا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً وجوابه دل عليه مجموع ما قبله

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١٤٠ ﴿إن يَمْسَسْكُمْ﴾ يصبكم بأحد ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمها: جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ﴾ الكفار ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ ببدر ﴿وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نصرفها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يوما لفرقة ويوما لأخرى ليتعظوا ﴿ولِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿ويَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين أي يعاقبهم وما ينعم به عليهم استدراج (١) .

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

١٤١ ﴿ولِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿ويَمْحَقَ﴾ يهلك ﴿الكَافِرِينَ﴾

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٤٠**: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء. ونزل القرآن على ما قالت: «وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء».

جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

١٤٢ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ علم ظهور ﴿ويَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ في الشدائد

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]

١٤٣ ﴿ولَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿المَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي سببه الحرب ﴿وأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم ؟ ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم[1] .

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

١٤٤ ﴿ومَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر ، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري أي ما كان معبودا فترجعوا ﴿ومَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات[2] .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

١٤٥ ﴿ومَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كِتَابًا﴾ مصدر أي: كتب الله ذلك ﴿مُّؤَجَّلا﴾ مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم! والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة ﴿ومَن يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي جزاءه منها ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له ولاحظ له في الآخرة ﴿ومَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي من ثوابها ﴿وسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

١٤٦ ﴿وكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ﴾ وفي قراءة ﴿قُتِلَ﴾ والفاعل ضميره ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وهَنُوا﴾ جبنوا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿ومَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿ومَا اسْتَكَانُوا﴾ خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي ﴿واللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء أي يثيبهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]

١٤٧ ﴿ومَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٤٣ :** أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: «أنَّ رجالًا من الصَّحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر أو ليت لنا يومًا كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيرًا أو نلتمس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق، فأشهدهم الله أحدًا فلم يلبثوا إلاَّ ما شاء الله منهم، فأنزل الله: «وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّونَ المَوْتَ» الآية».

(٢) **أسباب نزول الآية ١٤٤ :** أخرج ابن المنذر عن عمر قال: «تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدتُ الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحدًا يقول قتل محمد إلاَّ ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والنَّاس يتراجعون إليه فنزلت: «وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ» الآية».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: «لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح وتداعوا نبي الله قالوا: قد قتل، فقال أناس: لو كان نبيًا ما قتل، وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به، فأنزل الله: «وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ» الآية».

* وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي نجيح: «أنَّ رجلًا من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: أشعرت أنَّ محمدًا قد قتل، فقال: إن كان محمَّد قد قتل فقد بلَّغ فقاتلوا عن دينكم، فنزلت».

* وأخرج ابن راهويه في مسنده، عن الزهري: «أنَّ الشَّيطان صاح يوم أحد : إنَّ محمَّدًا قد قتل، قال كعب بن مالك: أنا أول من عرف رسول الله ﷺ رأيت عينيه من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ فأنزل الله: «وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ» الآية».

وإسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضماً لأنفسهم ﴿وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بالقوة على الجهاد ﴿وانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]

١٤٨ ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾ أي الجنة ، وحسنه: التفضيل فوق الاستحقاق ﴿واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]

١٤٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تُطِيعُوا الَذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾

١٥٠ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١]

١٥١ ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها الخوف ، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة على عبادته وهو الأصنام ﴿ومَأْوَاهُمُ النَّارُ وبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين هي

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

١٥٢ ﴿ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم ﴿بِإذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّى إذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وتَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الأَمْرِ﴾ أي أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم: نذهب فقد نصر أصحابنا ، وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وعَصَيْتُم﴾ أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ من النصر وجواب إذا دل عليه ما قبله أي منعكم نصره ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿ومِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب إذا المقدر ، رَدَّكم بالهزيمة ﴿عَنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿ولَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

١٥٣ اذكروا ﴿إذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿ولا تَلْوُونَ﴾ تعرجون ﴿عَلَى أَحَدٍ والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ أي من ورائكم يقول: إليَّ عباد الله ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ فجازاكم ﴿غَمًّا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على ، أي مضاعفا على غم فوت الغنيمة ﴿لِّكَيْلا﴾ متعلق بعفا أو بأثابكم ﴿تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿ولا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿واللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ

بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

١٥٤ ﴿ثُمَّ أنزلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل ﴿يَغْشَى﴾ بالياء والتاء ﴿طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم ﴿وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أنفُسُهُمْ﴾ أي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾ ظناً ﴿غيْرَ﴾ الظن ﴿الحَقِّ ظَنَّ﴾ أي كظن ﴿الجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قتل أو لا ينصر ﴿يَقُولُونَ هَل﴾ ما ﴿لَّنَا مِنَ الأمْرِ﴾ أي النصر الذي وعدناه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ﴾ بالنصب توكيداً والرفع مبتدأ وخبره ﴿لِلَّهِ﴾ أي القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَذِينَ كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ القَتْلُ﴾ منكم ﴿إلى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿و﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿ولِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ واللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس [1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]

١٥٥ ﴿إِنَّ الَذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون إلا اثنى عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿ولَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل على العصاة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

١٥٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي المنافقين ﴿وقَالُوا لإخْوَانِهِمْ﴾ أي في شأنهم ﴿إذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ جمع غاز، فقتلوا ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا ومَا قُتِلُوا﴾ أي لا تقولوا كقولهم ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ واللَّهُ يُحْيِي ويُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

١٥٧ ﴿ولَئِن﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها من مات يموت أتاكم الموت فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿ورَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهي موضع الفعل مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالتاء والياء

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

١٥٨ ﴿ولَئِن﴾ لام قسم ﴿مُّتُّمْ﴾ بالوجهين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿لإلى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾

١٥٩ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٥٤**: أخرج ابن راهويه، عن الزبير قال: «لقد رأيتني يوم أحد حين اشتدّ علينا الخوف، وأرسل علينا النَّوم، فما منَّا أحد إلاَّ ذقنه في صدره، فوالله إنِّي لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: «لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنا»..

فحفظتها، فأنزل الله في ذلك: «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا» إلى قوله: «وَالله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

﴿لَهُمْ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيء الأخلاق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ جافيا فأغلظت لهم ﴿لانفَضُّوا﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿واسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنبهم حتى أغفر لهم ﴿وشَاوِرْهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِي الأَمْرِ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق بعد المشاورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

١٦٠ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ يعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يترك نصركم كيوم أحد ﴿فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد خذلانه أي لا ناصر لكم ﴿وعَلَى اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ليثق ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]

١٦١ ونزلت لما فقدت قطيفة حمراء يوم أحد فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها ﴿ومَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك ، وفي قراءة بالبناء للمفعول أن ينسب إلى الغلول ﴿ومَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغال وغيره جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ شيئا (١)

(١) أسباب نزول الآية ١٦١ : أخرج أبو داود، والترمذي وحسّنه، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، افتُقِدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ» إلى آخر الآية».

* وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجالُه ثقاتٌ عن ابن عباس قال: «بعث النبي ﷺ جيشًا فردَّت رايته، ثمَّ بعث فردت، ثمَّ بعث فردت بغلول رأس غزال من ذهب فنزلت: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ».

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾

١٦٢ ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ لمعصيته وغلوله ﴿ومَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع؟ والجواب: لا

﴿هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

١٦٣ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي أصحاب درجات ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ أي مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب ﴿واللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

١٦٤ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي عربيًا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكًا ولا أعجميًا ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿ويُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿والْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وإِن﴾ مخففة أي إنهم ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن .

﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

١٦٥ ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بأحد بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَنَّى﴾ من أين لنا ﴿هَذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا ، الجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز فخذلتم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم (١) .

(١) أسباب نزول الآية ١٦٥ : أخرج ابن أبي حاتم عن عمر ابن الخطاب قال: «عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفرَّ أصحاب النبي ﷺ

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦]

١٦٦ ﴿ومَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ولِيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿المُؤْمِنِينَ﴾ حقا

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾

١٦٧ ﴿ولِيَعْلَمَ الَذِينَ نَافَقُوا و﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾ نحسن ﴿قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال تعالى تكذيبا لهم: ﴿هُمْ لِلْكفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بَأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾

١٦٨ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالُوا لإخْوَانِهِمْ﴾ في الدين ﴿و﴾ قد ﴿قَعَدُوا﴾ عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي شهداء أحد أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلْ﴾ لهم ﴿فَادْرَءُوا﴾ ادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ المَوْتَ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن القعود ينجي منه .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

١٦٩ ونزل في الشهداء: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كما ورد في الحديث ﴿يُرْزَقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة (١) .

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]

١٧٠ ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير يرزقون ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ و﴾ هم ﴿ويَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين ﴿أ﴾ ن أي بأن ﴿لاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي الذين لم يلحقوا بهم ﴿ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]

١٧١ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِّنَ اللَّهِ وفَضْلٍ﴾ زيادة عليه ﴿وأَنَّ﴾ بالفتح عطفا على نعمة وبالكسر استئنافا ﴿اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ﴾ بل يأجرهم

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

١٧٢ ﴿الَذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ﴾ دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبي ﷺ وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أحد ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ﴾ بأحد وخبر المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿واتَّقَوْا﴾ مخالفته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة(٢) .

وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه فأنزل الله : «أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ» الآية».

(١) **أسباب نزول الآية ١٦٩ :** روى أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلمّا وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآية: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا» الآية وما بعدها». وروى الترمذي عن جابر نحوه.

(٢) **أسباب نزول الآية ١٧٢ :** أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «إنَّ الله قذف الرُّعب في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النّبي ﷺ : إنَّ أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا وقد رجع

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

١٧٣ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقاً بالله ويقيناً ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا أمرهم ﴿ونِعْمَ الوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو ، وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال الله تعالى:

﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

١٧٤ ﴿فَانقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وفَضْلٍ﴾ بسلامة وربح ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿واتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

١٧٥ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي القائل لكم إن الناس الخ ﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾ كم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ الكفار ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقا

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦]

١٧٦ ﴿ولا يَحْزُنكَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي و بفتحها و ضم الزاي من حزنه لغة في أحزنه ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصيباً ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ أي الجنة فلذلك خذلهم الله ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

١٧٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾ أي أخذوه بدله ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْئًا ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

١٧٨ ﴿ولا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي﴾ أي إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ﴾ وأن ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي﴾ نمهل ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ

وقذف الله في قلبه الرُّعب، وكانت وقعة أحد في شوَّال، وكان التُّجار يقدمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون ببدر الصُّغرى، وإنَّهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرحُ واشتكوا ذلك فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه. فجاء الشيطان فخوَّف أولياءه، فقال: إنَّ النَّاس قد جمعوا لكم، فأبى عليه النَّاس أنْ يتبعوه فقال: إنِّي ذاهب وإن لم يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجرَّاح في سبعين رجلًا فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصَّفراء، فأنزل الله: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُولِ» الآية».

* وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم، بئس ما صنعتم ارجعوا، فسمع رسول الله فَنَدَبَ المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة، فأنزل الله: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُولِ» الآية».

وقد كان أبو سفيان قال للنَّبي ﷺ: «موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فأمَّا الجبان فرجع، وأمَّا الشُّجاع فأخذ أهبة القتال والتِّجارة فأتوه فلم يجدوا به أحدًا وتسوَّقوا، فأنزل الله: «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ الله» الآية».

* وأخرج ابن مردويه عن أبي رافع: «أنَّ النَّبي ﷺ وجَّه عليًّا في نفر معه في طلب أبي سفيان، فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إنَّ القوم قد جمعوا لكم، قالوا : «حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيل» فنزلت فيهم هذه الآية».

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

١٧٩ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد يفصل ﴿الْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أحد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

١٨٠ ﴿ولا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ مفعول ثان والضمير للفصل والأول بخلهم مقدراً قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ أي بزكاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]

١٨١ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو كان غنيا ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه، وفي قراءة ﴿سيُكتَب﴾ بالياء مبنياً للمفعول ﴿و﴾ نكتب ﴿قَتْلَهُمُ﴾ بالنصب والرفع ﴿الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء أي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار (١).

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]

١٨٢ ويقال لهم إذا ألقوا فيها: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

١٨٣ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ لمحمد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتى يأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه، وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخا ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿وبالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم

---

(١) أسباب نزول الآية ١٨١: أخرج ابن إسحاق، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «دخل أبو بكر بيت المِدْراس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنَّه إلينا لفقير، ولو كان غنيًا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال: يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله قال قولًا عظيمًا يزعم أنَّ الله فقير، وأنَّهم عنه أغنياء، فجحد فنحاص، فأنزل الله: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أتت اليهود النبي ﷺ حين أنزل الله: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرضًا حَسَنًا». فقالوا: يا محمد أفقير ربك يسأل عباده؟ فأنزل الله: «لَقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ الله فَقِيرٌ» الآية».

تؤمنون عند الإتيان به

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾

١٨٤ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما ﴿الْمُنِيرِ﴾ الواضح هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾

١٨٥ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بعد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي العيش فيها ﴿إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾

١٨٦ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ، لتختبرن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والجوائح ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ أي من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها [(١)] .

(١) أسباب نزول الآية ١٨٦ : روى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، بسند حسن عن ابن عباس: «أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفنحاص من قوله: «إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ».

* وذكر عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك: «أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر».

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾

[آل عمران: ١٨٧]

١٨٧ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ أي الكتاب بالياء والتاء بالفعلين ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراؤهم هذا

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]

١٨٨ ﴿لا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء والياء ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ بالوجهين تأكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِّنَ الْعَذَابِ﴾ فى الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها ، ومفعولا تحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط [(١)] .

(١) أسباب نزول الآية ١٨٨ : روى الشيخان، وغيرهما، من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف: «أنَّ مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذَّبًا لنعذبن أجمعون.

فقال ابن عباس: «ما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه».

* وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري: «أنَّ رجالًا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: «لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا» الآية».

* وأخرج عبد الرزاق في تفسيره، عن زيد بن أسلم: «أنَّ

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]

١٨٩ ﴿وللَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

١٩٠ ﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿واختلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لأُولِي الأَلْبابِ﴾ لذوي العقول [١].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

١٩١ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وقُعُودًا وعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال، وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿ويَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَاطِلاً﴾ حال، عبثاً بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]

١٩٢ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ أهنته ﴿ومَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]

١٩٣ ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلإِيمَانِ﴾ أي إليه وهو محمد أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وكَفِّرْ﴾ غط ﴿عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وتَوَفَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الأَبْرَارِ﴾ الأنبياء الصالحين

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

١٩٤ ﴿رَبَّنَا وآتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَى﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة في التضرع ﴿ولا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

رافع بن خديج، وزيد بن ثابت، كانا عند مروان، فقال مروان: يا رافع في أيِّ شيءٍ نزلت هذه الآية: «لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُون بِمَا أَتَوْا»، قال رافع: أنزلت في أناس من المنافقين كانوا إذا خرج النَّبيُّ ﷺ اعتذروا وقالوا: ما حبسنا عنكم إلا شغل، فلوددنا أنَّا كنَّا معكم، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وكأنَّ مروان أنكر ذلك فجزع رافع من ذلك فقال لزيد بن ثابت: أنشدك بالله هل تعلم ما أقول؟ قال: نعم، قال الحافظ ابن حجر يجمع بين هذا، وبين قول ابن عباس: بأنَّه يمكن أن تكون نزلت في الفريقين معًا».

قال: «وحكى الفراء أنَّها نزلت في قول اليهود: نحن أهل الكتاب الأول، والصَّلاة، والطاعة، ومع ذلك لا يقرُّون بمحمد». وروى ابن أبي حاتم من طرق عن جماعة من التابعين نحو ذلك. ورجَّحه ابن جرير «ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، انتهى».

(١) **أسباب نزول الآية ١٩٠**: أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «أتت قريش اليهودَ فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويده بيضاء للناظرين.

وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فدعا ربه، فنزلت الآية: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ» فليتفكروا فيها».

﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾

١٩٥ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم﴾ كائن ﴿مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي الذكور من الاناث وبالعكس ، والجملة مؤكدة لما قبلها أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها ، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء بالهجرة بشيء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ ديني ﴿وقَاتَلُوا﴾ الكفار ﴿وقُتِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ، وفي قراءة بتقديمه ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿ولأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿واللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الجزاء

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾

١٩٦ ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تصرفهم ﴿فِي البِلادِ﴾ بالتجارة والكسب

﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾

١٩٧ هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المِهَادُ﴾ الفراش هي

﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]

١٩٨ ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي مقدرين بالخلود ﴿فِيهَا نُزُلاً﴾ وهو ما يعدُّ للضيف ، ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ ومَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ من متاع الدني

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

١٩٩ ﴿وإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿ومَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿ومَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي التوراة والإنجيل ﴿خَاشِعِينَ﴾ حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من أي: متواضعين ﴿لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين كما في القصص ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

٢٠٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿وصَابِرُوا﴾ الكفار فلا يكونوا أشد صبرا منكم ﴿ورَابِطُوا﴾ أقيموا على الجهاد ﴿واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

* * *

(١) **أسباب نزول الآية ١٩٩**: روى النّسائي عن أنس قال: «لما جاء نعي النّجاشي قال رسول الله ﷺ: صلوا عليه. قالوا: يا رسول الله نصلي على عبدٍ حبشي؟ فأنزل الله «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بالله». وروى ابن جرير نحوه عن جابر.
وفي المستدرك عن عبد الله بن الزبير قال: «نزلت في النّجاشي «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِالله» الآية».

٤ سورة النساء

[مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا﴾

١ ﴿يا أيها الناس﴾ أي أهل مكة ﴿اتقوا ربكم﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وبث﴾ فرق ونشر ﴿منهما﴾ من آدم وحواء ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ كثيرة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين ، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي تتساءلون ﴿به﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله وأنشدك بالله ﴿و﴾ اتقوا ﴿الأرحام﴾ أن تقطعوها ، وفي قراءة بالجر عطفا على الضمير في به وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ حافظا لأعمالكم فيجازيكم بها ، أي لم يزل متصفا بذلك

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾

٢ ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه: ﴿وآتوا اليتامى﴾ الصغار الذين لا أب لهم ﴿أموالهم﴾ إذا بلغوا ﴿ولا تتبدلوا الخبيث﴾ الحرام ﴿بالطيب﴾ الحلال أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿ولا تأكلوا أموالهم﴾ مضمومة ﴿إلى أموالكم إنه﴾ أي أكلها ﴿كان حوبا﴾ ذنبا ﴿كبيرا﴾ عظيما

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣]

٣ ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل: ﴿وإن خفتم أ﴾ ن ﴿لا تقسطوا﴾ تعدلوا ﴿في اليتامى﴾ فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فانكحوا﴾ تزوجوا ﴿ما﴾ بمعنى من ﴿طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ أي اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ولا تزيدوا على ذلك ﴿فإن خفتم أ﴾ ن ﴿لا تعدلوا﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿فواحدة﴾ انكحوها ﴿أو﴾ اقتصروا على ﴿ما ملكت أيمانكم﴾ من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذلك﴾ أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أدنى﴾ أقرب إلى ﴿ألا تعولوا﴾ تجوروا

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةٗۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٖ مِّنْهُ نَفْسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ [النساء: ٤]

٤ ﴿وآتوا﴾ أعطوا ﴿النساء صدقاتهن﴾ جمع صدقة ، مهورهن ﴿نحلة﴾ مصدر ، عطية عن طيب نفس ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا﴾ تمييز محول عن الفاعل ، أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فكلوه هنيئا﴾ طيباً ﴿مريئا﴾ محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت رداً على من كره ذلك

﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمٗا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلٗا مَّعْرُوفٗا﴾

٥ ﴿ولا تؤتوا﴾ أيها الأولياء ﴿السفهاء﴾ المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أموالكم﴾ أي أموالهم التي في أيديكم ﴿التي جعل الله لكم قياما﴾ مصدر قام ، أي تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم فيضعوها في غير وجهها ، وفي قراءة ﴿قيما﴾ جمع قيمة ، ما تُقَوَّمُ به الأمتعة ﴿وارزقوهم فيها﴾ أطعموهم منها ﴿واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدٗا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء: ٦]

٦ ﴿وابتلوا﴾ اختبروا ﴿اليتامى﴾ قبل البلوغ في

دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ آنَسْتُم﴾ أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَن يَكْبَرُوا﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة، وهذا الأمر إرشاد ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ الباء زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]

٧ ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم [1]

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]

٨ ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُولُوا الْقُرْبَىٰ﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُوا﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار وهذا قيل إنه منسوخ وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب ، وعن ابن عباس واجب

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

٩ ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي ليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ أي قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ لمن حضرته الوفاة ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صواباً بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]

١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي ملأها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾ نارا شديدة يحترقون فيها

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]

١١ ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن

(١) أسباب نزول الآية ٧: أخرج أبو الشيخ ابن حبّان في كتاب الفرائض، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية لا يورّثون البنات ولا الصّغار من الذّكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابنًا صغيرًا، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبة، فأخذوا ميراثه كلّه ، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول. فنزلت «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ» الآية».

كُنَّ﴾ أي الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فهما أولى ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى و﴿فوقَ﴾ قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وإن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿واحِدَةً﴾ وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ ولأبَوَيْهِ﴾ أي الميت ويبدل منهما ﴿لِكلِّ واحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إن كَانَ لَهُ ولَدٌ﴾ ذكر أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإن لَّمْ يَكُن لَّهُ ولَدٌ ووَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿الثُّلُثُ﴾ أي ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب ﴿فَإن كَانَ لَهُ إخْوَةٌ﴾ أي اثنان فصاعدا ذكورا أو إناثا ﴿فلأمه السُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للأخوة وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وصِيَّةٍ يُوصِي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَا أوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿آبَاؤُكُمْ وأبْنَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لا تَدْرُونَ أيُّهُمْ أقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة فظانٌّ أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم بذلك هو الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم أي لم يزل متصفا بذلك (١).

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

١٢ ﴿ولَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ ولَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإن كَانَ لَهُنَّ ولَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿ولَهُنَّ﴾ أي الزوجات تعددن أو لا ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إن لَّمْ يَكن لَّكُمْ ولَدٌ فَإن كَانَ لَكُمْ ولَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعا ﴿وإن كَانَ رَجُلٌ

(١) **أسباب نزول الآية ١١**: أخرج الأئمة الستة عن جابر ابن عبد الله قال: «عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني ﷺ لا أعقل شيئًا، فدعا بماء فتوضأ، ثمَّ رشَّ عليَّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت: «يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلادِكُمْ لِلذكرِ مِثْلُ حَظ الأُنْثَيَيْنِ»».

* وأخرج أحمد، وأبو داود، والتَّرمذي، والحاكم عن جابر قال: «جاءت امرأة سعد بن الرَّبيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الرَّبيع قُتل أبوهما معك في أحد شهيدًا، وإنَّ عمَّهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالًا ولا تنكحان إلاَّ ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث».

* قال الحافظ ابن حجر: «تمسَّك بهذا من قال: إنَّ الآية نزلت في قصة ابنتي سعد، ولم تنزل في قصة جابر خصوصًا أنَّ جابرًا لم يكن له يومئذ ولد».

* قال: «والجواب أنَّها نزلت في الأمرين معًا، ويحتمل أن يكون نزول أوَّلها في قصة البنتين، وآخرها وهو قوله: «وَإنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً» في قصة جابر ، ويكون مراد جابر بقوله، فنزلت: «يُوصِيكُمُ الله في أَوْلادِكُمْ» أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية. انتهى».

وقد ورد سبب ثالث: أخرج ابن جرير عن السُّدي قال: «كان أهل الجاهلية لا يورِّثون الجواري ولا الصِّغار من الغلمان لا يرث الرَّجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشَّاعر وترك امرأة يقال لها أم كجة وخمس أخوات، فجاء الورثة يأخذون ماله، فشكت أمُّ كجة ذلك إلى النَّبيِّ ﷺ فأنزل الله هذه الآية: «فَإنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فلهُنَّ ثُلثا مَا تَرَكَ»، ثمَّ قال في أمِّ كُجة: « وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إنْ لَمْ يَكُنْ لكمْ وَلَدٌ فَإنْ كَانَ لكمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ»».

* وقد ورد في قصة سعد بن الربيع وجه آخر، فأخرج القاضي إسماعيل في « أحكام القرآن» من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم، أنَّ عَمْرة بنت حرام كانت تحت سعد بن الرَّبيع، فقُتل عنها بأحد، وكان له منها ابنة، فأتت النَّبيَّ ﷺ تطلب ميراث ابنتها، ففيها نزلت: «يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ» الآية.

يُورَثُ﴾ صفة والخبر ﴿كَلالَةً﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُ﴾ أي للمورث كلالة ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ واحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوا﴾ أي الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال من ضمير يوصى أي غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةً﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه، وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

١٣ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون التفاتاً ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وذَٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

١٤ ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة روعي في الضمائر في الآيتين لفظ ﴿مَن﴾، وفي ﴿خالدين﴾ معناها

﴿وَالَّٰتِي يَأْتِينَ الْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾

[النساء: ١٥]

١٥ ﴿واللاَّتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أي من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي البُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ﴾ أي ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ طريقاً إلى الخروج منها، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة، وفي الحديث لما بيّن الحد قال: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا» رواه مسلم

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

١٦ ﴿والَّلذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَأْتِيَانِهَا﴾ أي الفاحشة الزنا أو اللواط ﴿مِنكُمْ﴾ أي الرجال ﴿فَآذُوهُمَا﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وإن كان محصنا بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والأول قال أراد الزاني والزانية ويرده تبيينهما بـ «من» المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰٓئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[النساء: ١٧]

١٧ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ حال أي جاهلين إذ عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل أن يغرغروا ﴿فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم.

* * *

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰ

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

١٨ ﴿وليست التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ﴾ وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿ولا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]

١٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ أي ذاتهن ﴿كَرْهًا﴾ بالفتح والضم لغتان ، أي مكرهيهن على ذلك كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداق أو زوجوهن وأخذوا صداقهن أو عضلوهن حتى تفتدين بما ورثنه أو يمتن فيرثوهن فنهوا عن ذلك ﴿ولا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلاَّ أن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرها ، أي بيّنت أو هي بينة ، أي زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا ويَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا صالحا (١).

* * *

(١) أسباب نزول الآية ١٩. روى البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: «كانوا إذا مات الرَّجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأتهِ إنْ شاءِ بعضهم تزوجها، وإن شاءُوا زوَّجوها. فهم أحقُّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية».

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠]

٢٠ ﴿وإنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي أخذ بدلها بأن طلقتموها ﴿و﴾ قد ﴿آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾ مالا كثيرا صداقا ﴿فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ ظلما ﴿وإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بينا ، ونصبهما على الحال

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]

٢١ والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في قوله: ﴿وكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي بأي وجه ﴿وقَدْ أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرر للمهر

* وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: «لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوَّج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله «لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا»». وله شاهد عن عكرمة عن ابن جرير.

* وأخرج ابن أبي حاتم، والفريابي، والطبراني، عن عدي ابن ثابت، عن رجل من الأنصار قال: «توفي أبو قيس بن الأسلت، وكان من صالحي الأنصار ، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعُدُّك ولدًا وأنت من صالحي قومك.

فأتت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: ارجعي إلى بيتك، فنزلت هذه الآية: «وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ»».

* وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: «كان الرَّجل إذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها أن يَنْكِحُها إنْ شاء إن لم تكن أمَّه أو يُنكحها من شاء، فلما مات أبو قيس ابن الأسلت قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته ولم يورثها من المال شيئًا، فأتت النَّبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ارجعي لعل الله يُنزل فيك شيئًا، فنزلت هذه الآية: «وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»، ونزلت: «لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا» الآية».

* وأخرج أيضًا عن الزهري قال: «نزلت هذه الآية في ناس من الأنصار كان إذا مات الرجل منهم كان أملك النَّاس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت».

* وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «قلت لعطاء: «وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ». قال: كنَّا نتحدَّث أنَّها نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة «زيد بن حارثة». قال المشركون في ذلك، فنزلت: «وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ». ونزلت: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ». ونزلت: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ».

﴿وأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا﴾ عهدا ﴿غَلِيظًا﴾ شديدا وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]

٢٢ ﴿ولا تَنكِحُوا مَا﴾ بمعنى من ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إلاَّ﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي نكاحهن ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ قبيحا ﴿ومَقْتًا﴾ سببا للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿وسَاءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلاً﴾ طريقاً ذلك

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

٢٣ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت الأولاد وإن سفلن ﴿وأَخَوَاتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وعَمَّاتُكُمْ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وخَالاتُكُمْ﴾ أي أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وبَنَاتُ الأَخِ وبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث ﴿وأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوأته والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها لحديث: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». رواه البخاري ومسلم. ﴿وأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ورَبَائِبُكُمْ﴾ جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وحَلائِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَائِكُمُ الَذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم ﴿وأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة بينها وبين عمتها أو خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ واحدة ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من نكاحهم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

٢٤ ﴿و﴾حرمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا ﴿إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر أي كتب ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وأُحِلَّ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُم﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ فمن ﴿اسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةً ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم﴾ أنتم وهنَّ ﴿بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم (١) .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٤:** روى مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي سعيد الخدري قال : «أصبنا سبايا من سبي أوطاس لهنَّ أزواج فكرهنا أن نقع عليهنَّ، ولهنَّ أزواج فسألنا النبي ﷺ فنزلت: «وَالمحصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٢٥ ﴿ومَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً﴾ أي غنى ﴿أَن يَنكِحَ المُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿المُؤْمِناتِ﴾ هو جري على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ ينكح ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِناتِ واللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه فإنه العالم بتفضيلها ورب أمة تفضل حرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكُم مِّن بعضٍ﴾ أي أنتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مواليهن ﴿وآتُوهُنَّ﴾ أعطوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل ونقص ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عفائف حال ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ زانيات جهراً ﴿ولا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سراً ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ زُوِّجن وفي قراءة ﴿أَحصنَّ﴾ بالبناء للفاعل تزوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ العَذَابِ﴾ الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الإحصان شرطا لوجوب الحد لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلا ﴿ذَلِكَ﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ خاف ﴿العَنَتَ﴾ الزنا، وأصله المشقة، سمي به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعي وخرج بقوله ﴿من فتياتكم المؤمناتِ﴾: الكافراتُ، فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وأن تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقا ﴿واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالتوسعة في ذلك

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٢٦ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿ويَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿ويَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لكم

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾

٢٧ ﴿واللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرره ليبني عليه ﴿ويُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾

٢٨ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

٢٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَارَةً﴾ وفي قراءة بالنصب، أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وطيب نفس فلكم أن تأكلوها

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يقول: إلاَّ ما أفاء الله عليكم، فاستحللنا بها فروجهنَّ».

* وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: «نزلت يوم حنين لمَّا فتح الله حنينًا أصاب المسلمون نساءً من نساء أهل الكتاب لهنَّ أزواج، وكان الرَّجل إذا أراد أن يأتي المرأة قالت: إنَّ لي زوجًا، فسُئل ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: «وَالمحصَنَات مِنَ النِّسَاءِ» الآية».

* قوله تعالى: «ولا جناح» الآية.

* أخرج ابن جرير عن عمرة بن سليمان عن أبيه قال: «زعم حضرميٌّ أنَّ رجالًا كانوا يفرضون المهرَ، ثمَّ عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فنزلت: «وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ»».

﴿ولا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها أيا كان في الدنيا أو الآخرة بقرينة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠]

٣٠ ﴿ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي ما نهي عنه ﴿عُدْوَانًا﴾ تجاوزا للحلال حال ﴿وظُلْمًا﴾ تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هينا

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]

٣١ ﴿إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة ، وعن ابن عباس «هي إلى السبعمائة أقرب». ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿ونُدْخِلْكُم مُّدْخَلا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالا أو موضعا ﴿كَرِيمًا﴾ هو الجنة

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

٣٢ ﴿ولا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿ولِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن ، نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ﴿واسْأَلُوا﴾ بهمزة ودونها ﴿اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ ما احتجتم إليه يعطكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم [1] .

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]

(١) **أسباب نزول الآية ٣٢**: روى الترمذي، والحاكم، عن أمّ سلمة أنّها قالت: «يغزو الرجال ولا تغزو النّساء، وإنّما لها نصف الميراث، فأنزل الله: «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ الله بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ»، وَأَنْزَلَ فيها: «إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ».

٣٣ ﴿ولِكُلٍّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ عصبة يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ﴾ لهم من المال ﴿والَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ بألف ودونها ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أى الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿فَآتُوهُمْ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مطلعا ومنه حالكم ، وهذا منسوخ بقوله ﴿وأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [1] .

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾

٣٤ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وبِمَا أَنفَقُوا﴾ عليهن ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ﴾ منهن ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظَ﴾ لهن ﴿اللَّهُ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿واللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن لكم بأن ظهرت أمارته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فخوفوهن الله ﴿واهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿واضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربا غير مبرح إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ طريقا

(١) **أسباب نزول الآية ٣٣**: أخرج أبو داود في سننه، من طريق ابن إسحاق، عن داود بن الحصين قال: «كنت أقرأ على أم سعد ابنة الربيع، وكانت مقيمة في حجر أبي بكر، فقرأتُ: «وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيمَانُكُمْ». فقالت: لا، ولكن: «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيمَانُكُمْ» ، وَإِنَّما نزلت في أبي بكر وابنه (عبد الرحمن) حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر أَنْ لا يورِّثه، فلمَّا أسلم أمره أن يؤتيه نصيبه».

إلى ضربهن ظلما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتوهن (١) .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]

٣٥ ﴿وإنْ خِفتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع أي شقاقا بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلا عدلا ﴿مِّنْ أَهْلِهِ﴾ أقاربه ﴿وحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرّقان إن رأياه، قال تعالى: ﴿إن يُرِيدَا﴾ أي الحكمان ﴿إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين أي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالبواطن كالظواهر

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

٣٦ ﴿واعبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا و﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برا ولين جانب ﴿وبِذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ والْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿والْجَارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة وقيل الزوجة ﴿وابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبرا ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أوتي

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ٣٧]

٣٧ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿ويَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال وهم اليهود، وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد ﴿وأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة (١) .

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]

٣٨ ﴿والَّذِينَ﴾ عطف على الذين قبله ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مرائين لهم ﴿ولا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ولا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿ومَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَاءَ﴾ بئس ﴿قَرِينًا﴾ هو.

* * *

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٤:** أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «جاءت امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ تستعدي على زوجها أنَّه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: القِصاص، فأنزل الله: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» الآية، فرجعت بغير قصاص».

وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن، وفي بعضها: «أنَّ رجلًا من الأنصار لطم امرأتَه فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبيُّ ﷺ بينهما القصاص، فنزلت: «وَلاَ تَعْجَلْ بِالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ»، ونزلت: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ»».

* وأخرج نحوَه عن ابن جريج والسُّدِي.

* وأخرج ابن مردويه عن علي قال: «أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من الأنصار بامرأة له، فقالت: يا رسول الله إنَّه ضربني، فأثَّر في وجهي، فقال رسول الله: ليس له ذلك، فأنزل الله: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» الآية». فهذه شواهد يُقوِّي بعضها بعضًا.

(١) **أسباب نزول الآية ٣٧:** أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: «كان عُلماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله: «الَّذِينَ يَبْخَلُون وَيَأْمُرونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ» الآية».

* وأخرج ابن جرير، من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد، عن ابن عباس قال: «كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحريُّ بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التَّابوت، يأتون رجالًا من الأنصار يتنصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنَّا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنَّكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم: «الَّذِينَ يَبْخَلُون وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْل». إلى قوله: «وَكَان الله بِهِمْ عَلِيمًا».

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩]

٣٩ ﴿ومَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا باللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وأنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أيْ أيُّ ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للإنكار ولو مصدرية أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]

٤٠ ﴿إنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ﴾ أحدا ﴿مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وإن تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن ، وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفي قراءة ﴿يضعّفها﴾ بالتشديد ﴿ويُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]

٤١ ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها وهو نبيها ﴿وجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]

٤٢ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم المجيء ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي أن ﴿تُسَوَّى﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ، ومع إدغامها في السين [تَسَّوَّى]أي تتسوى ﴿بِهِمُ الأرْضُ﴾ بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى: ﴿ويَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ ﴿ولا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]

٤٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ﴾ أي لا تُصَلُّوا ﴿وأَنتُمْ سُكَارَى﴾ من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حالة سكر ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تصحوا ﴿ولا جُنُبًا﴾ بإيلاج أو إنزال ، ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إلاَّ عَابِرِي﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق أي مسافرين ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر لأن له حكما آخر سيأتي .

وقيل : المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلى عبورها من غير مكث ﴿وإن كُنتُم مَّرْضَى﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون ﴿أوْ جَاءَ أحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ﴾ هو المكان المعد لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿أوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وفي قراءة ﴿لمستم﴾ بلا ألف وكلاهما بمعنى اللمس هو الجس باليد ، قاله ابن عمر وعليه الشافعي وألحق به الجس بباقي البشرة .

وعن ابن عباس هو الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ماعدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين منه ، ومَسَحَ يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿إنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [1] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٤٣**: روى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، عن علي قال: «صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منًّا وحضرت الصَّلاة فقدَّموني فقرأتُ «قُلْ يَا أَيُّها الكَافِرونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ». ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ»».

* وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال: «نزلت هذه الآية

* قوله: «وَلاَ جُنُبًا» في المسافر تصيبهُ الجنابة فيتيمم ويصلي».

* وأخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شُريك قال: «كنت أرحِّل ناقة رسول الله ﷺ فأصابتني جنابة في ليلة باردة،

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]

٤٤ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ حظا ﴿مِّنَ الكِتَابِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾ بالهدى ﴿ويُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق لتكونوا مثلهم (١).

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾

٤٥ ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وكَفَى بِاللَّهِ ولِيًا﴾ حافظا لكم منهم ﴿وكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعا لكم من كيدهم

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]

٤٦ ﴿مِنَ الَذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿ويَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿واسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال بمعنى الدعاء أي لا سمعت ﴿و﴾ يقولون له ﴿رَاعِنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لَيًا﴾ تحريفا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وطَعْنًا﴾ قدحا ﴿فِي الدِّينِ﴾ الإسلام ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا﴾ بدل وعصينا ﴿واسْمَعْ﴾ فقط ﴿وانظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل راعنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وأَقْوَمَ﴾ أعدل منه ﴿ولَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]

٤٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ من التوراة ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وجُوهًا﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحا واحدا ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نمسخهم قردة ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ مسحنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولاً﴾ ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل كان وعيدا بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة (١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

فخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاة وأَنْتُم سُكارى» الآية كلها».

* وأخرج الطبراني عن الأسلع قال: «كنت أخدم النَّبيَّ ﷺ وأرحِّل له، فقال لي ذات يوم: يا أسلع قم فارحل، فقلت: يا رسول الله أصابتني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل بآية الصَّعيد، فقال رسول الله ﷺ: قم يا أسلع فتيمَّم، فأراني التَّيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، فقمت فتيمَّمت ثمَّ رحَّلت له».

* وأخرج ابن جرير، عن يزيد بن أبي حبيب: «أنَّ رجالًا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فكانت تصيبهم جنابة، ولا ماء عندهم، فيريدون الماء ولا يجدون ممرًا إلاَّ في المسجد، فأنزل الله قوله: «وَلاَ جُنُبًا إلاَّ عَابِري سبيل».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: «نزلت هذه الآية في رجلٍ من الأنصار كان مريضًا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم فيتناوله فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: «وَإنْ كُنْتُمْ مَرْضَى» الآية».

* وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: «نال أصحاب النَّبيِّ ﷺ جراحة ففشت فيهم، ثمَّ ابتُلُوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النَّبي ﷺ، فنزلت: «وَإنْ كُنْتُمْ مَرْضَى» الآية كلها».

(١) **أسباب نزول الآية ٤٤**: أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كان رفاعة بن زيد بن التَّابوت من عظماء اليهود، وإذا كلَّم رسول الله ﷺ لوَّى لسانه، وقال: أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك. ثمَّ طعن في الإسلام دعابة، فأنزل الله فيه: «أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ».

(١) **أسباب نزول الآية ٤٧**: أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كلَّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسيد، فقال لهم: يا معشر يهود اتَّقوا الله وأسلموا، فوالله إنَّكم لتعلمون أنَّ الذي جئتكم به لحقّ، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد. فأنزل الله فيهم: «يَا أَيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا» الآية».

٤٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾ أي الإشراك ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا﴾ ذنبا ﴿عَظِيمًا﴾ كبيرا [1] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]

٤٩ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود حيث قالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَن يَشَاءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلاً﴾ قدر قشرة النواة [2] .

﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٥٠]

٥٠ ﴿انظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ بينا .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]

٥١ ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ والطَّاغُوتِ﴾ صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم أنحن أهدى سبيلا ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل أم محمد وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ﴿هَؤُلاءِ﴾ أي أنتم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ أقوم طريقا

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]

٥٢ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ﴾ـه ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعا من عذابه

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾

٥٣ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي شيئا تافها قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]

٥٤ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جده كموسى وداود وسليمان ﴿الكِتَابَ والْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسُرِّيَّة [1] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٤٨ :** أخرج ابن أبي حاتم، والطَّبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: وما دينه؟ قال: يصلي ويوحِّد الله، قال: استوهب منه دينه فإنْ أبى فابتعه منه، فطلب الرَّجل ذلك منه فأبى عليه، فأتى النَّبيَّ ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحًا على دينه، فنزلت: «إِنَّ اللَّه لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»»

(٢) **أسباب نزول الآية ٤٩ :** أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت اليهود يقدِّمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، ويزعمون أنَّهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله: «أَلَمْ تَرَ إِلى الذِينَ يُزَكونَ أَنْفُسَهُمْ»».

* وأخرج ابن جرير نحوه عن: عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك، وغيرهم.

(١) **أسباب نزول الآيات ٥١ -٥٤ :** أخرج أحمد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «لمَّا قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم أنَّه خيرٌ منَّا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السّدانة؟ وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير، فنزلت فيهم: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر». ونزلت: «أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الكِتَابِ» إلى «نَصيرًا».

* وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كان الذين حزَّبوا الأحزاب من قريش وغطفان، وبني قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وأبو رافع، والربيع بن أبي

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥]

٥٥ ﴿فمنهم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ومنهم مَّن صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يؤمن ﴿وكفى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ عذاباً لمن لا يؤمن

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]

٥٦ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿لِيَذُوقُوا العَذَابَ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]

٥٧ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿ونُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً﴾ دائما لا تنسخه شمس وهو ظل الجنة .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

٥٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ﴾ أي ما ائتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ عليٌّ رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسرا لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال: هاك خالدة تالدة. فعجب من ذلك فقرأ له عليٌّ الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقي في ولده ، والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع ﴿وإذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا﴾ فيه إدغام ميم نعم في ما النكرة الموصوفة أي نعم شيئاً ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿بَصِيرًا﴾ بما يفعل [1] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

٥٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي﴾ وأصحاب ﴿الأَمْرِ﴾ أو الولاة ﴿مِنكُمْ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي إلى كتابه ﴿والرَّسُولِ﴾ مدة حياته وبعده إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ﴾ أي الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ مآلا.

الحقيق، وأبو عامر وهوذة بن قيس، وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش، قالوا: هؤلاء أحبار يهود أهل العلم بالكتب الأولى، فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، وممن اتَّبعه، فأنزل الله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ» إلى قوله: «مُلْكًا عَظِيمًا».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «قال أهل الكتاب: زعم محمدٌ أنَّه أوتيَ ما أوتيَ في تواضع، وله تسع نسوة وليس همّه إلاّ النكاح، فأيُّ مُلكٍ أفضل من هذا؟ فأنزل الله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» الآية ».
وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه.

(1) **أسباب نزول الآية ٥٨**: أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «لمّا فتح رسول الله ﷺ مكّة دعا عثمان بن طلحة، فلمّا أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به فلمّا بسط يده إليه قام العبّاس فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السّقاية، فكفَّ عثمان يده.
فقال رسول الله ﷺ: هاتِ المفتاح يا عثمان، فقال: هاك بأمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثمّ خرج فطاف بالبيت، ثمّ نزل عليه جبريل بردِّ المفتاح،
فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثمّ قال: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا» حتى فرغ من الآية».
وأخرج شعبة في تفسيره عن حجاج عن ابن جريج قال: «نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة أخذ منه رسول الله مفاتيح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلو

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]

٦٠ ونزل لما اختصم يهودي ومنافق فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق، وأتيا عمر فذكر اليهودي ذلك فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحق(1).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾

٦١ ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢]

٦٢ ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي أي أيقدرون على الإعراض والفرار منها لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على يصدون ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلاَّ إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وتَوْفِيقًا﴾ تأليفا بين الخصمين بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرِّ الحق

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾

٦٣ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وعِظْهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وقُل لَّهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم، أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]

٦٤ ﴿ومَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ فيما

هذه الآية، فدعا عثمان، فدفع إليه المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب، لما خرج رسول الله من الكعبة، وهو يتلو هذه الآية: فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك».

قلت: ظاهر هذه أنَّها نزلت في جوف الكعبة.

(١) **أسباب نزول الآية ٥٩**: روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن حُذافة بن قيس إذ بعثه النَّبي ﷺ في سرية». كذا أخرجه مختصرًا.

وقال الداودي: «هذا وهم -يعني الافتراء على ابن عباس- فإنَّ عبد الله بن حُذافة خرج على جيش فغضب فأوقد نارًا وقال: اقتحموا. فامتنع بعض وهمَّ بعض أن يفعل قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حُذافة بالطاعة دون غيره؟، وإن كانت نزلت بعده فإنَّما قيل لهم: إنَّما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم: لِمَ لم تطيعوه؟».

وأجاب الحافظ ابن حجر بأنَّ المقصود في قصته: «فإن تنازعتم في شيء فإنَّهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة، والتوقف فرارًا من النَّار فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرَّد إلى الله والرسول».

وقد أخرج ابن جرير أنَّها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالدٌ أميرًا، فأجار عمارٌ رجلا بغير أمره فتخاصما، فنزلت.

(٢) **أسباب نزول الآية ٦٠**: أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله: «أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا» إلى قوله: «إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا»».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: «كان الجلاس بن الصَّامت، ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر، يدَّعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ فدعوهم إلى الكهان حكَّام الجاهلية فأنزل الله فيهم: «أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ» الآية».

* وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: «كان بين رجل ممن يزعم أنَّه مسلم وبين رجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: أحاكمك إلى أهل دينك - أو قال إلى النبي -؟ لأنَّه قد علم أنَّه لا يأخذ الرِّشوة في الحكم، فاختلفا واتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة، فنزلت».

يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

٦٥ ﴿فلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقا أو شكا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ من غير معارضة (١) .

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) **أسباب نزول الآية ٦٥**: أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: «خاصم الزبير رجلًا من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبي ﷺ: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمتك. فتلوّن وجهه ثمَّ قال: اسق يا زبير ثمَّ احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثمَّ أرسل الماء إلى جارك واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سَعة ، قال الزُّبير: فما أحسب هذه الآيات إلاَّ نزلت في ذلك: «فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ».

* وأخرج الطبراني في الكبير والحميدي في مسنده عن أُمّ سلمة قالت: «خاصم الزبير رجلًا إلى رسول الله ﷺ فقضى للزُّبير فقال الرجل: إنَّما قضى له لأنَّه ابن عمته، فنزلت: «فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ» الآية».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله: «فَلاَ وَرَبِّكَ» الآية، قال: «أنزلت في الزُّبير بن العوَّام، وحاطب ابن أبي بلتعة، اختصما في ماء، فقضى النَّبي ﷺ أَنْ يَسقيَ الأعلى ثمَّ الأسفل».

* وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي الأسود قال: «اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: رُدَّنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: رُدَّنا إلى عمر، فقال: أكذلك؟ قال: نعم فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما مشتملًا على سيفه، فضرب الذي قال ردَّنا إلى عمر فقتله، فأنزل الله: «فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنونَ» الآية». مرسل غريب في إسناده ابنُ لهيعة وله شاهد أخرجه رحيم في تفسيره من طريق عتبة بن ضمرة عن أبيه.

فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾

٦٦ ﴿ولَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مفسرة ﴿اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء ﴿مِّنْهُمْ ولَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ تحقيقا لإيمانهم(١) .

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٧]

٦٧ ﴿وإِذًا﴾ أي لو تثبتوا ﴿لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٨]

٦٨ ﴿ولَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزل :

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

٦٩ ﴿ومَن يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿والشُّهَدَاءِ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿والصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم (٢) .

(١) **أسباب نزول الآية ٦٦**: وأخرج ابن جرير عن السُّدي قال: «لما نزلت «وَلو أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوهْ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُم» تفاخر ثابت بن قيس بن شماس، ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت: والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا، فأنزل الله: «وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَان خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا».

(٢) **أسباب نزول الآية ٦٩**: أخرج الطبراني، وابن مردويه بسند لا بأس به عن عائشة قالت: «جاءَ رَجُل إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّك لأحبُّ إليَّ من نفسي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ من ولدي، وإنِّي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾

٧٠ ﴿ذَلِكَ﴾ أي كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره ﴿الفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تفضل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعاتهم ﴿وكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة، أي فثقوا بما أخبركم به ﴿ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]

٧١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم ، أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَانفِرُوا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٢]

٧٢ ﴿وإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضراً فأصاب

﴿وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]

آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك وعرفتُ أنَّك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النَّبيين وإنِّي إذا دخلت الجنَّة خشيت أن لا أراك. فلم يرد النَّبي ﷺ شيئًا حتَّى نزل عليه جبريل بهذه الآية: «وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ». الآية».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: «قال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله، ما ينبغي لنا أنْ نُفارقك فإنَّك لو قَدْ مِتَّ لرفعت فوقنا ولم نرك. فأنزل الله: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّه والرَّسُولَ» الآية».

* وأخرج عن عكرمة قال: «أتى فتىً النَّبيَّ ﷺ، فقال: يا نبي الله إن لنا فيك نظرة في الدنيا، ويوم القيامة لا نراك، فإنَّك في الجنَّة في الدرجات العُلى. فأنزل الله هذه الآية. فقال رسول الله ﷺ: أنت معي في الجنة إن شاء الله».

* وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن جبير ومسروق والربيع وقتادة والسُّدي.

٧٣ ﴿ولَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمْ تَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله «قد أنعم الله عليَّ» اعترض به بين القول ومقوله وهو ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ آخذ حظا وافرا من الغنيمة

﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]

٧٤ قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ومَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بعدوه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثوابا جزيلا .

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]

٧٥ ﴿ومَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ ، أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ و﴾ في تخليص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والْوِلْدَانِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم. ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ﴾ مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿واجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ولِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿واجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم ، وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولّى ﷺ عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]

٧٦ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أنصار دينه تغلبوهم

لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهيا لا يقاوم كيد الله بالكافرين

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

٧٧ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ القِتَالُ إذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار أي عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ سهم عذاب ﴿اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له ، ونصب أشد على الحال وجواب ﴿لما﴾ دل عليه إذا وما بعدها أي فاجأتهم الخشية ﴿وقَالُوا﴾ جزعا من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيل إلى الفناء ﴿والآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ عقاب الله بترك معصيته ﴿ولا تُظْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء ، تنقصون من أعمالكم ﴿فَتِيلا﴾ قدر قشرة النواة فجاهدوا [1].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]

٧٨ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوْتُ ولَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حصون ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وإن تُصِبْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ خصب وسعة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وإن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمد أي بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ من قبله ﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي لايقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يلقى إليهم ، وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

٧٩ ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ أتتك فضلاً منه ﴿ومَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ حال مؤكدة ﴿وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]

٨٠ ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ومَن تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعتك فلا يهمنك ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ حافظا لأعمالهم بل نذيرا وإلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]

٨١ ﴿ويَقُولُونَ﴾ أي المنافقون إذا جاؤوك أمرنا ﴿طَاعَةٌ﴾ لك ﴿فَإذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ بإدغام التاء في الطاء وتركه أي أضمرت ﴿غَيْرَ الذِي تَقُولُ﴾ لك في حضورك من الطاعة أي عصيانك ﴿واللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يأمر بكتب ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً﴾ مفوضا إليه

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٧٧**: أخرج النسائي، والحاكم عن ابن عباس: «أنَّ عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النَّبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلمَّا آمنَّا صرنا أذلةً. قال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلمَّا حوَّله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفُّوا، فأنزل الله: «أَلَمْ تَرَ إلى الَّذينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكم» الآية».

٨٢ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ﴾ يتأملون ﴿الْقُرْآنَ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ تناقضا في معانيه وتباينًا في نظمه

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]

٨٣ ﴿وإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿مِّنَ الأَمْنِ﴾ بالنصر ﴿أَوِ الخَوْفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة، أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أي يذاع أو لا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ يتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالقرآن ﴿لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلا قَلِيلاً﴾ [١].

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]

٨٤ ﴿فَقَاتِلْ﴾ يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾ حرب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ تعذيبا منهم فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي» فخرج بسبعين راكبا إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم ومنع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]

٨٥ ﴿مَن يَشْفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ موافقة للشرع ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ﴾ من الأجر ﴿مِّنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة له ﴿يَكُن لَّهُ كِفْلٌ﴾ نصيب من الوزر ﴿مِّنْهَا﴾ بسببها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ مقتدرا فيجازي كل أحد بما عمل

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾

٨٦ ﴿وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ كأن قيل لكم سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا﴾ المحيي ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ بأن تقولوا له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ بأن تقولوا له كما قال أي الواجب أحدهما والأول أفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ محاسبا فيجازي عليه ومنه رد السلام، وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمُسَلِّم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير ويقال للكافر: وعليك

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]

٨٧ ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ والله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قبوركم ﴿إِلَى﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ قولا

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨]

---

(١) أسباب نزول الآية ٨٣: روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: «لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دَخَلْتُ المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم» فَكُنْتُ أَنَا استنبطت ذلك الأمر».

٨٨ ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقال فريق نقتلهم وقال فريق لا فنزل ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ شأنكم صرتم ﴿فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿واللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ﴾ ـه ﴿اللَّهُ﴾ أي تعدوهم من جملة المهتدين ، والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ومَن يُضْلِلِ﴾ ـه ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ طريقا إلى الهدى [١].

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

٨٩ ﴿ودُّوا﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وجَدتُّمُوهُمْ ولا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ولِيًا﴾ توالونه ﴿ولا نَصِيرًا﴾ تنتصرون به على عدوكم

(١) **أسباب نزول الآية ٨٨**: روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت: «أنَّ رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم، وفرقة تقول لا. فأنزل الله: «فَمَا لكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ». وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن سعد بن معاذ قال: «خطب رسول الله ﷺ النَّاس، فقال: من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني، فقال سعد بن معاذ: إنْ كان من الأوس قتلناه، وإنْ كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك. فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله ﷺ، ولكن عرفت ما هو منك. فقام أسيد بن حضير فقال: إنَّك يا ابن عبادة منافق تحب المنافقين».

فقام محمد بن مسلمة فقال: «اسكتوا يا أيُّها النَّاس فإنَّ فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفِّذُ أمره، فأنزل الله: «فَمَا لكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ» الآية».

* وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف: «أَنَّ قومًا من العرب أتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة وحُمَّاها، فأركسوا فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقالوا لهم: ما لكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال بعضهم: نافقوا. وقال بعضهم: لم ينافقوا. فأنزل الله: «فَمَا لكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ» الآية». في إسناده تدليس وانقطاع.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]

٩٠ ﴿إلاَّ الَذِينَ يَصِلُونَ﴾ يلجؤون ﴿إلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي ﴿أَوْ﴾ الذين ﴿جَاءُوكُمْ﴾ وقد ﴿حَصِرَتْ﴾ ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم أي ممسكين عن قتالكم فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل ، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿ولَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وأَلْقَوْا إلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الصلح أي انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ طريقا بالأخذ والقتل [١].

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ

(١) **أسباب نزول الآية ٩٠**: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن: «أنَّ سراقة بن مالك المدلجي حدَّثهم قال: لما ظهر النَّبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقة: بلغني أنه يريد أنْ يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته فقلت: أنشدك النِّعمة، بلغني أنَّك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم. فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال: اذهب معه فافعل ما يريد.

فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ وإنْ أسلمت قريش أسلموا معهم، وأنزل الله: «إلاَّ الَّذِينَ يَصِلُون إِلى قَوْمٍ بَيْنَكمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «نزلت: «إلاَّ الَّذِينَ يَصِلُون إلى قَوْمٍ بَيْنَكمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ» في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك المدلجي، وفي بني جذيمة بن عامر ابن عبد مناف».

* وأخرج أيضًا عن مجاهد «أنَّها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه».

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٩١]

٩١ ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿ويَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الفتنة﴾ دعوا إلى الشرك ﴿ أُرْكِسُوا فيها﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بترك قتالكم ﴿و﴾لم ﴿يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ و﴾ لم ﴿يَكُفُّوا﴾ عنكم ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ﴾ وجدتموهم ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ وأُوْلائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]

٩٢ ﴿ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إلاَّ خَطَئًا﴾ مخطئا في قتله من غير قصد ﴿ومَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا﴾ بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالبا ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿ودِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي ورثة المقتول ﴿إلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها ، وبينت السنة أنها مئة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته في الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم ﴿وإن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهوديا أو نصرانيا وثلثا عشرها إن كان مجوسيا ﴿وتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة ، ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم[1] .

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

٩٣ ﴿ومَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالبا عالمًا بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ولَعَنَهُ﴾ أبعده من رحمته ﴿وأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار وهذا مؤول بمن يستحله أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي ، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله ﴿ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وعلى ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفي عنه وسبق قدَرُها ، وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلا يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل غالبا فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ[2] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩٢**: أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «كانِ الحارث بن يزيد من بني عامر بن لؤي، يعذّب عياش بن أبي ربيعة، مع أبي جهل، ثمَّ خرج الحارث مهاجرًا إلى النَّبي ﷺ فلقيه عياش بالحرّة فعلاه بالسيف وهو يحسب أنَّه كافر، ثمَّ جاء النَّبي ﷺ فأخبره، فنزلت: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلاَّ خَطَئًا» الآية». وأخرج نحوه عن مجاهد والسُّدي.

* وأخرج ابن إسحاق، وأبو يعلى، والحارث بن أبي أسامة، وأبو مسلم الكجي ، عن القاسم بن محمد نحوه. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه.

(٢) **أسباب نزول الآية ٩٣**: أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة: «أنَّ رجلًا من الأنصار قتل أخًا مِقْيس بن

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]

٩٤ ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية ، فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ وفي قراءة ﴿فتثبتوا﴾ في الموضعين ﴿ولا تَقُولوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ﴾ بألف أو دونها أي التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وأنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به (١).

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

٩٥ ﴿لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة أو عمى ونحوه ﴿والْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وكُلاً﴾ من الفريقين ﴿وعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى﴾ الجنة ﴿عَلَى القَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

صبابة فأعطاه النبي ﷺ الدية فقبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله.

فقال النبي ﷺ: لا أؤمنه في حِلٍّ ولا حرم. فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» الآية».

(١) **أسباب نزول الآية ٩٤**: روى البخاري، والترمذي، والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: «مرَّ رجل من بني سُليم بنفر من أصحاب النَّبي ﷺ وهو يسوق غنمًا له، فسلَّم عليهم فقالوا: ما سلَّم علينا إلا ليتعوَّذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النَّبي ﷺ، فنزلت: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ» الآية».

* وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجلٌ له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، فقتله المقداد، فقال له النَّبي ﷺ: كيف لك بلا إله إلاَّ الله غدًا، وأنزل الله هذه الآية».

* وأخرج أحمد، والطبراني، وغيرهما عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال : «بعثنا رسول الله ﷺ في نفرٍ من المسلمين فيهم أبو قتادة، ومحلم بن جثَّامة، فمر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلَّم علينا فحمل عليه محلم فقتله، فلمَّا قدمنا على النَّبي ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُم في سَبيل الله» الآية».

* وأخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: «أن إسم المقتول مِرداس بن نِهيك من أهل فدك، وأنَّ اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السَّرية غالب بن فُضالة اللَّيثي، وأنَّ قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان ألجأ غنمه بجبل، فلمَّا لحقوه قال: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، السَّلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد، فلمَّا رجعوا أنزلت الآية».

* وأخرج ابن جرير من طريق السُّدي نحوه. وأخرج عبد من طريق قتادة نحوه.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن أبي الزُّبير عن جابر قال: «أنزلت هذه الآية «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام» في مرداس، وهو شاهد حسن».

* وأخرج ابن منده عن جزء بن الحدرجان قال: «وفد أخي مقداد إلى النبي ﷺ من اليمن فلقيته سرية النبي ﷺ فقال لهم: أنا مؤمن فلم يقبلوا منه وقتلوه ، فبلغني ذلك فخرجت إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ في سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُوا» فأعطاني النَّبيُّ ﷺ دية أخي».

(١) **أسباب نزول الآية ٩٥**: روى البخاري عن البراء قال: «لما نزلت: «لا يَسْتَوي القَاعِدُونَ مِنَ المؤمنين» قال النَّبي ﷺ: أدع فلانًا فجاء ومعه الدواة واللَّوح أو الكتف، فقال اكتب: «لا يَسْتَوي القَاعِدُون مِن المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» وخَلْفَ النَّبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال يا رسول الله: أنا ضرير، فنزلت مكانها «لا يَسْتَوي القَاعِدُون مِنَ المؤمنين غَيْرَ أولي الضَّرر»..................................=

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

٩٦ ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً ورَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ بأهل طاعته ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]

٩٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي في شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معتذرين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخا ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم قال الله تعالى ﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي [1].

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾

٩٨ ﴿إِلاَّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والوِلْدَانِ﴾ الذين ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿ولا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ طريقا إلى أرض الهجرة

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]

٩٩ ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

١٠٠ ﴿ومَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ مهاجرا ﴿كَثِيرًا وسَعَةً﴾ في الرزق ﴿ومَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ﴾ في الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿فَقَدْ وقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [1].

= وروى البخاري وغيره من حديث زيد بن ثابت. والطبراني من حديث زيد بن أرقم. وابن حبان من حديث الفلتان بن عاصم نحوه. وروى الترمذي نحوه من حديث ابن عباس وفيه قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنَّا أعميان. وقد سيقت أحاديثهم في ترجمان القرآن. وعند ابن جرير من طرق كثيرة مرسلة نحو ذلك.

(١) **أسباب نزول الآية ٩٧**: روى البخاري عن ابن عباس: «أن أناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثّرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيقتل، فأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ»».

* وأخرجه ابن مردويه، وسمى منهم في روايته قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبا قيس بن الفاكه بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، وعمرو بن أمية بن سفيان، وعلي بن أمية بن خلف، وذكر في شأنهم أنّهم خرجوا إلى بدر، فلمّا رأوا قلة المسلمين دخلهم شك، وقالوا: غرَّ هؤلاء دينهم فقتلوا ببدر.

* وأخرجه ابن أبي حاتم وزاد منهم: الحارث بن زمعة بن الأسود، والعاص بن منبه بن الحجاج.

* وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: «كان قوم بمكة قد أسلموا فلمّا هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ توفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم». إلى قوله: «إِلاَّ المُسْتَضْعَفِينَ»».

* وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال: «كان قوم من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ» الآية. فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم، وأنَّه لا عذر لهم، فخرجوا فلحق بهم المشركون ففتنوهم فرجعوا، فنزلت: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِالله فَإذا أُوذِيَ في الله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ الله»، فكتب إليهم المسلمون بذلك فتحزنوا، فنزلت: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا» الآية، فكتبوا إليهم بذلك، فخرجوا فلحقوهم، فنجا من نجا وقُتِلَ من قُتِل».

وأخرج ابن جرير من طرق كثيرة نحوه.

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٠**: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو يعلى بسند جيد عن ابن عباس قال: «خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرًا فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أنْ يصل إلى النبيِّ ﷺ فنزل الوحي: «وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا» الآية». وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير «عن أبي ضمرة الزرقي، وكان بمكة، فلما نزلت: «إِلاَّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً» فقال: إنِّي لغنيّ،

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]

١٠١ ﴿وإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان للواقع ، وبينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعي ﴿إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بين العداوة (١) .

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

١٠٢ ﴿وإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضرا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿ولْيَأْخُذُوا﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿مِن ورَائِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿ولْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ولْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة ، وقد فعل النبي ﷺ كذلك ببطن نخل رواه الشيخان ﴿ودَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً واحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا

وإني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا».

* وأخرج ابن جرير نحو ذلك من طرق عن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسُّدي والضحاك وغيرهم، وسمى في بعضها ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة، وفي بعضها جندب بن ضمرة الجُنْدعيّ، وفي بعضها الضمري، وفي بعضها رجل من بني ضمرة، وفي بعضها رجل من بني خزاعة، وفي بعضها رجل من بني ليث، وفي بعضها من بني كنانة، وفي بعضها من بني بكر.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات عن زيد بن عبد الله بن قسط: «أنَّ جندع بن ضمرة الضَّمري كان بمكة، فمرض فقال لبنيه: أخرجوني من مكة فقد قتلني غمّها، فقالوا: إلى أين؟ فأومأ بيده نحو المدينة يريد الهجرة، فخرجوا به، فلما بلغوا أضاة بني غفار مات، فأنزل الله فيه: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِرًا» الآية».

* وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده والبارودي في الصَّحابة عن هشام بن عروة عن أبيه: أنَّ الزُّبير بن العوَّام قال: «هاجر خالد بن حرام إلى أرض الحبشة، فنهشته حيَّة في الطريق فمات، فنزلت فيه: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا» الآية».

* وأخرج الأموي في مغازيه عن عبد الملك بن عمير قال: «لما بلغ أكثم بن صيفيّ مخرج النَّبي ﷺ أراد أن يأتِيَه فأبى قومُه أنْ يدعوه قال: فليأت من يبلغه عني ويبلغني عنه، فانتدب له رجلان، فأتيا النَّبي ﷺ، فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي يسألك من أنت وما أنت وبم جئت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثمَّ تلا عليهم: «إنَّ الله يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ» الآية، فأتيا أكثم فقالا له ذلك.

قال: أيْ قوم إنَّه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذنابًا فركب بعيره متوجهًا إلى المدينة فمات في الطريق، فنزلت فيه: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا» الآية، مرسل إسناده ضعيف».

* وأخرج أبو حاتم في كتاب المعمرين من طريقين عن ابن عباس: «أنَّه سئل عن هذه الآية، فقال: نزلت في أكثم بن صيفيّ، قيل فأين اللَّيثي؟ قال: ذا قَبْلُ الليثي بزمان وهي خاصة عامة».

(١) **أسباب نزول الآية ١٠١:** أخرج ابن جرير عن علي قال: سأل قوم من التجار رسول الله ﷺ، فقالوا : يا رسول الله إنَّا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ في الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَة» ثمَّ انقطع الوحي، فلمَّا كان بعد ذلك بحَوْلٍ غزا النَّبيُّ ﷺ فصلَّى الظهر، فقال المشركون: لقد أمْكَنَكم مُحَمَّدٌ وأصحابه من ظهورهم هلاَّ شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إنَّ لهم أخرى مثلها في إثرها، فأنزل الله بين الصلاتين: «إنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى قوله: « عَذَابًا مُهِينًا» . فنزلت صلاة الخوف.

أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعي والثاني أنه سنة ورجح ﴿وخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة [1].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾

١٠٣ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَامًا وقُعُودًا وعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ مكتوبا أي مفروضا ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي مقدرا وقتها فلا تؤخر عنه

ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

١٠٤ ﴿ولا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿القَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدونَ ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي مثلكم ولا يجبنون على قتالكم ﴿وتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لا يَرْجُونَ﴾ هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٢:** وأخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن أبي عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون وعليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلَّى بنا النبي ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثمَّ قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر «وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ» الحديث. وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة. وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله، وابن عباس.
* أخرج البخاري عن ابن عباس قال نزلت: «إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىً مِنْ مَطَر أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى» في عبد الرحمن بن عوف حينما كان جريحًا.

شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾

١٠٥ وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه فنزل ﴿إِنَّا أنزلْنَا إلَيْكَ الكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿ولا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصما عنهم [1].

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٥:** روى التِّرمذي، والحاكم، وغيرهما، عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيتٍ منَّا يقال لهم بنو أبيرقٍ بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلًا منافقًا، يقول الشِّعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثمَّ يَنْحَلهُ بعض العرب، يقول: قال فلان كذا..... وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان النَّاس إنَّما طعامهم بالمدينة التَّمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حِملًا من الدرمك، فجعله في مشربة له فيها سلاح «درع وسيف» فعُدِي عليهِ من تحت فنُقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رِفاعة فقال: يا ابن أخي إنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه فنُقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا. فتجسَّسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق ونحن نسأل في الدار: والله ما نَرى صاحبكم إلاَّ لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق والله ليُخالطنَّكم هذا السيف أو لتبيننَّ هذه السَّرقة، قالوا: إليك عنَّا أيها الرَّجل فما أنت بصاحبها. فسألنا في الدار حتى لم نشك أنَّهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فأتيته فقلت: أهل بيت منَّا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: سأنظر في ذلك. فلما سمع بنو أبيْرق أتوْا رجلًا منهم يقال له أسير بن عُروة، فكلَّموه في ذلك فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار، فقالوا : يا رسول الله: إنَّ قتادة بن النُّعمان وعمَّه عمدا إلى أهل بيت منَّا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بيّنة ولا ثبْت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقال: عمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبْت ولا بيّنة؟ فرجعت... فأخبرت عمي فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ الله وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» بني أبيرق «واستغفر الله» أي مما قلت لقتادة إلى قوله: «عظيمًا».
فلمَّا نزل القرآن أُتيَ رسول الله ﷺ بالسِّلاح فردَّه إلى

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

١٠٦ ﴿واستغفر اللّه﴾ مما هممت به ﴿إنّ اللّه كانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾

١٠٧ ﴿ولا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أثِيمًا﴾ أي يعاقبه

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]

١٠٨ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي طعمة وقومه حياء ﴿مِنَ النَّاسِ ولا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علما

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩]

١٠٩ ﴿هَا أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَادَلْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي عن طعمة وذويه وقرئ ﴿عنه﴾ ﴿في الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ إذا عذبهم ﴿أم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وكِيلًا﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم أي لا أحد يفعل ذلك

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

١١٠ ﴿ومَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنبا يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أو يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنبا قاصرا عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه أي يتب ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَّحِيمًا﴾ به

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١١]

١١١ ﴿ومَن يَكْسِبْ إثْمًا﴾ ذنبا ﴿فَإنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

[النساء: ١١٢]

١١٢ ﴿ومَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنبا صغيرا ﴿أوْ إثْمًا﴾ ذنبا كبيرا ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿بُهْتَانًا﴾ برميه ﴿وإثْمًا مُّبِينًا﴾ بينا بكسبه

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

١١٣ ﴿ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ورَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّت﴾ أضمرت ﴿طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿ومَا يُضِلُّونَ إلا أَنفُسَهُمْ ومَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ﴾ القرآن ﴿والحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾

رفاعة، ولحق بشير بالمشركين، فنزل على سُلافة بنت سعد، فأنزلَ الله: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى» إلى قوله: «ضَلالا بَعِيدًا» قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال: عدا بشير بن الحارث على عِليةِ رِفاعة بن زيد عم قتادة بن النُّعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعامًا له ودرعين بأداتهما، فأتى قتادة النَّبي ﷺ فأخبره بذلك، فدعا بشيرًا فسألَهُ فأنكر، ورمى بذلك لبيد بن سهل - رجلًا من أهل الدار ذا حسب ونسب - فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد: «إنَّا أنْزَلْنَا إلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس» الآيات.

فلمَّا نزل القرآن في بشير وعُثر عليه هرب إلى مكة مرتدًّا، فنزل على سلافة بنت سعد، فجعل يقع في النَّبي ﷺ وفي المسلمين، فنزل فيه: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ» الآية، وهجاه حسان بن ثابت حتى رجع، وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربع من الهجرة.

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]

١١٤ ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ أي الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إلا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل بر ﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء أي الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

١١٥ ﴿ومَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿ويَتَّبِعْ﴾ طريقا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ﴾ أي طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ نجعله واليا لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿ونُصْلِهِ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعا هي

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾

١١٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ومَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحق

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]

١١٧ ﴿إن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله ، أي غيره ﴿إلاَّ إِنَاثًا﴾ أصناما مؤنثه كاللات والعزى ومناة ﴿وإن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ خارجا عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]

١١٨ ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وقَالَ﴾ أي الشيطان ﴿لأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ ﴿مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعا أدعوهم إلى طاعتي

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾

١١٩ ﴿ولأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿ولأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة أن لا بعث ولا حساب ﴿ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ﴿آذَانَ الأَنْعَامِ﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر ﴿ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ دينه بالكفر وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿ومَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ ولِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ بيناً لمصيره إلى النار المؤبدة عليه .

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]

١٢٠ ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طول العمر ﴿ويُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿ومَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إلاَّ غُرُورًا﴾ باطلا

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾

١٢١ ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ولا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلا

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]

١٢٢ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقه حقا ﴿ومَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ أي قولا.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]

١٢٣ ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطا ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ ولا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ إما في الآخرة أو الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث ﴿ولا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وليًّا﴾ يحفظه ﴿ولا نَصِيرًا﴾ يمنعه منه[1].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]

١٢٤ ﴿ومَن يَعْمَلْ﴾ شيئا ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿الجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر نقرة النواة

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]

١٢٥ ﴿ومَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وجْهَهُ﴾ أي انقاد واخلص عمله ﴿لِلَّهِ وهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال أي مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿واتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيا خالص المحبة له

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٢٣** : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قالت اليهود والنصارى: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: إنا لا نُبعث، فأنزل الله: «ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب».

* وأخرج ابن جرير عن مسروق قال: تفاخر النصارى وأهل الإسلام فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، وقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، فأنزل الله: «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أمانيّ أَهْلِ الكِتاب».

* وأخرج أيضًا نحوه عن قتادة والضحاك والسُّدي وأبي صالح، ولفظهم: تفاخر أهل الأديان، وفي لفظ: جلس ناس من اليهود وناس من النصارى

وناس من المسلمين فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل فنزلت.

* وأخرج أيضًا عن مسروق قال: لما نزلت: «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ» قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]

١٢٦ ﴿ولِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ علما وقدرة أي لم يزل متصفا بذلك

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]

١٢٧ ﴿ويَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿في﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ومَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضا ﴿في يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وتَرْغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعا في ميراثهن أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿و﴾ في ﴿المُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ الوِلْدَانِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ويأمركم ﴿و﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿ومَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم به[1].

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٢٧** : روى البخاري عن عائشة في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، هو وليها ووارثها، قد شركته في مالها حتّى في العَذِق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوّجها رجلًا، فيشركه في مالها فيعضلَها، فنزلت.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي: كان لجابر بنت عم دميمة ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها ولا يُنْكِحها خشية أن يذهب الزّوج بمالها، فسأل النّبي ﷺ عن ذلك فنزلت.

١٢٨ ﴿وإنِ امْرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ توقعت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ ترفعا عنها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يُصْلِحَا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي قراءة ﴿يُصلِحا﴾ من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿والصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿وأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ شدة البخل أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه ، المعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وإن تُحْسِنُوا﴾ عشرة النساء ﴿وتَتَّقُوا﴾ الجور عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]

١٢٩ ﴿ولَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿ولَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي تتركوا الممال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيم ولا هي ذات بعل ﴿وإن تُصْلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]

١٣٠ ﴿وإن يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاً﴾ عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ أي فضله بأن يرزقها زوجا غيره ويرزقه غيرها ﴿وكَانَ اللَّهُ واسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لهم

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١]

١٣١ ﴿ولِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ ولَقَدْ وصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿وإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿و﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إن تَكْفُرُوا﴾ بما وصيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقا وملكا وعبيدا فلا يضره كفركم ﴿وكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ في صنعه بهم

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢]

١٣٢ ﴿ولِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ﴾ كرره تأكيدا لتقرير موجب التقوى ﴿وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً﴾ شهيدا بأن ما فيهما له

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]

١٣٣ ﴿إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ ويَأْتِ

---

(١) أسباب نزول الآية ١٢٨ : روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: فرِقَتْ سودة أنْ يفارقها رسول الله ﷺ حين أَسَنَّت فقالت: يومي لعائشة، فأنزل الله: «وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا» الآية.

* وروى الترمذي مثله عن ابن عباس.

* وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرًا إما كِبَرًا أو غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله: «وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ» الآية.

* وله شاهد موصول ، أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج.

أخرج الحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية: «وَالصُّلْحُ خَيْرٌ» في رجل كانت تحته امرأة قد ولدت له أولادًا، فأراد أنْ يستبدل بها، فراضته على أن تقرَّ عنده ولا يقسم لها.

* وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاءت امرأة حين نزلت هذه الآية: «وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا» قالت: إنِّي أريد أنْ تقسم لي من نفقتك، وقد كانت رضيت أنْ يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها، فأنزل الله: «وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ» الآية.

بِآخَرِينَ﴾ بدلكم ﴿وكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]

١٣٤ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدكم الأخس وهلا طلب الأعلى باخلاص له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]

١٣٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿لِلَّهِ ولَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوِ﴾ على ﴿الوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ إن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ منكم وأعلم بمصالحهما ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى﴾ في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له ﴿أَن﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا﴾ تميلوا عن الحق ﴿وإن تَلْوُوا﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة ﴿تلُوا﴾ بحذف الواو الأولى تخفيفا ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]

١٣٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ ورَسُولِهِ والكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿والْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ على الرسل بمعنى الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين ﴿ومَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحق

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ [النساء: ١٣٧]

١٣٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿ولا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ طريقا إلى الحق

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]

١٣٨ ﴿بَشِّرِ﴾ أخبر يا محمد ﴿المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما هو عذاب النار

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]

١٣٩ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت المنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِندَهُمُ العِزَّةَ﴾ استفهام إنكار، أي لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]

١٤٠ ﴿وقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ﴾ القرآن في سورة الأنعام ﴿أَنْ﴾ مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿إذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾ أي الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إنَّكُمْ إذًا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم ﴿إنَّ اللَّهَ جَامِعُ

(١) أسباب نزول الآية ١٣٥: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: لما نزلت هذه الآية في النبي ﷺ اختصم إليه رجلان غني وفقير، وكان ﷺ مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير.

المُنَافِقِينَ والْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]

١٤١ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ﴿وإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿و﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة ، قال تعالى ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿ولَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ طريقا بالاستئصال

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]

١٤٢ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر فيدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وهُوَ خَادِعُهُم﴾ مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كُسَالَى﴾ متثاقلين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿ولا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ رياء

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾

١٤٣ ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لا﴾ منسوبين ﴿إِلَى هَؤُلاءِ﴾ أي الكفار ﴿ولا إِلَى هَؤُلاءِ﴾ أي المؤمنين ﴿ومَن يُضْلِلِ﴾ ـه ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ طريقا إلى الهدى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]

١٤٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بموالاتهم ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]

١٤٥ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ﴾ المكان ﴿الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿ولَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعا من العذاب

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]

١٤٦ ﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق ﴿وأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿واعْتَصَمُوا﴾ وثقوا ﴿بِاللَّهِ وأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة وهو الجنة

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

١٤٧ ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمه ﴿وآمَنتُمْ﴾ به والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿وكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]

١٤٨ ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد أي يعاقبه عليه ﴿إلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل (١)

(١) **أسباب نزول الآية ١٤٨**: أخرج هنّاد بن السَّري في «كتاب الزهد» عن مجاهد قال: أنزلت: «لاَ يُحِبُّ الله الجَهْرَ

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]

١٤٩ ﴿إن تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سرا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠]

١٥٠ ﴿إنَّ الَذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ويُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ ورُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿ويَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿ويُرِيدُونَ أن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلا﴾ طريقا يذهبون إليه

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥١]

١٥١ ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة وهو عذاب النار

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢]

١٥٢ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿ولَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ بأهل طاعته

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣]

١٥٣ ﴿يَسْئَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلُ الكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى تعنتا فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي آباؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت عقابا لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه [(١)].

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤]

١٥٤ ﴿ورَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فقبلوه ﴿وقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مظلٌّ عليهم ﴿ادْخُلُوا البَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿وقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال ﴿تعَدّوا﴾ أي لا تتعدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظا﴾ على ذلك فنقضوه

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]

١٥٥ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف ، أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِّيثَاقَهُمْ وكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تعي كلامك ﴿بَل طَبَعَ﴾ ختم ﴿اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾

بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِمْ» في رجل أَضافَ رجلًا بالمدينة، فأساءَ قِراه، فتحوَّل عنه فجعل يثني عليه بما أولاه، فرخص له أن يثني عليه بما أولاه.

(١) **أسباب نزول الآية ١٥٣** : أَخرج ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظيّ قال: جاء ناس مِن اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنَّ موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله: «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ». إِلى قوله: «بُهْتَانًا عَظِيمًا» (فجثا رجلٌ من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحدٍ شيئًا، فأنزل الله: «وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ» الآية).

فلا تعي وعظا ﴿فَلا يُؤْمِنُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]

١٥٦ ﴿وبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانيا بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾

[النساء: ١٥٧]

١٥٧ ﴿وقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم، أي بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيبا لهم في قتله ﴿ومَا قَتَلُوهُ ومَا صَلَبُوهُ ولَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى، أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وإنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به وقال آخرون بل هو هو ﴿مَا لَهُم بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع، أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿ومَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]

١٥٨ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إلَيْهِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

[النساء: ١٥٩]

١٥٩ ﴿وإن﴾ ما ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ أحد ﴿إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في حديث ﴿ويَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه لما بعث إليهم

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]

١٦٠ ﴿فبِظُلْمٍ﴾ أي فبسبب ظلم ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ الآية ﴿وبِصَدِّهِمْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صدا ﴿كَثِيرًا﴾

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

[النساء: ١٦١]

١٦١ ﴿وأَخْذِهِمُ الرِّبَا وقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشا في الحكم ﴿وأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ١٦٢]

١٦٢ ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون ﴿فِي العِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿والْمُؤْمِنُونَ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إلَيْكَ ومَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿والْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾ نصب على المدح وقرئ بالرفع ﴿والْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ والْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]

١٦٣ ﴿إنَّا أَوْحَيْنَا إلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلَى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ و﴾ وكما ﴿أَوْحَيْنَا إلَى إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ﴾ ابنيه ﴿ويَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق

﴿والأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وعِيسَى وأَيُّوبَ ويُونُسَ وهَارُونَ وسُلَيْمَانَ وآتَيْنَا﴾ أباه ﴿دَاوُدَ زَبُورًا﴾ بالفتح اسم للكتاب المؤتى، وبالضم مصدر بمعنى مزبورا أي مكتوبا (١).

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]

١٦٤ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿رُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ورُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ في سورة غافر ﴿وكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ بلا واسطة ﴿تَكْلِيمًا﴾

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

١٦٥ ﴿رُسُلاً﴾ بدل من رسلا قبله ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثواب من آمن ﴿ومُنذِرِينَ﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ تقال ﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿الرُّسُلِ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ونَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]

١٦٦ ونزل لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يبين نبوتك ﴿بِمَا أنزَلَ إلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز ﴿أنزَلَهُ﴾ ملتبسا ﴿بِعِلْمِهِ﴾ أي عالما به أو وفيه علمه ﴿والْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ لك أيضا ﴿وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك (٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]

١٦٧ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام بكتمهم نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحق

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء: ١٦٨]

١٦٨ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وظَلَمُوا﴾ نبيه بكتمان نعته ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ولا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ من الطرق

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٩]

١٦٩ ﴿إلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الطريق المؤدي إليها ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدًا وكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هينا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠]

١٧٠ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِالْحَقِّ مِن﴾ عند ﴿رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا﴾ به واقصدوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ مما أنتم فيه ﴿وإن تَكْفُرُوا﴾ به ﴿فَإنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا فلا يضره كفركم ﴿وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٦٣**: قوله تعالى: «إنا أوحينا إليك» الآية. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عديّ بن زيد: «ما نعلم أنّ الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى»، فأنزل الله الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ١٦٦**: روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: إنّي والله أعلم أنّكم لتعلمون أنّي رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله: «لكنِ اللهُ يَشْهَدُ».

١٧١ ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ﴾ الإنجيل ﴿لا تَغْلُوا﴾ تتجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ﴾ القول ﴿الحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ أوصلها الله ﴿إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ﴾ أي ذو روح ﴿منه﴾ أضيف إليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله أو إلها معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ولا تَقُولُوا﴾ الآلهة ﴿ثَلاثَةٌ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿انتَهُوا﴾ عن ذلك وأتوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ منه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ واحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُ ولَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقا وملكا وعبيدا والملكية تنافي النبوة ﴿وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً﴾ شهيدا على ذلك

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]

١٧٢ ﴿لَن يَسْتَنكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿المَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ولا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدا وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم ﴿ومَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ ويَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ في الآخرة

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣]

١٧٣ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ويَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا واسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما هو عذاب النار ﴿ولا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿ولِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿ولا نَصِيرًا﴾ يمنعهم منه

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]

١٧٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ﴾ حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ بينا وهو القرآن

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]

١٧٥ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالقرآن ﴿واعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وفَضْلٍ ويَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا﴾ طريقا ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ هو دين الإسلام

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]

١٧٦ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلالة ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ ولَدٌ﴾ أي ولا والد وهو الكلالة ﴿ولَهُ أُخْتٌ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وهُوَ﴾ أي الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَا﴾ جميع ما تركت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا ولَدٌ﴾ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل من نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي الأختان ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ أي فصاعدا لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وإِن كَانُوا﴾ أي الورثة ﴿إِخْوَةً رِّجَالاً ونِسَاءً فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿أَن تَضِلُّوا واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أي من الفرائض(١).

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٧٦:** روى النسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: اشتكيت فدخل عليَّ رسول الله ﷺ،

٥- سورة المائدة

مدنية وآياتها عشرون ومائة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]

١ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتْ لكم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿إلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ﴾ الآية ، فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي مُحرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم ﴿إنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة ، أي معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿ولا الشَّهْرَ الحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿ولا الهَدْيَ﴾ ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿ولا القَلائِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿ولا﴾ تحلوا ﴿آمِّينَ﴾ قاصدين ﴿البَيْتَ الحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً﴾ رزقا ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿ورِضْوَانًا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد ، وهذا منسوخ بآية براءة ﴿وإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر إباحة ﴿ولا يَجْرِمَنَّكمْ﴾ يكسبنكم ﴿شَنَآنُ﴾ بفتح النون وسكونها ، بغض ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿والتَّقْوَى﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿ولا تَعَاوَنُوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿والْعُدْوَانِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿واتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ لمن خالفه (١) .

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ

= فقلت: يا رسول الله أَوصي لأخواتي بالثُّلث قال: أحسن، قلت بالشَّطر، قال: أَحسن ثمَّ خرج ثم دخل عليَّ قال: لا أراك تموت في وجعك هذا إنَّ الله أنزل وبيَّن ما لأخواتك وهو الثلثان. فكان جابر يقول:

* نزلت هذه الآية فيَّ: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ».

* قال الحافظ ابن حجر: هذه قصة أُخرى لجابر غير التي تقدمت في أَوَّل السورة.

* وأخرج ابن مردويه عن عمر: أَنَّه سأَل النَّبي ﷺ كيف يُوَرَّث الكلالة؟ فأنزل الله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُل الله يُفْتِيكم فِي الكلالَةِ» إلى آخرها.

«تنبيه» : إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة عرفت الرَّد على من قال بأنها مكية.

(١) أسباب نزول الآية ٢ :

أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعامًا فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم، فلما ولَّى خارجًا نظر إليه فقال لمن عنده: لقد دخل عليَّ بوجه فاجر وولى بقفا غادر، فلمَّا قدم اليمامة ارتدَّ عن الإسلام، وخرج في عير له تحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلمَّا سمع به أَصحاب النَّبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره، فأنزل الله: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ الله» الآية، فانتهى القوم.

* وأخرج عن السُّدي نحوه.

* قوله تعالى: «وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ».

* أخرج ابن أَبي حاتم، عن زيد بن أَسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدَّهم المشركون عن البيت، وقد اشتدَّ ذلك عليهم، فمرَّ بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النَّبي ﷺ نصدُّ هؤلاء كما صدُّوا أَصحابنا، فأنزل الله: «وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ» الآية.

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]

٣ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ﴾ أي أكلها ﴿والدَّمُ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿ولَحْمُ الخِنزِيرِ ومَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿والْمُنْخَنِقَةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿والْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولة ضرباً ﴿والْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿والنَّطِيحَةُ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿ومَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه ﴿إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿ومَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿النُّصُبِ﴾ جمع نصاب وهي الأصنام ﴿وأن تَسْتَقْسِمُوا﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿بِالأَزْلامِ﴾ جمع زَلَم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام ، قِدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم انتهوا ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ خروج عن الطاعة ، ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين ﴿ورَضِيتُ﴾ أي اخترت ﴿لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لإِثْمٍ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ﴾ به في إباحته له بخلاف المائل لإثم أي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلا فلا يحل له الأكل[1].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]

٤ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات ﴿و﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ الجَوَارِحِ﴾ الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من كلَّبْتُ الكلب بالتشديد أي أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال من ضمير مكلبين أي تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلنه إن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبهن فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿واذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند إرساله ﴿واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾[1].

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣:**

* أخرج ابن منده في كتاب الصَّحابة، من طريق عبد الله ابن جبلة بن حبان بن أبجر عن أبيه عن جده حبان قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر.

(١) **أسباب نزول الآية ٤:**

* روى الطبراني، والحاكم، والبيهقي وغيرهم عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النَّبي ﷺ، فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: قد أذنَّا لك قال: أجل، ولكنَّا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب، فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع: لا تدع كلبًا بالمدينة إلاَّ قتلته، فأتاه النَّاس، فقالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُم» الآية.

* وروى ابن جرير عن عكرمة: أَنَّ الرَّسول ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب ، حتى بلغ العوالي، فدخل عاصم بن عدي، وسعد بن خيثمة، وعويم بن ساعدة، فقالوا: ماذا أحل لنا يا رسول الله؟ فنزلت: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُم» الآية.

* وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: لمَّا أمر النَّبي ﷺ بقتل الكلاب قالوا : يا رسول الله ماذا يحلُّ لنا من هذه الأمة؟ فنزلت.

* وأخرج من طريق الشّعبي: أَنَّ عديًّ بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدرِ ما يقول له حتى نزلت هذه الآية: «تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ الله». * وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير: أَنَّ عديَّ بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائيين، سألا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله إنَّا قومٌ نصيد بالكلاب والبُزاة، وإنَّ كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظِّباء، وقد حرَّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟ فنزلت: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ».

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]

٥ ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات ﴿وطَعَامُ الَذِينَ أوتُوا الكِتَابَ﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلٌ﴾ حلال ﴿لَّكُمْ وطَعَامُكُمْ﴾ إياهم ﴿حِلٌّ لَّهُمْ والمُحْصَنَاتُ مِنَ المُؤْمِنَاتِ والمُحْصَنَاتُ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿ولا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ منهن تسرون بالزنا بهن ﴿ومَن يَكْفُرْ بِالإيمَانِ﴾ أي يرتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه ﴿وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ إذا مات عليه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]

٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي أردتم القيام ﴿إلَى الصَّلاةِ﴾ وأنتم محدثون ﴿فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إلَى المَرَافِقِ﴾ أي معها كما بينته السنة ﴿وامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض الشعر وعليه الشافعي ﴿وأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب عطفا على أيديكم وبالجر على الجوار ﴿إلَى الكَعْبَيْنِ﴾ أي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وإن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ فاغتسلوا ﴿وإن كُنتُم مَّرْضَى﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ﴾ أي أحدث ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ سبق مثله في آية النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابا طاهرا ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُم﴾ مع المرفقين ﴿مِّنْهُ﴾ بضربتين والباء للإلصاق ، وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿ولَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿ولِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه (١) .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٦:**

* روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ، ونزل فثنى رأسه في حجري راقدًا، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست النَّاس في قلادة. ثمَّ إنَّ النَّبي ﷺ استيقظ وحضرت الصّبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: «يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاة». إلى قوله: «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للنَّاس فيكم يا آل أبي بكر.

* وروى الطبراني من طريق عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن عائشة قالت: لما كان من أمر عِقْدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا، خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضًا عقدي حتى حبس النَّاس على التماسه، فقال لي أبو بكر: بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على النَّاس، فأنزل الله الرُّخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنَّكِ لمباركة.

(تنبيهان): الأول: ساق البخاري هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث، وفيه التصريح بأنَّ آية التَّيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرُّواة قالوا: «فنزلت آية التيمم ولم يبيّنوها».

* وقد قال ابن عبد البر: «هذه معضلة ما وجدْتُ لدائها دواء، لأنَّا لا نعلم أيَّ الآيتين عنت عائشة».

* وقد قال ابن بطال: «هي آية النِّساء». ووجَّهه بأَنَّ آية المائدة تُسمى آية الوضوء، وآية النِّساء لا ذكر للوضوء بها، فيتجه تخصيصها بآية التَّيمم.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]

٧ ﴿واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿ومِيثَاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي واثَقَكُم بِهِ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعْنَا وأَطَعْنَا﴾ في كل ما تأمر به وتنهى مما نحب ونكره ﴿واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب فبغيرها أولى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]

٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿ولا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَآنُ﴾ بغض ﴿قَوْمٍ﴾ أي الكفار ﴿عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿اعْدِلُوا﴾ في العدو والولي ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]

٩ ﴿وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعداً حسناً ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠]

١٠ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١]

١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ هم قريش ﴿أَن يَبْسُطُوا﴾ يمدوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿واتَّقُوا اللَّهَ وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ [1] .

= وأورد الواحدي هذا الحديث في أسباب النزول عند ذكر آية النساء أيضًا، ولا شك أنَّ الذي مال إليه البخاري من أنَّها آية المائدة هو الصَّواب للتَّصريح بها في الطريق المذكور.

الثاني: دلَّ الحديث على أنَّ الوضوء كان واجبًا عليهم قبل نزول الآية، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء، ووقع من أبي بكر في حقِّ عائشة ما وقع.

* قال ابن عبد البر: «معلوم عند جميع أهل المغازي أنَّه ﷺ لم يصلِّ منذ فرضت عليه الصَّلاة إلاَّ بوضوء ولا يدفع ذلك إلاَّ جاحد أو معاند».

* قال: «والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوًا بالتنزيل».

* وقال غيره: «يحتمل أن يكون أَوَّل الآية نزل مقدمًا مع فرض الوضوء، ثمَّ نزل بقيتها - وهو ذكر التَّيمم - في هذه القصة».

* قلت: الأَوَّل أَصوب، فإنَّ فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة، والآية مدنية.

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١** :

* أخرج ابن جرير، عن عكرمة، ويزيد بن أبي زياد، واللَّفظ له: أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب ابن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه، فقالوا: نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس، فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شرًا أبدًا.

* فجاؤوا إلى رحى عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثمة، فأنزل الله: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ» الآية.

* وأخرج نحوه عن عبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمير بن قتادة، ومجاهد ، وعبد الله بن كثير، وأبي مالك.

* وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة، وبنو محارب، أنْ يفتكوا بالنَّبي ﷺ فأرسلوا إليه الأعرابي يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال: من يحول بيني وبينك؟ فقال: الله، فشام السيف ولم يعاقبه.

* وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الحسن، عن جابر بن عبد الله: أنَّ رجلًا من مُحارب يقال له: «غورث بن الحارث» قال لقومه: أقتل لكم محمدًا ، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا، قال: نعم، فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبته الله تعالى ، فقال: يا محمد أما تخافني؟ قال: لا، قال:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢]

١٢ ﴿ولَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة أقمنا ﴿مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وقَالَ﴾ لهم ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وآمَنتُم بِرُسُلِي وعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ولأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق والسواء في الأصل الوسط

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]

١٣ فنقضوا الميثاق قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما زائدة ﴿مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿ونَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيبا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﴿ولا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾ أي خيانة ﴿مِّنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ ممن أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف

أما تخافني والسيف في يدي؟ قال: لا، يمنعني الله منك، ثمّ أغمد السّيف ورده إلى رسول الله، فأنزل الله الآية.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]

١٤ ﴿ومِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ متعلق بقوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]

١٥ ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿مِنَ الكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته ﴿ويَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وكِتَابٌ﴾ قرآن ﴿مُّبِينٌ﴾ بين ظاهر(١).

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ

---

(١) أسباب نزول الآية ١٥:
* أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرّجم فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التّوراة على موسى، والذي رفع الطور، وناشده بالمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفكل، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس فحُكِم عليهم بالرجم، فأنزل الله: «يا أهل الكتاب» إلى قوله: «صراط مستقيم».

﴿بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

١٦ ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٧ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً وهم اليعقوبية فرقة من النصارى ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ﴾ أي يدفع ﴿مِنَ﴾ عذاب ﴿اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلهاً لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾

[المائدة: ١٨]

١٨ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ أي كل منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إن صدقتم في ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع[1].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٩ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ اذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عذبتم ﴿مَا جَاءَنَا مِن﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]

٢٠ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي منكم ﴿أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أصحاب خدم وحشم ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾

٢١ ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها وهي الشام

---

(١) أسباب نزول الآية ١٨:

* روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصي وبحر بن عمر وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النَّصارى، فأنزل الله فيهم: «وَقَالَتِ اليَهُودُ والنَّصارى» الآية.

* وروي عنه قال: دعا رسول الله ﷺ يهودَ إِلى الإسلام ورغَّبهم فيه فأبوا عليه ، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إِنَّكم لتعلمون أنَّه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته.

* فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده فأنزل الله: «يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم» الآية.

﴿ولا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ في سعيكم

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]

٢٢ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عاد طوالاً ذوي قوة ﴿وإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

٢٣ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ﴾ باب القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾

٢٤ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ ورَبُّكَ فَقَاتِلا﴾ هم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]

٢٥ ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي و﴾ إلا ﴿أَخِي﴾ ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة ﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

٢٦ ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾ يتحيرون ﴿فِي الأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿فَلا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون جادين فاذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين ، قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان لهما رحمة وعذابا لأولئك وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه كما في الحديث ونبئ يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم ، وروى أحمد في مسنده حديث "إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

٢٧ ﴿واتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ اتل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿ولَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم ؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٢٨ ﴿لَئِن﴾ لام القسم ﴿بَسَطتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ﴾ في قتلك

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٢٩ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ﴾ ترجع ﴿بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلي ﴿وإِثْمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونَ مِنْ

أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم ، قال تعالى ﴿وذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]

٣٠ ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]

٣١ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله وحفر له وواراه

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

٣٢ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ أتاه ﴿فِي الأَرْضِ﴾ من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: مِنْ حيثُ انتهاكِ حرمتها وصونها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]

٣٣ ونزل في العُرَنِيِّين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحُوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطرق ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ أو لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ﴾ هو عذاب النار[1]

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٣٤ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقطاع ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم عبر بذلك دون فلا تحدوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لي ولم أر من تعرض له والله أعلم فاذا قتل وأخذ المال يقتل

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٣:**

* أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب: أنَّ عبد الملك ابن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية: «إنَّما جزاءُ الذِينَ يُحاربُونَ الله وَرَسُولَهُ» فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل. الحديث.
* ثمَّ أخرج عن جرير مثله.
* وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة.

ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولي الشافعي ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئا وهو أصح قوليه أيضا

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]

٣٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٦]

٣٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ومِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧]

٣٧ ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ ومَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ولَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾

٣٨ ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ﴾ أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر ﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَالاً﴾ عقوبة لهما ﴿مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه (١).

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]

٣٩ ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رجع عن السرقة ﴿وأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال، نعم بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الامام سقط القطع وعليه الشافعي

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ٤٠]

٤٠ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿ويَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١]

٤١ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بألسنتهم متعلق بـ «قالوا» ﴿ولَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿ومِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة

---

(١) أسباب نزول الآية ٣٨:
* أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو: أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ الآية.

ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف أي الجلد الذي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وإن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ أن تقبلوه ﴿ومَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إضلاله ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ في دفعها ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]

٤٢ هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا ﴿فَإِن جَاءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله ﴿ وأَنِ احْكُم بَيْنَهُم ﴾ الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعا ﴿وإن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وإنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم أي يثيبهم

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

٤٣ ﴿وكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ بالرجم استفهام تعجيب أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿ومَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

٤٤ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿ونُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انقادوا الله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا والرَّبَّانِيُّونَ﴾ العلماء منهم ﴿والأَحْبَارُ﴾ الفقهاء

---

(١) أسباب نزول الآية ٤١ :

* روى أحمد، وأبو داود، عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود، قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا، فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقًا، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم الرّسول ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلًا، فأرسلت العزيزة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد ونسبتهما واحدة وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنَّا أعطيناكم هذا ضيمًا منكم لنا وخوفًا وفَرَقًا، فأمَّا إذ قدم محمَّد فلا نعطيكم ، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثمَّ ارتضوا على أنْ جعلوا رسول الله ﷺ بينهما، فأرسلوا إليه ناسًا من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله: «يَا أَيُّها الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِين يُسَارِعُون في الكُفْر» الآية.

* وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النَّبي ﷺ بيهودي محمَّم مجلود فدعاهم فقال: هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنَّك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجد حدَّ الزَّاني في كتابنا الرَّجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضَّعيف أقمنا عليه الحدّ، فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئًا نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النَّبي ﷺ : اللهم إنِّي أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله: «يَا أَيُّها الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ في الكُفْرِ» إلى قوله: «إنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ» يقولون: ائتوا محمدًا، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرَّجم فاحذروا إلى قوله: «وَمَنْ لَمْ يحكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

* وأخرج الحميدي في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أنْ اسألوا محمدًا عن ذلك.

* فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرَّجم فلا تأخذوه عنه. فسألوه عن ذلك، فذكر نحو ما تقدم، فأمر به فرجم، فنزلت: «فَإِنْ جَاءُوك فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ» الآية.

* وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة نحوه.

﴿بِمَا﴾ أي بسبب الذي ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ استودعوه أي استحفظهم الله إياه ﴿مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي يبدلوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أنه حق ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في كتمانه ﴿ولا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ به

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

٤٥ ﴿وَكَتَبْنَا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَالْعَيْنَ﴾ تفقأ ﴿بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ﴾ يجدع ﴿بِالأَنفِ وَالأُذُنَ﴾ تقطع ﴿بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِالسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ بالوجهين ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل ونحو ذلك وما لا يمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي بالقصاص بأن مكن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ لما أتاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]

٤٦ ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَى آثَارِهِم﴾ أي النبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

٤٧ ﴿وَ﴾ قلنا ﴿لْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام وفي قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفا على معمول آتيناه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]

٤٨ ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزلنا ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا﴾ شاهدا ﴿عَلَيْهِ﴾ والكتاب بمعنى الكتب ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عادلا ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقا واضحا في الدين يمشون عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَكِن﴾ فرقكم فرقا ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سارعوا إليها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين ويجزي كلا منكم بعمله

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]

٤٩ ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾ لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾ يضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ

﴿ذُنُوبِهِمْ﴾ التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وإنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[1] .

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

٥٠ ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا ؟ استفهام إنكاري ﴿ومَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ﴾ عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرون

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]

٥١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ لاتحادهم في الكفر ﴿ومَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بموالاتهم الكفار[2] .

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾

٥٢ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبي المنافق ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا ، قال تعالى ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿نَادِمِينَ﴾

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾

٥٣ ﴿ويَقُولُ﴾ بالرفع استئنافا بواو ودونها وبالنصب عطفا على يأتي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبا ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٥٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ﴾ بالفك والإدغام ، يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي صلى الله عليه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ﴾ قال ﷺ: «هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري» رواه الحاكم في صحيحه

﴿أَذِلَّةٍ﴾ عاطفين ﴿عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾ أشداء ﴿عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ولا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللَّهُ واسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله.

---

(١) **أسباب نزول الآية ٤٩ :**
* روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صُوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنَّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك، فأبى رسول الله ﷺ ذلك، وأنزل الله فيهم: «وَأَنِ احكمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله» إلى قوله: «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ».

(٢) **أسباب نزول الآية ٥١ :**
أخرج ابن إسحاق وابن جرير. وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ، فحالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أُبيّ نزلت القصة في المائدة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ...» الآية.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾

٥٥ ونزل لما قال ابن سلام يا رسول الله إن قومنا هجرونا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ خاشعون أو يصلون صلاة التطوع [1].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]

٥٦ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم أوقعه موقع فإنهم بياناً لأنهم من حزبه، أي أتباعه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]

٥٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ مهزوءا به ﴿وَلَعِبًا مِّنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ المشركين بالجر والنصب ﴿أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم [2].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]

٥٨ ﴿وَ﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتم ﴿إِلَى الصَّلاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾

٥٩ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ: بمن تؤمن من الرسل فقال: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ الآية فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾ تنكرون ﴿مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على أن آمنا المعنى ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾

٦٠ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾ أهل ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابا بمعنى جزاء ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ هو ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿وَ﴾ من ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الشيطان بطاعته ، وراعى في «منهم» معنى «من» وفيما قبله لفظها وهم اليهود ، وفي قراءة بضم باء

---

(١) أسباب نزول الآية ٥٥ :

* أخرج الطبراني في الأوسط بسندٍ فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف على عليّ بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل فنزلت: «إنما وليكم الله ورسوله...» الآية، وله شاهد.

* قال عبد الرزاق: حدَّثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ» الآية، قال: نزلت في عليٍّ بن أبي طالب.

* وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله.

* وأخرج أيضًا عن علي مثله.

* وأخرج ابن جرير عن مجاهد، وابن أبي حاتم عن سلمة ابن كهيل مثله. فهذه شواهد يقوِّي بعضها بعضًا.

(٢) أسباب نزول الآية ٥٧ :

* روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فأنزل الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخذُوا دِينَكُمْ». إلى قوله: «بِمَا كَانُوا يَكْتُمُون».

* وبه قال: أتى النَّبيَّ ﷺ نفرٌ من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وغازي بن عمرٍ، فسألوه عمَّن يؤمنُ به من الرُّسلِ قال: أؤمن: «بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»، فلمَّا ذُكر عيسى جحدوا نبوَّته وقالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله فيهم: «قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا» الآية.

عبد وإضافة إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ تمييز لأن مأواهم النار ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم لا نعلم دينا شراً من دينكم

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١]

٦١ ﴿وإذَا جاءُوكُمْ﴾ أي منافقو اليهود ﴿قالُوا آمَنَّا وقد دَّخَلُوا﴾ إليكم متلبسين ﴿بِالْكُفْرِ وهُمْ قَدْ خرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِهِ﴾ ولم يؤمنوا ﴿واللَّهُ أعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ ـه من النفاق

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢]

٦٢ ﴿وتَرى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿يُسَارِعُونَ﴾ يقعون سريعاً ﴿فِي الإِثْمِ﴾ الكذب ﴿والْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام كالرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ـه عملهم هذا

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾

٦٣ ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ﴾ منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ـه ترك نهيهم

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]

٦٤ ﴿وقَالَتِ اليَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالا ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا كنوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى ﴿غُلَّتْ﴾ أمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿ولُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجود وثني اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أي يعطي بيديه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ فكل يوم فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي لحرب النبي ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي كلما أرادوه ردهم ﴿ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿واللَّهُ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم [١].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

٦٥ ﴿ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿واتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ولأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾

٦٦ ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإنجيلَ﴾ بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿ومَا أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ من الكتب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ ومِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به وهم من آمن بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ شيئا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ـه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميع ﴿مَا أُنزِلَ

---

(١) أسباب نزول الآية ٦٤:
* أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له: النبّاش بن قيس: إنَّ ربَّك بخيل لا ينفق، فأنزل الله: «وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ» الآية.
* وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت: «وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» في فنحاص رأس يهود قينقاع.

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئا منه خوفا أن تنال بمكروه ﴿وإن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أن يقتلوك وكان ﷺ يحرس حتى نزلت فقال: «انصرفوا فقد عصمني الله» رواه الحاكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ (١).

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]

٦٨ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين معتد به ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ والإنجِيلَ ومَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بي ﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا﴾ ﴿مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿فَلا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك أي لا تهتم بهم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]

٦٩ ﴿إِنَّ الَذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود مبتدأ ﴿والصَّابِئُونَ﴾ فرقة منهم ﴿والنَّصَارَى﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة خبر المبتدأ ودال على خبر إن

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]

٧٠ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا

---

(١) **أسباب نزول الآية ٦٧ :**

* أخرج أبو الشيخ عن الحسن أَنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعًا، وعرفت أَنَّ النَّاس مكذبيَّ، فوعدني لأُبلغنَّ أو ليعذِّبني، فأنزلت: «يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لمَّا نزلت: «يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» قال: يا ربِّ كيف أصنعُ وأنا وحدي يجتمعون عليَّ؟ فنزلت: «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ».

* وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: «والله يعصمك من الناس» فأخرج رأسه من القبة. فقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله.

* في هذا الحديث دليل على أَنَّها - أَيْ الآية -: لَيْلية، نزلت ليلًا - فراشية - والرَّسول في فراشه.

* وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: كان العبَّاس عمُّ رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلمَّا نزلت: «وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» ترك الحرس.

* وأخرج أيضًا عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنَّا نحرس رسول الله ﷺ باللَّيل، حتَّى نزلت: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» فترك الحرس.

* وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال: كنَّا إذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلَّها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلَّق سيفه فيها، فجاء رجلٌ فأخذه وقال: يا محمد من يمنعك مني، فقال رسول الله ﷺ: الله يمنعني منك، ضع السَّيف، فوضعه، فنزلت: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

* وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرّقاع بأعلى نخل، فبينا هو جالس على رأس بئر قد أدلي رجليه، فقال غورث بن الحارث: لأقتلنَّ محمدًا، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال: أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به، فأتاه فقال له: يا محمد أعطني سيفك أشمه، فأعطاه إياه فرعدت يده، فقال رسول الله ﷺ: حال الله بينك وبين ما تريد، فأنزل الله: «يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ» الآية.

* ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن مردويه، والطبراني، عن ابن عباس قال: كان النَّبي ﷺ يُحرَس، وكان يرسل معه أبو طالب كلَّ يوم رجالًا من بني هاشم يحرسونه، حتَّى نزلت هذه الآية: «وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» فأراد أن يرسل معه من يحرسه فقال: يا عمّ إنَّ الله عصمني من الجنّ والإنس.

* وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله نحوه وهذا يقتضي أنَّ الآية مكيَّة، والظَّاهر خلافه.

(١) **أسباب نزول الآية ٦٨ :**

* قوله تعالى: «قل يا أهل الكتاب» الآية.

* روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: جاء رافع وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، فقالوا: يا محمد ألستَ تزعم أنَّك على ملَّة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا؟ قال: بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم بما فيها، وكتمتم ما أمرتم أَنْ تبينوه للناس. قالوا: فإنَّا نأخذ بما في أيدينا، فإنَّا على الهدى والحق، فأنزل الله: «قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ» الآية.

جاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١]

٧١ ﴿وحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لاَّ تَكُونَ﴾ بالرفع فأن مخففة والنصب فهي ناصبة أي تقع ﴿فِتْنَةٌ﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وصَمُّوا﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وصَمُّوا﴾ ثانيا ﴿كَثِيرٌ مِّنهُمْ﴾ بدل من الضمير ﴿واللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾

٧٢ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ﴿وقَالَ﴾ لهم ﴿المَسِيحُ يَا بَنِي إسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي ورَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست بإله ﴿إنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿ومَأْوَاهُ النَّارُ ومَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يمنعوهم من عذاب الله

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]

٧٣ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلاثَةٍ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه وهم فرقة من النصارى ﴿ومَا مِنْ إلَهٍ إلاَّ إلَهٌ واحِدٌ وإن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم وهو النار

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٧٤]

٧٤ ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إلَى اللَّهِ ويَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ مما قالوا استفهام توبيخ ﴿واللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ به

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]

٧٥ ﴿مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو يمضي مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى ﴿وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ كغيرهما من الناس ومن كان كذلك لا يكون إلها لتركيبه وضعفه وما ينشأ من البول والغائط ﴿انظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾

٧٦ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا ولا نَفْعًا واللَّهُ هُو السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿العَلِيمُ﴾ بأحوالكم والاستفهام للإنكار

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾

٧٧ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿لا تَغْلُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلوا ﴿غَيْرَ الحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه ﴿ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ بغلوهم وهم أسلافهم ﴿وأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق والسواء في الأصل الوسط

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ

﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]

٧٨ ﴿لُعِنَ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة ﴿وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]

٧٩ ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا ﴿عَن﴾ معاودة ﴿مُّنكرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فعلهم هذا

﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]

٨٠ ﴿تَرَى﴾ يا محمد ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة بغضا لك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١]

٨١ ﴿ولَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والنَّبِيِّ﴾ محمد ﴿ومَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أي الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ ولَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

٨٢ ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ﴾ أي قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ علماء ﴿ورُهْبَانًا﴾ عبادا ﴿وأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة قرأ ﷺ سورة يس فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى [1].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]

٨٣ قال تعالى: ﴿وإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المقربين بتصديقهم

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤]

٨٤ ﴿و﴾ قالوا في جواب من عيرهم بالإسلام من اليهود ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ومَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ﴾ القرآن أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿ونَطْمَعُ﴾ عطف على نؤمن ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

---

(١) أسباب نزول الآية ٨٢:

* أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمري، وكتب معه كتابًا إلى النَّجاشي، فقدم على النَّجاشيّ، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثمَّ دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرُّهبان والقسيسين، ثمَّ أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدَّمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: «وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً» إلى قوله: «فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

* وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: بعث النَّجاشي ثلاثين رجلًا من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة يس فبكوا، فنزلت فيهم الآية.

* وأخرج النَّسائي عن عبد الله بن الزُّبير قال: نزلت هذه الآية في النَّجاشي وأصحابه: «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزَلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ».

* وروى الطبراني عن ابن عباس نحوه أبسط منه.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥]

٨٥ قال تعالى: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وذَٰلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٦]

٨٦ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾

٨٧ ونزل لما همَّ قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ولا تَعْتَدُوا﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ [1].

(١) أسباب نزول الآية ٨٧:

* روى الترمذي وغيره عن ابن عباس أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنِّي إذا أصبت اللَّحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي، فحرَّمتُ عليَّ اللَّحم، فأنزل الله: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ الله لَكُمْ» الآية.

* وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أنَّ رجالاً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرَّموا النساء واللحم على أنفسهم، وأخذوا الشِّفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة، فنزلت.

* وأخرج نحو ذلك من مرسل: عكرمة، وأبي قلابة، ومجاهد، وأبي مالك، والنخعي، والسُّدي، وغيرهم.

* وفي رواية السُّدي: أنَّهم كانوا عشرة، منهم: ابن مظعون، وعليّ بن أبي طالب.

* وفي رواية عكرمة منهم: ابن مظعون، وعليّ، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة.

* وفي رواية مجاهد: منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر.

* وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق السُّدي الصَّغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رهْطٍ من الصَّحابة منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، توافقوا أنَّ يجبُّوا أنفسهم، ويعتزلوا النساء، ولا يأكلوا لحمًا ولا دسمًا، ويلبسوا المسوح، ولا يأكلوا من الطَّعام إلاَّ قوتًا، وأن يسيحوا في الأرض كهيئة الرُّهبان، فنزلت.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨]

٨٨ ﴿وكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾ مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]

٨٩ ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله ﴿ولَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ بالتخفيف والتشديد وفي قراءة ﴿عاقدتم﴾ ﴿الأَيْمَانَ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي اليمين إذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعي ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحدا مما ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعي ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿واحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس كما في سورة البقرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ه على ذلك

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

٩٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿والمَيْسِرُ﴾ القمار

﴿والأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿والأَزْلامُ﴾ قداح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾ خبيث مستقذر ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]

٩١ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ والْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ والْمَيْسِرِ﴾ إذا أتيتموها لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿ويَصُدَّكُمْ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ وعَنِ الصَّلاةِ﴾ خصها بالذكر تعظيما لها ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ عن إتيانهما ، أي انتهوا

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

٩٢ ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ واحْذَرُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِينُ﴾ الإبلاغ البين وجزاؤكم علينا

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

٩٣ ﴿لَيْسَ عَلَى الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرمات ﴿وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُوا﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وأَحْسَنُوا﴾ العمل ﴿واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ بمعنى أنه يثيبهم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤]

٩٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ ليختبرنكم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يرسله لكم ﴿مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ﴾ أي الصغار منه ﴿أَيْدِيكُمْ ورِمَاحُكُمْ﴾ الكبار منه ، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم الظهور ﴿مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال أي غائبا لم يره فيجتنب الصيد ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا

---

* وروى ابن أَبي حاتم عن زيد بن أَسلم أَنَّ عبد الله بن رواحة أَضافه ضيف من أَهله وهو عند النَّبي ﷺ، ثمَّ رجع إلى أهله فوجدهم لم يُطعموا ضيفه انتظارًا له، فقال لامرأته: حبستِ ضيفي من أَجلي هو حرام عليَّ، فقالت امرأته: هو عليَّ حرام، فقال الضَّيف: هو عليَّ حرام. فلمَّا رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا باسم الله، ثمَّ ذهب إلي النَّبي ﷺ فذكر الَّذي كان منهم، ثمَّ أنزل الله: «يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكمْ» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ٩٠:**

* روى أَحمد عن أَبي هريرة قال: قدِم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسأَلوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ» الآية. فقال النَّاس: ما حُرِّم علينا إنَّما قال: إِثْمٌ كبيرٌ وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأَيام صلَّى رجلٌ من المهاجرين، أَمَّ أَصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أشد منها: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ» ثمَّ نزلت آية أَشدُّ من ذلك: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ» إلى قوله تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ».

* قالوا: انتهينا ربَّنا، فقال النَّاس: يا رسول الله ناس قُاتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم، وكانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسًا من عمل الشَّيطان فأَنزل الله: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا» إلى آخر الآية.

* وروى النسائي والبيهقي عن ابن عباس قال: إنَّما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، فلمَّا أَنْ ثمِل القوم عبث بعضهم ببعض، فلمَّا صحوا جعل الرَّجل يرى الأَثر في وجهه ورأسه ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فيقول: والله لو كان بي رؤوفًا رحيمًا ما صنع بي هذا حتي وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ» الآية.

* فقال ناس من المتكلِّفين: هي رجس، وهي في بطن فلان، وقد قتل يوم أُحد، فأنزل الله: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» الآية.

﴿سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾

٩٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ محرمون بحج أو عمرة ﴿ومَن قَتَلَهُ مِنكم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده أي فعليه جزاء هو ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي شبهه في الخلقة وفي قراءة بإضافة جزاء ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ لهم فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببدنة وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العب ﴿هَدْيًا﴾ حال من جزاء ﴿بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾ أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتا لما قبله وإن أضيف لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفا فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غير الجزاء وإن وجده هي ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد ، وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهي للبيان ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلُ﴾ مثل ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه عن كل مد يوم وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿لِيَذُوقَ وبَالَ﴾ ثقل جزاء ﴿أَمْرِهِ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿ومَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ ممن عصاه ، وألحق بقتله متعمدا فيما ذكر الخطأ .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]

٩٦ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس حِلاً كنتم أو محرمين ﴿صَيْدُ البَحْرِ﴾ أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان ﴿وطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتا ﴿مَتَاعًا﴾ تمتيعا ﴿لَّكُمْ﴾ تأكلونه ﴿ولِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم يتزودونه ﴿وحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده مُحِل فللمحرم أكله كما بينته السنة ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]

٩٧ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ﴾ المحرم ﴿قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه وفي قراءة ﴿قيما﴾ بلا ألف مصدر قام غير معل ﴿والشَّهْرَ الحَرَامَ﴾ بمعنى الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة المحرم ورجب قياما لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿والْهَدْيَ والْقَلائِدَ﴾ قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ وأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن

﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]

٩٨ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩]

٩٩ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاغُ﴾ لكم ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون من العمل ﴿ومَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه فيجازيكم به.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]

١٠٠ ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الخَبِيثُ﴾ الحرام ﴿والطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿ولَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي سرك ﴿كَثْرَةُ الخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَا أُوْلِي

الألباب لعلكم تفلحون﴾ تفوزون (١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

١٠١ ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ﴾ تظهر ﴿لكم تسؤكم﴾ لما فيها من المشقة ﴿وإن تسألوا عنها حين يُنَزَّلُ القرآن﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿تُبْدَ لكم﴾ المعنى إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها ومتى أبداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد ﴿عفا الله عنها﴾ عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿والله غفور حليم﴾

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢]

١٠٢ ﴿قد سألها﴾ أي الأشياء ﴿قوم من قبلكم﴾ أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثم أصبحوا﴾ صاروا ﴿بها كافرين﴾ بتركهم العمل بها

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]

١٠٣ ﴿ما جعل﴾ شرع ﴿من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينها ذكر، والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدودة فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وسموه الحامي ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾ أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]

١٠٤ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ أي إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين والشريعة قال تعالى: ﴿أ﴾ حسبهم ذلك ﴿و لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون﴾ إلى الحق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]

١٠٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا

---

(١) أسباب نزول الآية ١٠٠:
* أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر: أن النبي ﷺ ذكر تحريم الخمر، فقام أعرابي فقال: إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي فاعتقبت منها مالاً فهل ينفع ذلك المال إن عملت بطاعة الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: إن الله لا يقبل إلا الطيب، فأنزل الله تعالى تصديقًا لرسوله ﷺ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ١٠١:
* روى البخاري عن أنس بن مالك قال: خطب النبي ﷺ خطبة، فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية: «لا تسألوا عن أشياء» الآية.
* وروي أيضًا عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء» حتى فرغ من الآية كلها.
* وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة.
* وروى أحمد والترمذي والحاكم عن علي قال: لما نزلت: «ولله على الناس حج البيت» قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ فسكت، قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ قال: لا، ولو قلت: نعم لوجبت، فأنزل الله: «لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم».
* وأخرج ابن جرير مثله من حديث: أبي هريرة، وأبي أمامة، وابن عباس.
* قال الحافظ ابن حجر: «لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين، وحديث ابن عباس في ذلك أصح إسنادًا».

مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك» رواه الحاكم وغيره ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦]

١٠٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ﴾ أسبابه ﴿حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليشهد ، وإضافة شهادة لـ «بين» على الاتساع ، وحين بدل من إذا أو ظرف لحضر ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي غير ملتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ المَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ توقفونهما صفة آخران ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ﴾ أي صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شككتم فيها ويقولان ﴿لا نَشْتَرِي بِهِ﴾ بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كذبا لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقسم له والمشهود له ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة منا ﴿ولا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذًا﴾ إن كتمناها ﴿لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾ (١).

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾

١٠٧ ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي فعلا ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو أوصى لهما به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ الَذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ بالميت أي الأقربان إليه وفي قراءة ﴿الأَوَّلِينَ﴾ جمع أول صفة أو بدل من الذين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادَّعيا دافعا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي ما رواه البخاري أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء أي وهما نصرانيان فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مَخُوصا بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٦ :**

* روى التِّرمذي وضعَّفه، وغيره، عن ابن عباس، عن تميم الدَّاري في هذه الآية: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةَ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتَ» قال: برىءَ النَّاس منها غيري وغير عديٍّ بن بدَّاء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشَّام قبل الإسلام، فأتيا الشَّام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل ابن أبي مريم بتجارةٍ ومعه جام من فضة، فمرض فأوصى به إليهما، وأمرهما أن يُبلغا ما ترك أهله.

قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثمَّ اقتسمناه أنا وعدي بن بدَّاء، فلمَّا قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره فلمَّا أسلمت تأثَّمت من ذلك فأتيت أهله فخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أنَّ عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه فحلف فأنزل الله: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ» إلى قوله: «أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ» فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا، فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بدَّاء.

«**تنبيه**» : جزم الذَّهبي بأنَّ تميمًا النَّازل فيه غير تميم الداري، وعزاه لمقاتل بن حبان.

* قال الحافظ ابن حجر: وليس بجيد، للتصريح في هذا الحديث بأنَّه الداري

فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا وفي رواية الترمذي فقام عمرو ابن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكان أقرب إليه، وفي رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]

١٠٨ ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَن يَأْتُوا﴾ أي الشهود أو الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾

١٠٩ اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخا لقومهم ﴿مَاذَا﴾ أي الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

١١٠ اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ اشكرها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ قويتك ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في أيدتك ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي طفلا ﴿وَكَهْلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ كصورة ﴿الطَّيْرِ﴾ والكاف اسم بمعنى مثل مفعول ﴿بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بإرادتي ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم أحياء ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ حين هموا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وفي قراءة ﴿سَاحِرٌ﴾ أي عيسى

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]

١١١ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بك وبرسولك ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]

١١٢ اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ أي يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده أي تقدر أن تسأله ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ﴾ لهم عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾

١١٣ ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نزداد علما ﴿أَن﴾ مخففة أي أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ

الشَّاهِدِين﴾

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]

١١٤ ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لأَوَّلِنَا﴾ بدل من لنا بإعادة الجار ﴿وآخِرِنَا﴾ لمن يأتي بعدنا ﴿وآيَةً مِّنكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وارْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وأنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

١١٥ ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مستجيبا له ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي نزولها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]

١١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي يقول ﴿اللَّهُ﴾ لعيسى في القيامة توبيخاً لقومه ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ﴾ عيسى وقد أرعد ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك من شريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ خبر ليس ، ولي للتبيين ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفْسِي ولا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي ما تخفيه من معلوماتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾

١١٧ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي ورَبَّكُمْ وكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيبا أمنعهم مما يقولون ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قبضتني بالرفع إلى السماء ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾ مطلع عالم به

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

١١٨ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿وإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ﴾ على أمره ﴿الحَكِيمُ﴾ في صنعه

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]

١١٩ ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿ورَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: ١٢٠]

١٢٠ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿ومَا فِيهِنَّ﴾ أتى بما تغليبا لغير العاقل ﴿وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب.

* * *

٦سورة الأنعام

[مكية إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

١ ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما احتمالات أفيدها الثالث قاله الشيخ في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾ أي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]

٢ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِندَهُ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]

٣ ﴿وهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق العبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿ويَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من خير وشر

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]

٤ ﴿وما تَأْتِيهِم﴾ أي أهل مكة ﴿مِّنْ﴾ صلة ﴿آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥]

٥ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]

٦ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿مَّكَّنَّاهُمْ﴾ أعطيناهم مكانا ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾ نعط ﴿لَّكُمْ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ متتابعا ﴿وجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]

٧ ﴿ولَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبا ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ رق كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنتا وعنادا

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]

٨ ﴿وقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿ولَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَّقُضِيَ الأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لا يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]

٩ ﴿ولَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي المنزَّل إليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي الملك ﴿رَجُلا﴾ أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك لو أنزلناه وجعلناه رجلا ﴿ولَلَبَسْنَا﴾ شبهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا إلا بشر مثلكم

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

١٠ ﴿ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]

١١ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

١٢ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ قضى على نفسه ﴿الرَّحْمَةَ﴾ فضلا منه وفيه تلطيف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

١٣ ﴿ولَهُ﴾ تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾ حلَّ ﴿فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾ أي كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿العَلِيمُ﴾ بما يفعل

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]

١٤ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ ولِيًّا﴾ أعبده ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزق ﴿ولا يُطْعَمُ﴾ لا يُرزق ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿و﴾ قيل لي ﴿لا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ به

﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٥ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦]

١٦ ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ بالبناء للمفعول أي العذاب وللفاعل أي الله والعائد محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ تعالى أي أراد له الخير ﴿وذَلِكَ الفَوْزُ المُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٧ ﴿وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فَلا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

١٨ ﴿وهُوَ القَاهِرُ﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء مستعليا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وهُوَ الحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الخَبِيرُ﴾ ببواطنهم كظواهرهم

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]

١٩ ونزل لما قالوا للنبي ﷺ: ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز محول عن المبتدأ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنذِرَكُم﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ

ومَن بَلَغَ﴾ عطف على ضمير أنذركم أي بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ استفهام إنكار ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إنَّمَا هُوَ إلَهٌ واحِدٌ وإنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام (١).

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠]

٢٠ ﴿الَذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمداً بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ به

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]

٢١ ﴿ومَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]

٢٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخا ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُم الَذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

٢٣ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بالتاء والياء ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿إلاَّ أن قَالُوا﴾ أي قولهم ﴿واللَّهِ رَبِّنَا﴾ بالجر نعت والنصب نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾

٢٤ قال تعالى: ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ـه على الله من شركاء

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

٢٥ ﴿ومِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية لـ ﴿أن﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وفِي آذَانِهِمْ وقْرًا﴾ صمماً فلا يسمعونه سماع قبول ﴿وإن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَذِينَ كَفَرُوا إنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إلاَّ أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]

٢٦ ﴿وهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿ويَنْئَوْنَ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به ، وقيل نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وإن﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إلاَّ أنفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿ومَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

٢٧ ﴿ولَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إذْ وقِفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ونَكونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ برفع الفعلين استئنافا ونصبهما في جواب التمني ورفع الأول ونصب الثاني وجواب لو رأيت أمرا عظيما.

* * *

٦- سورة الأنعام ، وهي مكية وآياتها خمس وستون ومائة

(١) **أسباب نزول الآية ١٩:**

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحريّ بن عمرو، فقالوا: يا محمد ما نعلم مع الله إلهًا غيره، فقال: لا إله إلا الله، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو ، فأنزل الله في قولهم: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٦:**

* روى الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]

٢٨ قال تعالى ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ يكتمون بقولهم ﴿ واللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ بشهادة﴾ جوارحهم فتمنوا ذلك ﴿ولَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا فرضا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

٢٩ ﴿وقَالُوا﴾ أي منكرو البعث ﴿إنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي الحياة ﴿إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا ومَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠]

٣٠ ﴿ولَوْ تَرَى إذْ وقِفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمرا عظيما ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى ورَبِّنَا﴾ إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدنيا

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾

٣١ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَتَّى﴾ غاية للتكذيب ﴿إذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ هي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾ قصرنا ﴿فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿وهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فتركبهم ﴿ألا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه حملهم ذلك.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

٣٢ ﴿ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي الاشتغال بها ﴿إلاَّ لَعِبٌ ولَهْوٌ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿ولَلدَّارُ الآخِرَةُ﴾ وفي قراءة ﴿ولَدَارُ الآخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء ذلك فيؤمنوا

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

٣٣ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يجحدون﴾ يكذبون (١).

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]

٣٤ ﴿ولَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿ولا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مواعيده ﴿ولَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ المُرْسَلِينَ﴾ ما يسكن به قلبك .

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

٣٥ ﴿وإن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام لحرصك عليهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سربا ﴿فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعدا ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ مما

في عمومة النَّبيّ ﷺ، وكانوا عشرة، فكانوا أشدّ النّاس معه في العلانية، وأشدّ النّاس عليه في السّر.

(١) أسباب نزول الآية ٣٣:

* روى الترمذي والحاكم عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله فيهم: «فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون».

(١) أسباب نزول الآية ٥٢:

اقترحوا فافعل ، المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله ﴿ولَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ بذلك .

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]

٣٦ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿والْمَوْتَى﴾ أي الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يردون فيجازيهم بأعمالهم .

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٣٧ ﴿وقَالُوا﴾ أي كفار مكة ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿آيَةً﴾ مما اقترحوا ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

٣٨ ﴿ومَا مِن﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ﴾ تمشي ﴿فِي الأَرْضِ ولا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالهم ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]

٣٩ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وبُكْمٌ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ ومَن يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

٤٠ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١]

٤١ ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِن شَاءَ﴾ كشفه ﴿وتَنسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]

٤٢ ﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن﴾ زائدة ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلا فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿والضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنوا

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

٤٣ ﴿فَلَوْلا﴾ فهلا ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿ولَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلن للإيمان ﴿وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي فأصروا عليها

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]

٤٤ ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا وخوفوا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ

شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجا لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطر ﴿أَخَذْنَاهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]

٤٥ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي آخرهم بأن استؤصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]

٤٦ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمكم ﴿وأَبْصَارَكُمْ﴾ أعماكم ﴿وخَتَمَ﴾ طبع ﴿عَلَى قُلُوبِكُم﴾ فلا تعرفون شيئا ﴿مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عنها فلا يؤمنون

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]

٤٧ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ ليلا أو نهارا ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون أي ما يهلك إلا هم

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

٤٨ ﴿ومَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿ومُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٩]

٤٩ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة .

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾

٥٠ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ التي منها يرزق ﴿ولا﴾ أني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ولم يوح إلي ﴿ولا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ الكافر ﴿والْبَصِيرُ﴾ المؤمن ؟ لا ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

٥١ ﴿وأَنذِرْ﴾ خوف ﴿بِهِ﴾ أي القرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿ولِيٌّ﴾ ينصرهم ﴿ولا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]

٥٢ ﴿ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وجْهَهُ﴾ تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا في إسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿ومَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلتَ [(١)].

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥٢:**

* روى ابن حبان، والحاكم، عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: «أنا، وعبد الله بن مسعود، وأربعة قالوا لرسول الله ﷺ اطردهم فإنَّا نستحي أن نكون تبعًا لك كهؤلاء. فوقع في نفس النبيِّ ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله: «وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» إلى قوله: «أَلَيْسَ الله بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِين».

* وروى أحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾

٥٣ ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي الشريف بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَؤُلاءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا﴾ بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ له فيهديهم ، بلى .

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٥٤ ﴿وإذَا جَاءَكَ الَذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ﴾ أي الشأن ، وفي قراءة بالفتح بدل من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله منه ﴿وأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُ﴾ أي الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَّحِيمٌ﴾ به وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

٥٥ ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ﴾ القرآن ليظهر الحق فيعمل به ﴿ولِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿المُجْرِمِينَ﴾ فتُجتنب ، وفي قراءة بالتحتانية وفي أخرى بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]

٥٦ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتبعتها ﴿ومَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]

٥٧ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي و﴾ قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِ﴾ بربي حيث أشركتم ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إنِ﴾ ما ﴿الحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ﴾ القضاء ﴿الحَقَّ وهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ الحاكمين ، وفي قراءة ﴿يَقْضُ﴾ أي يقول.

* * *

قال: مرَّ الملأُ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خبَّاب بن الأرتُّ، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا، لو طردت هؤلاء لاتَّبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن: «وَأَنْذِرْ بِهِ الَذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا» إلى قوله: «سَبِيلُ المجرِمِين».

* وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أنَّ ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه، فكلَّم أبو طالب النبي ﷺ ، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فأنزل الله: «وأنذر به الذين يخافون» إلى قوله: «أَلَيْسَ الله بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ» قال: وكانوا بلالاً، وعمار بن ياسر، وسالمًا مولى أبي حذيفة، وصبيحًا مولى أسيد، وابن مسعود، والمقداد بن عبد الله، وواقد بن عبد الله الحنظلي وأشباههم، فأقبل عمر فاعتذر من مقالته فنزل: «وَإذَا جَاءَكَ الَذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا» الآية» .

* وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب قال: جاءَ الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب، وبلال، وعمار، وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النَّبي ﷺ حَقَروهم، فأتوه فخلوا به فقالوا: إنَّا نريد أنْ تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإنَّ وفود العرب تأتيك فنستحي أنْ ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنَّا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، فنزلت: «وَلاَ تَطْرُدِ الَذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» الآية، ثمَّ ذكر الأقرع وصاحبه، فقال: «وَكَذَلِكَ فَتِنَّا بَعَضِهُمْ بِبَعْضٍ» الآية. وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فنزل: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» الآية.

* قال ابن كثير: «هذا حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع وعيينة إنَّما أسلما بعد الهجرة بدهر».

* وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ماهان قال: جاء ناس إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: إنَّا أصبنا ذنوبًا عظامًا فما ردَّ عليهم شيئًا، فأنزل الله: «وإذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا» الآية.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨]

٥٨ ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله ﴿واللَّهُ أعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ متى يعاقبهم

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

٥٩ ﴿وعِندَهُ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ الغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله ﴿إنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية كما رواه البخاري ﴿ويَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِي البَرِّ﴾ القفار ﴿والْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿ومَا تَسْقُطُ مِن﴾ زائدة ﴿ورَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يَابِسٍ﴾ عطف على ورقة ﴿إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٦٠ ﴿وهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿ويَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي النهار بردِّ أرواحكم ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾

٦١ ﴿وهُوَ القَاهِرُ﴾ مستعليا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ ويُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة ﴿توفاه﴾ ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]

٦٢ ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ أي الخلق ﴿إلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ﴾ مالكهم ﴿الحَقِّ﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿ألا لَهُ الحُكْمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

٦٣ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ البَرِّ والْبَحْرِ﴾ أهوالها في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وخُفْيَةً﴾ سراً تقولون ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَنجَانَا﴾ وفي قراءة ﴿أنجانا﴾ أي الله ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين .

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾

٦٤ ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنْهَا ومِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾

٦٥ ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من السماء كالحجارة والصيحة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾ فرقا مختلفة الأهواء ﴿ويُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت : «هذا أهون وأيسر» ولما نزل ما قبله : «أعوذ بوجهك» رواه البخاري .

وروى مسلم حديث «سألت ربي ألا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها» وفي حديث «لما نزلت قال أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين لهم ﴿الآيَاتِ﴾ الدالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه

باطل (١).

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾

٦٦ ﴿وكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمُكَ وهُوَ الحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بوَكِيلٍ﴾ فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]

٦٧ ﴿لِّكُلِّ نَبَأٍ﴾ خبر ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم ﴿وسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]

٦٨ ﴿وإذَا رَأَيْتَ الَذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وإمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ أي تذكرة ﴿مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩]

٦٩ وقال المسلمون إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل: ﴿ومَا عَلَى الَذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي الخائضين ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوهم ﴿ولَكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَى﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠]

٧٠ ﴿وذَرِ﴾ اترك ﴿الَذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا ولَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وذَكِّرْ﴾ عظ ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس ﴿أَن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿ولِيٌّ﴾ ناصر ﴿ولا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وإن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تفد كل فداء ﴿لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ ما تفدى به ﴿أُوْلَئِكَ الَذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]

٧١ ﴿قُلْ أَنَدْعُو﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿ولا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿ونُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيرا لا يدري أين يذهب حال من الهاء ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُ إلَى الهُدَى﴾ أي ليهدوه الطريق يقولون له ﴿ائْتِنَا﴾ فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للإنكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد ﴿قُلْ إنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الهُدَى﴾ وما عداه ضلال ﴿وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي بأن نسلم ﴿لِرَبِّ

---

(١) أسباب نزول الآية ٦٥:

* أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت: «قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ» الآية، قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضربُ بعضكم رقاب بعض بالسيوف، قالوا: ونحن نشهد أنْ لاَ إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله. فقال بعض النَّاس: لا يكون هذا أبدًا أنْ يقتل بعضنا بعضًا ونحن مسلمون، فنزلت: «انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوفَ تَعْلَمونَ».

العالَمِينَ﴾ .

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢]

٧٢ ﴿وأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ واتَّقُوهُ﴾ تعالى ﴿وهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

٧٣ ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي محقا ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا ﴿قَوْلُهُ الحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿ولَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه لغيره ﴿لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ﴾ ﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وهُوَ الحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظاهرها

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]

٧٤ واذكر ﴿وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾ هو لقبه واسمه تارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَاكَ وقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلالٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ بين .

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]

٧٥ ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿ولِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]

٧٦ ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أظلم ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ قيل هو الزُّهَرة ﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا نجّامين ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ أن أتخذهم أربابا لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك .

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾

٧٧ ﴿فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يثبتني على الهدى ﴿لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك .

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾

٧٨ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا﴾ ذكره لتذكيره خبره ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد ؟

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]

٧٩ قال ﴿إِنِّي وجَّهْتُ وجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ والأَرْضَ﴾ أي الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الدين القيم ﴿ومَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ به .

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

٨٠ ﴿وحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ جادلوه في دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي﴾ بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء أتجادلونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿اللَّهِ وقَدْ

هَدَانِ﴾ تعالى إليها ﴿ولا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـه ﴿بِهِ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿أن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصيبني فيكون ﴿وسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنوا .

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

٨١ ﴿وكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله وهي لا تضر ولا تنفع ﴿ولا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانا وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم ﴿إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به أي وهو نحن فاتبعوه

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]

٨٢ قال تعالى: ﴿الَذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شرك كما فسر بذلك في حديث الصحيحين ﴿أوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [1]

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

٨٣ ﴿وتِلْكَ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكوكب وما بعده والخبر ﴿آتَيْنَاهَا إبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها حجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم والحكمة ﴿إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤]

٨٤ ﴿ووَهَبْنَا لَهُ إسْحَاقَ ويَعْقُوبَ﴾ ابنيه ﴿كُلاً﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا ونُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبل إبراهيم ﴿ومِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي نوح ﴿دَاوُودَ وسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وأَيُّوبَ ويُوسُفَ﴾ بن يعقوب ﴿ومُوسَى وهَارُونَ وكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

٨٥ ﴿وزَكَرِيَّا ويَحْيَى﴾ ابنه ﴿وعِيسَى﴾ ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وإلْيَاسَ﴾ ابن هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]

٨٦ ﴿وإسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿والْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿ويُونُسَ ولُوطًا﴾ بن هاران أخي إبراهيم ﴿وكُلاً﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ﴾ بالنبوة

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧]

٨٧ ﴿ومِنْ آبَائِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ وإخْوَانِهِمْ﴾ عطف على كلاً أو نوحاً ومن للتبغيض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر ﴿واجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وهَدَيْنَاهُمْ إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]

٨٨ ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ولَوْ أَشْرَكُوا﴾ فرضاً ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(١) أسباب نزول الآية ٨٢:
* أخرج ابن أبي حاتم، عن عبيد الله بن زحر، عن بكر بن سوادة، قال: حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً، ثمَّ حمل فقتل آخر، ثمَّ حمل فقتل آخر، ثمَّ قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم ، فضرب فرسه، فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه، فقتل رجلاً، ثمَّ آخر، ثمَّ قُتل قال: فيرون أنَّ هذه الآية نزلت فيه: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» الآية.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾

٨٩ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿والْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿والنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي بهذه الثلاثة

﴿هَؤُلاءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وكَّلْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم المهاجرون والأنصار

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]

٩٠ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿اقْتَدِهْ﴾ بهاء السكت ووصلا وفي قراءة بحذفها وصلا ﴿قُل﴾ لأهل مكة ﴿لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطونيه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]

٩١ ﴿ومَا قَدَرُوا﴾ أي اليهود ﴿اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُوا﴾ للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن

﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿تُبْدُونَهَا﴾ أي ما يحبون إبداءه منها ﴿وتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ

﴿وعُلِّمْتُم﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ ولا آبَاؤُكُمْ﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾(١).

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾

٩٢ ﴿وهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿ولِتُنذِرَ﴾ بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به ﴿أُمَّ القُرَى ومَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفا من عقابها

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]

٩٣ ﴿ومَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ ولَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسيلمة ﴿ومَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وهم المستهزئون قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ولَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي غَمَرَاتِ﴾ سكرات ﴿المَوْتِ والْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ إلينا لنقبضها ﴿اليَوْمَ

(١) **أسباب نزول الآية ٩١**: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ (وكان حبرًا سمينًا) فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى؟ فأنزل الله: «وما قدروا الله حق قدره» الآية، مرسل.

* وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة. وتقدم حديث آخر في سورة النساء.

* وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فأنزلت.

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذبا ﴿وكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون عن الإيمان بها وجواب لو رأيت أمرا فظيعا [١].

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

٩٤ ويقال لهم إذا بعثوا ﴿ولَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي حفاةً عراةً غُرْلاً ﴿وتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿ورَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ويقال لهم توبيخاً ﴿ومَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وصلكم ، أي تشتت جمعكم وفي قراءة بالنصب ظرف أي وصلكم بينكم ﴿وضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدنيا في شفاعتها [٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾

٩٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿الحَبِّ﴾ عن النبات ﴿والنَّوَى﴾ عن البخل ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿ومُخْرِجُ المَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]

٩٦ ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ﴾ بالنصب عطفا من محل الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابا للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان كما في آية الرحمن ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ العَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿العَلِيمِ﴾ بخلقه

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٩٧ ﴿وهُوَ الَذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ والْبَحْرِ﴾ في الأسفار ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿الآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]

٩٨ ﴿وَهُوَ الَذِي أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ﴾ هي آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ منكم في الرحم ﴿ومُسْتَوْدَعٌ﴾ منكم في الصلب ، وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرار لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ما يقال لهم

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٩٩ ﴿وهُوَ الَذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي النبات شيئا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩٣ :** أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ» قال: نزلت في مسيلمة، «وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله» قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان يكتب للنبي ﷺ فيملي عليه عزيز حكيم، فيكتب غفور رحيم، ثمَّ يقرأ عليه فيقول : نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش.

* وأخرج عن السُّدي نحوه وزاد، قال: إنْ كان محمَّد يوحى إليه فقد أوحي إليَّ ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: سميعًا عليمًا، فقلت أنا: عليمًا حكيمًا.

(٢) **أسباب نزول الآية ٩٤ :** أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال: قال النَّضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللاَّت والعُزَّى، فنزلت هذه الآية: «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى» إلى قوله: «شُرَكَاءَ».

من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة ونحوها ﴿ومِنَ النَّخْلِ﴾ خبر ويبدل منه ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج منها والمبتدأ ﴿قِنْوَانٌ﴾ عراجين ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريب بعضها من بعض ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ ورقهما حال ﴿وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ ثمرها ﴿انظُرُوا﴾ يا مخاطبون نظر اعتبار ﴿إلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب ﴿إذَا أَثْمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿و﴾ إلى ﴿يَنْعِهِ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

١٠٠ ﴿وجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ مفعول ثان ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول ويبدل منه ﴿الجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿و﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وخَرَقُوا﴾ بالتخفيف والتشديد أي اختلفوا ﴿لَهُ بَنِينَ وبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدا

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

١٠١ هو ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ولَدٌ ولَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

١٠٢ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ﴾ حفيظ

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

١٠٣ ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى ﴿وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وحديث الشيخين «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» وقيل المراد لا تحيط به ﴿وهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر ولا يدركه أو يحيط به علما ﴿وهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿الخَبِيرُ﴾ بهم

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾

١٠٤ قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ﴾ حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر لأن ثواب إبصاره له ﴿ومَنْ عَمِيَ﴾ عنها فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿ومَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]

١٠٥ ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿ولِيَقُولُوا﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿دَرَسْتَ﴾ ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة ﴿درست﴾ أي كتب الماضين وجئت بهذا منها ﴿ولِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]

١٠٦ ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿لا إلَهَ إلاَّ هُوَ وأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ﴾

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧]

١٠٧ ﴿ولَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ومَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ فتجازيهم بأعمالهم ﴿ومَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١٠٨ ﴿ولا تَسُبُّوا الَذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ اعتداء وظلما ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جهلا منهم بالله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به[1].

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وأَقْسَمُوا﴾ أي كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير ﴿ومَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بأيمانهم إذا جاءت أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُون﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة بالتاء خطابا للكفار وفي أخرى بفتح أنَّ بمعنى لعل أو معمولة لما قبل

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

١١٠ ﴿ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وأَبْصَارَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه ولا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ ونَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]

١١١ ﴿ولَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمُ المَوْتَى﴾ كما اقترحوا ﴿وحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا﴾ بضمتين جمع قبيل أي فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق علم الله ﴿إلاَّ﴾ لكم ﴿أن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنوا ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

١١٢ ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه ﴿شَيَاطِينَ﴾ مردة ﴿الإنسِ والْجِنِّ يُوحِي﴾ يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ﴾ مموهه من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي ليغروهم ﴿ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الإيحاء المذكور ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دع الكفار ﴿ومَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر غيره مما زين لهم وهذا ما قبل الأمر بالقتال.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾

١١٣ ﴿ولِتَصْغَى﴾ عطف على غرورا أي تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي الزخرف ﴿أَفْئِدَةُ﴾ قلوب ﴿الَذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ولِيَرْضَوْهُ ولِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾

١١٤ ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً، قل ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾ أطلب ﴿حَكَمًا﴾ قاضيا بيني وبينكم ﴿وهُوَ الَذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلا﴾ مبينا فيه الحق من الباطل ﴿والَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق.

* * *

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٨**: أخرج ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظيّ قال: كلم رسول الله ﷺ قريشًا، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أنّ موسى كان معه عصًا يضرب بها الحجر، وأن عيسى كان يحي الموتى، وأن ثمود كانت لهم الناقة فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا، قال: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهبًا، فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فأنزل الله: «وَأَقْسَمُوا بِالله جَهْدَ أَيمانِهِم» إلى قوله: «يَجْهَلُونَ».

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]

١١٥ ﴿وتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقًا وعَدْلاً﴾ تمييز ﴿لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بنقص أو خلف ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿العَلِيمُ﴾ بما يفعل

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

١١٦ ﴿وإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾ أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧]

١١٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كلا منهم

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]

١١٨ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي ذبح على اسمه ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [1] .

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]

١١٩ ﴿ومَا لَكُمْ أَ﴾ ن ﴿لاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وقَدْ فَصَّلَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ﴾ ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه فهو أيضا حلال لكم المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه ﴿وإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿بِأَهْوَائِهِم﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]

١٢٠ ﴿وذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَاهِرَ الإِثْمِ وبَاطِنَهُ﴾ علانيته وسره والإثم قيل الزنا .

وقيل كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]

١٢١ ﴿ولا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمداً أو نسيانا فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي .

﴿وإِنَّهُ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١٨** : روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله، أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: «فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ» إلى قوله تعالى: «وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ».

* وأخرج أبو داود، والحاكم، وغيرهما عن ابن عباس في قوله: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ» قال: قالوا: ما ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون؟ فأنزل الله الآية.

* وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت: «وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» أرسلت فارس إلى قريش أنْ خاصموا محمَّدًا فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام؟ فنزلت هذه الآية: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ»، قال: الشياطين هم فارس، وأولياؤهم قريش.

﴿مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

١٢٢ ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ مثل زائدة أي كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافر؟ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

١٢٣ ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿ومَا يَمْكُرُونَ إلاَّ بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿ومَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

١٢٤ ﴿وإذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي إلينا لأنا أكثر مالا وأكبر سنا قال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ بالجمع والإفراد، وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذل ﴿عِندَ اللَّهِ وعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي بسبب مكرهم

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

١٢٥ ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ﴾ بأن يقذف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث ﴿ومَن يُرِدْ﴾ الله ﴿أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وفي قراءة ﴿يصّاعد﴾ وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان أي يسلطه ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]

١٢٦ ﴿وهَذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَاطُ﴾ مستقيم ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكد للجملة والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]

١٢٧ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ﴾ أي السلامة وهي الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وهُوَ ولِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]

١٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والياء أي الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإنسِ﴾ باغوائكم ﴿وقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ الإنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٢٢**: أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: «أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ».
*قال: نزلت في عمر وأبي جهل.
*وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله.

لهم الشهوات والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم ﴿قال﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿النار مثواكم﴾ مأواكم ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال تعالى ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى من ﴿إن ربك حكيم﴾ في صنعه ﴿عليم﴾ بخلقه

﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾

١٢٩ ﴿وكذلك﴾ لما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نولي﴾ من الولاية ﴿بعض الظالمين بعضا﴾ أي على بعض ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي

﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ [الأنعام: ١٣٠]

١٣٠ ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالإنس أو رسل الجن نذرهم الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أن قد بلغنا قال تعالى ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾

﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ [الأنعام: ١٣١]

١٣١ ﴿ذلك﴾ أي إرسال الرسل ﴿أن﴾ اللام مقدرة وهي مخففة أي لأنه ﴿لم يكن ربك مهلك القرى بظلم﴾ منها ﴿وأهلها غافلون﴾ ألم يرسل إليهم رسول يبين لهم

﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ [الأنعام: ١٣٢]

١٣٢ ﴿ولكل﴾ من العاملين ﴿درجات﴾ جزاء ﴿مما عملوا﴾ من خير وشر ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بالياء والتاء

﴿وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ [الأنعام: ١٣٣]

١٣٣ ﴿وربك الغني﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ من الخلق ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ أذهبهم ولكنه أبقاكم رحمة لكم

﴿إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾

١٣٤ ﴿إن ما توعدون﴾ من الساعة والعذاب ﴿لآت﴾ لا محالة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ فائتين عذابنا

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ [الأنعام: ١٣٥]

١٣٥ ﴿قل﴾ لهم ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿إني عامل﴾ على حالتي ﴿فسوف تعلمون من﴾ موصولة مفعول العلم ﴿تكون له عاقبة الدار﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم ﴿إنه لا يفلح﴾ يسعد ﴿الظالمون﴾ الكافرون

﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ [الأنعام: ١٣٦]

١٣٦ ﴿وجعلوا﴾ أي كفار مكة ﴿لله مما ذرأ﴾ خلق ﴿من الحرث﴾ الزرع ﴿والأنعام نصيبا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم﴾ بالفتح والضم ﴿وهذا لشركائنا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا كما قال تعالى ﴿فما كان لشركائهم فلا

يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا .

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]

١٣٧ ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ﴾ بالوأد ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ من الجن بالرفع ، فاعل زيَّنَ وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به وجر شركائهم باضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وليَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ولَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ ومَا يَفْتَرُونَ﴾

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨]

١٣٨ ﴿وقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لاَّ يَطْعَمُهَا إلاَّ مَن نَّشَاءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي لا حجة لهم فيه ﴿وأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب كالسوائب والحوامي ﴿وأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩]

١٣٩ ﴿وقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ﴾ المحرمة وهي السوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِّذُكُورِنَا ومُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ أي النساء ﴿وإن يَكُن مَّيْتَةً﴾ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وصْفَهُمْ إنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه ﴿إنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]

١٤٠ ﴿قَدْ خَسِرَ الَذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَوْلادَهُمْ﴾ بالوأد ﴿سَفَهًا﴾ جهلا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ومَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]

١٤١ ﴿وهُوَ الَذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَّعْرُوشَاتٍ﴾ مبسوطات على الأرض كالبطيخ ﴿وغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل ﴿و﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ والزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ ثمره وحبه في الهيئة والطعم ﴿والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ ورقُهُما ، حال ﴿وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وآتُوا حَقَّهُ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر من العشر أو نصفه ﴿ولا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حُدَّ لهم

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢]

١٤٢ ﴿و﴾ أنشأ ﴿مِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وفَرْشًا﴾ لا تصلح له

---

(١) أسباب نزول الآية ١٤١: أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: كانوا يعطون شيئًا سوى الزكاة ثم تسارفوا، فنزلت هذه الآية.

* وأخرج عن ابن جريج أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جد نخلة، فأطعم حتى أمسى وليس له ثمرة

كالإبل الصغار والغنم سميت فرشا لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]

١٤٣ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أصناف بدل من حمولة وفرشا ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكون ﴿اثْنَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ الأُنْثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾ ذكراً كان أو أنثى ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه، المعنى من أين جاء التحريم فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام أو الأنوثة فجميع الإناث أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١٤٤ ﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١٤٥ ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ شيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ﴾ إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ ولا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَحِيمٌ﴾ به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾

١٤٦ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الثروب وشحم الكلي ﴿إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿الْحَوَايَا﴾ الأمعاء جمع حاوياء أو حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه وهو شحم الألية فإنه أحل لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

١٤٧ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه إذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

١٤٨ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿ولا آبَاؤُنَا ولا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راضٍ به! قال تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي لا علم عندكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلاَّ الظَّنَّ وإِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه .

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

١٤٩ ﴿قُلْ﴾ إن لم يكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ التامة ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]

١٥٠ ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الذي حرمتموه ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا والَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون .

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

١٥١ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَ﴾ ن مفسرة ﴿لاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا و﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ولاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم﴾ بالوأد ﴿مِّنْ﴾ أجل ﴿إِمْلاَقٍ﴾ فقر تخافونه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإِيَّاهُمْ ولا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ﴾ أي علانيتها وسرها ﴿ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ كالقود وحد الردة ورجم المحصن ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تدبرون

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

١٥٢ ﴿ولا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي﴾ أي بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم ﴿وأَوْفُوا الْكَيْلَ والْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك فإن أخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحته نيته فلا مؤاخذة عليه ورد كما في حديث ﴿وإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بالصدق ﴿ولَوْ كَانَ﴾ القول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة ﴿وبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد ، تتعظون والسكون

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

١٥٣ ﴿وأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافا ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَلِكُمْ وصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾

١٥٤ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة وثم لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وتَفْصِيلاً﴾ بيانا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وهُدًى ورَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ﴾

تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

١٥٥ ﴿وهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿واتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]

١٥٦ أنزلناه ﴿أن﴾ لا ﴿تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين﴾ اليهود والنصارى ﴿من قبلنا وإن﴾ مخففة واسمها محذوف أي إنا ﴿كنا عن دراستهم﴾ قراءتهم ﴿لغافلين﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا .

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]

١٥٧ ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ لجودة أذهاننا ﴿فقد جاءكم بينة﴾ بيان ﴿من ربكم وهدى ورحمة﴾ لمن اتبعه ﴿فمن﴾ أي لا أحد ﴿أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف﴾ أعرض ﴿عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب﴾ أي أشده ﴿بما كانوا يصدفون﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

١٥٨ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿إلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿المَلائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمره بمعنى عذابه ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين ﴿لا يَنفَعُ نَفْسًا إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الجملة صفة النفس ﴿أوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إيمَانِهَا خَيْرًا﴾ طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

١٥٩ ﴿إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وكَانُوا شِيَعًا﴾ فرقا في ذلك ، وفي قراءة ﴿فارقوا﴾ أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي فلا تتعرض لهم ﴿إنَّمَا أَمْرُهُمْ إلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به ، وهذا منسوخ بآية السيف .

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

١٦٠ ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿ومَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَهَا﴾ أي جزاؤه ﴿وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا .

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

١٦١ ﴿قُلْ إنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيما ﴿مِّلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

١٦٢ ﴿قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿ومَحْيَايَ﴾ حياتي ﴿ومَمَاتِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

١٦٣ ﴿لا شَرِيكَ لَهُ﴾ في ذلك ﴿وبِذَلِكَ﴾ أي التوحيد ﴿أُمِرْتُ وأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة .

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ

رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

١٦٤ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ إلهاً أي لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾ مالك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ ولا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنبا ﴿إلاَّ عَلَيْهَا ولا تَزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وازِرَةٌ﴾ آثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

١٦٥ ﴿وهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خلائفَ الأَرْضِ﴾ جمع خليفة، أي يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿ورَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

* * *

٧ سورة الأعراف

مكية وآياتها ست ومائتان

﴿المص﴾

١ ﴿المص﴾ الله أعلم بمراده بذلك

﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

٢ هذا ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل أي للإنذار ﴿بِهِ وذِكْرَى﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]

٣ قل لهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿ولا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالياء والتاء تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها، وما زائدة لتأكيد القلة.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]

٤ ﴿وكَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ نائمون بالظهيرة، والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، أي مرة جاءها ليلاً ومرة جاءها نهاراً

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]

٥ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إلاَّ أن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

٦ ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿ولَنَسْئَلَنَّ المُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾

٧ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿ومَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]

٨ ﴿والْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في الحديث كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿الحَقُّ﴾ العدل صفة الوزن ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]

٩ ﴿ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بِمَا

كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]

١٠ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بالياء أسبابا تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلاً مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]

١١ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي صورناه وأنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾

١٢ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾ ن ﴿لا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]

١٣ ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة، وقيل من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الذليلين

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]

١٤ ﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]

١٥ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أي يوم النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

١٦ ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بإغوائك لي، والباء للقسم وجوابه ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي على الطريق الموصل إليك

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]

١٧ ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى. ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨]

١٨ ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بالهمزة معيبا أو ممقوتا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعدا عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١٩ ﴿وَ﴾ قال ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]

٢٠ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وورِيَ﴾ فوعل من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ وقرئ بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا

يَتْلَى﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾

٢١ ﴿وقاسمهما﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ في ذلك .

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]

٢٢ ﴿فدلاهما﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بغرور﴾ منه ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ أي أكلا منها ﴿بدت لهما سوءاتهما﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منها سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وطفقا يخصفان﴾ أخذا يلزقان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ ليستترا به ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ بين العداوة ، والاستفهام للتقرير

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

٢٣ ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ بمعصيتنا ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]

٢٤ ﴿قال اهبطوا﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ من ظلم بعضهم بعضا ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ أي مكان استقرار ﴿ومتاع﴾ تمتع ﴿إلى حين﴾ تنقضي فيه آجالكم

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾

٢٥ ﴿قال فيها﴾ أي الأرض ﴿تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول .

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

٢٦ ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يواري﴾ يستر ﴿سوءاتكم وريشا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿ولباس التقوى﴾ العمل الصالح والسمت الحسن ، بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذلك خير ذلك من آيات الله﴾ دلائل قدرته ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيؤمنوا فيه التفات عن الخطاب

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]

٢٧ ﴿يا بني آدم لا يفتننكم﴾ يضلنكم ﴿الشيطان﴾ أي لا تتبعوه ﴿كما أخرج أبويكم﴾ بفتنته ﴿من الجنة ينزع﴾ حال ﴿عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه﴾ أي الشيطان ﴿يراكم هو وقبيله﴾ جنوده ﴿من حيث لا ترونهم﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء﴾ أعوانا وقرناء ﴿للذين لا يؤمنون﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]

٢٨ ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ فاقتدينا بهم ﴿والله أمرنا بها﴾ أيضا ﴿قل﴾ لهم ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أنه قال ، استفهام إنكار .

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

٢٩ ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ بالعدل ﴿وأقيموا﴾ معطوف على معنى بالقسط ، أي قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدرا ﴿وجوهكم﴾ لله ﴿عند كل مسجد﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿وادعوه﴾ اعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿كما بدأكم﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئا ﴿تعودون﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]

٣٠ ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَى وفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿ويَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

﴿يَـٰبَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

٣١ ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وكُلُوا واشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿ولا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ (١).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَـٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٣٢ ﴿قُلْ﴾ إنكارا عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿والطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم بالرفع والنصب حال ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون فإنهم المنتفعون بها .

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

٣٣ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرها ﴿والإِثْمَ﴾ المعصية ﴿والْبَغْيَ﴾ على الناس ﴿بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ وهو الظلم ﴿وأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]

٣٤ ﴿ولِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه .

﴿يَـٰبَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

٣٥ ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى﴾ الشرك ﴿وأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾

٣٦ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا واسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَـٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰفِرِينَ﴾

٣٧ ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ حظهم ﴿مِّنَ الكِتَابِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا﴾ لهم تبكيتا ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣١**: روى مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول: فاليومَ يَبدُو بعضُه أو كلُّه وما بَدَا منه فلا أُحِلُّهُ فنزلت: «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» ونزلت: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ» الآيتان.

أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]

٣٨ ﴿قَالَ﴾ لهم تعالى يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الجِنِّ والإِنسِ فِي﴾ متعلق بادخلوا ﴿النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ﴾ النار ﴿أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ وهم الأتباع ﴿لأُولاهُمْ﴾ أي لأجلائهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفاً ﴿مِّنَ النَّارِ قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿ولَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء ما لكل فريق.

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

٣٩ ﴿وقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم تكفرون بسببنا فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]

٤٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا واسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث ﴿ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿وكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي المُجْرِمِينَ﴾ بالكفر.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]

٤١ ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿ومِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٤٢ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، وقوله ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٤٣ ﴿ونَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الأَنْهَارُ وقَالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿ومَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ونُودُوا أَن﴾ مخففة أي أنه أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

٤٤ ﴿ونَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريرا أو تبكيتا ﴿أَن قَدْ وجَدْنَا مَا وعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وجَدتُّم مَّا وعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾

٤٥ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿ويَبْغُونَهَا﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجاً ﴿وهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ

﴿وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]

٤٦ ﴿وبَيْنَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز، قيل هو سور الأعراف ﴿وعَلَى الأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث ﴿يَعْرِفُونَ كُلاً﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿ونَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿وهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها، قال الحسن لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم».

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]

٤٧ ﴿وإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿تِلْقَاءَ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا﴾ في النار ﴿مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

٤٨ ﴿ونَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُم قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ﴾ من النار ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم ﴿ومَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

٤٩ ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قد قيل لهم ﴿ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُم ولا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقرئ ﴿أُدْخِلوا﴾ بالبناء للمفعول و ﴿دخلوا﴾ فجملة النفي حال أي مقولا لهم ذلك.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]

٥٠ ﴿ونَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى الكَافِرِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾

٥١ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا ولَعِبًا وغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿ومَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي وكما جحدوا.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]

٥٢ ﴿ولَقَدْ جِئْنَاهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حال أي عالمين بما فصل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿ورَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾

٥٣ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من دعوى الشريك

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ

يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٥٤ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك ، استواءً يليق به ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ مخففاً ومشدداً أي يغطي كلا منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً ﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ والنُّجُومَ﴾ بالنصب عطفاً على السماوات والرفع مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته ﴿أَلا لَهُ الخَلْقُ﴾ جميعا ﴿والأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿العَالَمِينَ﴾ .

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾

٥٥ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللا ﴿وخُفْيَةً﴾ سرا ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت .

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

٥٦ ﴿ولا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ﴾ المطيعين ، وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]

٥٧ ﴿وهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي متفرقة قدام المطر ، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشراً ومفرد الأولى نَشُور كرسول والأخيرة بشير ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالاً﴾ بالمطر ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ المَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنوا .

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

٥٨ ﴿والْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ حسناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿والَّذِي خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلاَّ نَكِدًا﴾ عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله فيؤمنون .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]

٥٩ ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ بالجر صفة لإله ، والرفع بدل من محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة .

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

٦٠ ﴿قَالَ المَلأُ﴾ الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ بين .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١]

٦١ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ هي أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه ﴿ولَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾ .

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]

٦٢ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَالاتِ رَبِّي وأَنصَحُ﴾ أريد الخير ﴿لَكُمْ وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا

لا تَعْلَمُونَ﴾ .

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣]

٦٣ ﴿أَ﴾ كذبتم ﴿وَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿ولِتَتَّقُوا﴾ الله ﴿ولَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بها

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]

٦٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ والَّذِينَ مَعَهُ﴾ من الغرق ﴿فِي الفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]

٦٥ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ تخافونه فتؤمنون .

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾

٦٦ ﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ في رسالتك .

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧]

٦٧ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ولَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾ .

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

٦٨ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مأمون على الرسالة .

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]

٦٩ ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً﴾ قوةً وطولاً وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ نعمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون .

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]

٧٠ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وحْدَهُ ونَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك .

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١]

٧١ ﴿قَالَ قَدْ وقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ وآبَاؤُكُمْ﴾ أصناما تعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿فَانتَظِرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ المُنتَظِرِينَ﴾ ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم .

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾

٧٢ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أي هوداً ﴿والَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي استأصلناهم ﴿ومَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على كذبوا

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا

تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأعراف: ٧٣]

٧٣ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ بترك الصرف، مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا﴾ بعقر أو ضرب ﴿بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]

٧٤ ﴿واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ وبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدرة ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرْسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥]

٧٥ ﴿قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُوا﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]

٧٦ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

٧٧ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملُّوا ذلك ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها قُدار [بن سالف] بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِن كُنتَ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾

٧٨ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾

٧٩ ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ونَصَحْتُ لَكُمْ ولَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٖ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]

٨٠ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطاً﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ العَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٞ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]

٨١ ﴿إِنَّكُمْ﴾ وفي قراءة ﴿أَئنكم﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾

٨٢ ﴿ومَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾

٨٣ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]

٨٤ ﴿وأمطرنا عليهم مطرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ .

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

٨٥ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة﴾ معجزة ﴿من ربكم﴾ على صدقي ﴿فأوفوا﴾ أتموا ﴿الكيل والميزان ولا تبخسوا﴾ تنقصوا ﴿الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الرسل ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه .

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]

٨٦ ﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ طريق ﴿توعدون﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿وتصدون﴾ تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿من آمن به﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وتبغونها﴾ تطلبون الطريق ﴿عوجا﴾ معوجة ﴿وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ قبلكم بتكذيب رسلهم أي آخر أمرهم من الهلاك .

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]

٨٧ ﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ به ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وهو خير الحاكمين﴾ أعدلهم .

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]

٨٨ ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ عن الإيمان ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن﴾ ترجعن ﴿في ملتنا﴾ ديننا ، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيبًا لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قال أ﴾ نعود فيها ﴿و لو كنا كارهين﴾ لها استفهام إنكار .

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

٨٩ ﴿قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون﴾ ينبغي ﴿لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وسع ربنا كل شيء علمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم ﴿على الله توكلنا ربنا افتح﴾ احكم ﴿بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ الحاكمين .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠]

٩٠ ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون﴾ .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾

٩١ ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢]

٩٢ ﴿الذين كذبوا شعيبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كأن﴾

مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق .

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾

٩٣ ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي ونَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف : ٩٤]

٩٤ ﴿ومَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إلاَّ أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿والضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنوا .

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف : ٩٥]

٩٥ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ كثروا ﴿وقَالُوا﴾ كفراً للنعمة ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف : ٩٦]

٩٦ ﴿ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ المكذبين ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسلهم ﴿واتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿والأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿ولَكِن كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

٩٧ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿وهُمْ نَائِمُونَ﴾ غافلون عنه .

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف : ٩٨]

٩٨ ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً ﴿وهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ .

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف : ٩٩]

٩٩ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلاَّ الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف : ١٠٠]

١٠٠ ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ يتبين ﴿يَرِثُونَ الأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَا أَن﴾ فاعل مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفا بأو ﴿و﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة سماع تدبر .

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾

١٠١ ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنبَائِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿ولَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ﴾ .

* * *

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]

١٠٢ ﴿وما وجدنا لأكثرهم﴾ أي الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وإن﴾ مخففة ﴿وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

١٠٣ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وملئه﴾ قومه ﴿فظلموا﴾ كفروا ﴿بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ بالكفر من إهلاكهم .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

١٠٤ ﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾ إليك فكذبه فقال: أنا .

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾

١٠٥ ﴿حقيق﴾ جدير ﴿على أن﴾ أي بأن ﴿لا أقول على الله إلا الحق﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعدها ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي﴾ إلى الشام ﴿بني إسرائيل﴾ وكان استعبدهم

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]

١٠٦ ﴿قال﴾ فرعون له ﴿إن كنت جئت بآية﴾ على دعواك ﴿فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ فيها .

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾

١٠٧ ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ حية عظيمة

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾

١٠٨ ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء﴾ ذات شعاع ﴿للناظرين﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة .

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾

١٠٩ ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور .

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]

١١٠ ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾

١١١ ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أخر أمرهما ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ جامعين

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]

١١٢ ﴿يأتوك بكل ساحر﴾ وفي قراءة ﴿سحار﴾ ﴿عليم﴾ يفضل موسى في علم السحر فجمعوا .

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]

١١٣ ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا أإن﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين﴾ .

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾

١١٤ ﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]

١١٥ ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ ما معنا .

﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]

١١٦ ﴿قال ألقوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فلما ألقوا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سحروا أعين الناس﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿واسترهبوهم﴾ خوفوهم حيث

خيلوها حيات تسعى ﴿وجاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]

١١٧ ﴿وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقلبون بتمويههم .

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١١٨ ﴿فَوَقَعَ الحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر .

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩]

١١٩ ﴿فَغُلِبُوا﴾ أي فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ صاروا ذليلين .

﴿وَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠]

١٢٠ ﴿وأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ .

﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١]

١٢١ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ .

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢]

١٢٢ ﴿رَبِّ مُوسَى وهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

١٢٣ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا ﴿بِهِ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُم إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي المَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني .

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]

١٢٤ ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥]

١٢٥ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة .

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

١٢٦ ﴿ومَا تَنقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به لئلا نرجع كفاراً ﴿وتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وقَالَ المَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَى وقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿ويَذَرَكَ وآلِهَتَكَ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الأعلى ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿ونَسْتَحْيِي﴾ نستبقي ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ قادرون ، ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل .

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوٓا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]

١٢٨ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ واصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ والْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله.

﴿قَالُوٓا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

١٢٩ ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ومِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ويَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]

١٣٠ ﴿ولَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالقحط ﴿ونَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون .

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]

١٣١ ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ﴾ الخصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وإن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَى ومَن مَّعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿ألا إنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده .

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢]

١٣٢ ﴿وقَالُوا﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم .

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾

١٣٣ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿والْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿والْقُمَّلَ﴾ السوس أو نوع من القراد ، فتتبع ما تركه الجراد ﴿والضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿والدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ﴾ مبينات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ .

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾

١٣٤ ﴿ولَمَّا وقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ولَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إسْرَائِيلَ﴾ .

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]

١٣٥ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم .

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]

١٣٦ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليَمِّ﴾ البحر المالح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بَآيَاتِنَا وكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها .

﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

١٣٧ ﴿وأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا الَتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض وهي الشام ﴿وتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَى﴾ وهي قوله ﴿ ونُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ﴾ ﴿عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿ودَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ﴾ من العمارة ﴿ومَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان .

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾

١٣٨ ﴿وجَاوَزْنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِي إسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتَوْا﴾ فمروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إلَهًا﴾ صنما نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه .

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

١٣٩﴿إِنَّ هَٰؤُلاءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠]

١٤٠﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا﴾ معبوداً وأصله أبغي لكم ﴿وهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله .

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

١٤١﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنجَيْنَاكُم﴾ وفي قراءة ﴿أنجاكم﴾ ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوءَ العَذَابِ﴾ أشده وهو ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ويَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ وفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء والعذاب ﴿بَلاءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فتنتهوا عما قلتم .

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]

١٤٢﴿ووَاعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى ﴿وأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيْلَةً﴾ تمييز ﴿وقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وأَصْلِحْ﴾ أمرهم ﴿ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي .

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

١٤٣﴿ولَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ أي لا تقدر على رؤيتي ، والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿ولَـٰكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالقصر والمد أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ مغشياً عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ﴾ في زماني .

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

١٤٤﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالاتِي﴾ بالجمع والإفراد ﴿وبِكَلامِي﴾ أي تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من الفضل ﴿وكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]

١٤٥﴿وكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَّوْعِظَةً وتَفْصِيلاً﴾ تبييناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فَخُذْهَا﴾ قبله قلنا مقدراً ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه وهي مصر لتعتبروا بهم .

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

﴿ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

١٤٦ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ بأن أخذلهم فلا يتكبرون فيها ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وإن يَرَوْا سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ يسلكوه ﴿وإن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ تقدم مثله.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

[الأعراف :١٤٧]

١٤٧ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ولِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إلاَّ﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾

١٤٨ ﴿واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلَّة عرس فبقي عندهم ﴿عِجْلاً﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل من لحما ودما ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه، ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلها ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ فكيف يتخذ إلها ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذه.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]

١٤٩ ﴿ولَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿ورَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ويَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]

١٥٠ ﴿ولَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ أي بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي بشعره بيمنيه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ يا ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكَادُوا﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ﴾ تفرح ﴿بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿ولا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]

١٥١ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿ولأَخِي﴾ أشركه الدعاء إرضاء له ودفعا للشماتة به ﴿وأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

١٥٢ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ﴾ إلها ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي المُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]

١٥٣ ﴿والَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾

١٥٤ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ فيها أي كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه .

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

١٥٥ ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ﴾ أي من قومه ﴿رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى ﴿فَلَمَّا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة العجل فخرج بهم ﴿أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ﴾ الزلزلة الشديدة ، قال ابن عباس : لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل ، قال : وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿رب﴾ موسى ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ﴾ .

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

١٥٦ ﴿واكْتُبْ﴾ أوجب ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالى ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿ورَحْمَتِي وسِعَتْ﴾ عمّت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ والَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

١٥٧ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ ويَنْهَاهُمْ عَنِ المُنكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ﴾ الميتة ونحوها ﴿ويَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿والأَغْلالَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وعَزَّرُوهُ﴾ ووقروه ﴿ونَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي القرآن ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ .

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

١٥٨ ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي ويُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن ﴿واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون .

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾

١٥٩ ﴿ومِن قَوْم مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

١٦٠ ﴿وقَطَّعْنَاهُمُ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه ، أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل من قبله ﴿وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ﴾ في التيه من حر الشمس ﴿وأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ والسَّلْوَى﴾ هما الترنجبين والطير السُّماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ومَا ظَلَمُونَا ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

١٦١ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ القَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وقُولُوا﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وادْخُلُوا البَابَ﴾ أي باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء مبنيا للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً .

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]

١٦٢ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ .

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾

١٦٣ ﴿واسْأَلْهُمْ﴾ يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ القَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ﴾ مجاورة بحر القلزم وهي أيلة ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾ ظرف ليعدوه ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿ويَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون السبت أي سائر الأيام ﴿لا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً ثلثٌ صادوا معهم وثلثٌ نهوهم وثلثٌ أمسكوا عن الصيد والنهي .

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]

١٦٤ ﴿وإِذْ﴾ عطف على إذ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿ولَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيد .

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

١٦٥ ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ .

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً

﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]

١٦٦ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة، وقال عكرمة: لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ، وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

١٦٧ ﴿وإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية فبعث عليها سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]

١٦٨ ﴿وقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿في الأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقا ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ ومِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ الكفار والفاسقون ﴿وبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿والسَّيِّئَاتِ﴾ النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]

١٦٩ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ورِثُوا الكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء من حلال وحرام ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ ما فعلناه ﴿وإن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الكِتَابِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أن لا يَقُولوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ الحَقَّ ودَرَسُوا﴾ عطف على يؤخذ، قرؤوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء، أنها خير فيؤثرونها على الدنيا.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]

١٧٠ ﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم ﴿وأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ﴾ الجملة خبر الذين، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي أجرهم.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]

١٧١ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وظَنُّوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿واذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾

١٧٢ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا ﴿وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أنت ربنا

﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك والإشهاد لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ بالياء والتاء في الموضعين ، أي الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد ﴿غَافِلِينَ﴾ لا نعرفه .

﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾

١٧٣ ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك ، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس .

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

١٧٤ ﴿وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿ولَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم .

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾

١٧٥ ﴿واتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل ، سئل أن يدعو على موسى وأهديَ إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾ .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

١٧٦ ﴿ولَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿ولَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿واتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك ، وجملتا الشرط حال ، أي لاهثاً ذليلاً بكل حال ، والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله ﴿ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرون فيها فيؤمنون .

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧]

١٧٧ ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَثَلاً القَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب .

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]

١٧٨ ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِي ومَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

١٧٩ ﴿ولَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجِنِّ والإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿ولَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿ولَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ .

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

١٨٠ ﴿ولِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث ، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿فَادْعُوهُ﴾ سموه ﴿بِهَا وذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد ، يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء

لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ من الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾

١٨١ ﴿وممَّنْ خلقنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالْحقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في حديث .

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]

١٨٢ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]

١٨٣ ﴿وأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق .

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]

١٨٤ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إنْ﴾ ما ﴿هُوَ إلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّن الإنذار .

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]

١٨٥ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ﴾ ملك ﴿والأرْضِ و﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ بيان لما ، فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿و﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي أنه ﴿عَسَى أن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفارا فيصيروا إلى النار فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]

١٨٦ ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ويَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل بعد الفاء ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيراً .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

١٨٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى تكون ﴿عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها ﴿لِوَقْتِهَا﴾ اللام بمعنى في ﴿إلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ على أهلها لهولها ﴿لا تَأْتِيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ تأكيد ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عنده تعالى .

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

١٨٨ ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿ولا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ولَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ﴿لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ومَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إنْ﴾ ما ﴿أَنَا إلاَّ نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

---

(١) أسباب نزول الآية ١٨٤: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبيَّ ﷺ قام على الصَّفا، فدعا قريشًا، فجعل يدعوهم فخذًا فخذًا: يا بني فلان، يا بني فلان، يحذّرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إنَّ صاحبكم هذا المجنون بات يهوت إلى الصَّباح فأنزل الله: «أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ».

(١) أسباب نزول الآية ١٨٧: أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: قال حَمَل بن أبي قُشَير وسَمْوأل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى السَّاعة إن كنت نبيًا كما تقول فإنا نعلم ما هي؟ فأنزل الله: «يَسأَلُونَكَ عَنِ السَّاعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا» الآية.

* وأخرج أيضًا عن قتادة قال: قالت قريش فذكر نحوه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩]

١٨٩ ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ ولداً ﴿صَالِحًا﴾ سوياً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه .

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[الأعراف: ١٩٠]

١٩٠ ﴿فَلَمَّا آتاهُمَا﴾ ولداً ﴿صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكا ﴿فِيمَا آتاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله ، وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم وروى سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» رواه الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض .

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾

١٩١ ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾

١٩٢ ﴿ولا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعابديهم ﴿نَصْرًا ولا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ .

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾

١٩٣ ﴿وإن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

١٩٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة .

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾

١٩٥ ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾ جمع يد ﴿يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري ، أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون فإني لا أبالي بكم .

﴿إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

[الأعراف: ١٩٦]

١٩٦ ﴿إِنَّ وليِّيَ اللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحفظه .

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧]

١٩٧ ﴿والَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ولا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم .

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]

١٩٨ ﴿وإن تدعوهم﴾ أي الأصنام ﴿إلى الهُدَى لا يَسْمَعُوا وتَرَاهُمْ﴾ أي الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يقابلونك كالناظر ﴿وهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ .

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

١٩٩ ﴿خُذِ العَفْوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف ﴿وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ فلا تقابلهم بسفههم .

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

٢٠٠ ﴿وإمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

٢٠١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَائِفٌ﴾ وفي قراءة ﴿طائف﴾ أي شيء ألم بهم ﴿مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الحق من غيره فيرجعون .

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾

٢٠٢ ﴿وإِخْوَانُهُمْ﴾ أي أخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿فِي الغَيِّ ثُمَّ﴾ هم ﴿لا يُقْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون .

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]

٢٠٣ ﴿وإذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ أي أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ أنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

٢٠٤ ﴿وإذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنصِتُوا﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقاً .

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

٢٠٥ ﴿واذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي سراً ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً ﴿وخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿و﴾ فوق السر ﴿دُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما ﴿بِالْغُدُوِّ والآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿ولا تَكُن مِّنَ الغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

٢٠٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ ويُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿ولَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم .

* * *

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٠٤: أخرج ابن أبي حاتم، وغيره عن أبي هريرة قال: نزلت: «وَإِذَا قُرِىءَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا» في رفع الأصوات في الصَّلاة خَلْفَ النَّبيِّ ﷺ.

* وأخرج عنه أيضًا قال: كانوا يتكلمون في الصَّلاة، فنزلت: «وَإِذَا قُرِىءَ القُرْآنُ» الآية.

* وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه.

* أخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله.

* وأخرج عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلَّما قرأ شيئًا قرأه.

* وقال سعيد بن منصور في سننه: حدّثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلقَّفون من رسول الله ﷺ إذا قَرأ شيئًا قرأوا معه، حتَّى نزلت هذه الآية التي في الأعراف: «وَإِذَا قُرِىءَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا».

* قلت: ظاهر ذلك أنَّ الآية مدنية.

سورة الأنفال

مدنية وآياتها خمس وسبعون

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]

١ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿والرَّسُولِ﴾ يقسمها بأمر الله فقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء، رواه الحاكم في المستدرك ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]

٢ ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي وعيده ﴿وجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقاً ﴿وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون لا بغيره.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾

٣ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]

٤ ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً بلا شك ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ومَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]

٥ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلقٌ بأخرج ﴿وإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ الخروج والجملة حالٌ من كافِ أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيراً لهم فكذلك أيضاً وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور النبي ﷺ أصحابه وقال إن الله وعدني إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا: لم نستعد له[1]، كما قال تعالى:

﴿يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾

٦ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليه عياناً في كراهتهم له.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾

٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عددها ومددها بخلاف النفير ﴿ويُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿ويَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ﴾ آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥**: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أنَّ عير أبي سفيان قد أقبلت: «ما ترون فيها لعل الله يُغْنِمُنَاها ويُسَلِّمُنا»؟. فخرجنا فلما سرنا يومًا أو يومين قال: ما ترون فيهم؟ فقلنا: يا رسول الله ما لنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى: «اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» فأنزل الله: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ».
* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

٨ ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿البَاطِلَ﴾ الكفر ﴿ولَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك .

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]

٩ اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعدهم بها أولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرئ بآلف كأفلس جمع [1] .

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

١٠ ﴿ومَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلاَّ بُشْرَى ولِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ومَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾

١١ اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿ويُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿ويُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء ﴿ولِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿ويُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل .

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾

١٢ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿واضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣]

١٣ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ ورَسُولَهُ ومَن يُشَاقِقِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ له .

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

١٤ ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكافرون في الدنيا ﴿وأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]

١٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ منهزمين .

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦]

١٦ ﴿ومَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفا ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضماً ﴿إِلَى فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ومَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩:** روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبيّ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مدَّ يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض. فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه ثمَّ التزمه من ورائه وقال: يا نبيَّ الله كفاك مناشدتك ربَّك فإنَّه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمدَّهم الله بالملائكة.

وبِئْسَ المَصِيرُ﴾ المرجع هي وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف .

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧]

١٧ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿ولَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿ومَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى لأن كفًّا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿ولَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿ولِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً﴾ عطاءً ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم [(١)] .

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

١٨ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الكافِرِينَ﴾ [(٢)] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٧** : قوله تعالى: «وما رميت إذ رميت...» الآية. روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أُبيّ بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أُبي من فُرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته، فسقط أُبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك، إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتل أبيا» ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون»، فمات أُبي قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» الآية.

صحيح الإسناد، لكنه غريب.

* وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن جبير: أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس، فرمى الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل الله: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ» الآية، مرسل جيد الإسناد، لكنه غريب، والمشهور أنها نزلت في رميه يوم بدر بالقبضة من الحصباء.

* روى ابن جرير، وابن أَبي حاتم، والطبراني، عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء إلى الأرض كأنَّه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصباء فانهزمنا، فذلك قوله: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ» الآية.

* وأخرج أبو الشيخ نحوه عن جابر، وابن عباس ولابن جرير من وجه آخر مرسلًا نحوه.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

١٩ ﴿إن تَسْتَفْتِحُوا﴾ أيها الكفار إن تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم : اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة أي أهلكه ﴿فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وإن تَنتَهُوا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وإن تَعُودُوا﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿ولَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْئًا ولَوْ كَثُرَتْ وأَنَّ اللَّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ﴾ بكسر إن استئنافا وفتحها على تقدير اللام [(١)] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]

٢٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ ولا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواعظ .

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾

٢١ ﴿ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون .

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

٢٢ ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿البُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٩** : روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أبا جهل فإنَّه قال حين التقى القوم: اللَّهم أيُّنا كان أقطع للرَّحِم، وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. وكان ذلك استفتاحًا، فأنزل الله: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ» إلى قوله: «وَأَنَّ الله مَعَ المُؤْمِنِينَ».

* أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أعزّ الفئتين وأكرم الفرقتين، فنزلت.

﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]

٢٣ ﴿ولَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿ولَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضا وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]

٢٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم .

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]

٢٥ ﴿واتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ لمن خالفه .

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

٢٦ ﴿واذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وأَيَّدَكُم﴾ قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿ورَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]

٢٧ ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ﴾ ولا ﴿وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]

٢٨ ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم صادّة عن أمور الآخرة ﴿وأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم ونزل في توبته .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]

٢٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿ويُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾

٣٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوثقوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿ويَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿ويَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿واللَّهُ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٧:** روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن قتادة قال: نزلت هذه الآية: «لاَ تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ» في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه أنَّه الذَّبح، فنزلت، قال أبو لبابة: ما زالت قدماي حتى علمت أنِّي خنت الله ورسوله.

* وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله: أَنَّ أَبا سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريلُ النَّبيَّ ﷺ فقال: إنَّ أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا، فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: إنَّ محمدًا يريدكم فخذوا حِذركم، فأنزل الله: «لاَ تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ» الآية. غريب جدًا في سنده وسياقه نظر.

* وأخرج ابن جرير عن السُّدي قال: كانوا يسمعون من النَّبيِّ ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت.

خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾ أعلمهم به [١] .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

٣١ ﴿وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ﴿إنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إلاَّ أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الأَوَّلِينَ﴾

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]

٣٢ ﴿وإذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إن كَانَ هَذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على بصيرة وجزم ببطلانه [١] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٠**: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أنَّ نفرًا من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم منّي رأي ونُصح، قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل.

* فقال قائل: احبسوه في وثاق ثمَّ تربصوا به المَنُون، حتَّى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء - زهير والنَّابغة - فإنَّما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النَّجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رائدًا من محبسه لأصحابه فليوشكنَّ أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثمَّ يمنعوه منكم فما آمنُ عليكم أنْ يُخرجوكم من بلادكم فانظروا غير هذا الرأي.

* فقال قائل: فأَخرجوه من بين أَظهركم واستريحوا منه، فإنَّه إذا خرج لن يضركم ما صنع. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يستمع من حديثه، والله لئن فعلتم، ثمَّ استعرض العرب، لتجتمعن إليه، ثمَّ ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم، ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأيًا غير هذا.

* فقال أبو جهل: والله لأُشيرنَّ عليكم برأي ما أراكم أَبصرتموه بعد، ما أري غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذوا من كلِّ قبيلةٍ وسيطًا شابًا جلدًا، ثمَّ يعطى كلُّ غلامٍ منهم سيفًا صارمًا، ثمَّ يضربونه ضربة رجلٍ واحدٍ، فإذا قتلتموه تفرَّق دمه في القبائل كلِّها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلّهم، وإنَّهم إذَا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النَّجدي: هذا والله هو الرأي، القول ما قال الفتى لا أرى غيره.

* فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له، فأَتى جبريل النبي ﷺ فأمره بأن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَروا» الآية.

* وأخرج ابن جرير من طريق عبيد بن عمير عن المطلب ابن أبي وداعة أنَّ أبا طالب قال لِلنَّبي ﷺ: ما يأتمر بك قومك؟ قال: يريدون أن يسجنوني، أو يقتلوني، أو يخرجوني، قال: من حدَّثك بهذا؟ قال: ربِّي، قال: نعم الرَّب ربّك، فاستوصِ به خيرًا، قال: أنا أستوصي به؟! بل هو يستوصي بي، فنزلت: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفُروا» الآية.

* قال ابن كثير: «ذكر أبي طالب فيه غريب، بل منكر، لأَنَّ القصة ليلة الهجرة، وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين».

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣١**: أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قَتل النَّبيُّ ﷺ يوم بدر صبرًا عقبة بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي، والنَّضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النَّضر فلمَّا أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: إنَّه كان يقول في كتاب الله ما يقول، قال: وفيه أنزلت هذه الآية: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ٣٢**: أَخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ» الآية، قال: نزلت في النَّضر بن الحارث.

* وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: «اللَّهم إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّماءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» فنزلت: «وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ» الآية.

* وأخرج ابن جرير، عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس، قال: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا: «اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ» الآية، فلمَّا أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللَّهم، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» إلى قوله: «لا يَعْلَمُون».

* وأخرج ابن جرير أيضًا عن ابن أبزى قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» فخرج إلى المدينة، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» وكان أولئك البقية من المسلمين الَّذين بقوا فيها

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]

٣٣ قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمّ ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٣٤ ﴿وَمَا لَهُمْ أَ﴾ ن ﴿لاَ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿وهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ المُتَّقُونَ ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه .

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

٣٥ ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إلاَّ مُكَاءً﴾ صفيراً ﴿وتَصْدِيَةً﴾ تصفيقاً ، أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

٣٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ يساقون (١) .

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧]

٣٧ ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿اللَّهُ الخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿ويَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ .

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

٣٨ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِن يَنتَهُوا﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم ﴿وإِن يَعُودُوا﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾ أي سنتنا فيهم بالهلاك فكذا نفعل بهم .

* * *

يستغفرون، فلمّا خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمْ﴾ الآية، فأذن في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم.

(١) **أسباب نزول الآية ٣٥:** أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصفّقون ويصفّرون ، فنزلت هذه الآية.

* وأخرج ابن جرير عن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبيّ ﷺ في الطواف يستهزؤون به ويصفّرون ويصفّقون، فنزلت.

(١) **أسباب نزول الآية ٣٦:** قال ابن إسحاق: حدثني الزّهري، ومحمّد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمير بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أبي أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم، فكلّموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إنّ محمدًا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا أنْ ندرك منه ثأرًا، ففعلوا، ففيهم، - كما ذُكر عن ابن عباس - أنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يُحْشَرُونَ﴾.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتيبة قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب.

* وأخرج ابن جرير عن ابن أبزي، وسعيد بن جبير قالا: نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله ﷺ.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]

٣٩ ﴿وقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وحده ولا يعبد غيره ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به .

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]

٤٠ ﴿وإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿ونِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي الناصر لكم .

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

٤١ ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿ولِلرَّسُولِ ولِذِي القُرْبَى﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿والْيَتَامَى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿والْمَسَاكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين ، أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس ، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿ومَا﴾ عطف على بالله ﴿أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ الفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم .

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]

٤٢ ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي ﴿وهُم بِالْعُدْوَةِ القُصْوَى﴾ البعدى منها ﴿والرَّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿ولَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعَادِ ولَكِن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ في علمه وهو نصر الإسلام ومحق الكفر فعل ذلك ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿ويَحْيَى﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣]

٤٣ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ أي نومك ﴿قَلِيلاً﴾ فأخبرت به أصحابك فسروا ﴿ولَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿ولَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ ولَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ كم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب .

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤]

٤٤ ﴿وإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ التَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿ويُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالهم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياكم مثليهم كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

٤٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون .

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾

٤٦ ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ ولا تَنازَعُوا﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ تجبنوا ﴿وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿واصْبِرُوا إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والعون

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

٤٧ ﴿ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا ورِئَاءَ النَّاسِ﴾ حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمر وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ واللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيهم به[(١)] .

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال :٤٨]

٤٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وقَالَ﴾ لهم ﴿لا غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وإنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ من كنانة وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ﴾ التقت ﴿الفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحارث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ هارباً ﴿وقَالَ﴾ لما قالوا له أتخذلنا على هذه الحال ﴿إنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾ من جواركم ﴿إنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿واللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

(١) **أسباب نزول الآية ٤٧ :** أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله: «وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِم بَطَرًا» الآية.

غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]

٤٩ ﴿إذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهماً أنهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم ﴿ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يثق به يغلب ﴿فَإنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه[(١)] .

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾

٥٠ ﴿ولَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال ﴿وجُوهَهُمْ وأَدْبَارَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ويقولون لهم ﴿وذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ أي النار ، وجواب لو : لرأيت أمراً عظيماً .

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

٥١ ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

(١) **أسباب نزول الآية ٤٩ :** روي الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة: «سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أيُّ جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتًا بالسيف يقول: «سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر» فكانت ليوم بدر، فأنزل الله فيهم: «حَتَّى إذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذَابِإذَا هُمْ يَجْأَرُونَ» الآية، وأنزل: «أَلَمْ تَرَ إلى الذِّين بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفراً» ورماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم، حتَّى إنَّ الرَّجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنزل الله: «وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ الله رَمَى» وأنزل في إبليس: «فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ» الآية، وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: غرَّ هؤلاء دينهم، فأنزل الله: «إذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينَهُمْ».

٥٢ دأبُ هؤلاء ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٥٣ ﴿ذَلِكَ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أن ﴿اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤]

٥٤ ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٥٥ ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]

٥٦ ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ الله في غدرهم .

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧]

(١) **أسباب نزول الآية ٥٥:** أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: نزلت: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» في ستة رهط من اليهود فيهم ابن تابوت.

٥٧ ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرق ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون بهم .

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]

٥٨ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بإمارة تلوح لك ﴿فَانبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ (١) .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾

٥٩ ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ الله أي فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه ، وفي قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف أي أنفسهم وفي أخرى بفتح إن على تقدير اللام .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

٦٠ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ : «هي الرمي» رواه مسلم ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئاً .

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]

(١) **أسباب نزول الآية ٥٨:** روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وَضَعْتَ السلاح وما زلنا في طلب القوم، فاخْرُجْ فإنَّ الله قد أَذِنَ لك في قريظة، وأنزل فيهم: «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً» الآية.

٦١ ﴿وإن جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها : الصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم ، وقال ابن عباس : هذا منسوخ بآية السيف وقال مجاهد مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة ﴿وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل .

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]

٦٢ ﴿وإن يُرِيدُوا أن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٣]

٦٣ ﴿وأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

٦٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ حسبك ﴿ومَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ [1] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]

٦٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ حث ﴿المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وإن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة ألفا ويثبتوا لهم ثم نسخ لما كثروا بقوله [1] .

﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

٦٦ ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وإن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقابلوا وتثبتوا لهم ﴿واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه .

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٧]

٦٧ ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿واللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِدَاءً﴾ [2] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٦٤** : روي البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منَّا اليوم، وأنزل الله: «يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله وَمِنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ» وله شواهد.

* أخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أسلم مع النَّبيِّ ﷺ تسعةٌ وثلاثون رجلًا وامرأةٌ، ثمَّ إنَّ عمر أسلم فكانوا أربعين نزل: «يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما أسلم مع النَّبيِّ ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة. ثمَّ أسلم مع النبي ﷺ عمر نزلت: «يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله» الآية.

* وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال: لما أسلم عمر أنزل الله في إسلامه: «يَا أَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ٦٥** : أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثَقُل ذلك عليهم وشقَّ فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرَّجلين، فأنزل الله: «إِنْ يَكُنْ مِّنْكُم عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائتَين» إلى آخر الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ٦٧** : روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النَّبي ﷺ النَّاس في الأسارى يوم بدر، فقال: إنَّ الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٨]

٦٨ ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٩]

٦٩ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

٧٠ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى﴾ وفي قراءة: ﴿الأسرى﴾ ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿ويَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧١]

الله اضرب أعناقهم. فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فأنزل الله: «لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ» الآية.

* وروى أحمد، والترمذي، والحاكم، عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأساري، الحديث، وفيه فنزل القرآن بقول عمر: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى» إلى آخر الآيات.

* وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم إنّما كانت تنزل نار من السماء فتأكلها، فلمّا كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم، فأنزل الله: «لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

(١) أسباب نزول الآية ٧٠: روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال العباس: فيَّ والله نزلت، حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي، فأعطاني بها عشرين عبداً كلّهم تاجر بما لي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله.

٧١ ﴿وإن يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ببدر قتلاً وأسراً فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٢]

٧٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿والَّذِينَ آوَوا﴾ النبي ﷺ ﴿ونَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث ﴿والَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن ولايَتِهِم﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم من الكفار ﴿إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]

٧٣ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾ أي تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام (١).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٤]

---

(١) أسباب نزول الآية ٧٣: أخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن السُّدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورث أرحامنا المشركين فنزلت: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ».

٧٤ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ آوَوْا ونَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]

٧٥ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وأُوْلُوا الأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوارث في الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث(١) .

* * *

٩ سورة التوبة

مدنية وآياتها تسع وعشرون ومائة

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]

١ ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾ واصلة ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشْرِكِينَ﴾ عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله .

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢]

٢ ﴿فَسِيحُوا﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿واعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي فائتي عذابه ﴿وأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار .

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

٣ ﴿وأَذَانٌ﴾ إعلام ﴿مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ المُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿ورَسُولُهُ﴾ بريء أيضا «وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة وهي سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» رواه البخاري ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وإن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وبَشِّرْ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]

٤ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿ولَمْ يُظَاهِرُوا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾ إنقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود .

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]

٥ ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ خرج ﴿الأَشْهُرُ الحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حل أو حرم ﴿وخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿واحْصُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٧٥:** أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاقد الرجل، ترثني وأرثك، فنزلت: «وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» الآية.

* وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام، وبين كعب بن مالك. قال الزبير: لقد رأيت كعبًا أصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته، فنزلت هذه الآية: «وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» فصارت المواريث بعد للأرحام والقرابات، وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة.

طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

٦ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أمنه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]

٧ ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ وهم كافرون بالله ورسوله غادرون ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية وهم قريش والمستثنون من قبل ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به ، وما شرطية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]

٨ ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لا يَرْقُبُوا﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلاًّ﴾ قرابة ﴿وَلا ذِمَّةً﴾ عهداً بل يؤذونكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ناقضون للعهد .

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩]

٩ ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم هذا

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠]

١٠ ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ ولا ذِمَّةً وأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

١١ ﴿فَإِن تَابُوا وأَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ ونُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]

١٢ ﴿وَإِن نَّكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَانَهُم﴾ مواثيقهم ﴿مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ رؤساءه ، فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ عن الكفر .

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

١٣ ﴿أَلا﴾ للتحضيض ﴿تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتخافونهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾

١٤ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ ويُخْزِهِمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿ويَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ويَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم بنو خزاعة [(١)] .

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥]

١٥ ﴿ويُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿ويَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

١٦ ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا ولَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ بإخلاص ﴿ولَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ولا رَسُولِهِ ولا المُؤْمِنِينَ ولِيجَةً﴾ بطانة وأولياء ، المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿واللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]

١٧ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أعْمَالُهُمْ وفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [(٢)] .

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾

١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ ولَمْ يَخْشَ﴾ أحداً ﴿إلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾ .

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]

١٩ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ أي أهل ذلك ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾

---

(١) أسباب نزول الآية ١٤ : أخرج أبو الشَّيخ عن قتادة قال: ذُكر لنا أنَّ هذه نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة.

* وأخرج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة.

* وأخرج عن السُّدي «وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤمِنين» قال: هم خزاعة حلفاء النَّبيِّ ﷺ يشفِ صدورهم من بني بكر.

(٢) أسباب نزول الآيات ١٧-١٨-١٩ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إنْ كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله: «أَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الحَرَام كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» الآية.

* وأخرج مسلم، وابن حبان وأبو داود، عن النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلاَّ أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله: «أَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الحَاجِّ» إلى قوله: «لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ».

* وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر، ألا تلحق برسول الله ﷺ؟ فقال: أعْمُرُ المسجد وأحجب البيت، فأنزل الله: «أَجَعَلْتُمْ سِقَاية الحَاجِّ» الآية.

وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فأنزل الله: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» الآية.

* وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه.

* وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبة، والعباس، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه ، وقال العباس: أنا صاحب السِّقاية والقائم عليها، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل النَّاس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ» الآية كلها.

في الفضل ﴿واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت رداً على من قال ذلك وهو العباس أو غيره.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

٢٠ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]

٢١ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ورِضْوَانٍ وجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

٢٢ ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]

٢٣ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا ﴿الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ومَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

٢٤ ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم وفي قراءة ﴿عشيراتكم﴾ ﴿وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاذها ﴿ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ تهديد لهم ﴿واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]

٢٥ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف، أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر ألفا والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ما مصدرية أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه[1].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]

٢٦ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَى رَسُولِهِ وعَلَى المُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة ﴿وعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٧]

٢٧ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٥: أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس: أن رجلا قال يوم حنين: لن نغلب من قلة، وكانوا اثني عشر ألفا، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله: «وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ» الآية.

يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]

٢٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]

٢٩ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ولا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿ولا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ورَسُولُهُ﴾ كالخمر ﴿ولا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بيان للذين ﴿أُوتُوا الكِتَابَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٍ﴾ حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]

٣٠ ﴿وقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليداً لهم ﴿قَاتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿اللَّهُ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون عن الحق مع قيام الدليل(١).

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

٣١ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿ورُهْبَانَهُمْ﴾ عبّاد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ومَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إلاّ لِيَعْبُدُوا﴾ أي يعبدوا ﴿إِلَهًا واحِدًا لاّ إِلَهَ إلاّ هُوَ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾

٣٢ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿ويَأْبَى اللَّهُ إلاّ أَن يُتِمَّ﴾ يظهر ﴿نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ ذلك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾

٣٣ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ يعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

* * *

(١) **أسباب نزول الآية ٢٨:** أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يُتجرون فيه، فلمّا نُهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: فمن أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: «وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ».

* وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: «إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا» شقّ ذلك على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بالطعام والمتاع؟ فأنزل الله: «وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ».

* وأخرج مثله عن عكرمة، وعطية العوفي، والضّحاك، وقتادة وغيرهم.

(١) **أسباب نزول الآية ٣٠:** أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان ابن أوفى، ومحمد بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك ابن الصّيف، فقالوا: كيف نتّبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أنّ عزيرًا ابن الله، فأنزل الله في ذلك: «وَقَالَتِ اليَهُودُ» الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]

٣٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿والَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَهَا﴾ أي الكنوز ﴿في سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لا يؤدون منها حقه للزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]

٣٥ ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي جزاءه

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]

٣٦ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ مِنْهَا﴾ أي الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ محرمة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَلِكَ﴾ أي تحريمها ﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي فإنها أعظم وزرا وقيل في الأشهر كلها ﴿وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

٣٧ ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى آخره كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا حل وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾ أي النسيء ﴿عَامًا ويُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [(١)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]

٣٨ ونزل لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة وحر فشق عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل أي تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ الآخِرَةِ﴾ أي بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ حقير [(٢)].

* * *

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٧**: أخرج ابن جرير عن أبي مالك قال: كانوا يجعلون السّنة ثلاثة عشر شهرًا، فيجعلون المحرّم صفرًا، فيستحلّون فيه المحرّمات، فأنزل الله: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ».

(٢) **أسباب نزول الآية ٣٨**: أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، أمروا بالنّفير في الصيف حين خُرِفَتِ النخل طابت الثمار واشتهوا الظلال، وشقّ عليهم المخرج، فأنزل الله: «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا».

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

٣٩ ﴿إلاَّ﴾ بإدغام لا في نون إن الشرطية في الموضعين ﴿تَنفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿ويَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يأت بهم بدلكم ﴿ولا تَضُرُّوهُ﴾ أي الله أو النبي ﷺ ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصرُ دينه ونبيه (١) .

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

٤٠ ﴿إلاَّ تَنصُرُوهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة أي الجأوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿إذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هُمَا فِي الغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إذْ﴾ بدل ثان ﴿يَقُول لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وأَيَّدَهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المغلوبة ﴿وكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ أي كلمه الشهادة ﴿هِيَ العُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه .

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

٤١ ﴿انفِرُوا خِفَافًا وثِقَالاً﴾ نشاطاً وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ ﴿وجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فلا تثاقلوا (١).

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة : ٤٢]

٤٢ ونزل في المنافقين الذين تخلفوا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لاتَّبَعُوكَ﴾ طلباً للغنيمة ﴿ولَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ إنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك .

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة : ٤٣]

٤٣ وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه ، فنزل عتاباً له وقدم العفو تطميناً لقلبه ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العذر ﴿وتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ﴾ فيه (٢) .

* * *

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٩** : أخرج ابن أبي حاتم عن نجدة ابن نفيع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ حيًا من أحياء من العرب فتثاقلوا عنه، فأنزل الله: «إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» فأمسك عنهم المطر، فكان عذابهم .

(١) **أسباب نزول الآية ٤١** : أخرج ابن جرير عن حضرمي أنَّه ذُكر له أن أناسًا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلًا أو كبيرًا، فيقول: إنِّي آثم ! فأنزل الله: «انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا».

(٢) **أسباب نزول الآية ٤٣** : أخرج ابن جرير: عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يُؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فأنزل الله: «عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ».

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾

٤٤ ﴿لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ واللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ .

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾

٤٥ ﴿إنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وارْتَابَتْ﴾ شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]

٤٦ ﴿ولَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ﴾ معك ﴿لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿ولَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أي لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلهم ﴿وقِيلَ﴾ لهم ﴿اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ﴾ المرضى والنساء والصبيان ، أي قدَّر الله تعالى ذلك .

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]

٤٧ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إلاَّ خَبَالاً﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يطلبون لكم ﴿الفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ .

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾

٤٨ ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا﴾ لك ﴿الفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّى جَاءَ الحَقُّ﴾ النصر ﴿وظَهَرَ﴾ عز ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وهُمْ كَارِهُونَ﴾ له فدخلوا فيه ظاهراً .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]

٤٩ ﴿ومِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿ولا تَفْتِنِّي﴾ وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ: «هل لك في جلاد بني الأصفر؟» فقال: إني مغرم بالنساء ؛ وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن ، قال تعالى ﴿أَلا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف ، وقرئ سقط «وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ لا محيص لهم عنها»(١) .

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠]

٥٠ ﴿إن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وإن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه المعصية ﴿ويَتَوَلَّوْا وهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك(٢).

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ

---

(١) أسباب نزول الآية ٤٩ : أخرج الطبراني، وأبو نُعيم، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجدّ بن قيس: يا جدّ بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله إني امرؤٌ صاحب نساء ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن فأذَنْ لي ولا تفتنّي، فأنزل الله: «وَمِنْهُمْ مَن يَقُول ائْذَنْ لي وَلاَ تَفْتِنّي» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله مثله.

* وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر، فقال ناس من المنافقين: إنَّه ليفتنكم بالنِّساء، فأنزل الله: «وَمِنْهُمْ مَن يَقُول ائْذَنْ لي وَلاَ تَفْتِنّي».

(٢) أسباب نزول الآية ٥٠ : أخرج ابن أبي حاتم عن جابر ابن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلَّفوا بالمدينة يخبرون عن النَّبيّ ﷺ أخبار السُّوء، يقولون: إنَّ محمدًا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم، وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النَّبيّ ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله: «إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ» الآية.

٥١ ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابة ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]

٥٢ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أي يقع ﴿بِنَا إلاَّ إحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية حسنى، تأنيث أحسن النصر أو الشهادة ﴿ونَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ بنا ذلك ﴿إنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم .

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٥٣]

٥٣ ﴿قُلْ أَنفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر (١) .

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾

٥٤ ﴿ومَا مَنَعَهُمْ أن تُقْبَلَ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إلاَّ أنَّهُمْ﴾ فاعل، وأن تقبل مفعول ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وبِرَسُولِهِ ولا يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إلاَّ وهُمْ كُسَالَى﴾ متثاقلون ﴿ولا يُنفِقُونَ إلاَّ وهُمْ كَارِهُونَ﴾ النفقة لأنهم يعدونها مغرماً .

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]

(١) **أسباب نزول الآية ٥٣:** أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي، قال: ففيه نزلت: «أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يتقبل منكم» قال: لقوله: أعينك بمالي.

٥٥ ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ ولا أَوْلادُهُمْ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وهُمْ كَافِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب .

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]

٥٦ ﴿ويَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي مؤمنون ﴿ومَا هُم مِّنكُمْ ولَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية .

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧]

٥٧ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ سراديب ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَّوَلَّوْا إلَيْهِ وهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموع .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]

٥٨ ﴿ومِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي﴾ قسم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وإن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (١) .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]

٥٩ ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ورَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما

(١) **أسباب نزول الآية ٥٨:** روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسمًا إذ جاءه ذو الخويصرة، فقال: اعدل. فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت: «وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر نحوه.

يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنينا ، وجواب لو لكان خيرا لهم .

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]

٦٠ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿والْمَسَاكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿والْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر ﴿والْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ أي المكاتبين ﴿والْغَارِمِينَ﴾ أهل الدَّين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بفعله المقدر ﴿مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً .

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾

٦١ ﴿ومِنْهُمُ﴾ أي المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿ويَقُولُونَ﴾ إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ﴾ مستمع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ويُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿ورَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطفاً على أذن والجر عطفاً على خير ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]

٦٢ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ واللَّهُ ورَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين وخبر الله أو رسوله محذوف

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾

٦٣ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ ورَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ﴾

﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾

٦٤ ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿المُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجه من نفاقكم

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾

٦٥ ﴿ولَئِن﴾ لام القسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلي تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللَّهِ وآيَاتِهِ ورَسُولِهِ كُنتُمْ

أسباب نزول الآية ٦١: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين، فأنزل الله: « وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ» الآية.

تَسْتَهْزِءُونَ﴾[(١)].

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]

٦٦ ﴿لا تَعْتَذِرُوا﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ﴾ بالياء مبنياً للمفعول والنون مبنياً للفاعل ﴿عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها كجحش بن حمير ﴿نُعَذِّبْ﴾ بالتاء والنون ﴿طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء.

﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾

٦٧ ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

٦٨ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاءً وعقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾

٦٩ أنتم أيها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ تمتعوا ﴿بِخَلَاقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي كخوضهم ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]

٧٠ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ قرى قوم لوط أي أهلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) أسباب نزول الآية ٦٥: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأينا مثل قرائن هؤلاء، ولا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء منهم، فقال له رجل: كذبت، ولكنك منافق لأخبرنّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال ابن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله «إنما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ» ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِءُونَ».

* ثمّ أخرج من وجه آخر عن ابن عمر نحوه، وسمّى الرجل عبد الله بن أبيّ.

* وأخرج عن كعب بن مالك قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كلّ رجل منكم مائة مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن فبلغ النبي ﷺ فجاؤوا يعتذرون، فأنزل الله: «لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» الآية، فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يُقتل شهيدًا لا يعلم بمقتله، فقُتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة، أن ناسًا من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات، فأطلع الله نبيه ﷺ علي ذلك، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: «إنما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ» فنزلت.

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]

٧١ ﴿والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ويُطِيعُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئا إلا في محله .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]

٧٢ ﴿وعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ورِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]

٧٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿والْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿واغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المَصِيرُ﴾ المرجع هي .

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

٧٤ ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي المنافقين ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من السب ﴿ولَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿ومَا نَقَمُوا﴾ أنكروا ﴿إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم والمعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِن يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وإن يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿والآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿ومَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن ولِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿ولا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم [1] .

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥]

٧٥ ﴿ومِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب ،

---

(١) **أسباب نزول الآية ٧٤:** أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان الجلاس بن سويد بن الصَّامت ممن تخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال: لئن كان هذا الرَّجل صادقًا لنحن شرٌ من الحمير، فرفع عمير بن سعد ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فحلف بالله ما قلت، فأنزل الله: «يَحْلِفُونَ بالله مَا قَالُوا» الآية، فزعموا: أنه تاب وحسنت توبته.

* ثمَّ أخرج عن كعب بن مالك نحوه.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات نحوه عن عروة.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالكٍ قال: سمع زيد ابن أرقم رجلًا من المنافقين يقول والنَّبيُّ ﷺ يخطب: إنْ كان هذا صادقًا لنحن شرٌّ من الحمير، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فجحد القائل، فأنزل الله: «يَحْلِفُونَ بالله مَا قَالُوا» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظلِّ شجرة، فقال: إنَّه سيأتيكم إنسان فينظر بعيني شيطان، فطلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا هذا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله تعالى: «يَحْلِفُونَ بالله ما قَالُوا» الآية.

* وأخرج عن قتادة قال: إنَّ رجلين اقتتلا، أحدهما من جُهينة والآخر من غِفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظهر الغِفاري على الجهيني، فقال عبد الله بن أُبيّ للأوس: أنصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلَّا كما قال القائل : «سمِّنْ كلبك يأكلك، لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ» فسعى رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فأرسلَ إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قال، فأنزل الله تعالى: «يَحْلِفُونَ بالله مَا قَالُوا» الآية.

* وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: هَمَّ رجلٌ يقال له: الأسود بقتل النبي ﷺ، فنزلت: «وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا».

* وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة: أنَّ مولى بني عدي بن كعب قتل رجلًا من الأنصار، فقضى النَّبيُّ ﷺ بالدِّية اثني عشر ألفًا، وفيه نزلت: «وَمَا نَقَمُوا إلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ».

سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا ويؤدي منه إلى كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (١) .

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٦]

٧٦ ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ﴿وهُم مُّعْرِضُونَ﴾ .

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾

٧٧ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي فصيَّر عاقبتهم ﴿نِفَاقاً﴾ ثابتاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وعَدُوهُ وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فيه فجاء بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بركاته فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ، ثم جاء إلى أبي بكر فلم يقبلها ، ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]

٧٨ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي المنافقين ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿ونَجْوَاهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العيان ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون مراء ، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا فنزل .

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]

٧٩ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿المُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ والَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

* * *

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

٨٠ ﴿اسْتَغْفِرْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ : «إني خيرت فاخترت يعني الاستغفار» رواه البخاري ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث «لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها» وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾.

---

(١) **أسباب نزول الآية ٧٥:** أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل **بسند ضعيف** عن أبي أمامة: أنّ ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالًا، قال: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: والله لئن آتاني الله مالًا لأوتينّ كلّ ذي حقّ حقه ، فدعا له فاتخذ غنمًا، فنمَت حتى ضاقت عليه أزِّقة المدينة فتنحى بها، وكان يشهد الصّلاة ثمّ يخرج إليها، ثمّ نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها ، فكان يشهد الجمعة ثمّ يخرج إليها، ثمّ نمت فتنحّى بها، فترك الجمعة والجماعات ، ثمّ أنزل الله على رسوله: «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرهم وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا»، فاستعمل على الصّدقات رجلين، وكتب لهما كتابًا، فأتيا ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: إنطلقا إلى النّاس، فإذا فرغتم فمرُّوا بي ففعلا، فقال: ما هذه إلاّ أخت الجزية فانطلقا، فأنزل الله: «وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ» إلى قوله: «يَكْذِبُون» الحديث.

* وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه. **قلتُ: وهذه القصة لا تصح.**

(١) **أسباب نزول الآية ٧٩:** روى الشيخان عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدَّق بشيءٍ كثير، فقالوا: مُراءٍ، وجاء رجلٌ فتصدَّق بصاع، فقالوا: إنَّ الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، فنزل: «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعينَ» الآية.

* وورد نحو هذا من حديث أبي هريرة، وأبي عقيل، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعميرة بنت سهيل بن رافع، أخرجها كلها ابن مردويه.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]

٨١ ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم ﴿خِلافَ﴾ أي بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وكَرِهُوا أن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لا تَنفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا .

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]

٨٢ ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ في الدنيا ﴿ولْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر .

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾

٨٣ ﴿فَإن رَّجَعَكَ﴾ ردك ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَئْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ولَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الخَالِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾

٨٤ ولما صلى النبي ﷺ على ابن أُبَيٍّ نزل ﴿ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ ومَاتُوا وهُمْ فَاسِقُونَ﴾ كافرون [1] .

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾

٨٥ ﴿ولا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وأَوْلادُهُمْ إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وهُمْ كَافِرُونَ﴾

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦]

٨٦ ﴿وإذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَئْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ﴾ ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ القَاعِدِينَ﴾ .

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]

٨٧ ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفهن في البيوت ﴿وطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ الخبر .

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٨١**: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ النَّاس أن ينبعثوا معه وذلك في الصَّيف، فقال رجل: يا رسول الله الحرُّ شديدٌ ولا نستطيع الخروج فلا تنفِر في الحر، فأنزل الله: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» الآية.

* وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: خرج رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحرّ، فأنزل الله: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» الآية.

* وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: قال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحرّ، فنزلت.

(١) **أسباب نزول الآية ٨٤**: روى الشيخان عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب، فأخذ بثوبه وقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين، قال: «إنما قد خيرني الله فقال: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة» وسأزيد على السبعين»، فقال: إنه منافق، فصلى عليه، فأنزل الله: «ولا تصلِ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره» فترك الصلاة عليهم.

* ورد ذلك من حديث عمر وأنس وجابر وغيرهم.

﴿وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]

٨٨ ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ وأُوْلَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٩]

٨٩ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾.

﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٩٠]

٩٠ ﴿وجَاءَ المُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي المعتذرون بمعنى المعذرين وقرئ به ﴿مِنَ الأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

٩١ ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿ولا عَلَى المَرْضَى﴾ كالعمي والزمنى ﴿ولا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إذَا نَصَحُوا لِلَّهِ ورَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى المُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿واللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك[1].

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾

٩٢ ﴿ولا عَلَى الَّذِينَ إذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن ﴿قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب إذا أي انصرفوا ﴿وأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]

٩٣ ﴿إنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله.

﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

٩٤ ﴿يَعْتَذِرُونَ إلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إذَا رَجَعْتُمْ إلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿قُل﴾ لهم ﴿لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي أخبرنا بأحوالكم ﴿وسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إلَى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

* * *

(١) أسباب نزول الآية ٩١: أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه، إذ جاءه أعمى فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى، فنزلت: «ليس على الضعفاء...» الآية.

وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله احملنا، فقال: «والله لا أجد ما أحملكم عليه»، فولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يُحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً، فأنزل الله عز وجل: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...» الآية.

* ذكرت أسماءهم في المبهمات.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]

٩٥ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ﴾ .

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

٩٦ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله .

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٩٧ ﴿الأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا ونِفَاقًا﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم .

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٩٨ ﴿ومِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامةً وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو أسد وغطفان ﴿ويَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلص ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالضم الفتح ، أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم .

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩]

٩٩ ﴿ومِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ كجهينة ومزينة ﴿ويَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَاتٍ﴾ تقربه ﴿عِندَ اللَّهِ و﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَوَاتِ﴾ دعوات ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلا إِنَّهَا﴾ أي نفقتهم ﴿قُرُبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿لَّهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم[1] .

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

١٠٠ ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدراً أو جميع الصحابة ﴿والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ في العمل ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿ورَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ وفي قراءةٍ بزيادة ﴿من﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ .

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾

١٠١ ﴿ومِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿ومِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ﴾ منافقون أيضا ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ لجُوا فيه واستمروا ﴿لا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار .

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١٠٢ ﴿و﴾ قوم ﴿آخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿اعْتَرَفُوا

---

(١) أسباب نزول الآية ٩٩ : أخرج ابن جرير عن مجاهد: انها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم».

* وأخرج عبد الرحمن بن معقل المزني قال: كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا هذه الآية.

بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف نعته والخبر ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلهم لما نزلت[1]

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

١٠٣ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم ﴿إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ﴾ رحمة ﴿لَهُمْ﴾ وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

١٠٤ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿الصَّدَقَاتِ وأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، والاستفهام للتقرير والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة .

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

١٠٥ ﴿وقُلِ﴾ لهم أو للناس ﴿اعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ وسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يجازيكم به .

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦]

١٠٦ ﴿وآخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة ﴿لأَمْرِ اللَّهِ﴾ فيهم بما شاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم ، وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٢ :** أخرج ابن مردويه، وابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: غزا رسول الله » فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا، وأيقنوا بالهلاك، وقالوا: نحن في الظل والطمأنينة مع النساء، ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها ، ففعلوا، وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم، فرجع رسول الله ﷺ من غزوته، فقال: «من هؤلاء الموثقون بالسواري؟» فقال رجل: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم.

* فقال: «لا أطلقهم حتى أؤمر بإطلاقهم»«فأنزل الله: «وآخرون اعترفوا بذنوبهم» الآية.

* فلما نزلت أطلقهم وعذرهم، وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يُذكروا بشيء، وهم الذين قال الله فيهم: «وآخرون مرجون لأمر الله» الآية. فجعل أناس يقولون: هلكوا؛ إذ لم ينزل عذرهم، وآخرون يقولون: عسى الله أن يتوب عليهم حتى نزلت: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا».

* وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه وزاد: فجاء أبو لبابة وأصحابه بأموالهم حين أطلقوا، فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدَّق بها عنّا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذَ من أموالكم شيئًا، فأنزل الله: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» الآية.

* وأخرج هذا القدر وحده عن سعيد بن جبير، والضحاك، وزيد بن أسلم، وغيرهم.

* وأخرج عن قتادة أنّها نزلت في سبعة: أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السّواري ، وهم أبو لبابة، ومرداس، وأوس بن خِذام، وثعلبة بن وديعة.

* وأخرج أبو الشيخ وابن منده في الصحابة من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: كان ممن تخلّف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة: أبو لبابة، وأوس بن خذام، وثعلبة بن وديعة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الرّبيع، وهلال بن أمية. فجاء أبو لبابة، وأوس، وثعلبة، فربطوا أنفسهم بالسّواري وجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله خذ هذا الذي حبَسَنا عنك، فقال: لا أحلهم حتى يكون قتال، فنزل القرآن: «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم» الآية، إسناده قوي.

* وأخرج ابن مردويه – بسند فيه الواقدي – عن أُم سلمة قالت: أنَّ توبة أَبي لبابة نزلت في بيتي، فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في السَّحر، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: تِيبَ على أبي لبابة، فقلت: أوذِنُه بذلك؟ فقال: ما شئتِ، فقمت على باب الحِجرة، وذلك قبل أن يُضرب الحجاب، فقلت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار النَّاس ليطلقوه، فقال: حتى يأتيَ رسولُ الله ﷺ فيكون هو الذي يطلقني، فلما خرج إلى الصبح أطلقه فنزلت : «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم».

وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة : ١٠٧]

١٠٧ ﴿وَ﴾ منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وكُفْرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وإِرْصَادًا﴾ ترقباً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ ورَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور ﴿ولَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ ببنائه ﴿إلاَّ﴾ الفعلة ﴿الحُسْنَى﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في ذلك ، وكانوا سألوا النبي ﷺ أي يصلي فيه فنزل(١) .

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة : ١٠٨]

١٠٨ ﴿لا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة، وهو مسجد قباء كما في البخاري ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا واللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ﴾ أي يثيبهم ، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ، روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال : إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ، قالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي حديث رواه البزار فقالوا : نتبع الحجارة بالماء فقال: هو ذاك فعليكموه .

* * *

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٧ :** أخرج ابن مردويه من طريق ابن إسحاق قال: ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنّه سمع أبا رهم – وكان ممن بايع تحت الشجرة – يقول: أتى من بنى مسجدَ الضِّرار رسول الله ﷺ وهو متجهِّز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنَّا بنينا مسجدًا لِذي العلّة، والحاجة، والليلة الشّاتية، والليلة المطيرة، وإنَّا نحب أن تَأتينا فتصليَ لنا فيه.

* قال: إنّي على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلّينا لكم فيه، فلمَّا رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله في المسجد: « والَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا» إلى آخر القصة، فدعا مالكَ بن الدخشن ، ومعن بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وأحرقاه، ففعلا.

* وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء خرج رجال من الأنصار: منهم: يخدج، فبنوا مسجد النِّفاق، فقال رسول الله ﷺ ليخدج: ويلك ما أردت إلى ما أرى، فقال: يا رسول الله ما أردتُ إلاَّ الحسنى، فأنزل الله الآية.

* وأخرج ابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إنَّ أناسًا من الأنصار ابتنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإنّي ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند فأخرج محمدًا وأصحابه، فلمَّا فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له: لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه، فأنزل الله: «لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا».

* وأخرج الواحدي عن سعد بن أبي وقاص قال: إن المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه يضاهون به مسجد قباء لأبي عامر الرَّاهِب يرصدونه إذا قدم ليكون إمامَهم فيه، فلمَّا فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنَّا بنينا مسجدًا فصلِّ فيه، فنزلت: «لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا».

* وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء: «فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَالله يُحِبُّ المُطَّهِرِينَ» قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم.

* وأخرج عمر بن شبة في أخبار المدينة، من طريق الوليد ابن أبي سندر الأسلمي عن يحيى بن سهل الأنصاري عن أبيه: أنَّ هذه الآية نزلت في أهل قباء كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط: «فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن عطاء قال: أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء، فنزلت فيهم: «فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَالله يُحِبُّ المُطَّهِرِينَ».

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]

١٠٩ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿مِنَ اللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير، أي الأول خير وهو مثال مسجد قباء والثاني مثال مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٠]

١١٠ ﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ شكًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

١١١ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء.

وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول أي فيُقتل بعضهم ويقاتِل الباقي ﴿وعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْرَاةِ والإنجيلِ والْقُرْآنِ ومَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التفاتٌ عن الغيبة ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ المنيل غاية المطلوب [1].

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١١٢ ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق ﴿العَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي المصلون ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]

١١٣ ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى﴾ ذوي قرابة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ النار بأن ماتوا على الكفر [2].

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١١:** أخرج ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظي قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنّة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: «إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ المُؤمنينَ أَنْفُسَهُمْ».

(٢) **أسباب نزول الآية ١١٣:** أخرج الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله أحاجّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطلب، فلم يزالا يكلّمانه حتى آخر شيء كلّمهم به هو: على ملّة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: لأستغفرنّ لك ما لم أنْهَ عنك، فنزلت: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ» الآية. وأنزل في أبي طالب: «إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» الآية. وظاهر هذا أنَّ الآية نزلت بمكة.

* وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن علي قال: سمعت رجلًا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]

١١٤ ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بقوله: سأستغفر لك ربي، رجاءَ أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

١١٥ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

١١٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يُحْيِي ويُمِيتُ ومَا لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿ولا نَصِيرٍ﴾ يمنعكم من ضرره.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]

١١٧ ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ﴾ أي أدام توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ والْمُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد، واشتد الحرب حتى شربوا الفَرْث ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بالياء والتاء تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]

١١٨ ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي مع رحبها، أي سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه ﴿وضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وظَنُّوا﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ مخففة ﴿لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

١١٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك

مشرك. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

* وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فناجاه طويلًا ثمّ بكى، فبكيت لبكائه، فقال: إنّ القبر الذي جلست عنده قبرُ أمي، وإنّي استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

* وأخرج أحمد، وابن مردويه واللّفظ له من حديث بريدة قال: كنت مع النبيّ ﷺ إذ وقف على عسفان فأبصر قبر أمّه فتوضأ وصلّى وبكى، ثمّ قال: إنّي استأذنت ربي أن أستغفر لها فنُهيت، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

* وأخرج الطبراني وابن مردويه نحوه من حديث ابن عباس، وأنّ ذلك بعد أن رجع من تبوك وسافر إلى مكة معتمرًا، فهبط عند ثنيّة عسفان.

* قال الحافظ ابن حجر: «يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب، متقدّمٌ هو أمر أبي طالب، ومتأخر وهو أمرُ آمنة، وقصة علي، وجمع غيره بتعدد النزول».

(1) أسباب نزول الآية ١١٧: روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبيّ ﷺ في غزوة غزاها إلاّ بدرًا حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها، وآذن النّاسَ بالرّحيل فذكر الحديث بطوله، وفيه: فأنزل الله توبتنا: ﴿لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ قال: وفينا أنزل: ﴿اتَّقُوا الله وَكُونوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

معاصيه ﴿وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق .

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

١٢٠ ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ ومَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿ولا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد ، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿ولا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿ولا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ ولا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر بمعنى وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿الكُفَّارَ ولا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَّيْلاً﴾ قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ﴾ أي أجرهم بل يثيبهم .

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : ١٢١]

١٢١ ﴿ولا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿ولا كَبِيرَةً ولا يَقْطَعُونَ وادِيًا﴾ بالسير ﴿إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ به عمل صالح ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءهم .

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

١٢٢ ولما وُبِّخوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعا فنزل : ﴿ومَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كَافَّةً فَلَوْلا﴾ فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة ، ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ أي الماكثون ﴿فِي الدِّينِ ولِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه ، قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا ، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ[1]..

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَـٰتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ١٢٣]

١٢٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿ولْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة أي أغلظوا عليهم ﴿واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر .

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة : ١٢٤]

١٢٤ ﴿وإذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾ أي المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيمَانًا﴾ تصديقاً ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بها .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾

١٢٥ ﴿وأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إلَى رِجْسِهِمْ﴾ كفراً إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿ومَاتُوا وهُمْ كَافِرُونَ﴾ .

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ

(١) أسباب نزول الآية ١٢٢ : أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت: «إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» وقد كان تخلَّف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي هلك أصحاب البوادي، فنزلت: «وَمَا كَانَ المُؤْمِنُون لِيَنفِرُوا كَافَّةً».

* وأخرج عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سريّة خرجوا فيها وتركوا النّبي ﷺ بالمدينة في رقة من النّاس، فنزلت.

﴿مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

١٢٦ ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ﴾ بالياء أي المنافقون والتاء أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي﴾ يبتلون ﴿كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ﴾ بالقحط والأمراض ﴿لا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿ولا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وإذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ الحق لعدم تدبرهم.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

١٢٨ ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي منكم: محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عنتكم أي مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ شديد الرحمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ يريد لهم الخير.

* * *

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾

١٢٩ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كافيّ ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وهُوَ رَبُّ العَرْشِ﴾ الكرسي ﴿العَظِيمِ﴾ خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، وروى الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة.

* * *

١٠ سورة يونس

مكية وآياتها تسع ومائة

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]

١ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ الكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿الحَكِيمِ﴾ المحكم.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢]

٢ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة استفهام إنكار والجار والمجرور حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ أي إيحاؤنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرِ﴾ خوف ﴿النَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ الكَافِرُونَ إنَّ هَذَا﴾ النبي ﷺ ﴿لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن وفي قراءة ﴿لسحر﴾ والمشار إليه القرآن المشتمل على ذلك [1].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

(١) **أسباب نزول الآية ٢:** أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدًا رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، فأنزل الله: «أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا» الآية، وأنزل: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ» الآية، فلمّا كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشرًا فغير محمد كان أحقّ بالرسالة: «لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» يقولون: أشرف من محمد، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل ردًا عليهم: «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» الآية.

٣ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من الدنيا ، أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن في لمحة ، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾ صلة ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ رد لقولهم إن الأصنام تشفع لكم ﴿ذَلِكُمُ﴾ الخالق المدبر ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿أَفَلا تَذَّكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال .

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس : ٤]

٤ ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يثيب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفرهم .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٥ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء أي نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر منزلاً من ثمان وعشرين ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً ، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون يبين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾

٦ ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَالأَرْضِ﴾ في الأرض من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ فيؤمنون خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة لإنكارهم لها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَافِلُونَ﴾ تاركون النظر فيها .

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

٨ ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ به بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

١٠ ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي يا الله فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾ مفسرة ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ .

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس : ١١]

١١ ونزل لما استعجل المشركون العذاب ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم﴾ أي

كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿الَذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين .

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

١٢ ﴿وإذَا مَسَّ الإنسَانَ﴾ الكافر ﴿الضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ أي مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي في كل حالٍ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣]

١٣ ﴿ولَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿و﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿ومَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عطف على ظلموا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمينَ﴾ الكافرين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]

١٤ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلائِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٥ ﴿وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بيِّنَاتٍ﴾ ظاهراتٍ حال ﴿قَالَ الَذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ﴾ قبل ﴿نَفْسِي إنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إلَيَّ إنِّي أَخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة .

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]

١٦ ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ولا أَدْرَاكُم﴾ أعلمكم ﴿بِهِ﴾ ولا نافية عطف على ما قبله ، وفي قراءة بلام جواب لو : أي لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾ سنيناً أربعين ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قِبَلي .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]

١٧ ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿المُجْرِمُونَ﴾ المشركون

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]

١٨ ﴿ويَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه وهو الأصنام ﴿ويَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ ولا فِي الأَرْضِ﴾ استفهام إنكار إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لا يخفي عليه شيء ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ـه معه .

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا

كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩]

١٩ ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام، من لدن آدم إلى نوح، وقيل من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾

٢٠ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي أهل مكة ﴿لَوْلاَ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الغَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد أي أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو وإنما علي التبليغ ﴿فَانتَظِرُوا﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ المُنتَظِرِينَ﴾ .

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١]

٢١ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطراً وخصباً ﴿مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاةً ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ بالتاء والياء

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]

٢٢ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ وفي قراءة ﴿ينشركم﴾ ﴿فِي البَرِّ والبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أهلكوا ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنْ﴾ لام القسم ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الموحدين .

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٢٣ ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ بالشرك ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَى أَنفُسِكُم﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿مَّتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنجازيكم عليه وفي قراءة بنصب متاع أي تتمتعون .

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

٢٤ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من البر والشعير وغيرهما ﴿والأَنْعَامُ﴾ من الكلأ ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وازَّيَّنَتْ﴾ بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زاياً وأدغمت في الزاي ﴿وظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾ تكن ﴿بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]

٢٥ ﴿واللَّهُ يَدْعُو إلَى دَارِ السَّلامِ﴾ أي السلامة، وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿ويَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٢٦ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿ولا يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿ولا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]

٢٧ ﴿والَّذِينَ﴾ عطف على الذين أحسنوا، أي وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ بفتح الطاء، جمع قطعة وإسكانها أي جزءاً ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨]

٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ نصب بالزموا مقدراً ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿وشُرَكَاؤُكُمْ﴾ أي الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ﴾ ﴿وقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ ما نافية وقدم المفعول للفاصلة .

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس: ٢٩]

٢٩ ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ إن﴾ مخففة أي إنا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ .

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

٣٠ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي ذلك اليوم ﴿تَبْلُو﴾ من البلوى، وفي قراءة بتاءين ﴿تتلو﴾ من التلاوة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ قدمت من العمل ﴿ورُدُّوا إلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ﴾ الثابت الدائم ﴿وضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه من الشركاء .

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]

٣١ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿والأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع أي خلقها ﴿والأَبْصَارَ ومَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ومَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللَّهُ فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ فتؤمنون .

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]

٣٢ ﴿فَذَلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ﴾ استفهام تقرير، أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فَأَنَّى﴾ كيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان .

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]

٣٣ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كفروا، وهي ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية، أو هي ﴿أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤]

٣٤ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل .

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

٣٥ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾ يهتدي ﴿إِلَّا أَن يُهْدَى﴾ أحق أن يتبع ، استفهام تقرير وتوبيخ ، أي الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه .

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]

٣٦ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه .

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]

٣٧ ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى﴾ أي افتراء ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿وَلَكِن﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو .

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

٣٨ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَادْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم تقدروا على ذلك .

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]

٣٩ قال تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء .

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٤٠]

٤٠ ﴿وَمِنْهُم﴾ أي أهل مكة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم .

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]

٤١ ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لكل جزاء عمله ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢]

٤٢ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣]

٤٣ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]

٤٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ولكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]

٤٥ ﴿ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن﴾ أي كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهارِ﴾ لهول ما رأوا ، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأحوال والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ .

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾

٤٦ ﴿وإمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٧]

٤٧ ﴿ولِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فيعذبون وينجى الرسول ومن صدقه ﴿وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

٤٨ ﴿ويَقُولُونَ مَتى هَذا الوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه .

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]

٤٩ ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿ولا نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي يقدرني عليه ، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يتقدمون عليه .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٥٠]

٥٠ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إنْ أَتاكُمْ عَذَابُهُ﴾ أي الله ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ، فيه وضع الظاهر موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب شرط : كقولك إذا أتيتك ماذا تعطيني ، والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه .

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١]

٥١ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وقَعَ﴾ حلَّ بكم ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ أي الله أو العذاب عند نزوله والهمزة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم ﴿آلآنَ﴾ تؤمنون ﴿وقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء .

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٥٢]

٥٢ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ﴾ أي الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إلاَّ﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ .

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]

٥٣ ﴿ويَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِي﴾ نعم ﴿ورَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وما أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب .

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم

﴿بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤]

٥٤ ﴿ولَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كفرت ﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾ جميعاً من الأموال ﴿لافْتَدَتْ بِهِ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ﴾ أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿وقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٥٥ ﴿أَلا إنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمواتِ والأَرْضِ أَلا إنَّ وعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦]

٥٦ ﴿هُوَ يُحْيِي ويُمِيتُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

٥٧ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿وشِفَاءٌ﴾ دواء ﴿لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وهُدًى﴾ من الضلال ﴿ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

٥٨ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الإسلام ﴿وبِرَحْمَتِهِ﴾ القرآن ﴿فَبِذَلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالياء والتاء.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]

٥٩ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ خلق ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وحَلالاً﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠]

٦٠ ﴿ومَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم لا ﴿إنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]

٦١ ﴿ومَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿ومَا تَتْلُو مِنْهُ﴾ أي من الشأن أو الله ﴿مِن قُرْآنٍ﴾ أنزله عليك ﴿ولا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنْ عَمَلٍ إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إذْ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي العمل ﴿ومَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ ولا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ ولا أَكْبَرَ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]

٦٢ ﴿أَلا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]

٦٣ هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله بامتثال أمره ونهيه.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

٦٤ ﴿لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فسرت

في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له ﴿وفِي الآخِرَةِ﴾ الجنة والثواب ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ .

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥]

٦٥ ﴿ولا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلاً وغيره ﴿إنَّ﴾ استئناف ﴿العِزَّةَ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك .

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

٦٦ ﴿ألا إنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ ومَن فِي الأرْضِ﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿ومَا يَتَّبِعُ الذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَاءَ﴾ له على الحقيقة تعالى على ذلك ﴿إن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إلاَّ الظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وإنْ﴾ ما ﴿هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك .

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

٦٧ ﴿هُوَ الَذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ والنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ .

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

٦٨ ﴿قَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ ولَدًا﴾ قال تعالى لهم ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾ عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إنْ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿بِهَذَا﴾ الذي تقولونه ﴿أتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام توبيخ .

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩]

٦٩ ﴿قُلْ إنَّ الَذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ بنسبه الولد إليه ﴿لا يُفْلِحُونَ﴾ لا يسعدون .

﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾

٧٠ لهم ﴿مَتَاعٌ﴾ قليل ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ثُمَّ إلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ .

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]

٧١ ﴿واتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾ لبثي فيكم ﴿وتَذْكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أمْرَكُمْ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وشُرَكَاءَكُمْ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لا يَكُنْ أمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستوراً بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ اقْضُوا إلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿ولا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون فإني لست مبالياً بكم .

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]

٧٢ ﴿فَإن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أجْرٍ﴾ ثواب عليه فتولوا ﴿إنْ﴾ ما ﴿أجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إلاَّ عَلَى اللَّهِ وأُمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]

٧٣ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي من معه ﴿خَلَائِفَ﴾ في الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤]

٧٤ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ أي نوح ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾

٧٥ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ .

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٧٦]

٧٦ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّن ظاهر .

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧]

٧٧ ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار .

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾

٧٨ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ لتردنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾

٧٩ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ فائق في علم السحر .

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: ٨٠]

٨٠ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى﴾ بعد ما قالوا له ﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ وإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ﴾ ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ .

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

٨١ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾ بدل ، وفي قراءة بهمزة واحدة إخبار ، فما اسم موصول مبتدأ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ أي سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ﴾ .

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾

٨٢ ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ﴾

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]

٨٣ ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ أي فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يصرفهم عن دينه بتعذيبهم ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ المُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]

٨٤ ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ .

﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥]

٨٥ ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا .

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٦]

٨٦ ﴿ونَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ .

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]

٨٧ ﴿وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا واجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف ، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أتموها ﴿وبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]

٨٨ ﴿وقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ ومَلأَهُ زِينَةً وأَمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّوا﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسخها ﴿واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾ المؤلم ، دعا عليهم وأمَّن هارون على دعائه .

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩]

٨٩ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم حجارةً ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿ولا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي روي أنه مكث بعدها أربعين سنة .

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]

٩٠ ﴿وجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وجُنُودُهُ بَغْيًا وعَدْوًا﴾ مفعول له ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ﴾ أي بأنه وفي قراءة بالكسر استئنافا ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ كرره ليقبل منه فلم يقبل ، ودس جبريل في فيه حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

٩١ ﴿آلآنَ﴾ تؤمن ﴿وقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان .

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]

٩٢ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿آيَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يُقدِموا على مثل فعلك ، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه ﴿وإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

٩٣ ﴿ولَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة وهو الشام ومصر ﴿ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ العِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين .

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]

٩٤ ﴿فإن كنت﴾ يا محمد ﴿في شك مما أنزلنا إليك﴾ من القصص فرضاً ﴿فاسأل الذين يقرءون الكتاب﴾ التوراة ﴿من قبلك﴾ فإنه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه، قال ﷺ: لا أشك ولا أسأل ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥]

٩٥ ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]

٩٦ ﴿إن الذين حقت﴾ وجبت ﴿عليهم كلمت ربك﴾ بالعذاب ﴿لا يؤمنون﴾.

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾

٩٧ ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]

٩٨ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كانت قرية﴾ أريد أهلها ﴿آمنت﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فنفعها إيمانها إلا﴾ لكن ﴿قوم يونس لما آمنوا﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ انقضاء آجالهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾

٩٩ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾ لا.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]

١٠٠ ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ بإرادته ﴿ويجعل الرجس﴾ العذاب ﴿على الذين لا يعقلون﴾ يتدبرون آيات الله.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]

١٠١ ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿انظروا ماذا﴾ أي الذي ﴿في السموات والأرض﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وما تغني الآيات والنذر﴾ جمع نذير، أي الرسل ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ في علم الله أي ما تنفعهم.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾

١٠٢ ﴿فهل﴾ فما ﴿ينتظرون﴾ بتكذيبك ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿قل فانتظروا﴾ ذلك ﴿إني معكم من المنتظرين﴾

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]

١٠٣ ﴿ثم ننجي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رسلنا والذين آمنوا﴾ من العذاب ﴿كذلك﴾ الإنجاء ﴿حقا علينا ننج المؤمنين﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

١٠٤ ﴿قل يا أيها الناس﴾ أي يا أهل مكة ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ أنه حق ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ أي غيره، وهو الأصنام لشككم فيه ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يقبض أرواحكم ﴿وأمرت أن﴾ أي بأن ﴿أكون من المؤمنين﴾

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥]

١٠٥ ﴿و﴾ قيل لي ﴿أن أقم وجهك للدين حنيفا﴾ مائلاً إليه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]

١٠٦ ﴿ولا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِن دُونِ اللّهِ مَا لا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿ولا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

١٠٧ ﴿وإن يَمْسَسْكَ﴾ يصيبك ﴿اللّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨]

١٠٨ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ومَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وباله ضلاله عليها ﴿ومَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأجبركم على الهدى .

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]

١٠٩ ﴿واتَّبِعْ مَا يُوحَى إلَيْكَ﴾ من ربك ﴿واصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم ، وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية .

* * *

١١ سورة هود

مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]

١ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ، هذا ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الله .

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾

٢ ﴿أَلاَّ﴾ أي بأن لا ﴿تَعْبُدُوا إلاَّ اللَّهَ إنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم .

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]

٣ ﴿وأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿ويُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاءه ﴿وإن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين ، أي تعرضوا ﴿فَإنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤]

٤ ﴿إلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب .

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]

٥ ونزل كما رواه البخاري عن ابن عباس فيمن كان يستحيي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء وقيل في المنافقين ﴿أَلا إنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي الله ﴿أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى

﴿مَا يُسِرُّونَ ومَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما في القلوب[(١)]

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

٦ ﴿ومَا مِن﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿ويَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿ومُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بين هو اللوح المحفوظ .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

٧ ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل خلقها ﴿عَلَى المَاءِ﴾ وهو على متن الريح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بخلق ، أي خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أي أطوع لله ﴿ولَئِن قُلْتَ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث والذي تقوله ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بين ، وفي قراءة ﴿ساحر﴾ ، والمشار إليه النبي ﷺ .

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: ٨]

٨ ﴿ولَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى﴾ مجيء ﴿أُمَّةٍ﴾ أوقات ﴿مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنعه من النزول قال تعالى : ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب[(١)] .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩]

٩ ﴿ولَئِنْ أَذَقْنَا الإنسانَ﴾ الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفر به .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾

١٠ ﴿ولَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]

١١ ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة .

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾

١٢ ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥** : روى البخاري عن ابن عباس في قوله: «أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ» قال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم ، فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

* وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال: كان أحدهم إذا مرَّ بالنبي ﷺ ثنى صدره وتغشى ثوبه لكي لا يراه، فنزلت.

(١) **أسباب نزول الآية ٨** : وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نزل: «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ»، قال ناس: إنَّ الساعة قد اقتربت فتناهوا. فتناهى القوم قليلاً ثمَّ عادوا إلى مكرهم مكرَ السُّوء، فأنزل الله: «وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن ابن جريج مثله.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾

١٣ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي ، تحداهم بها أولاً ثم بسورة ﴿وادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء .

﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]

١٤ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي من دعوتموهم للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ ملتبسا ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وأن﴾ مخففة أي أنه ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة أي أسلموا .

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾

١٥ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك وقيل هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسّع عليهم رزقهم ﴿وهُمْ فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لا يُبْخَسُونَ﴾ ينقصون شيئاً

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

١٦ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ ـه ﴿فِيهَا﴾ أي الآخرة فلا ثواب له ﴿وبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]

١٧ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن ﴿ويَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقه ﴿مِّنْهُ﴾ أي من الله وهو جبريل ﴿ومِن قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة شاهد له أيضا ﴿إِمَامًا ورَحْمَةً﴾ حال كمن ليس كذلك لا ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أي من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي القرآن فلهم الجنة ﴿ومَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١٨ ﴿ومَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿ويَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المشركين .

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩]

١٩ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿ويَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وهُم بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾ .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]

٢٠ ﴿أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الأَرْضِ ومَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿ومَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك .

* * *

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١]

٢١ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله من دعوى الشريك .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]

٢٢ ﴿لا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٢٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمأنوا وأنابوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

٢٤ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالأَعْمَى والأَصَمِّ﴾ هذا مثل الكافر ﴿والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ لا ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال تتعظون .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

٢٥ ﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ أي بأني ، وفي قراءة بالكسر على حذف القول ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بيِّن الإنذار .

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]

٢٦ ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة .

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

٢٧ ﴿فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف ﴿مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أسافلنا كالحاكة والأساكفة ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ بالهمز وتركه ، أي ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة ، أدرجوا قومه معه في الخطاب

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]

٢٨ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وآتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ﴾ خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]

٢٩ ﴿ويَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالاً﴾ تعطونيه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ومَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿ولَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم .

﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٣٠]

٣٠ ﴿ويَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ أي لا ناصر لي ﴿أَفَلا﴾ فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال : تتعظون

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن

يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١]

٣١ ﴿ولا أقولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ولا﴾ إني ﴿أَعْلَمُ الغَيْبَ ولا أقولُ إنّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿ولا أقولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تحتقر ﴿أعيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أعْلمُ بِمَا فِي أنفُسِهِمْ﴾ قلوبهم ﴿إنّي إذًا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

٣٢ ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب ﴿إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه .

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾

٣٣ ﴿قَالَ إنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إن شَاءَ﴾ تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إلي ﴿ومَا أنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين الله .

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٣٤ ﴿ولا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي إغواءكم ، وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]

٣٥ قال تعالى : ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إجْرَامِي﴾ إثمي أي عقوبته ﴿وأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إلي

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]

٣٦ ﴿وأُوحِيَ إلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من الشرك ، فدعا عليهم بقوله : ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ﴾ الخ ، فأجاب الله دعاءه فقال : ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ﴾ الآية .

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]

٣٧ ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ووَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿ولا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ .

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]

٣٨ ﴿ويَصْنَعُ الفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ﴾ جماعة ﴿مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزؤوا به ﴿قَالَ إن تسْخَرُوا مِنَّا فَإنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نجونا وغرقتم .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٩]

٣٩ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ويَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]

٤٠ ﴿حتَّى﴾ غاية للصنع ﴿إذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وفَارَ التَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء ، وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى وهو مفعول وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها ، فجعل يضرب بيده في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة ﴿وأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ﴾ أي منهم بالإهلاك وهو ولده كنعان وزوجته بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿ومَنْ آمَنَ ومَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ

قَلِيلٌ﴾ قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء .

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]

٤١ ﴿وقَالَ﴾ نوح ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا ومُرْسَاهَا﴾ بفتح الميمين وضمهما مصدران، أي جريها ورسوها أي منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا .

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]

٤٢ ﴿وهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿ونَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان ﴿وكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا ولا تَكن مَّعَ الكَافِرِينَ﴾ .

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]

٤٣ ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ المَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ الله فهو المعصوم ، قال تعالى ﴿وحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ﴾ .

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]

٤٤ ﴿وقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء أنهاراً وبحاراً ﴿ويَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وغِيضَ﴾ نقص ﴿المَاءُ وقُضِيَ الأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿واسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وقِيلَ بُعْداً﴾ هلاكاً ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين .

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾

٤٥ ﴿ونَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وإِنَّ وعْدَكَ الحَقُّ﴾ الذي لاخلف فيه ﴿وأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم .

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]

٤٦ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين ، وفي قراءة ﴿عَمِلَ﴾ بكسر ميم عمل فعل ونصب ﴿غيرَ﴾ فالضمير لابنه ﴿فَلا تَسْأَلْنِ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

٤٧ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وإلاَّ تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ﴾

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨]

٤٨ ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلامٍ﴾ أو بتحية ﴿مِّنَّا وبَرَكَاتٍ﴾ خيرات ﴿عَلَيْكَ وعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة وهم الكفار .

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]

٤٩ ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ

ولا قومُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾

٥٠ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾ زائدة ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله .

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]

٥١ ﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]

٥٢ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين .

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

٥٣ ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]

٥٤ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿نَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلاَّ اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فخبلك لسبك إياها فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ علي ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به .

﴿مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾

٥٥ ﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

٥٦ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي طريق الحق والعدل .

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]

٥٧ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ولا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]

٥٨ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد .

﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]

٥٩ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى آثارهم أي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم فقال ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ جمع لأن من عصى رسولاً جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم .

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]

٦٠ ﴿وأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿ويَوْمَ القِيامَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلا إنَّ عَادًا كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ ألا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾

٦١ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى ثَمُودَ أَخاهُم﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِّنَ الأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿واسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عماراً تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُّجِيبٌ﴾ لمن سأله .

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]

٦٢ ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الذي صدر منك ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريب .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣]

٦٣ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ تضليل .

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]

٦٤ ﴿ويَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ حال عامله الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ولا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ عقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إن عقرتموها .

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]

٦٥ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قُدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه .

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]

٦٦ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ ونجيناهم ﴿ومِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم إعرابا وفتحها بناء لإضافته إلى مبني وهو الأكثر ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ الغالب .

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧]

٦٧ ﴿وأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨]

٦٨ ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في دارهم ﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة .

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾

٦٩ ﴿ولَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا سَلامًا﴾ مصدر ﴿قَالَ سَلامٌ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مشوي

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾

٧٠ ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بمعنى أنكرهم ﴿وأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفاً ﴿قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم .

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]

٧١ ﴿وامْرَأَتُهُ﴾ أي امرأة إبراهيم سارة ﴿قَائِمَةٌ﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ استبشاراً بهلاكهم ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ومِن ورَاءِ﴾ بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ولده تعيش إلى أن تراه .

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]

٧٢ ﴿قَالَتْ يَا ويْلَتَى﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم ، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما في ذا من الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرِمَين .

﴿قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾

٧٣ ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ البَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾ كريم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]

٧٤ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وجَاءَتْهُ البُشْرَى﴾ بالولد أخذ ﴿يُجَادِلُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾ .

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]

٧٥ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ رجاع ، فقال لهم : أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال ، أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا ؟ قالوا : لا قال : أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا ؟ قالوا : لا ، قال : أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا ، قال : إن فيها لوطا ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها الخ .

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦]

٧٦ فلما أطال مجادلتهم قالوا ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ .

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]

٧٧ ﴿ولَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد .

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾

٧٨ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ ومِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ ولا تُخْزُونِ﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]

٧٩ ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ إتيان الرجال.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾

٨٠ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ طاقة ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عشيرة تنصرني لبطشت بكم ، فلما رأت الملائكة ذلك .

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا

ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]

٨١ ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طائفة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا امْرَأَتُكَ﴾ بالرفع بدل من أحد، وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل أي فلا تسر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك قالوا ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾

٨٢ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ﴾ متتابع.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾

٨٣ ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلَّمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾

٨٤ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بكم يهلككم، ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]

٨٥ ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموها ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره من عثي بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٦]

٨٦ ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيراً.

﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]

٨٧ ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ المعنى هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

٨٨ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالا أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]

٨٩ ﴿ويَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل يجرم والضمير مفعول أول ، والثاني ﴿أن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿ومَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكم بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا .

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]

٩٠ ﴿واسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ إنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿ودُودٌ﴾ محب لهم

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]

٩١ ﴿قَالُوا﴾ إيذاناً بقلة المبالاة ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وإنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذليلاً ﴿ولَوْلا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿ومَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

٩٢ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿واتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿ورَاءَكُمْ ظِهْرِيًا﴾ منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم .

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]

٩٣ ﴿ويَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ومَنْ هُوَ كَاذِبٌ وارْتَقِبُوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر .

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤]

٩٤ ﴿ولَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾

٩٥ ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا أَلا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

٩٦ ﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان ظاهر .

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]

٩٧ ﴿إلَى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ومَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سديد .

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]

٩٨ ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾ هي .

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]

٩٩ ﴿وأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً ويَوْمَ القِيَامَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ﴾ العون ﴿المَرْفُودُ﴾ رفدهم .

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠]

١٠٠ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي القرى ﴿قَائِمٌ﴾ هلك أهله دونه ومنها ﴿وحَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل .

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا

﴿جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]

١٠١ ﴿ومَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿ولَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿ومَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]

١٠٢ ﴿وكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى﴾ أريد أهلها ﴿وهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية .

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]

١٠٣ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ وذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ يشهده جميع الخلائق .

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤]

١٠٤ ﴿ومَا نُؤَخِّرُهُ إلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله .

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]

١٠٥ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي الخلق ﴿شَقِيٌّ﴾ ومنهم ﴿وسَعِيدٌ﴾ كتب كل في الأزل .

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾

١٠٦ ﴿فَأَمَّا الَذِينَ شَقُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾

١٠٧ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا ﴿إلاَّ﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾

١٠٨ ﴿وأَمَّا الَذِينَ سُعِدُوا﴾ بفتح السين وضمها ﴿فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ إلاَّ﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم ، ودل عليه فيهم قوله ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مقطوع ، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده .

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩]

١٠٩ ﴿فَلا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ﴾ من الأصنام إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم ، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ أي كعبادتهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وإنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي تاماً .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠]

١١٠ ﴿ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا ﴿وإنَّهُمْ﴾ أي المكذبون به

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة .

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: ١١١]

١١١ ﴿وإنَّ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿كُلاً﴾ أي كل الخلائق ﴿لَمَّا﴾ ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة ، وفي قراءة بتشديد لمَّا بمعنى إلا فإن نافية ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم ببواطنه كظواهره .

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]

١١٢ ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ وليستقم ﴿ومَن تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ ولا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم .

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾

١١٣ ﴿ولا تَرْكَنُوا﴾ تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمودة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تصيبكم ﴿النَّارُ ومَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه .

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾

١١٤ ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي أي : الصبح والظهر والعصر ﴿وزُلَفاً﴾ جمع زلفة أي طائفة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب الصغائر ، نزلت فيمن قبَّل أجنبية فأخبره النبيُّ ﷺ فقال ألِيَ هذا ؟ فقال : «لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان ﴿ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين(١) .

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

١١٥ ﴿واصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة .

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]

١١٦ ﴿فَلَوْلا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ القُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ المراد به النفي أي ما كان فيهم ذلك ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا ومن للبيان ﴿واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَا أُتْرِفُوا﴾ نعموا ﴿فِيهِ وكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ .

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]

١١٧ ﴿ومَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون .

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]

١١٨ ﴿ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين .

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

---

(١) أسباب نزول الآية ١١٤ : روى الشيخان عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: «وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» فقال الرجل: أليَ هذه؟ قال ﷺ : لجميع أمتي كلهم.

* وأخرج الترمذي وغيره عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا فقلت: إنَّ في البيت أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أخلفْتَ غازيًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا ؟! وأطرق طويلاً حتى أوحى الله إليه: «وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ» إلى قوله: «للذاكرين».

* وورد نحوه من حديث أبي أمامة ومعاذ بن جبل وابن عباس وبريدة وغيرهم ، وقد استوفيت أحاديثهم في ترجمان القرآن.

١١٩ ﴿إلاّ من رحم ربك﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها ﴿وتمّت كلمة ربك﴾ وهي ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

١٢٠ ﴿وكلا﴾ نُصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي كل ما يحتاج إليه ﴿نقص عليك من أنباء الرسل ما﴾ بدل من كلا ﴿نثبت﴾ نطمن ﴿به فؤادك﴾ قلبك ﴿وجاءك في هذه﴾ الأنباء أو الآيات ﴿الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار .

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾

١٢١ ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ حالتكم ﴿إنا عاملون﴾ على حالتنا تهديد لهم .

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢٢]

١٢٢ ﴿وانتظروا﴾ عاقبة أمركم ﴿إنا منتظرون﴾ ذلك .

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

١٢٣ ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وإليه يُرجع﴾ بالبناء للفاعل يعود ، وللمفعول يرد ﴿الأمر كله﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فاعبده﴾ وحده ﴿وتوكل عليه﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم ، وفي قراءة بالفوقانية .

* * *

١٢ سورة يوسف

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ، والإضافة بمعنى من ﴿المبين﴾ المظهر للحق من الباطل .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

٢ ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة ﴿تعقلون﴾ تفقهون معانيه .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]

٣ ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا﴾ بإيحائنا ﴿إليك هذا القرآن وإن﴾ مخففة أي وإنه ﴿كنت من قبله لمن الغافلين﴾ .

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾

٤ اذكر ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ يعقوب ﴿يا أبتِ﴾ بالكسر دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء ﴿إني رأيت﴾ في المنام ﴿أحد عشر كوكبا

سورة يوسف

(١) أسباب نزول الآية ٣: روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل: «اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» الآية.

* زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ».

* وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله.

والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء .

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

٥ ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالون في هلاكك حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة .

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٦ ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ ويُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿ويُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم .

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾

٧ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر ﴿آيَاتٌ﴾ عبر ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

٨ اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لَيُوسُفُ﴾ مبتدأ ﴿وأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَى أَبِينَا مِنَّا ونَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ﴾ خطأ ﴿مُبِينٍ﴾ بيّن بإيثارهما علينا .

﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]

٩ ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي بأرض بعيدة ﴿يَخْلُ لَكُمْ وجْهُ أَبِيكُمْ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا .

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾

١٠ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا ﴿لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾ مظلم البئر ، وفي قراءة بالجمع ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك .

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [يوسف: ١١]

١١ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ لقائمون بمصالحه .

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ ويَلْعَبْ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

١٢ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعْ ويَلْعَبْ﴾ بالنون والياء فيهما ينشط ويتسع ﴿وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣]

١٣ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا﴾ أي ذهابكم ﴿بِهِ﴾ لفراقه ﴿وأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون .

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤]

١٤ ﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ ونَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ عاجزون ، فأرسله معهم .

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]

١٥ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الجُبِّ﴾ وجواب لمّا محذوف أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء ، ثم أوى إلى صخرة

فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا ﴿وأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الجب وحيَ حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]

١٦ ﴿وجاءُوا أَباهُم عِشاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]

١٧ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي ﴿وتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ومَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا ولَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ عندك لاتهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسيء الظن بنا.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]

١٨ ﴿وجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ﴾ محله نصب على الظرفية أي فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف أي أمري ﴿واللَّهُ المُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩]

١٩ ﴿وجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ وفي قراءة ﴿بشرى﴾ ونداؤها مجاز أي احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا غُلامٌ﴾ فعلم به فأتوه ﴿وأَسَرُّوهُ﴾ أي أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَاعَةً﴾ بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفا من أن يقتلوه ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]

٢٠ ﴿وشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وكَانُوا﴾ أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ فجاءت به السيّارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

٢١ ﴿وقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لامْرَأَتِهِ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان حصوراً ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿ولِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنّا أي لنملكه أو الواو زائدة ﴿واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى لا يعجزه شيء ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]

٢٢ ﴿ولَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وعِلْمًا﴾ فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ

أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

٢٣ ﴿وراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَن نَّفْسِهِ﴾ أي طلبت منه يواقعها ﴿وغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وقَالَتْ﴾ له ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي هلُم ، واللام للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراني ﴿رَبِّي﴾ سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة .

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

٢٤ ﴿ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس مُثِّلَ له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ، وجواب لولا لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿والْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ في الطاعة ، وفي قراءة بكسر اللام أي المختارين .

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]

٢٥ ﴿واسْتَبَقَا البَابَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وقَدَّتْ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا البَابِ﴾ فنزهت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلا أَن يُسْجَنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب .

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦]

٢٦ ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها رُوي أنه كان في المهد فقال ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتْ وهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ .

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٧]

٢٧ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ خلف ﴿فَكَذَبَتْ وهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]

٢٨ ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي قولك ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ﴾ الخ ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ .

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩]

٢٩ ثم قال يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿واسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾ الآثمين ، واشتهر الخبر وشاع .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

٣٠ ﴿وقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ﴾ مدينة مصر ﴿امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبدها ﴿عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تمييز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ﴾ أي في خطأ ﴿مُّبِينٍ﴾ بين بحبها إياه .

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]

٣١ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وأَعْتَدَتْ﴾ أعدت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ طعاماً يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج ﴿وآتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ واحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمنه ﴿وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ولم يشعرن

بالألم لشغل قلبهن بيوسف ﴿وقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾ أي يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية وفي الحديث «أنه أعطي شطر الحسن» .

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]

٣٢ ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن ﴿فَذَلِكُنَّ﴾ فهذا هو ﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبه بيان لعذرها ﴿ولَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ﴿ولَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الذليلين فقلن له أطع مولاتك .

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

٣٣ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وأَكُن﴾ أصير ﴿مِّنَ الجَاهِلِينَ﴾ المذنبين ، والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى .

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]

٣٤ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل .

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]

٣٥ ﴿ثُمَّ بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى﴾ إلى ﴿حِينٍ﴾ ينقطع فيه كلام الناس فسجن

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]

٣٦ ﴿ودَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبّر الرؤيا فقالا لنختبرنّه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي عنبا ﴿وقَالَ الآخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾ .

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾

٣٧ ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في منامكما ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فيه حث على إيمانهما ثم قواه بقوله ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وهُم بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾ .

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

٣٨ ﴿واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وعَلَى النَّاسِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لا يَشْكُرُونَ﴾ الله فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال .

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]

٣٩ ﴿يَا صَاحِبَيِ﴾ ساكني ﴿السِّجْنِ أأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ خير ؟ استفهام تقرير .

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]

٤٠ ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناماً ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلاَّ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فهم يشركون .

﴿يَصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]

٤١ ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ اي الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤياكما فقالا ما رأينا شيئاً فقال ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما .

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]

٤٢ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ سيدك فقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً فخرج ﴿فَأَنسَاهُ﴾ أي الساقي ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قيل سبعاً وقيل اثنتي عشرة .

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]

٤٣ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد ﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي سبع سنبلات ﴿يَابِسَاتٍ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها لي .

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]

٤٤ ﴿قَالُوا﴾ هذه ﴿أَضْغَاثُ﴾ أخلاط ﴿أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾ .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥]

٤٥ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي من الفتيين وهو الساقي ﴿وَادَّكَرَ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال أي تذكر يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين قال ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ فأرسلوه فأتى يوسف فقال :

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾

٤٦ يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي الملك وأصحابه ﴿لعلهم يعلمون﴾ تعبيرها .

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾

٤٧ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ متتابعة وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ أي اتركوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه .

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٨]

٤٨ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي السبع المخصبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجدبات صعاب وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات أي تأكلونه فيهن ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ .

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ

﴿يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]

٤٩ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي السبع المجدبات ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الأعناب وغيرها لخصبه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠]

٥٠ ﴿وقَالَ المَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ أي الذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً إظهار براءته ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]

٥١ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ﴾ وضح ﴿الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ فاخبر يوسف بذلك فقال:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]

٥٢ ﴿ذَلِكَ﴾ أي طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ﴾ ثم تواضع لله فقال:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]

٥٣ ﴿ومَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ إلاَّ مَا﴾ بمعنى من ﴿رَحِمَ رَبِّي﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾

٥٤ ﴿وقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أجعله خالصاً لي دون شريك فجاءه الرسول وقال: أجب الملك فقام وودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثيابا حسنة ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له ﴿إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾

٥٥ ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب حاسب.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]

٥٦ ﴿وكَذَلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق والحبس. وفي القصة أن الملك توّجه وختّمه وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ولا نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾

٥٧ ﴿ولأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]

٥٨ ﴿وجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين ليمتاروا

لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم : ما أقدمكم بلادي ؟ فقالوا : للميرة ، فقال : لعلكم عيون ، قالوا : معاذ الله ، قال : فمن أين أنتم ، قالوا : من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله ، قال : وله أولاد غيركم ، قالوا : نعم ، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه ، فأمر بإنزالهم وإكرامهم .

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾

٥٩ ﴿ولَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وفَّى لهم كيلهم ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ أي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وأَنَا خَيْرُ المُنزِلِينَ﴾ .

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾

٦٠ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ أي ميرة ﴿ولا تَقْرَبُونِ﴾ نهي أو عطف على محل فلا كيل أي تحرموا ولا تقربوا .

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ [يوسف: ٦١]

٦١ ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك .

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

٦٢ ﴿وقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ وفي قراءة ﴿لفتيانه﴾ غلمانه ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا لأنهم لا يستحلون إمساكها .

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

٦٣ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ بالنون والياء ﴿وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

٦٤ ﴿قَالَ هَلْ﴾ ما ﴿آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ وفي قراءة ﴿حفظاً﴾ تمييز كقولهم لله دره فارساً ﴿وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يمن بحفظه .

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥]

٦٥ ﴿ولَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ ما استفهامية أي أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا ، وقرىء بالفوقانية خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ونَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿ونَحْفَظُ أَخَانَا ونَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل على الملك لسخائه .

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]

٦٦ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وكِيلٌ﴾ شهيد وأرسله معهم .

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾

٦٧ ﴿وقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِنْ بَابٍ واحِدٍ وادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿ومَا أُغْنِي﴾ أدفع ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك

﴿مِّنَ اللَّهِ مِن﴾ صلة ﴿شَيْءٍ﴾ قدره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨]

٦٨ ﴿ولَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي متفرقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي قضائه ﴿مِن﴾ صلة ﴿شَيْءٍ إِلاَّ﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

٦٩ ﴿ولَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى﴾ ضمّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده .

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾

٧٠ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاعٌ من ذهب مرصع بالجوهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا العِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ .

﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾

٧١ ﴿قَالُوا و﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ ـه

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]]

٧٢ ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿المَلِكِ ولِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل .

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]

٧٣ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ومَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ما سرقنا قط .

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾

٧٤ ﴿قَالُوا﴾ أي المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم .

﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥]

٧٥ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿مَن وجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسترق ثم أكد بقوله ﴿فَهُوَ﴾ أي السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقة فصرحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم .

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

٧٦ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي السقاية ﴿مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ المَلِكِ﴾ حكم مصر لأن جزاءه الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم كيوسف ﴿وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى .

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

٧٧ ﴿قَالُوا إن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي يوسف فقد سرق لأبي أمه صنماً من ذهب فكسره لئلا يعبده ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمره .

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

٧٨ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك .

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]

٧٩ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أي نعوذ بالله من ﴿أن نَّأْخُذَ إلاَّ مَن وجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب ﴿إنَّا إذًا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَّظَالِمُونَ﴾ .

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

٨٠ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره ، أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سناً : روبيل أو رأياً : يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿ومِن قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق ﴿الأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ بالعودة إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاص أخي ﴿وهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم .

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١]

٨١ ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ومَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿ومَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَافِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه .

﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢]

٨٢ ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر ، أي ارسل إلى أهلها فاسألهم ﴿والْعِيرَ﴾ أي أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم كنعان ﴿وإنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك .

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]

٨٣ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه ، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى اللَّهُ أن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ﴾ بحالي ﴿الحَكِيمُ﴾ في صنعه .

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾

٨٤ ﴿وتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تاركاً خطابهم ﴿وقَالَ يَا أَسَفَى﴾ الألف بدل من ياء الإضافة أي يا حزني ﴿عَلَى يُوسُفَ وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ انمحق سوادهما وبدل بياضاً من بكائه ﴿مِنَ الحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه .

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]

٨٥ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَأُ﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفاً على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ﴾ الموتى .

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]

٨٦ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس ﴿وحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي ، ثم قال .

﴿يَٰبَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

٨٧ ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿ولا تَيْأَسُوا﴾ تقنطوا ﴿مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف .

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]

٨٨ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الجوع ﴿وجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفاً أو غيرها ﴿فَأَوْفِ﴾ أتم ﴿لَنَا الكَيْلَ وتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ﴾ يثيبهم ، فَرَقَّ لهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم .

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]

٨٩ ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخاً ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ما يئول إليه أمر يوسف .

﴿قَالُوٓا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

٩٠ ﴿قَالُوا﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين ﴿أَئِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿ويَصْبِرْ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر .

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١]

٩١ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ﴾ فضلك ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وإِن﴾ مخففة أي إنا ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ آثمين في أمرك فأذللناك .

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]

٩٢ ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمُ اليَوْمَ﴾ خصَّه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال :

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٩٣ ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار كان في عنقه في الجب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال إن فيه ريحها ولا يُلقى على مبتلىً إلا عوفي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ يصر ﴿بَصِيرًا وأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]

٩٤ ﴿ولَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو اكثر ﴿لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تسفهون لصدقتموني .

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾

٩٥ ﴿قَالُوا﴾ له ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ﴾ خطئك ﴿القَدِيمِ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد .

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]

٩٦ ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿جَاءَ البَشِيرُ﴾ يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿أَلْقَاهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ .

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾

٩٧ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]

٩٨ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة ، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم .

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]

٩٩ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ في مضربه ﴿آوَى﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وأمه أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ فدخلوا وجلس يوسف على سريره .

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١٠٠ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى العَرْشِ﴾ السرير ﴿وَخَرُّوا﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُ سُجَّدًا﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة ، وكان تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ إلي ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل من الجب تكرماً لئلا يخجل إخوته ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ البَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صنعه ، وأقام عنده أبواه أربعا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال :

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ .

١٠١ ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ والأَرْضِ أَنتَ ولِيِّي﴾ متولي صالحي ﴿فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آبائي فعاش بعد ذلك أسبوعا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاحَّ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه .

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

١٠٢ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنبَاءِ﴾ أخبار ﴿الغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ومَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في كيده أي عزموا عليه ﴿وهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به ، أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الله .

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾

١٠٣ ﴿وما أكثرُ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿ولَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾

١٠٤ ﴿وما تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إلاّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ .

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾

١٠٥ ﴿وكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون بها .

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾

١٠٦ ﴿وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم باللَّهِ﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرزاق ﴿إلاّ وهُم مُشْرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . يعنونها .

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾

١٠٧ ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ نقمة تغشاهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها .

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

١٠٨ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله ﴿أَدْعُو إِلَى﴾ دين ﴿اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي﴾ آمن بي عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها له عن الشركاء ﴿وما أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً .

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

[يوسف: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وما أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاّ رِجَالاً نُوحِي﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِم﴾ لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ القُرَى﴾ الأمصار لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿ولَدَارُ الآخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء يا أهل مكة هذا فتؤمنوا .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]

١١٠ ﴿حَتَّى﴾ غاية لما دل عليه ﴿وما أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاّ رِجَالاً﴾ أي فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْأَسَ﴾ يئس ﴿الرُّسُلُ وظَنُّوا﴾ أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف أي ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ﴾ بنونين مشدداً ومخففاً وبنون مشدداً ماض ﴿مَن نَشَاءُ ولا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ﴾ المشركين .

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾

١١١ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثاً يُفْتَرَى﴾ يختلق ﴿ولَكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم .

١٣ سورة الرعد

مدنية وآياتها ثلاث وأربعون

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]

١ ﴿الٓمٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿والَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن مبتدأ خبره ﴿الحَقُّ﴾ لاشك فيه ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾

٢ ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلا ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿وسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لأجَلٍ مُسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿الآيَاتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾ .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]

٣ ﴿وهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ بسط ﴿الأَرْضَ وجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وأَنْهَارًا ومِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل نوع ﴿يُغْشِي﴾ يغطي ﴿اللَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿النَّهَارَ إنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله .

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾

٤ ﴿وفِي الأَرْضِ قِطَعٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الربيع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وزَرْعٌ﴾ بالرفع عطفاً على جنات والجر على أعناب وكذا قوله ﴿ونَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صنو ، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ منفردة ﴿يُسْقَى﴾ بالتاء ، أي الجنات وما فيها والياء ، أي المذكور ﴿بِمَاءٍ واحِدٍ ونُفَضِّلُ﴾ بالنون والياء ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]

٥ ﴿وإن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لان القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها ، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني وأخرى وعكسه ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]

٦ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء ﴿ويَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ﴾ جمع المَثُلة بوزن السمرة أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها ؟ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ﴾ لمن

عصاه .

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾

٧ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون .

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]

٨ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر واحد لا يتجاوزه [1] .

﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾

٩ ﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿المُتَعَالِ﴾ على خلقه بالقهر بياء ودونها .

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]

١٠ ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ في علمه تعالى ﴿مَّنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سربه أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾ .

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾

١١ ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمره من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً ﴿فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُم﴾ لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي غير الله ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَالٍ﴾ يمنعه عنهم .

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]

١٢ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمطر .

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]

١٣ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾ يسبح ﴿المَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ فتحرقه ، نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أو من فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾ القوة أو الأخذ [1] .

سورة الرعد

(١) **أسباب نزول الآية ٨**: أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: أنَّ أربد بن قيس، وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إنْ أسلمت ؟ قال: لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم، قال: أتجعل لي الأمر من بعدك ؟ قال: ليس ذلك لك ولا لقومك.

* فخرجا فقال عامر لأربد: إنِّي أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف فرجعا، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه وسلَّ أربد السيف، فلما وضع يده على قائم سيفه يبست والتفت رسول الله ﷺ، فرآه فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، فأنزل الله: «الله يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» إلى قوله: «شَدِيدُ المِحَالِ

(١) **أسباب نزول الآية ١٣**: وأخرج النَّسائي والبزار عن أنس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلًا من أصحابه إلى رجل

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤]

١٤ ﴿لَهُ﴾ تعالى ﴿دَعْوَةُ الحَقِّ﴾ أي كلمته وهي لا إله إلا الله ﴿والَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إلاَّ﴾ استجابة ﴿كَبَاسِطِ﴾ أي كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ﴾ على شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿ومَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ أي فاه أبدا فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿ومَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ ضياع .

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]

١٥ ﴿ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿و﴾ يسجد ﴿ظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ﴾ البكر ﴿والآصَالِ﴾ العشايا .

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]

١٦ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا ولا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكهما ؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿والنُّورُ﴾ الإيمان لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ﴾ أي خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقه استفهام إنكار أي ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ لعباده .

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]

١٧ ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال ﴿أَنزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار مثلها ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ عالياً عليه وهو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿ومِمَّا يُوقِدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيبت ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي مثل زبد السيل وهو خبثه ، والذي ينفيه الكير ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والْبَاطِلَ﴾ أي مثلهما ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُثُ﴾ يبقى ﴿فِي الأَرْضِ﴾ زماناً كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأوقات والحق ثابت باق ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ .

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]

١٨ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الحُسْنَى﴾ الجنة ﴿والَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ومِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ

من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله فقال: ايش ربك الذي تدعوني إليه، أمن حديد، أو من نحاس، أو من فضة أو ذهب؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية: «وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ» إلى آخرها.

الحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المِهَادُ﴾ الفراش هي .

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]

١٩ ونزل في حمزة وأبي جهل ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ﴾ فآمن ﴿كَمَنْ هُوَ أعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به لا ﴿إنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول .

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾

٢٠ ﴿الذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد ﴿ولا يَنقُضُونَ المِيثَاقَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض .

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]

٢١ ﴿والَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿ويَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده ﴿ويَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ تقدم مثله .

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]

٢٢ ﴿والَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَنفَقُوا﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وعَلانِيَةً ويَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة هي .

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾

٢٣ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿ومَن صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وأَزْوَاجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿والمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة .

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

٢٤ يقولون ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ عقباكم .

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]

٢٥ ﴿والَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ويَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ويُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿ولَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم .

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]

٢٦ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ ويَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وفَرِحُوا﴾ أي أهل مكة فرح بطر ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي بما نالوه فيها ﴿ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾

٢٧ ﴿ويَقُولُ الَذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنزلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿ويَهْدِي﴾ يرشد ﴿إلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع إليه ، ويبدل من من .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

٢٨ ﴿الَذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي وعده ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ أي قلوب المؤمنين .

* * *

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾

٢٩ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره ﴿طُوبَى﴾ مصدر من الطيب ، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ﴿لَهُمْ وحُسْنُ مَئَابٍ﴾ مرجع .

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]

٣٠ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن ؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ .

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾

٣١ ونزل لما قالوا له إن كنت نبياً فسيِّر عنا جبال مكة ، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلموننا أنك نبي : ﴿ولَوْ أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا ، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿ولا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾ بصنعهم أي كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة [1] .

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]

٣٢ ﴿ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزىء بك وهذه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك .

﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾

٣٣ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام ؟ لا ، دل على هذا ﴿وجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تُنَبِّئُونَهُ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي بشريك ﴿لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ﴾ استفهام إنكار ، أي لا شريك له إذ لو كان لعلمه تعالى عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَاهِرٍ مِّنَ القَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم ﴿وصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿ومَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ .

﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ [الرعد: ٣٤]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣١** : وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ إن كان كما تقول فأرنا أشياخنا الأول من الموتى نكلمهم، وافسح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت: «وَلَوْ أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ» الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي قال: قالوا للنبي ﷺ: لو سيِّرت لنا جبال مكة، حتى تتسع فنحرث فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه، فأنزل الله: «وَلَوْ أَنَّ قُرآنًا» الآية.

٣٤ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿مِن واقٍ﴾ مانع .

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]

٣٥ ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿الجَنَّةِ الَّتِي وعِدَ المُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فيما نقص عليكم ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَائِمٌ﴾ لا يفنى ﴿وظِلُّهَا﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تِلْكَ﴾ أي الجنة ﴿عُقْبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وعُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارُ﴾ .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾

٣٦ ﴿والَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿ومِنَ الأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ ولا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وإِلَيْهِ مَآبِ﴾ مرجعي .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾

٣٧ ﴿وكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ أي الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿ولِيٍّ﴾ ناصر ﴿ولا واقٍ﴾ مانع من عذابه .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]

٣٨ ونزل لما عيروه بكثرة النساء ﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وذُرِّيَّةً﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿ومَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٌ﴾ مكتوب فيه تحديده .

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

٣٩ ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ﴾ بالتخفيف والتشديد ، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الأزل .

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾

٤٠ ﴿وإِن مَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿وعَلَيْنَا الحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾

٤١ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا﴾ أي أهل مكة ﴿نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا﴾ نقصد أرضهم ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿واللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لا مُعَقِّبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ وهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ .

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾

٤٢ ﴿وقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ المَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكرهم كمكره لأنه تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعدلها جزاءه وهذا هو المكر لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٨**: وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله﴾ ما نراك يا محمد تملك من شيء، لقد فرغ من الأمر، فأنزل الله: ﴿يَمْحُو الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾.

المراد به الجنس ، وفي قراءة ﴿الكفار﴾ ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه .

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾

٤٣ ﴿ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿ومَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى .

* * *

١٤ سورة إبراهيم

مكية وآياتها ثنتان وخمسون

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا القرآن ﴿كِتَابٌ أنزَلْنَاهُ إلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ ويبدل من : إلى النور ﴿إلَى صِرَاطِ﴾ طريق ﴿العَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الحَمِيدِ﴾ المحمود .

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢]

٢ ﴿اللَّهِ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ووَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ .

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣]

٣ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿ويَبْغُونَهَا﴾ أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]

٤ ﴿ومَا أرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ويَهْدِي مَن يَشَاءُ وهُوَ العَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صنعه .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

٥ ﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع وقلنا له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بنعمه ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ أنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ ويُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿ويَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وفِي ذَلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلاءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾

٧ ﴿وإذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه ﴿إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]

٨ ﴿وقَالَ مُوسَى﴾ لقومه ﴿إن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه بهم.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]

٩ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللَّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ ﴿وقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ في زعمكم ﴿وإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]

١٠ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ من صلة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿ويُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]

١١ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إن﴾ ما ﴿نَّحْنُ إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿ولَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنبوة ﴿ومَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره لأنا عبيد مربوبون ﴿وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يثقوا به.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾

١٢ ﴿ومَا لَنَا﴾ أن ﴿أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا مانع لنا من ذلك ﴿وقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ولَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ على أذاكم ﴿وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣]

١٣ ﴿وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ لتصيرن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]

١٤ ﴿ولَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي مقامه بين يدي ﴿وخَافَ وعِيدِ﴾ بالعذاب.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

١٥ ﴿واسْتَفْتَحُوا﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وخَابَ﴾ وخسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾

١٦ ﴿مِّن ورَائِهِ﴾ أي أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿ويُسْقَى﴾ فيها ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]

١٧ ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿ولا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿ويَأْتِيهِ المَوْتُ﴾ أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ ومَا هُوَ بِمَيِّتٍ ومِن ورَائِه﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ قوي متصل .

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾

١٨ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الَذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحات كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والجار والمجرور خبر المبتدأ ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يجدون له ثوابا لعدم شرطه ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ﴾ الهلاك ﴿البَعِيدُ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]

١٩ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ﴿إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم .

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠]

٢٠ ﴿ومَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد .

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾

٢١ ﴿وبَرَزُوا﴾ أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾ زائدة ﴿مَّحِيصٍ﴾ ملجأ .

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

٢٢ ﴿وقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه ﴿إنَّ اللَّهَ وعَدَكُمْ وعْدَ الحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿ووَعَدتُّكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ ومَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن﴾ زائدة ﴿سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿أن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي ولُومُوا أَنفُسَكُم﴾ على إجابتي ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿ومَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ بفتح الياء وكسرها ﴿إنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا قال تعالى ﴿إنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم .

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]

٢٣ ﴿وأُدْخِلَ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلامٌ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾

٢٤ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ ويبدل منه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ .

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]

٢٥ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء وينالهُ بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنوا .

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾

٢٦ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل ﴿اجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة .

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

٢٧ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ﴾ أي القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]

٢٨ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَحَلُّوا﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ البَوَارِ﴾ الهلاك [1] .

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩]

٢٩ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ القَرَارُ﴾ المقر هي

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]

٣٠ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُوا﴾ بدنياكم قليلا ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]

٣١ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ ولا خِلالٌ﴾ مخالة أي صداقة تنفع هو يوم القيامة .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]

٣٢ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]

٣٣ ﴿وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿والنَّهَارَ﴾ لتبتغوا من فضله .

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

٣٤ ﴿وآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بمعنى إنعامه ﴿لا تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدها ﴿إِنَّ

سورة إبراهيم

(١) **أسباب نزول الآية ٢٨:** أخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا من المشركين من قريش يوم بدر.

الإنسان﴾ الكافر ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾

٣٥ واذكر ﴿وإِذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ﴾ مكة ﴿آمِنًا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿واجْنُبْنِي﴾ بعدني ﴿وبَنِيَّ﴾ عن ﴿أن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ .

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]

٣٦ ﴿رَبِّ إنَّهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ من أهل ديني ﴿ومَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك .

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

٣٧ ﴿رَّبَّنَا إنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ تميل وتحن ﴿إلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس لو قال أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم ﴿وارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه .

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]

٣٨ ﴿رَبَّنَا إنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ نسر ﴿ومَا نُعْلِنُ ومَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]

٣٩ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وهَبَ لِي﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿الكِبَرِ إسْمَاعِيلَ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿وإسْحَاقَ﴾ ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ .

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]

٤٠ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ﴾ اجعل ﴿ومِن ذُرِّيَّتِي﴾ من يقيمها وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفارا ﴿رَبَّنَا وتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ المذكور .

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]

٤١ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي ولِوَالِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل أسلمت أمه وقرىء والدي مفردا وولدي ﴿ولِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿الحِسَابُ﴾ قال تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾

٤٢ ﴿ولا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى ويقال شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]

٤٣ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لا يَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل لفزعهم .

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]

٤٤ ﴿وأَنذِرِ﴾ خوف يا محمد ﴿النَّاسَ﴾

الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿ونَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخا ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ﴾ حلفتم ﴿قَبْلُ مَا﴾ في الدنيا ﴿لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ زائدة ﴿وسَكَنتُمْ﴾ عنها إلى الآخرة .

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]

٤٥ ﴿وسَكَنتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ في القرآن فلم تعتبروا .

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾

٤٦ ﴿وقَدْ مَكَرُوا﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي علمه أو جزاؤه ﴿وإنْ﴾ ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ المعنى لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات وفي قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فإن مخففة والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا وعلى الأول ما قرئ وما كان .

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]

٤٧ ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ بالنصر ﴿إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ ممن عصاه .

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

٤٨ اذكر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ﴾ هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين وروى مسلم حديث سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ قال على الصراط ﴿وبَرَزُوا﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ .

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾

٤٩ ﴿وتَرَى﴾ يا محمد تبصر ﴿المُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ القيود أو الأغلال .

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾

٥٠ ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وتَغْشَى﴾ تعلو ﴿وجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ .

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٥١]

٥١ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق ببرزوا ﴿اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

٥٢ ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَلاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي أنزل لتبليغهم ﴿ولِيُنذَرُوا بِهِ ولِيَعْلَمُوا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إلَهٌ واحِدٌ ولِيَذَّكَّرَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول .

* * *

١٥ سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿وقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة .

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾

٢ ﴿رُبَمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ورب للتكثير فإنه يكثر منهم تمني ذلك وقيل للتقليل فإن الأهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة .

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]

٣ ﴿ذَرْهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمْ﴾ يشغلهم ﴿الأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾

٤ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ﴾ أجل ﴿مَّعْلُومٌ﴾ محدود لإهلاكها .

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾

٥ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه .

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾

٦ ﴿وَقَالُوا﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ .

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

٧ ﴿لَوْ مَا﴾ هلا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله .

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾

٨ قال تعالى ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا﴾ أي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُّنظَرِينَ﴾ مؤخرين .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

٩ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

١٠ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فِي شِيَعِ﴾ فرق ﴿الأَوَّلِينَ﴾ .

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

١١ ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ .

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

١٢ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب في قلوب اولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي كفار مكة .

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

١٣ ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم .

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤]

١٤ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥]

١٥ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سدت ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ يخيل إلينا ذلك .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾

١٦ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ إثني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الأسد والمشتري وله القوس

والحوت وزحل وله الجدي والدلو ﴿وزيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ .

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]

١٧ ﴿وحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ مرجوم .

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾

١٨ ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يثقبه أو يخلبه .

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]

١٩ ﴿والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿وأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ معلوم مقدر .

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾

٢٠ ﴿وجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بالياء من الثمار والحبوب وجعلنا لكم ﴿ومَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله .

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]

٢١ ﴿وإن﴾ ما ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿ومَا نُنَزِّلُهُ إلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ على حسب المصالح .

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾

٢٢ ﴿وأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ تلقح السحاب فيمتلئ ماء ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ومَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي ليست خزائنه بأيديكم .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾

٢٣ ﴿وإنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ ونَحْنُ الوَارِثُونَ﴾ الباقون نرث جميع الخلق .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾

٢٤ ﴿ولَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿ولَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

٢٥ ﴿وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾

٢٦ ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ طين أسود ﴿مَّسْنُونٍ﴾ متغير .

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾

٢٧ ﴿والْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ خلق آدم ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]

٢٨ واذكر ﴿وإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ .

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

٢٩ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ اتممته ﴿ونَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيا وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء .

١٥- سورة الحجر

(١) **أسباب نزول الآية ٢٤**: روى الترمذي، والنسائي، والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله: «وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ».

* وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح قال: قال سهل بن حنيفة الأنصاري: أتدرون فيم أنزلت: «وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ» قلت: أنزلت في سبيل الله؟ قال: لا، ولكنها في صفوف الصلاة.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]

٣٠ ﴿فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

٣١ ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من ﴿أن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

٣٢ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَلاَّ﴾ زائدة ﴿تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣]

٣٣ ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]

٣٤ ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي الجنة وقيل من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]

٣٥ ﴿وإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]

٣٦ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الحجر: ٣٧]

٣٧ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ﴾.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]

٣٨ ﴿إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]

٣٩ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]

٤٠ ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]

٤١ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]

٤٢ وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ﴾ الكافرين.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣]

٤٣ ﴿وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي من اتبعك معك.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾

٤٤ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿مِّنْهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَّقْسُومٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]

٤٥ ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وعُيُونٍ﴾ تجري فيها[1].

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]

٤٦ ويقال لهم ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿آمِنِينَ﴾ من كل فزع.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]

---

(١) أسباب نزول الآية ٤٥: أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي أنه لما سمع قوله تعالى: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» فرّ ثلاثة أيام هاربًا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي ﷺ، فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله: «إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ».

٤٧ ﴿ونَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ حال أيضا أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (١) .

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

٤٨ ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿ومَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أبدا .

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

٤٩ ﴿نَبِّئْ﴾ خبر يا محمد ﴿عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم (٢) .

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]

٥٠ ﴿وأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾ المؤلم .

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١]

٥١ ﴿ونَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل .

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾

٥٢ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا ﴿إِنَّا مِنكُمْ وجِلُونَ﴾ خائفون .

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾

٥٣ ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير هو إسحق كما ذكرنا في سورة هود .

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾

٥٤ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الكِبَرُ﴾ حال أي مع مسه إياي ﴿فَبِمَ﴾ فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب .

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾

٥٥ ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلا تَكُن مِّنَ القَانِطِينَ﴾ الآيسين .

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾

٥٦ ﴿قَالَ ومَن﴾ أي لا ﴿يَقْنَطُ﴾ بكسر النون وفتحها ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ الكافرون .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٧]

٥٧ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا المُرْسَلُونَ﴾ .

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾

٥٨ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين أي قوم لوط لإهلاكهم .

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٥٩ ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم .

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾

٦٠ ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها .

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٦١]

٦١ ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي لوطا ﴿المُرْسَلُونَ﴾ .

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٢]

٦٢ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا

---

(١) أسباب نزول الآية ٤٧ : أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين: أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ» قيل: وأيّ غل؟ قال: غل الجاهلية، إنّ بني تيمٍ وبني عدي، وبني هاشم، كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابّوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية.

أسباب نزول الآية ٤٩ : أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزّبير قال: مرّ رسول الله ﷺ بنفرٍ من أصحابه يضحكون فقال: أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟! فنزلت هذه الآية: «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ».

* وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن رجلٍ من أصحاب النّبي ﷺ قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، فقال: لا أراكم تضحكون، ثمّ أدبر، ثمّ رجع القهقرى، فقال: إنّي خرجت حتى إذا كنت عند الحجر جاء جبريل فقال: يا محمد إنّ الله يقول لك: لم تقنّط عبادي؟: «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ».

أعرفكم .

﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾

٦٣ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أي قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون وهو العذاب .

﴿وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤]

٦٤ ﴿وأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وإنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا .

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾

٦٥ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ واتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿ولا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام .

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]

٦٦ ﴿وقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ حال أي يتم استئصالهم في الصباح .

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر: ٦٧]

٦٧ ﴿وجَاءَ أَهْلُ المَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم وهم قوم لوط لما أخبروه أن في بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال طمعا في فعل الفاحشة بهم .

﴿قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر: ٦٨]

٦٨ ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ﴾ .

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٩]

٦٩ ﴿واتَّقُوا اللَّهَ ولا تُخْزُونِ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم .

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠]

٧٠ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم .

﴿قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١]

٧١ ﴿قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]

٧٢ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]

٧٣ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس .

﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]

٧٤ ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار .

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]

٧٥ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للناظرين المعتبرين .

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦]

٧٦ ﴿وإِنَّهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ طريق قريش إلى الشام لم تندرس إفلا يعتبرون بهم .

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧]

٧٧ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ﴾ [الحجر: ٧٨]

٧٨ ﴿وإِن﴾ مخففة أي إنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيبا .

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]

٧٩ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وإِنَّهُمَا﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ طريق ﴿مُّبِينٍ﴾ واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

٨٠ ﴿ولَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ﴾ واد بين المدينة والشام وهم ثمود ﴿المُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحا لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد .

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر : ٨١]

٨١ ﴿وآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها .

﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾

٨٢ ﴿وكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر : ٨٣]

٨٣ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح .

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر : ٨٤]

٨٤ ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ دفع ﴿عَنْهُم﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال .

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾

٨٥ ﴿ومَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وإنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾ لا محالة فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَاصْفَحِ﴾ يا محمد عن قومك ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أعرض عنهم إعراضا لا جزع فيه .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر : ٨٦]

٨٦ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاَّقُ﴾ لكل شيء ﴿العَلِيمُ﴾ بكل شيء .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾

٨٧ ﴿ولَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ المَثَانِي﴾ قال ﷺ هي الفاتحة رواه الشيخان لأنها تثنى في كل ركعة ﴿والقُرْآنَ العَظِيمَ﴾ .

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر : ٨٨]

٨٨ ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافا ﴿مِّنْهُمْ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر : ٨٩]

٨٩ ﴿وقُلْ إنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿المُبِينُ﴾ البين الإنذار .

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر : ٩٠]

٩٠ ﴿كَمَا أَنزَلْنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى المُقْتَسِمِينَ﴾ اليهود والنصارى .

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر : ٩١]

٩١ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ﴾ أي كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ﴾ أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام وقال بعضهم في القرآن سحر وبعضهم كهانة وبعضهم شعر .

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٩٢]

٩٢ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سؤال توبيخ.

﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر : ٩٣]

٩٣ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

٩٤ ﴿فَاصْدَعْ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به أي اجهر به وأمضه ﴿وأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد .

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر : ٩٥]

٩٥ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك بإهلاكنا كلا منهم بآفة وهم الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث(١) .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩٥**: أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال: مرَّ النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنَّه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل بأصبعه فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحًا حتى نتنوا، فلم يستطع أحدٌ أنْ يدنو منهم، فأنزل الله: «إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ».

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦]

٩٦ ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم.

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾

٩٧ ﴿ولَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الاستهزاء والتكذيب.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

٩٨ ﴿فَسَبِّحْ﴾ ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده ﴿وكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ المصلين.

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]

٩٩ ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الموت.

* * *

١٦ سورة النحل
مكية وآياتها ثمان وعشرون ومائة

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١]

لما استبطأ المشركون العذاب نزل ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه أي قرب ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره (١).

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾

٢ ﴿يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ﴾ أي جبريل ﴿بِالرُّوحِ﴾ بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرُوا﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خافون.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٣]

٣ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي محقا ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾

٤ ﴿خَلَقَ الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني إلى أن صيره قويا شديدا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ بينها في نفي البعث قائلا من يحيي العظام وهي رميم.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]

٥ ﴿والأَنْعَامَ﴾ الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿ومَنَافِعُ﴾ من النسل والدر والركوب ﴿ومِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قدم الظرف للفاصلة.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾

٦ ﴿ولَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردونها إلى مراحها بالعشي ﴿وحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة.

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾

٧ ﴿وتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ بجهدها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم حيث خلقها لكم

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]

٨ وخلق ﴿والْخَيْلَ والْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا

١٦- سورة النحل
أسباب نزول الآية (١): أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت «أتى أمر الله» ذُعِرَ أصحاب رسول الله ﷺ، حتى نزلت: «فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ» فسكتوا.

وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: لما أنزلت: «أَتَى أَمْرُ الله» قاموا، فنزلت: «فَلاَ تَسْتَعْجِلُوه».

وزينة﴾ مفعول له والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]

٩ ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أي بيان الطريق المستقيم ﴿ومنها﴾ أي السبيل ﴿جائر﴾ حائد عن الاستقامة ﴿ولو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهداكم﴾ إلى قصد السبيل ﴿أجمعين﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم .

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾

١٠ ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ تشربونه ﴿ومنه شجر﴾ ينبت بسببه ﴿فيه تسيمون﴾ ترعون دوابكم .

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]

١١ ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ في صنعه فيؤمنون .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]

١٢ ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس﴾ بالنصب عطفا على ما قبله والرفع مبتدأ ﴿والقمر والنجوم﴾ بالوجهين ﴿مسخرات﴾ بالنصب حال والرفع خبر ﴿بأمره﴾ بإرادته ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يتدبرون .

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]

١٣ وسخر لكم ﴿وما ذرأ﴾ خلق ﴿لكم في الأرض﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مختلفا ألوانه﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ يتعظون .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

١٤ ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ ذلله لركوبه والغوص فيه ﴿لتأكلوا منه لحما طريا﴾ هو السمك ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وترى﴾ تبصر ﴿الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ولتبتغوا﴾ عطف على لتأكلوا تطلبوا ﴿من فضله﴾ تعالى بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على ذلك .

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]

١٥ ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ جبالا ثوابت ﴿أن﴾ لا ﴿تميد﴾ تتحرك ﴿بكم﴾ جعل فيها ﴿وأنهارا﴾ كالنيل ﴿وسبلا﴾ طرقا ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى مقاصدكم .

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]

١٦ ﴿وعلامات﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وبالنجم﴾ بمعنى النجوم ﴿هم يهتدون﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل .

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

١٧ ﴿أفمن يخلق﴾ وهو الله ﴿كمن لا يخلق﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا ﴿أفلا تذكرون﴾ هذا فتؤمنوا .

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]

١٨ ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ تضبطوها فضلا أن تطيقوا شكرها ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾

١٩ ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ ومَا تُعْلِنُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل : ٢٠]

٢٠ ﴿والَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يصورون من الحجارة وغيرها .

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

٢١ ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا روح فيهم خبر ثان ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿ومَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي الخلق فكيف يعبدون إذ لا يكون إلها إلا الخالق الحي العالم بالغيب .

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل : ٢٢]

٢٢ ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ واحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى ﴿فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن الإيمان بها .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل : ٢٣]

٢٣ ﴿لا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ومَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل : ٢٤]

٢٤ ونزل في النضر بن الحرث ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا﴾ استفهامية موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوا﴾ هو ﴿أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الأَوَّلِينَ﴾ إضلالا للناس .

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾

٢٥ ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ ومِنْ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الإثم ﴿أَلا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه حملهم هذا .

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾

٢٦ ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمروذ بنى صرحا طويلا ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنْيَانَهُم مِّنَ القَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي وهم تحته ﴿وأَتَاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل .

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل : ٢٧]

٢٧ ﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿ويَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ والسُّوءَ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم .

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٢٨]

٢٨ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ شرك فتقول الملائكة ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل : ٢٩]

٢٩ ويقال لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ .

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]

٣٠ ﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها قال تعالى فيها ﴿ولَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي .

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

٣١ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ .

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]

٣٢ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]

٣٣ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿المَلائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فاهلكوا ﴿ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [النحل: ٣٤]

٣٤ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي جزاؤها ﴿وحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي العذاب .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

٣٥ ﴿وقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ ولا آبَاؤُنَا ولا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ من البحائر والسوائب فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كذبوا رسلهم فيما جاؤا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ﴾ الإبلاغ البين وليس عليهم الهداية .

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]

٣٦ ﴿ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فآمن ﴿ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَسِيرُوا﴾ يا كفار مكة ﴿فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم من الهلاك .

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧]

٣٧ ﴿إن تَحْرِصْ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿مَن يُضِلُّ﴾ من يريد إضلاله ﴿ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ما نعين من عذاب الله .

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]

٣٨
﴿وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ قال تعالى ﴿بَلَى﴾ يبعثهم ﴿وعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وحقه حقا ﴿ولَكِنَّ(١) أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]

٣٩
﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلق بيبعثهم المقدر ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿ولِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في إنكار البعث.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]

٤٠
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أي أردنا إيجاده وقولنا مبتدأ خبره ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾

٤١
﴿والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ دارا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة ﴿ولأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم .

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

٤٢
هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

٤٣
﴿ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

٤٤
﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف فأي أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿والزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبروا.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾

٤٥
﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ أي من جهة لا تخطر ببالهم وقد اهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدرون ذلك .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾

٤٦
﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

٤٧
﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تنقص شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة .

---

(١) أسباب نزول الآية ٣٨ :
أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت إنه كذا وكذا، فقال المشرك: إنك لتزعم أنك تُبعث من بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت فنزلت الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٤١ :
أخرج ابن جرير عن داود بن أبي هند قال: نزلت: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا» إلى قوله: «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» في أبي جندل بن سهيل.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾

٤٨ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿ظِلَالُهُ﴾ تتميل ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا﴾ جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿لِلَّهِ وهُمْ﴾ حال أي خاضعين له بما يراد منهم ﴿دَاخِرُونَ﴾ الظلال ﴿ولِلَّهِ﴾ صاغرون نزلوا منزلة العقلاء .

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل : ٤٩]

٤٩ ﴿ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ أي نسمة تدب عليها أي تخضع له بما يراد منها وغلب في الإتيان بما ما لا يعقل لكثرته ﴿والْمَلائِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلا ﴿وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته .

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

٥٠ ﴿يَخَافُونَ﴾ أي الملائكة حال من ضمير يستكبرون ﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ حال من هم أي عاليا عليهم بالقهر ﴿ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به .

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل : ٥١]

٥١ ﴿وقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ واحِدٌ﴾ أتى به لاثبات الإلاهية والوحدانية ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة .

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل : ٥٢]

٥٢ ﴿ولَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿ولَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿واصِبًا﴾ دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستفهام للانكار والتوبيخ .

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل : ٥٣]

٥٣ ﴿ومَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره وما شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ أصابكم ﴿الضُّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره .

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل : ٥٤]

٥٤ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

٥٥ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل : ٥٦]

٥٦ ﴿ويَجْعَلُونَ﴾ أي المشركون ﴿لِمَا لا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾

٥٧ ﴿ويَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿ولَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي البنون والجملة في محا رفع أو نصب بيجعلون المعنى يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم فيختصون بالأسنى كقوله فاستفتهم إلربكك البنات ولهم البنون .

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل : ٥٨]

٥٨ ﴿وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مغتم ﴿وهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما فكيف ينسب البنات

إليه تعالى .

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

٥٩ ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي ﴿مِنَ القَوْمِ﴾ أي قومه ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى هُونٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يئده ﴿أَلا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل .

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل : ٦٠]

٦٠ ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ أي الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي الصفة السوآى بمعنى القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿ولِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى﴾ الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في خلقه .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل : ٦١]

٦١ ﴿ولَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿ولَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل : ٦٢]

٦٢ ﴿ويَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة وإهانة الرسل ﴿وتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى﴾ عند الله أي الجنة لقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى قال تعالى ﴿لا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها وفي قراءة بكسر الراء أي متجاوزين الحد .

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل : ٦٣]

٦٣ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ ولِيُّهُمُ﴾ متولي امورهم ﴿اليَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم .

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٦٤ ﴿ومَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وهُدًى﴾ عطف على لتبين ﴿ورَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به .

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

٦٥ ﴿واللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر .

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل : ٦٦]

٦٦ ﴿وإنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبارا ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي الأنعام ﴿مِن﴾ للابتداء متعلقة بنسقيكم ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾ ثفل الكرش ﴿ودَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به .

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

٦٧ ﴿ومِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمرا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها ﴿ورِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَةً﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل : ٦٨]

٦٨ ﴿وأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿ومِنَ الشجَرِ﴾ بيوتا ﴿ومِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي الناس يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها .

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٦٩]

٦٩ ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه من طلب المرعى ﴿ذُلُلاً﴾ جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت ولا تضلي عن العود منها وإن بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أي منقادة لما يراد منك ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ من الأوجاع قيل لبعضها كمادل عليه هتنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره أقول وبدونها بنيته وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى .

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

٧٠ ﴿واللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ومِنكم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ﴾ أي أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿شَيْئًا إنَّ اللَّهَ﴾ بتدبير خلقه ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ على ما يريده .

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل : ٧١]

٧١ ﴿واللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فَمَا الَذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي الموالي ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكم ﴿فَهُمْ﴾ أي المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء والمعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء .

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾

٧٢ ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿وجَعَلَ لَكم مِّنْ أَزْوَاجِكم بَنِينَ وحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد ﴿ورَزَقَكم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

٧٣ ﴿ويَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾ بالمطر ﴿والأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ بدل من رزقا ﴿ولا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على شيء وهم الأصنام .

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٧٤]

٧٤ ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به ﴿إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا

﴿وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥]

٧٥ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ ويبدل منه ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة تميزه من الحر فإنه عبد الله ﴿لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿ومَن﴾ نكرة موصوفة أي حرا ﴿رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًا وجَهْرًا﴾ أي يتصرف به كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي العبيد العجزة والحر المتصرف لا ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لا (١) يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إلأيه من العذاب فيشركون.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]

٧٦ ﴿وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ ويبدل منه ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَى مَوْلاهُ﴾ ولي أمره ﴿أيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا﴾ يصرفه ﴿يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ منه ﴿هَل﴾ بنجح وهذا مثل الكافر ﴿يَسْتَوِي هُوَ ومَن﴾ الأبكم المذكور ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وهُوَ﴾ أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿عَلَى صِرَاطِ مُّسْتَقِيم﴾ طريق ﴿ولِلَّهِ﴾ وهو الثاني المؤمن لا وقيل هذا مثل لله والأبكم للأصنام والذي قبله مثل الكافر والمؤمن.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧]

٧٧ ﴿ولِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿ومَا أَمْرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ كن فيكون ﴿إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]

٧٨ ﴿واللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال ﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك فتؤمنوا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٧٩ ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أي الهواء بين السماء والارض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿إلاَّ اللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]

٨٠ ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم ﴿ويَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ومِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي الغنم ﴿وأَوْبَارِهَا﴾ أي الإبل ﴿وأَشْعَارِهَا﴾ أي المعز ﴿أَثَاثًا﴾ متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿ومَتَاعًا﴾ تتمتعون به ﴿إلَى حِينٍ﴾ تبلى فيه

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]

٨١ ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلالاً﴾ جمع ظل تقيكم حر

---

(١) أسباب نزول الآية ٧٥: أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: «ضَرَبَ الله مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا» قال: نزلت في رجل من قريش وعبدِهِ، وفي قوله: «رَجُلَيْنِ أحدهما أبكم» قال: نزلت في عثمان بن عفان ومولى له كان يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما

الشمس ﴿وجَعَلَ لَكُم مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ جمع كِن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب ﴿وجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ قمصا ﴿تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ أي والبرد ﴿وسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ حربكم أي الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن ﴿كَذَلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسْلِمُونَ﴾ توحدونه .

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢]

٨٢ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿البَلاغُ المُبِينُ﴾ الإبلاغ البين وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]

٨٣ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي يقرون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾(١) بإشراكهم ﴿وأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ﴾ .

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

٨٤ واذكر ﴿ويَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿ولا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله .

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [النحل: ٨٥]

٨٥ ﴿وإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿العَذَابَ﴾ النار ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿ولا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون عنه إذا رأوه .

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦]

٨٦ ﴿وإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو﴾ نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ القَوْلَ﴾ أي قالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولكم إنكم عبدتمونا كما في آية أخرى ما كانوا إيانا يعبدون سيكفرون بعبادتهم .

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٨٧]

٨٧ ﴿وأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿وضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]

٨٨ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود عقارب أنيابها كالنخل الطوال ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بصدهم الناس عن الإيمان .

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

٨٩ واذكر ﴿ويَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هو نبيهم ﴿وجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ﴾ أي قومك ﴿ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَانًا﴾ بيانا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمَةً وبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الموحدين .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٨٣**: أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: أنَّ أعرابيًا أتى النبيَّ ﷺ فسأله، فقرأ عليه: «وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» قال الأعرابي: نعم، ثمَّ قرأ عليه: «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ». قال: نعم، ثمَّ قرأ عليه كلَّ ذلك وهو يقول: نعم. حتى بلغ: «كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ» فولَّى الأعرابي، فأنزل الله: «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ».

٩٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث ﴿وَإِيتَاءِ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة خصه بالذكر اهتماما به ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزنا ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ شرعا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون فيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر .

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]

٩١ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد لهم[1] .

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

٩٢ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنكَاثًا﴾ حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من ضمير تكونوا أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه أي فسادا وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَن﴾ أي لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف اولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو بكون امة أربى لينظر أتفون أم لا ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي[1] .

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]

٩٣ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتجازوا عليه .

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤]

٩٤ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ كرره تأكيدا ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أي أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ أي العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة .

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٩٥]

٩٥ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا .

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

٩٦ ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى

(١) **أسباب نزول الآية ٩١:** أخرج ابن جرير عن بريدة قال: نزلت هذه الآية في بيعة النبيّ ﷺ.

(١) **أسباب نزول الآية ٩٢:** أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: كانت سعيدة الأسدية مجنونة تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية: «وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا».

﴿وما عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿ولنَجزِيَنَّ﴾ بالياء والنون ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أجرَهُم بأَحسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن .

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

٩٧ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قيل هي حياة الجنة وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿ولَنَجزِيَنَّهُمْ أَجرَهُم بأَحسَنِ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ .

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

٩٨ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]

٩٩ ﴿إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ .

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

١٠٠ ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ بطاعته ﴿والَّذِينَ هُم بِهِ﴾ أي الله ﴿مُشرِكُونَ﴾ .

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

١٠١ ﴿وإذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا﴾ أي الكفار للنبي ﷺ ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقوله من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ .

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

١٠٢ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بالحَقِّ﴾ متعلق بنزل ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وهُدًى وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]

١٠٣ ﴿ولَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه قال تعالى ﴿لِّسَانُ﴾ لغة ﴿الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعْجَمِيٌّ وهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي (١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٤]

١٠٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾

١٠٥ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن بقولهم هذا من قول البشر ﴿وأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ والتأكيد بالتكرار وما بعدها رد لقولهم إنما أنت مفتر .

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

١٠٦ ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ

---

(١) أسباب نزول الآية ١٠٣: أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قينًا بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ» الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان: أحدهما يقال له: يسار، والآخر: جبر، وكانا صقليين، فكانا يقرآن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يمرُّ بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا: إنَّما يتعلَّم منهما، فنزلت.

بِالإِيمَانِ﴾ ومن مبتدأ أو شرطية والخبر أو الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا ﴿ولَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له أي فتحه ووسعه بمعنى طابت له نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الآخِرَةِ وأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ .

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ وأُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

﴿لا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم .

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر وفي قراءة بالبناء للفاعل أي كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم وخبر إن الأولى دل عليه خبر الثانية .

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[النحل: ١١١]

اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾ تحاج ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة ﴿وتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا عَمِلَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ شيئا .

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[النحل: ١١٢]

﴿وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ ويبدل منه ﴿قَرْيَةً﴾ هي مكة والمراد أهلها ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ﴾ فقحطوا سبع سنين ﴿والْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾

[النحل: ١١٣]

﴿ولَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

---

(١) أسباب نزول الآية ١٠٦: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة أخذ المشركون بلالًا وخبابًا وعمار بن ياسر، فأمَّا عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلمَّا رجع إلى رسول الله ﷺ حدَّثه، فقال: كيف كان قلبك حين قلت، أكان منشرحًا بالذي قلت؟ قال: لا، فأنزل الله: «إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَانِ».

وأخرج عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن عمر بن الحكم قال: كان عمار بن ياسر يعذَّب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذَّب حتى لا يدري ما يقول، وكان أبو فكيهة يعذَّب حتى لا يدري ما يقول، وبلال، وعامر بن فهيرة، وقوم من المسلمين، وفيهم نزلت هذه الآية: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

١١٤ ﴿فَكُلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حلالاً طَيِّبًا واشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إن كُنتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥]

١١٥ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنزِيرِ ومَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]

١١٦ ﴿ولا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ﴾ أي لوصف ألسنتكم ﴿الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إنَّ الَذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٧]

١١٧ لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿ولَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

١١٨ ﴿وعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في آية وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر إلى آخرها ﴿ومَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩]

١١٩ ﴿ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ الشرك ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]

١٢٠ ﴿إنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماما قدوة جامعا لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعا ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الدين القيم ﴿ولَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

١٢١ ﴿شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه ﴿وهَدَاهُ إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢]

١٢٢ ﴿وآتَيْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثناء الحسن في أهل الأديان ﴿وإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]

١٢٣ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾ دين ﴿إبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ كرر ردا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٤]

١٢٤ ﴿إنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم وهم اليهود وأمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده اختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن

﴿ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾

١٢٥ ﴿ادْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَجَادِلْهُم﴾ أي المجادلة التي ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال ﷺ وقد رآه لأمثلن بسبعين منهم مكانك.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾

١٢٦ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه رواه البزار [1].

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار إن لم يمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾

١٢٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَذِينَ اتَّقَوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

١٧ سورة الإسراء

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

﴿سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

١ ﴿سُبْحَانَ﴾ أي تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلاً﴾ نصب على الظرف والإسراء سير الليل وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره إلى تقليل مدته ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فإنه ﷺ.

﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢]

٢ قال تعالى ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ يفوضون إليه أمرهم وفي قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمر.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣]

٣ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامدا في جميع أحواله.

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٤]

٤ ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تبغون

---

(١) أسباب نزول الآية ١٢٦: أخرج الحاكم، والبيهقي في الدلائل، والبزار عن أبي هريرة: أَنَّ رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مُثِّل به فقال: لأُمثِّلنَّ بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنَّبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» إلى آخر السورة، فكفَّ رسولُ الله ﷺ وأمسك عما أراد.

* وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن أُبيٍّ بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعةٌ وستُّون، ومن المهاجرين ستةٌ منهم حمزة بن عبد المطلب فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنربينَّ عليهم في التمثيل، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا» الآية.

* وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد، وجمع ابن الحصار: بأنَّها نزلت أولًا: بمكة، ثمَّ ثانيًا: بأحد، ثمَّ ثالثًا: يوم الفتح، تذكيرًا من الله لعباده.

بغيا عظيما .

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾

٥ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ أولى مرتي بالفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلالَ الدِّيَارِ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وكَانَ وعْدًا مَّفْعُولاً﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل ذكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم موخربوا بيت المقدس .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

٦ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ وجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة .

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾

٧ وقلنا ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وعْدُ﴾ المرة ﴿الآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُوؤُوا وجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا يظهر في وجوهكم ﴿ولِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ ولِيُتَبِّرُوا﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ هلاكا وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم الوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس .

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]

٨ وقلنا في الكتاب ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي بني النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسا وسجنا .

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

٩ ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ أي الطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿ويُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ١٠]

١٠ ويخبر ﴿وأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما هو النار .

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]

١١ ﴿ويَدْعُ الإنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاءَهُ﴾ أي كدعائه له ﴿بِالْخَيْرِ وكَانَ الإنسَانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولاً﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته .

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾

١٢ ﴿وجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والإضافة للبيان ﴿وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي مبصرا فيها بالضوء ﴿لِّتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿ولِتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ السِّنِينَ والْحِسَابَ﴾ للاوقات ﴿وكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ بيناه تبيينا

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]

١٣ ﴿وكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد وقال مجاهد ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ صفتان لكتابا .

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

١٤ ويقال له ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسبا .

﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]

١٥ ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ومَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿ولا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وازِرَةٌ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدا(١)﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ يبين له ما يجب عليه .

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]

١٦ ﴿وإذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧]

١٧ ﴿وكَمْ﴾ أي كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ القُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالما ببواطنها وظواهرها وبه يتعلق بذنوب .

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾

١٨ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿العَاجِلَةَ﴾ أي الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التعجيل له بدل من له بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلاهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوما ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطرودا من الرحمة .

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]

١٩ ﴿ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ عند الله أي مقبولا مثابا عليه .

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]

٢٠ ﴿كُلاً﴾ من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَؤُلاءِ وهَؤُلاءِ﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بنمد ﴿عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿ومَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعا عن أحد .

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]

٢١ ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿ولَلآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾

٢٢ ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ لا ناصر لك .

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

٢٣ ﴿وقَضَى﴾ أمر ﴿رَبُّكَ﴾ أن أي بأن ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ﴾ أن تحسنوا ﴿وبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا﴾ بأن تبروهما ﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلاهُمَا﴾ وفي قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ بفتح الفاء وكسرها منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا ﴿ولا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ جميلا لينا .

١٧- سورة الإسراء

(١) **أسباب نزول الآية ١٥**: أخرج ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام، فنزلت: «وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» وقال: هم على الفطرة أو قال: في الجنة .

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]

٢٤ ﴿واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي لرقتك عليهما ﴿وقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ .

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾

٢٥ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طائعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقا .

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]

٢٦ ﴿وآتِ﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿والْمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله [1] .

﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٧]

٢٧ ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي على طريقتهم ﴿وكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر.

﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٨]

٢٨ ﴿وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ أي المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ لينا سهلا بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق [1] .

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾

٢٩ ﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿ولا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعا لا شيء عندك راجع للثاني [2] .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٣٠]

٣٠ ﴿إنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ ويَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم .

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾

٣١ ﴿ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ﴾ بالوأد ﴿خَشْيَةَ﴾ مخافة ﴿إمْلاقٍ﴾ فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإيَّاكُمْ إِنَّ

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٦ : أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت: «وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ» دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك.

* قال ابن كثير: هذا الحديث مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية والمشهور خلافه.

* وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٨ : أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخراساني قال: جاء ناس من مزينة يستحملون رسول الله ﷺ فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا، ظنُّوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ فأنزل الله: «وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن الضَّحاك قال: نزلت فيمن كان يسأل النَّبيَّ ﷺ من المساكين.

(١) أسباب نزول الآية ٢٩ : أخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: أتى رسول الله ﷺ برّ، وكان معطاءً كريمًا فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله : «وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا» الآية.

* وأخرج ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ أمِّي تسألك كذا وكذا، قال: ما عندنا شيءٌ اليوم، قال: فتقول لك اكسني قميصك، فخلع قميصه فدفعه إليه فجلس في البيت حاسرًا، فأنزل الله : «وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا».

* وأخرج أيضًا عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال لعائشة: أُنفق ما على ظهر كفي، فقالت: إذن لا يبقى شيءٌ، فأنزل الله: «وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ» الآية. وظاهر ذلك أنها مدنية.

قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾ إثما ﴿كَبِيرًا﴾ عظيما

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾

٣٢ ﴿ولا تقْرَبُوا الزِّنَى﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ قبيحا ﴿وسَاءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلاً﴾ طريقا هو .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]

٣٣ ﴿ولا تقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ ومَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطا على القاتل ﴿فَلا يُسْرِف﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي القَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾

٣٤ ﴿ولا تقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ عنه .

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]

٣٥ ﴿وأَوْفُوا الكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ مآلاً .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾

٣٦ ﴿ولا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ صاحبه ماذا فعل به .

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]

٣٧ ﴿ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿ولَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال .

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾

٣٨ ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ .

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾

٣٩ ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ الموعظة ﴿ولا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطرودا من رحمة الله .

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]

٤٠ ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿رَبُّكُم بِالْبَنِينَ واتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِنَاثًا﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلاً عَظِيمًا﴾ .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١]

٤١ ﴿ولَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَذَا القُرْآنِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يتعظوا ﴿ومَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلاَّ نُفُورًا﴾ عن الحق .

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]

٤٢ ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُ﴾ أي الله ﴿آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا﴾ طلبوا ﴿إِلَى ذِي العَرْشِ﴾ أي الله ﴿سَبِيلاً﴾ ليقاتلوه .

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

٤٣ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ .

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

٤٤ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تنزهه ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُ ومَن فِيهِنَّ وإِن﴾ ما ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ من

المخلوقات ﴿إِلاَّ يُسَبِّحُ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة .

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾

٤٥ ﴿وإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ أي ساترا لك عنهم فلا يرونك نزل فيمن أراد الفتك ﷺ(1)

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]

٤٦ ﴿وجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه ﴿وفِي آذَانِهِمْ وقْرًا﴾ ثقلا فلا يسمعونه ﴿وإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وحْدَهُ ولَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ عنه

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾

٤٧ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من الهزء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قراءتك ﴿وإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ يتناجون بينهم أي يتحدثون ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨]

٤٨ ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ طريقا إليه .

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]

٤٩ ﴿وقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا ورُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]

٥٠ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ .

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾

٥١ ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئا لان القادر على البدء قادر على الإعادة بل هي أهون ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجبا ﴿ويَقُولُونَ﴾ استهزاء ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي البعث ﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]

٥٢ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بأمره وقيل وله الحمد ﴿وتَظُنُّونَ إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ لهول ما ترون .

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

٥٣ ﴿وقُل لِّعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكفار الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ﴾ يفسد ﴿بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بين العداوة والكلمة التي هي أحسن هي .

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ

(1) **أسباب نزول الآية ٤٥**: أخرج ابن المنذر عن ابن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزؤون به: «قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْه وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ» فأنزل الله في ذلك من قولهم : «وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا» الآيات.

﴿يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾

٥٤ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾

٥٥ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالإسراء ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ .

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾

٥٦ ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزيز ﴿فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ ولا تَحْوِيلاً﴾ له إلى غيركم (١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]

٥٧ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ .

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]

(١) أسباب نزول الآية ٥٦: أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، فأنزل الله: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ» الآية.

٥٨ ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُوراً﴾ مكتوبا .

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]

٥٩ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء وقد حكمنا بإمهالهم لاتمام أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾ للعباد فيؤمنوا (١) .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾

٦٠ واذكر ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علما وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عيانا ليلة الإسراء ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم

(١) أسباب نزول الآية ٥٩: أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبيَّ ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهبًا، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له: إنْ شئت أن تستأني بهم، وإن شئت تؤتهم الذي سألوا، فإنْ كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: بل استأني بهم، فأنزل الله: «وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ» الآية.

* وأخرج الطبراني، وابن مردويه، عن الزبير نحوه أبسط منه.

(٢) أسباب نزول الآية ٦٠: أخرج أبو يعلى عن أُمِّ هانئ أَنَّه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفرًا من قريش يستهزئون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاس».

* وأخرج ابن المنذر عن الحسن نحوه.

* وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي أَنَّ رسول الله

بها ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا النار تحرق الشجرة فكيف تنبته ﴿ونُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾(١)

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

٦١ واذكر ﴿وإذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنزع الخافض أي من طين .

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾

٦٢ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أي أخبرني ﴿هَذَا الَذِي كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَيَّ﴾ بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَخَّرْتَنِ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواء ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم ممن عصمته .

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣]

٦٣ ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿اذْهَبْ﴾ منظرا إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ وافرا كاملا .

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾

٦٤ ﴿واسْتَفْزِزْ﴾ استخف ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وأَجْلِبْ﴾ صح ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿والأَوْلادِ﴾ من الزنى ﴿وعِدْهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿ومَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إلاَّ غُرُورًا﴾ باطلا .

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]

٦٥ ﴿إنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وكَفَى بِرَبِّكَ وكِيلاً﴾ حافظا لهم منك .

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

٦٦ ﴿رَبُّكُمُ الَذِي يُزْجِي﴾ يجري ﴿لَكُمُ الفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِي البَحْرِ لِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿إنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم .

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾

٦٧ ﴿وإذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي البَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إلاَّ إيَّاهُ﴾ تعالى فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وكَانَ الإنسَانُ كَفُورًا﴾ جحودا للنعم .

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾

٦٨ ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ﴾ أي الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ

ﷺ أصبح يومًا مهمومًا، فقيل له: ما لك يا رسول الله لا تهتم فإن رؤياك فتنة لهم، فأنزل الله : «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ».

* وأخرج ابن جرير من حديث سهل بن سعد نحوه.

* وأخرج ابن أبي حاتم من حديث عمرو بن العاص ومن حديث يعلى بن مرة ، ومن مرسل سعيد بن المسيب نحوها وأسانيدها ضعيفة.

قوله تعالى: «وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآن» الآية.

* أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال: لما ذكر الله الزقومَ خوَّف به هذا الحي من قريش. قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقُّوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما لئن أمكننا منها لنزقمنها زقمًا، فأنزل الله: «وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُم فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا»، وأنزل: «إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ».

وكيلاً﴾ حافظا منه .

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩]

٦٩ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فلككم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ناصرا وتابعا يطالبنا بما فعلنا بكم .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

٧٠ ﴿ولَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ﴾ على الدواب ﴿والْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلاً﴾ فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل افراده إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء .

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]

٧١ اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الشر وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فتيلا﴾ قدر قشرة النواة .

﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]

٧٢ ﴿ومَن كَانَ فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أبعد طريقا عنه ونزل في ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم أن يحرم واديهم وألحوا عليه .

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾

٧٣ ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستنزلونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [1] .

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]

٧٤ ﴿ولَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٧٣**: أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد تعالى فاستلم آلهتنا وندخل معك في دينك، وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه فراق قومه ويحبُّ إسلامهم فَرَقَّ لهم، فأنزل الله: «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» إلى: «نَصِيرًا».

* قلت: هذا أصحُّ ما ورد في سبب نزولها وهو إسناد جيد وله شاهد.

* وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تستلم آلهتنا، فقال رسول الله ﷺ: وما عليَّ لو فعلت والله يعلم مني خلافه، فنزلت.

* وأخرج نحوه عن ابن شهاب. وأخرج عن جبير بن نفير أن قريشًا أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم، فنكون نحن أصحابك فركن إليهم، فنزلت.

* وأخرج عن محمَّد بن كعب القُرظي: أنَّه ﷺ قرأ «وَالنَّجْم» إلى «أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالعُزَّى» فألقى عليه الشيطان: تلك الغرانيق العلا وإنَّ شفاعتهنَّ لترتجى ، فنزلت: «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ»، فما زال مهمومًا حتى أنزل الله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ الله ما يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ الله ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» الآية.

* وفي هذا دليل على أنَّ هذه الآيات مكيَّة، ومن جعلها مدنية استدل بما أخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس: أنَّ ثقيفًا قالوا للنبي ﷺ: أجِّلنا سنة حتى يهدى إلى آلهتنا، فإنْ قبضنا الذي يُهدى للآلهة أحرزناه ثمَّ أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهمَّ أن يؤجلهم، فنزلت، وإسناده ضعيف.

شَيْئًا﴾ ركونا ﴿قَلِيلاً﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥]

٧٥ ﴿إِذًا﴾ لو ركنت ﴿لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿الحَيَاةِ وضِعْفَ﴾ عذاب ﴿المَمَاتِ﴾ أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعا منه.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

٧٦ ونزل لما قال له اليهود إن كنت نبيا حقا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾ فيها ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ ثم يهلكون.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]

٧٧ ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿ولا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ تبديلا.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

٧٨ ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي من وقت زوالها ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ إقبال الظلمة أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وقُرْآنَ الفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

٧٩ ﴿ومِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء ونزل لما أمر بالهجرة.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]

٨٠ ﴿وقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره ﴿وأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجا لا ألتفت بقلبي إليها ﴿واجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

٨١ ﴿وقُلْ﴾ عند دخولك مكة ﴿جَاءَ الحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وزَهَقَ البَاطِلُ﴾ بطل الكفر ﴿إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلا زائلا وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان.

---

(١) **أسباب نزول الآية ٧٦:** أخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، من حديث شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم: أنَّ اليهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن كنت نبيًا فالحق بالشام؛ فإنَّ الشَّام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدّق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة: «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا» وَأمرهُ بالرُّجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك وفيها مماتك وفيها تُبعث*.

وقال له جبريل: سلْ ربَّك فإن لكلِّ نبي مسألة، فقال: ما تأمرني أنْ أسأل؟ قال: «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لي مِن لَدُنْكَ سُلطَانًا نَصِيرًا» فهؤلاء نزلن في رجعته من تبوك*.

هذا مرسل ضعيف الإسناد، وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم ولفظه: قال المشركون للنَّبي ﷺ: كانت الأنبياء تسكن الشَّام فما لك والمدينة. فهمَّ أنْ يشخص، فنزلت*.

وله طريق أُخرى مرسلة عند ابن جرير أَن بعض اليهود قاله له... [الحديث].

(١) **أسباب نزول الآية ٨٠:** أَخرج الترمذي عن ابن عباس قال: كان النَّبي ﷺ بمكة ثمَّ أُمر بالهجرة، فنزلت عليه: «وَقُلْ رَبِّ أدْخِلْني مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لي مِن لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصيرًا». وهذا صريح في أَنَّ الآية مكية*.

وأخرج ابن مردويه بلفظ أصرح منه.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

٨٢ ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان ﴿القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿ولا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إلاَّ خَسَارًا﴾ لكفرهم به .

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]

٨٣ ﴿وإذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿ونَأَى بِجَانِبِهِ﴾ ثنى عطفه متبخترا ﴿وإذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ قنوطا من رحمة الله .

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]

٨٤ ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾ طريقا فيثيبه .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

٨٥ ﴿ويَسْأَلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي علمه لا تعلمونه ﴿ومَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى (١) .

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]

٨٦ ﴿ولَئِن﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ﴾ أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وكِيلاً﴾ .

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٧]

٨٧ ﴿إلاَّ﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ عظيما حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل .

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]

٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معينا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (١) .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

٨٩ ﴿ولَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿إلاَّ كُفُورًا﴾ جحودا للحق .

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]

٩٠ ﴿وقَالُوا﴾ عطف على ابى ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ عينا ينبع منها الماء (٢) .

---

(١) أسباب نزول الآية ٨٥: أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متوكىء على عسيب، فمرَّ بنفرٍ من يهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدِّثْنا عن الرُّوح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنَّه يُوحى إليه حتى صعد الوحي ثمَّ قال: «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً».

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فأنزل الله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي».

قال ابن كثير: يجمع بين الحديثين بتعدد النزول.

* وكذا قال الحافظ ابن حجر.

* أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك وإلاَّ فما في الصحيح أصح. قلت: ويرجِّح ما في الصحيح بأنَّ راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس.

(١) أسباب نزول الآية ٨٨: أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النَّبي ﷺ سلام بن مشكم - في عامة من يهود سماهم - فقالوا: كيف نتَّبعك وقد تركت قبلتنا، وإنَّ هذا الذي جئت به لا نراه متناسقًا كما تناسق التوراة؟ فأنزل علينا كتابًا نعرفه، وإلاَّ جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» الآية.

(٢) أسباب نزول الآيات ٩٠-٩١-٩٢-٩٣: أخرج ابن

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء: ٩١]

٩١ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]

٩٢ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعا ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ والْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ مقابلة وعيانا فنراهم.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]

٩٣ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَى﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ على السلم ﴿ولَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُ قُلْ﴾ لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنتُ إلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾

٩٤ ﴿ومَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إلاَّ أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكرين ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ ولم يبعث ملكا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾

٩٥ ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسولا إلا من جنسهم يمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦]

٩٦ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾

٩٧ ﴿ومَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِ ونَحْشُرُهُمْ

جرير من طريق ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة عن ابن عباس: أَنَّ عُتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان ابن حرب ورجلًا من بني عبد الدار وأبي البَخْتَري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيهًا ومنبهًا ابني الحجاج السهميين اجتمعوا فقالوا: يا محمد والله ما نعلم رجلًا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفَّهت الأحلام وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة فما من قبيح إلاّ وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنّما جئت بهذا الحديث تطلب مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإنْ كنت إنّما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيا تراه قد غلب، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نُبرئك منه نعذر فيك.

فقال رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولًا، وأنزل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا. قالوا: فإن كنتَ غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنَّه ليس أحد من النَّاس أضيق بلادًا ولا أقل مالًا ولا أشد عيشًا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك به فليسيِّر عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليُجْرِ فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليُبْعَثْ لنا مَن قد مضى من آبائنا، فإن لم تفعل فسل ربك ملكا يصدقك بما تقول، وأن يجعل لك جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة، ويغنيك على ما نراك تبتغي، فإنَّك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش...، فإن لم تفعل فأسقط السماء علينا كِسَفًا كما زعمت أَنَّ ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل...

فقام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية، فقال: يا محمد: عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثمَّ سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أَنْ تعجل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سلمًا ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة، فيشهدوا لك أنك كما تقول، فانصرف رسول الله ﷺ حزينًا، فأنزل عليه ما قاله عبد الله بن أبي أمية: «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» إلى قوله: «بَشَرًا رَسُولًا».

يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَى وجُوهِهِمْ عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ تلهبا واشتعالا .

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

٩٨ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بآياتِنَا وقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿أئِذَا كُنَّا عِظَامًا ورُفَاتًا أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]

٩٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ﴾ يعلموا ﴿اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ قَادِرٌ﴾ مع عظمها ﴿عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وجَعَلَ﴾ أي الأناسي في الصغر ﴿لَهُمْ أَجَلاً لاَ﴾ للموت والبعث ﴿رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إلاَّ كُفُورًا﴾ جحودا له .

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾

١٠٠ ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذًا لأَمْسَكْتُمْ﴾ لبخلتم ﴿خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ خوف نفادها بالإنفاق فتفتقروا ﴿وكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلا .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]

١٠١ ﴿ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات ﴿فَاسْأَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك أو فقلنا له اسأل وفي قراءة بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقلك .

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾

١٠٢ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ﴾ الآيات ﴿إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ عبرا ولكنك تعاند وفي قراءة بضم التاء ﴿وإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكا أو مصروفا عن الخير

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]

١٠٣ ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِّنَ الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ ومَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ .

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤]

١٠٤ ﴿وقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ أي الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعا أنتم وهم .

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]

١٠٥ ﴿وبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿وبِالْحَقِّ﴾ المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما انزل لم يعتره تبديل ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إلاَّ مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿ونَذِيرًا﴾ من كفر بالنار .

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

١٠٦ ﴿وقُرْآنًا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ نزلناه مفرقا في عشرين سنة أو وثلاث ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿ونَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ شيئا بعد شيء على حسب المصالح .

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾

١٠٧ ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنوا أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ .

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾

١٠٨ ﴿ويَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيها له عن خلف الوعد ﴿إن﴾ مخففة ﴿كَانَ وعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولاً﴾.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾

١٠٩ ﴿ويَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿ويَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعا لله.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ١١٠]

١١٠ وكان ﷺ يقول يا رحمن فقالوا ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر معه فنزل ﴿قُل﴾ لهم ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا يا الله يا رحمن ﴿أَيًا﴾ شرطية ﴿مَّا﴾ زائدة أي أي هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن دل على هذا ﴿فَلَهُ﴾ أي لمسماهما ﴿الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ وهذان منها فإنها كما في الحديث الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذي.

قال تعالى ﴿ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿ولا تُخَافِتْ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ لينتفع أصحابك ﴿وابْتَغِ﴾ اقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلاً﴾ طريقا وسطا[1]

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾

١١١ ﴿وقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَذِي لَمْ يَتَّخِذْ ولَدًا ولَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿ولَمْ يَكُن لَّهُ ولِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِّنَ﴾ أجل ﴿الذُّلِّ﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق[2] لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته.

* * *

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١٠:** أخرج ابن مردويه وغيره، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة ذات يوم، فدعا فقال في دعائه: يا الله يا رحمن، فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابىء ينهانا أنْ ندعوا إلهين وهو يدعو إلهين فأنزل الله: «قُلِ ادْعُوا الله أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الحسْنَى».

قوله تعالى: «وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا» الآية.

أَخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله: «وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا» قال: نزلت ورسول الله ﷺ مُختَفٍ بمكة، وكان إذا صلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا القرآن سبُّوه ومن أنزله ومن جاء به، فنزلت. * وأخرج البخاري أيضًا عن عائشة: أنَّها نزلت في الدعاء. * وأخرج ابن جرير من طريق ابن عباس مثله. ثمَّ رجَّح الأولى لكونها أصح سندًا، وكذا رجحها النووي وغيره.

وقال الحافظ ابن حجر: لكن يحتمل الجمع بينهما بأنَّها نزلت في الدعاء داخل الصَّلاة. وقد أخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء، فنزلت.

* وأخرج ابن جرير والحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية في التشهد، وهي مبينة لمرادها في الرواية السابقة.

ولابن منيع في مسنده عن ابن عباس: كانوا يجهرون بالدعاء: اللهم ارحمني ، فنزلت فأمروا أن لا يخافتوا ولا يجهروا.

(٢) **أسباب نزول الآية ١١١:** أخرج ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظي قال: إنَّ اليهود والنَّصارى قالوا: اتخذ الله ولدًا، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلاَّ شريكًا هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلَّ، فأنزل الله: «وَقُل الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ في الملْكِ».

الجزء الثاني

تفسير الإمام جلال الدين المحلي من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن مع سورة الفاتحة (أما تفسير سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء، فهو للإمام جلال الدين السيوطي)

١٨ - سورة الكهف مكية -

إلا الآية (٢٨) وآياتها (١١٠) مائة وعشر آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف :١]

١ - (الْحَمْدُ) وهو الوصف بالجميل ثابت (لِلَّهِ) تعالى وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما احتمالات أفيدها الثالث (الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ) محمد (الكِتَابَ) القرآن (ولَمْ يَجْعَل لَّهُ) أي فيه (عِوَجًا) اختلافا وتناقضا والجملة حال من الكتاب

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾

٢ - (قَيِّمًا) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لِّيُنذِرَ) يخوف بالكتاب الكافرين (بَأْسًا) عذابا (شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ) من قبل الله (ويُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف :٣]

٣ - (مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) هو الجنة

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾

٤ - (ويُنذِرَ) من جملة الكافرين (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا)

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

٥ - (مَا لَهُم بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ ولا لآبَائِهِمْ) من قبلهم القائلين له (كَبُرَتْ) عظمت (كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أي مقالتهم المذكورة (إن) ما (يَقُولُونَ) في ذلك (إلا) مقولا (كَذِبًا)

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف :٦]

٦ - (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ) مهلك (نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) بعدهم أي بعد توليهم عنك (إن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ) القرآن (أَسَفًا) غيظا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم ونصبه على المفعول له

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف :٧]

٧ - (إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ) من الحيوان

١٨- سورة الكهف

(١) أسباب نزول الآية ٦ : أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضْر بن الحارث وعُقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكِتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهنَّ، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوَّل ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟. فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالا: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاءُوا رسول الله ﷺ فسألوه، فقال: أخبركم غدًا بما سألتم عنه، ولم يستثنِ.

فانصرفوا ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيًا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مُكثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إيَّاه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرَّجل الطوَّاف وقول الله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنَّضر بن الحارث، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البختري، في نفر من قريش، وكان رسول الله ﷺ قد كبُر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه، وإنكارهم ما جاء به من النَّصيحة فأحزنه حزنًا شديدًا فأنزل الله: «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ» الآية.

والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك (زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ) لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) فيه أي أزهد له

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف :٨]

٨ - (وإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا) فتاتا (جُرُزًا) يابسا لا ينبت

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف :٩]

٩ - (أَمْ حَسِبْتَ) أي ظننت (أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ) الغار في الجبل (والرَّقِيم) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كَانُوا) في قصتهم (مِنْ) جملة (آيَاتِنَا عَجَبًا) خبر كان وما قبله حال أي كانوا عجبا دون باقي الآيات أو أعجبها ليس الأمر كذلك

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

١٠ - اذكر (إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ) جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار (فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ) من قبلك (رَحْمَةً وهَيِّئْ) أصلح (لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) هداية

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾

١١ - (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أي أنمناهم (في الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) معدودة

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾

١٢ - (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِنَعْلَمَ) علم مشاهدة (أَيُّ الحِزْبَيْنِ) الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أَحْصَى) أفعل بمعنى أضبط (لِمَا لَبِثُوا) للبثهم متعلق بما بعده (أَمَدًا) غاية

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف :١٣]

١٣ - (نَحْنُ نَقُصُّ) نقرأ (عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وزِدْنَاهُمْ هُدًى)

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾

١٤ - (ورَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) قويناهم على قول الحق (إِذْ قَامُوا) بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام (فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ) أي غيره (إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) أي قولا ذا شطط أي إفراط في الكفر إن دعونا إلها غير الله فرضا

﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف :١٥]

١٥ - (هَؤُلاءِ) مبتدأ (قَوْمُنَا) عطف بيان (اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا) هلا (يَأْتُونَ عَلَيْهِم) على عبادتهم (بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة (فَمَنْ أَظْلَمُ) أي لا أحد أظلم (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليك تعالى قال بعض الفتية لبعض

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف :١٦]

١٦ - (وإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ومَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما ترتفقون به من غداء وعشاء

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾

١٧ - (وتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ) بالتشديد والتخفيف تميل (عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ) ناحيته (وإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة (وهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها (ذَلِكَ) المذكور (مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دلائل قدرته (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ ولِيًّا مُّرْشِدًا).

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ

اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف :١٨]

١٨ - (وتَحْسَبُهُمْ) لو رأيتهم (أَيْقَاظًا) أي منتبهين لأن أعينهم متفتحة جمع يقظ بكسر القاف (وهُمْ رُقُودٌ) نيام جمع راقد (ونُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وذَاتَ الشِّمَالِ) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) يديه (بالْوَصِيدِ) بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ولَمُلِئْتَ) بالتشديد والتخفيف (مِنْهُمْ رُعْبًا) بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾

١٩ - (وكَذَلِكَ) كما فعلنا بهم ما ذكرنا (بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) عن حالهم ومدة لبثهم (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ثم (قَالُوا) متوقفين في ذلك (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ) بسكون الراء وكسرها بفضتكم (هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ) يقال إنها المسماة الآن طرسوس بفتح الراء (فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أي : أيُّ أطعمة المدينة أحل (فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ولْيَتَلَطَّفْ ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف :٢٠]

٢٠ - (إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يقتلوكم بالرجم (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ولَن تُفْلِحُوا إِذًا) أي إن عدتم في ملتهم (أَبَدًا) .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

٢١ - (وكَذَلِكَ) كما بعثناهم (أَعْثَرْنَا) أطلعنا (عَلَيْهِمْ) قومهم والمؤمنين (لِيَعْلَمُوا) أي قومهم (أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ) بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى (وأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ) لا شك (فِيهَا إِذْ) معمول لـ (أعثرنا) (يَتَنَازَعُونَ) أي المؤمنون والكفار (بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ) أمر الفتية في البناء حولهم (فَقَالُوا) أي الكفار (ابْنُوا عَلَيْهِم) أي حولهم (بُنْيَانًا) يسترهم (رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ) أمر الفتية وهم المؤمنون (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم) حولهم (مَّسْجِدًا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف .

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف :٢٢]

٢٢ - (سَيَقُولُونَ) أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي يقول بعضهم لبعض هم (ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ويَقُولُونَ) أي بعضهم (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أي ظنا في الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معا ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك (ويَقُولُونَ) أي المؤمنون (سَبْعَةٌ وثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو وقيل تأكيد ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح (قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ) قال ابن عباس أنا من القليل وذكرهم سبعة (فَلا تُمَارِ) تجادل (فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) مما أنزل عليك (ولا تَسْتَفْتِ فِيهِم) تطلب الفتيا (مِّنْهُمْ) من أهل الكتاب اليهود (أَحَدًا) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدًا ولم يقل: إن شاء الله فنزل[1] .

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾

٢٣ - (ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ) أي لأجل شيء (إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا) أي فيما يستقبل من الزمان[2] .

(١) أسباب نزول الآيات ٢٣ - ٢٤ - ٢٥: أخرج ابن مردويه أيضًا عن ابن عباس قال: أنزلت: «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾

٢٤ - (إلاّ أن يَشَاءَ اللّهُ) أي إلا متلبسا بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله (واذْكُر رَّبَّكَ) أي مشيئته معلقا بها (إذَا نَسِيتَ) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره ما دام في المجلس (وقُلْ عَسَى أن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا) من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي (رَشَدًا) هداية وقد فعل الله ذلك

﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف :٢٥]

٢٥ - (ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ) بالتنوين (سِنِينَ) عطف بيان لـ ثلاثمائة وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله (وازْدَادُوا تِسْعًا) أي تسع سنين فثلاثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف :٢٦]

٢٦ - (قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) أي علمه (أَبْصِرْ بِهِ) أي بالله هي صيغة تعجب (وأَسْمِعْ) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء (مَا لَهُم) لأهل السموات والأرض (مِّن دُونِهِ مِن ولِيٍّ) ناصر (ولا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) لأنه غني عن الشريك

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾

٢٧ - (واتْلُ مَا أُوحِيَ إلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكلِمَاتِهِ ولَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف :٢٨]

٢٨ - (واصْبِرْ نَفْسَكَ) احبسها (مَعَ الَذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وجْهَهُ) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء (ولا تَعْدُ) تنصرف (عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) عبر بهما عن صاحبهما (تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا) أي القرآن هو عيينة بن حصن وأصحابه (واتَّبَعَ هَوَاهُ) في الشرك (وكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) إسرافا (١).

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

[الكهف :٢٩]

٢٩ - (وقُلِ) له ولأصحابه هذا القرآن (الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن ومَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) تهديد لهم (إنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ) أي الكافرين (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) ما أحاط بها (وإن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) كعكر الزيت (يَشْوِي الوُجُوهَ) من

ثَلاثَ مِائَةَ» فقيل: يا رسول الله سنين أو شهورًا؟ فأنزل الله: «سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا».

* وأخرجه ابن جرير عن الضحاك.

* وأخرج ابن مردويه أيضًا عن ابن عباس قال: حلف النبي ﷺ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله: «وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله».

(١) أسباب نزول الآية ٢٨: قوله تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ» الآية. تقدم سبب نزولها في سورة الأنعام في حديث خباب.

قوله تعالى: «ولا تطع» الآية.

* أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: «وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا»، قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنَّه دعا النبيَّ ﷺ إلى أمر كرهه الله، من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة فنزلت.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: حدثنا أن النَّبي ﷺ تصدَّى لأمية بن خلف وهو ساهٍ غافل عما يقال له فنزلت.

* وأخرج عن أبي هريرة قال: دخل عيينة بن حصن على النَّبي ﷺ وعنده سلمان، فقال عيينة: إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وأدخلنا، فنزلت.

حره إذا قرب منها (بِئْسَ الشَّرَابُ) هو (وَسَاءَتْ) أي النار (مُرْتَفَقًا) تمييز منقول عن الفاعل أي قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة وحسنت مرتفقا وإلا فأي ارتفاق في النار

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف :٣٠]

٣٠ - (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أي نثيبهم بما تضمنه

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف :٣١]

٣١ - (أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) قيل من زائدة وقيل للتبعيض وهي جمع أسورة ك أحمرة جمع سوار (مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ) مارق من الديباج (وَإِسْتَبْرَقٍ) ما غلظ منه وفي آية الرحمن بطائنها من إستبرق (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) جمع أريكة وهي السرير في الحجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس (نِعْمَ الثَّوَابُ) الجزاء الجنة (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) .

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾

٣٢ - (وَاضْرِبْ) اجعل (لَهُم) للكفار مع المؤمنين (مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ) بدل وهو وما بعده تفسير للمثل (جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا) الكافر (جَنَّتَيْنِ) بستانين (مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) يقتات به

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف :٣٣]

٣٣ - (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ) كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ (آتَتْ) خبره (أُكُلَهَا) ثمرها (وَلَمْ تَظْلِم) تنقص (مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا) أي شققنا (خِلالَهُمَا نَهَرًا) يجري بينهما

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف :٣٤]

٣٤ - (وَكَانَ لَهُ) مع الجنتين (ثَمَرٌ) بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الأول وسكون الثاني وهو جمع ثمرة ك شجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) المؤمن (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يفاخره (أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا) عشيرة .

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف :٣٥]

٣٥ - (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد (وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) بالكفر (قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ) تنعدم (هَذِهِ أَبَدًا) .

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف :٣٦]

٣٦ - (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي) في الآخرة على زعمك (لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا) مرجعا .

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف :٣٧]

٣٧ - (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يجاوبه (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ) لأن آدم خلق منه (ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) مني (ثُمَّ سَوَّاكَ) عدلك وصيرك (رَجُلاً) .

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾

٣٨ - (لَكِنَّا) أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها (هُوَ) ضمير الشأن تفسره الجملة بعده والمعنى أنا أقول (اللَّهُ رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) .

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾

٣٩ - (وَلَوْلا) هلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ) عند إعجابك بها هذا (مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ) وفي الحديث من أعطي خيرا من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير

فيه مكروها (إن ترن أنا) ضمير فصل بين المفعولين (أقل منك مالا وولدا) .

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾

٤٠ - (فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك) جواب الشرط (ويرسل عليها حسبانا) جمع حسبانة أي صواعق (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء لا يثبت عليها قدم

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾

٤١ - (أو يصبح ماؤها غورا) بمعنى غائرا عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فلن تستطيع له طلبا) حيلة تدركه بها

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٢]

٤٢ - (وأحيط بثمره) بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلكت (فأصبح يقلب كفيه) ندما وتحسرا (على ما أنفق فيها) في عمارة جنته (وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (ويقول يا) للتنبيه (ليتني لم أشرك بربي أحدا) .

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف :٤٣]

٤٣ - (ولم تكن) بالتاء والياء (له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) عند هلاكها (وما كان منتصرا) عند هلاكها بنفسه

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

٤٤ - (هنالك) أي يوم القيامة (الولاية) بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك (لله الحق) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هو خير ثوابا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وخير عقبا) بضم القاف وسكونها عاقبة المؤمنين ونصبهما على التمييز

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف :٤٥]

٤٥ - (واضرب) صير (لهم) لقومك (مثل الحياة الدنيا) مفعول أول (كماء) مفعول ثان (أنزلناه من السماء فاختلط به) تكاثف بسبب نزول الماء (نبات الأرض) أو امتزج الماء بالنبات فروي وحسن (فأصبح) صار النبات (هشيما) يابسا متفرقة أجزاؤه (تذروه) تنشره وتفرقه (الرياح) فتذهب به المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح وفي قراءة الريح (وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادرا.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

٤٦ - (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتجمل بهما فيها (والباقيات الصالحات) هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله (خير عند ربك ثوابا وخير أملا) أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى .

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٧]

٤٧ - (و) اذكر (يوم نسير الجبال) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وترى الأرض بارزة) ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره (وحشرناهم) المؤمنين والكافرين (فلم نغادر) نترك (منهم أحدا) .

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف :٤٨]

٤٨ - (وعرضوا على ربك صفا) حال أي مصطفين كل أمة صف ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي فرادى حفاة عراة غرلا ويقال لمنكري البعث (بل زعمتم) أن مخففة من الثقيلة أي أنه (ألن نجعل لكم موعدا) للبعث.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٩]

٤٩ - (ووُضِعَ الكِتَابُ) كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين وفي شماله من الكافرين (فترى المجرمين) الكافرين (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا فِيهِ ويَقُولُونَ) عند معاينتهم ما فيه من السيئات (يَا) للتنبيه (ويْلَتَنَا) هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (مَالِ هَٰذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً) من ذنوبنا (إلاَّ أحْصَاهَا) عدها وأثبتها تعجبوا منه في ذلك (ووَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مثبتا في كتابهم (ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَدًا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾

٥٠ - (وإِذْ) منصوب بـ اذكر (قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ) سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له (فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أي خرج عن طاعته بترك السجود (أفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ) الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لإبليس (أوْلِيَاءَ مِن دُونِي) تطيعونهم (وهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) أي أعداء حال (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف :٥١]

٥١ - (مَّا أشْهَدتُّهُمْ) أي إبليس وذريته (خَلْقَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ولا خَلْقَ أنفُسِهِمْ) أي لم أحضر بعضهم خلق بعض (ومَا كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ) الشياطين (عَضُدًا) أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف :٥٢]

٥٢ - (ويَوْمَ) منصوب بـ اذكر (يَقُولُ) بالياء والنون (نَادُوا شُرَكَائِيَ) الأوثان (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) ليشفعوا لكم بزعمكم (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لم يجيبوهم (وجَعَلْنَا بَيْنَهُم) بين الأوثان وعابديها (مَّوْبِقًا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف :٥٣]

٥٣ - (ورَأَى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) أي أيقنوا (أنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا) أي واقعون فيها (ولَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) معدلا

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف :٥٤]

٥٤ - (ولَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وكَانَ الإنسَانُ) أي الكافر (أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) خصومة في الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان المعنى وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف :٥٥]

٥٥ - (ومَا مَنَعَ النَّاسَ) أي كفار مكة (أن يُؤْمِنُوا) مفعول ثان (إذْ جَاءَهُمُ الهُدَى) القرآن (ويَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إلاَّ أن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ) فاعل أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم (أوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً) مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وفي قراءة بضمتين جمع قبيل أي أنواعا .

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف :٥٦]

٥٦ - (ومَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إلاَّ مُبَشِّرِينَ) للمؤمنين (ومُنذِرِينَ) مخوفين للكافرين (ويُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) بقولهم : أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (لِيُدْحِضُوا بِهِ) ليبطلوا بجدالهم (الحَقَّ) القرآن (واتَّخَذُوا آيَاتِي) أي القرآن (ومَا أُنذِرُوا) به من النار (هُزُوًا) سخرية

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف :٥٧]

٥٧ - (ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ونَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ما عمل من الكفر والمعاصي (إنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَن يَفْقَهُوهُ) أي من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه (وفي آذَانِهِمْ وقْرًا) ثقلا فلا يسمعونه (وإن تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إذًا) أي بالجعل المذكور (أَبَدًا) .

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف :٥٨]

٥٨ - (ورَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم) في الدنيا (بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ) فيها (بل لَّهُم مَّوْعِدٌ) وهو يوم القيامة (لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً) ملجأ .

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف :٥٩]

٥٩ - (وتِلْكَ القُرَى) أي أهلها كعاد وثمود وغيرهما (أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) كفروا (وجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم) لإهلاكهم وفي قراءة بفتح الميم أي لهلاكهم (مَّوْعِدًا) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف :٦٠]

٦٠ - واذكر (وإذْ قَالَ مُوسَى) هو ابن عمران (لِفَتَاهُ) يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ عنه العلم (لا أَبْرَحُ) لا أزال أسير (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) دهرا طويلا في بلوغه إن بعد .

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف :٦١]

٦١ - (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا) بين البحرين (نَسِيَا حُوتَهُمَا) نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره (فَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ) أي جعله بجعل الله (سَرَبًا) أي مثل السرب وهو الشق الطويل لانفاذ له وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف :٦٢]

٦٢ - (فَلَمَّا جَاوَزَا) ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قَالَ) موسى (لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا) هو ما يؤكل أول النهار (لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) تعبا وحصوله بعد المجاوزة

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف :٦٣]

٦٣ - (قَالَ أَرَأَيْتَ) أي تنبه (إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ) بذلك المكان (فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ ومَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ) يبدل من الهاء (أَنْ أَذْكُرَهُ) بدل اشتمال أي أنساني ذكره (واتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا) مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾

٦٤ - (قَالَ) موسى (ذَلِكَ) أي فقدنا الحوت (مَا) أي الذي (كُنَّا نَبْغِ) نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه (فَارْتَدَّا) رجعا (عَلَى آثَارِهِمَا) يقصانها (قَصَصًا) فأتيا الصخرة

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف :٦٥]

٦٥ - (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا) هو الخضر (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا) نبوة في قول وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء (وعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا) من قبلنا (عِلْمًا) مفعول ثان أي معلوما من المغيبات روى البخاري حديث أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يا

رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع ابن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رأسيهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جريه بالماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا إلى قوله واتخذ سبيله في البحر عجبا قال وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا إلخ

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف :٦٦]

٦٦ - (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) أي صوابا أرشد به وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف :٦٧]

٦٧ - (قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾

٦٨ - (وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) في الحديث السابق عقب هذه الآية يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه وقوله خبرا مصدر بمعنى لم تحط أي لم تخبر حقيقته

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾

٦٩ - (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ولا أَعْصِي) أي وغير عاص (لَكَ أَمْرًا) تأمرني به وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا بأنفسهم طرفة عين

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف :٧٠]

٧٠ - (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي) وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون (عَن شَيْءٍ) تنكره مني في علمك واصبر (حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) أي أذكره لك بعلته فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف :٧١]

٧١ - (فَانطَلَقَا) يمشيان على ساحل البحر (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ) التي مرت بهما (خَرَقَهَا) الخضر بأن اقتلع لوحا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج (قَالَ) له موسى (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) أي عظيما منكرا روي أن الماء لم يدخلها

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾

٧٢ - (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف :٧٣]

٧٣ - (قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) أي غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك (ولا تُرْهِقْنِي) تكلفني (مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) مشقة في صحبتي إياك أي عاملني فيها بالعفو واليسر

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف :٧٤]

٧٤ - (فَانطَلَقَا) بعد خروجهما من السفينة يمشيان (حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجها (فَقَتَلَهُ) الخضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقاء وجواب إذا (قَالَ) له موسى (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً) بتشديد الياء بلا ألف أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفي قراءة زاكية (بِغَيْرِ نَفْسٍ) أي لم تقتل نفسا (لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) بسكون الكاف وضمها أي منكرا

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾

٧٥ - (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف :٧٦]

٧٦ – ولهذا (قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا) أي بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) لا تتركني أتبعك (قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي) بالتشديد والتخفيف من قبلي (عُذْرًا) في مفارقتك لي

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾

٧٧ – (فَانطَلَقَا حتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هي أنطاكية (اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا) طلبا منهم الطعام بضيافة (فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا) ارتفاعه مائة ذراع (يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ) أي يقرب أن يسقط لميلانه (فَأَقَامَهُ) الخضر بيده (قَالَ) له موسى (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ) وفي قراءة لاتخذت (عَلَيْهِ أَجْرًا) جعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف :٧٨]

٧٨ – (قَالَ) له الخضر (هَذَا فِرَاقُ) أي وقت فراق (بَيْنِي وبَيْنِكَ) فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سَأُنَبِّئُكَ) قبل فراقي لك (بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) .

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

٧٩ – (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ) عشرة (يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وكَانَ وراءَهُم) إذا رجعوا أو أمامهم الآن (مَّلِكٌ) كافر (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ) صالحة (غَصْبًا) نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ

﴿وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف :٨٠]

٨٠ – (وأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وكُفْرًا) فإنه كما في حديث مسلم : طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾

٨١ – (فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا) بالتشديد والتخفيف (رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً) أي صلاحا وتقى (وأَقْرَبَ) منه (رُحْمًا) بسكون الحاء وضمها رحمة وهي البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾

٨٢ – (وأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ) مال مدفون من ذهب وفضة (لَّهُمَا وكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أي إيناس رشدهما (ويَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) مفعول له عامله أراد (ومَا فَعَلْتُهُ) أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار (عَنْ أَمْرِي) أي اختياري بل بأمر إلهام من الله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) ويقال استطاع واسطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف :٨٣]

٨٣ – (ويَسْأَلُونَكَ) أي اليهود (عَن ذِي القَرْنَيْنِ) اسمه الإسكندر ولم يكن نبيا (قُلْ سَأَتْلُو) سأقص (عَلَيْكُم مِّنْهُ) من حاله (ذِكْرًا) خبرا

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾

٨٤ – (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ) بتسهيل السير فيها (وآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (سَبَبًا) طريقا يوصله إلى مراده

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف :٨٥]

٨٥ – (فَأَتْبَعَ سَبَبًا) سلك طريقا نحو المغرب

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف :٨٦]

٨٦ - (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) موضع غروبها (وجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ذات حمأة وهي الطين الأسود وغروبها في العين في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا (ووَجَدَ عِندَهَا) أي العين (قَوْمًا) كافرين (قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ) بإلهام (إِمَّا أَن تُعَذِّبَ) القوم بالقتل (وإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) بالأسر .

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف :٨٧]

٨٧ - (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ) بالشرك (فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) نقتله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها شديدا في النار

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف :٨٨]

٨٨ - (وأَمَّا مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى) أي الجنة والإضافة للبيان وفي قراءة جزاء وتنوينه قال الفراء ونصبه على التفسير أي لجهة النسبة (وسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) أي نأمره بما يسهل عليه .

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف :٨٩]

٨٩ - (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) نحو المشرق

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف :٩٠]

٩٠ - (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) موضع طلوعها (وجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ) هم الزنج (لَمْ نَجْعَل لَّهُمْ مِّن دُونِهَا) أي الشمس (سِتْرًا) من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف :٩١]

٩١ - (كَذَلِكَ) أي الأمر كما قلنا (وقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ) أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خُبْرًا) علما

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف :٩٢]

٩٢ - (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف :٩٣]

٩٣ - (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) بفتح السين وضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي (وجَدَ مِن دُونِهِمَا) أي أمامهما (قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً) أي لا يفهمونه إلا بعد بطء وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

٩٤ - (قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ) بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) جعلا من المال وفي قراءة خراجا (عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ سَدًّا) حاجزا فلا يصلوا إلينا

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف :٩٥]

٩٥ - (قَالَ مَا مَكَّنِّي) وفي قراءة بنونين من غير إدغام (فِيهِ رَبِّي) من المال وغيره (خَيْرٌ) من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه وأجعل لكم السد تبرعا (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) لما أطلبه منكم (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزا حصينا

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف :٩٦]

٩٦ - (آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ) قطعة على قدر الحجارة التي يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قَالَ انفُخُوا) فنفخوا (حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ) أي الحديد (نَارًا) أي كالنار (قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لاعمال الثاني فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمي فدخل بين زبره

فصار شيئا واحدا

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾

٩٧- (فَمَا اسْطَاعُوا) أي يأجوج ومأجوج (أَن يَظْهَرُوهُ) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) خرقا لصلابته وسمكه

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف :٩٨]

٩٨- (قَالَ) ذو القرنين (هَذَا) أي السد أي الإقدار عليه (رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي) نعمة لأنه مانع من خروجهم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم القريب من البعث (جَعَلَهُ دَكَّاءَ) مدكوكا مبسوطا (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم وغيره (حَقًّا) كائنا

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف :٩٩]

٩٩- (وتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم خروجهم (يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) يختلط به لكثرتهم (ونُفِخَ فِي الصُّورِ) أي القرن للبعث (فَجَمَعْنَاهُمْ) أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة (جَمْعًا) .

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾

١٠٠- (وعَرَضْنَا) قربنا (جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا)

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف :١٠١]

١٠١- (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ) بدل من الكافرين (فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي) أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به (وكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم بغضا له فلا يؤمنوا به

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف :١٠٢]

١٠٢- (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي) أي ملائكتي وعيسى وعزيزا (مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ) أربابا مفعول ثان لـ يتخذوا والمفعول الثاني لـ حسب محذوف المعنى أظن أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ) هؤلاء وغيرهم (نُزُلًا) أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف :١٠٣]

١٠٣- (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً) تمييز طابق المميز وبينهم بقوله

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف :١٠٤]

١٠٤- (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بطل عملهم (وهُمْ يَحْسَبُونَ) يظنون (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا يجازون عليه

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف :١٠٥]

١٠٥- (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (ولِقَائِهِ) أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب (فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) بطلت (فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وزْنًا) أي لا نجعل لهم قدرا .

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف :١٠٦]

١٠٦- (ذَلِكَ) أي الأمر الذي ذكرت عن حبوط أعمالهم وغيره مبتدأ خبره (جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا واتَّخَذُوا آيَاتِي ورُسُلِي هُزُوًا) أي مهزوءا بهما

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف :١٠٧]

١٠٧- (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ) في علم الله (جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ) هو وسط الجنة وأعلاها والإضافة إليه للبيان (نُزُلاً) منزلا

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف :١٠٨]

١٠٨- (خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ) يطلبون (عَنْهَا حِوَلاً) تحولا إلى غيرها

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

١٠٩ - (قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ) أي ماؤه (مِدَادًا) هو ما يكتب به (لِّكَلِمَاتِ رَبِّي) الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به (لَنَفِدَ البَحْرُ) في كتابتها (قَبْلَ أن تنفَدَ) بالتاء والياء تفرغ (كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ) أي البحر (مَدَدًا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي ونصبه على التمييز[1].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف :١١٠]

١١٠ - (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمي (مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ) أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحى إلي وحدانية الإله (فَمَن كَانَ يَرْجُو) يأمل (لِقَاءَ رَبِّهِ) بالبعث والجزاء (فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ) أي فيها بأن يرائي (أَحَدًا)[2].

* * *

سورة مريم

(مكية) إلا آيتي (٥٨) و (٧١) فمدنيتان وآياتها (٩٨) ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم :١]

١ - (كهيعص) الله أعلم بمراده بذلك

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم :٢]

٢ - هذا (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ) مفعول لرحمة (زَكَرِيَّا) بيان له

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم :٣]

٣ - (إِذْ) متعلق برحمة (نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً) مشتملا على دعاء (خَفِيًّا) سرا في جوف الليل لأنه أسرع للإجابة

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم :٤]

٤ - (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ) ضعف (العَظْمُ) جميعه (مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ) مني (شَيْبًا) تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك (ولَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ) أي بدعائي إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أي خائبا فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي

﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم :٥]

٥ - (وإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ) أي الذين يلونني في النسب كبني العم (مِن ورَائِي) أي بعد موتي على الدين أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين (وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) لا تلد (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ) من عندك (ولِيًّا) ابنا

﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾

٦ - (يَرِثُنِي) بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا (ويَرِثُ) بالوجهين (مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) جدي العلم والنبوة (واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) أي مرضيا عندك قال تعالى في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٩ :** أخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً».

* وقال اليهود: أوتينا علمًا كثيرًا، فنزلت: «قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ١١٠ :** أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاوس قال: قال رجل: يا رسول الله إنِّي أقف مواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني، فلم يردّ عليه شيئًا حتى نزلت هذه الآية: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» مرسل.

* وأخرجه الحاكم في المستدرك موصولًا عن طاوس عن ابن عباس وصححه على شرط الشيخين.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحب أن يُرى مكانه، فأنزل الله: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ» الآية.

* وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخه من طريق السُّدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صلّى أو صام أو تصدَّق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس له، فنزلت في ذلك: «فمن كان يرجو لقاء ربه» الآية.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ [مريم :٧]

٧ - (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلام) يرث كما سألت (اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًا) أي مسمى بيحيى

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ [مريم :٨]

٨ - (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلامٌ وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًا) من عتا يبس إلى نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانية وتسعين سنة وأصل عتي عتو كسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم :٩]

٩ - (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منكما (قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) أي بأن أرد عليك من قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق (وقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ ولَمْ تَكُ شَيْئًا) قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ [مريم :١٠]

١٠ - (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً) أي علامة على حمل امرأتي (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ) أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثَلاثَ لَيَالٍ) أي بأيامها كما في آل عمران (سَوِيًا) حال من فاعل تكلم أي بلا علة

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم :١١]

١١ - (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ) أي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة (فَأَوْحَى) أشار (إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا) صلوا (بُكْرَةً وعَشِيًا) أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى وبعد ولادته بسنتين قال الله تعالى له

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾

١٢ - (يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ) أي التوراة (بِقُوَّةٍ) بجد (وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ) النبوة (صَبِيًا) ابن ثلاث سنين

﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم :١٣]

١٣ - (وحَنَانًا) رحمة للناس (مِّن لَّدُنَّا) من عندنا (وزَكَاةً) صدقة عليهم (وكَانَ تَقِيًا) روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ [مريم :١٤]

١٤ - (وبَرًا بِوَالِدَيْهِ) أي محسنا إليهما (ولَمْ يَكُن جَبَّارًا) متكبرا (عَصِيًا) عاصيا لربه

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾

١٥ - (وسَلامٌ) منا (عَلَيْهِ يَوْمَ ولِدَ ويَوْمَ يَمُوتُ ويَوْمَ يُبْعَثُ حَيًا) أي في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم :١٦]

١٦ - (واذْكُرْ فِي الكِتَابِ) القرآن (مَرْيَم) أي خبرها (إِذِ) حين (انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًا) أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم :١٧]

١٧ - (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا) أرسلت سترا تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) جبريل (فَتَمَثَّلَ لَهَا) بعد لبسها ثيابها (بَشَرًا سَوِيًا) تام الخلق

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾

١٨ - (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًا) فتنتهي عني بتعوذي

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾

١٩ - (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًا) بالنبوة

﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾

٢٠ - (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) بتزوج (ولَمْ أَكُ بَغِيًا) زانية

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾

٢١ - (قَالَ) جبريل الأمر (كَذَلِكِ) من خلق غلام منك من غير أب (قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) أي بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه (ولِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ) على قدرتنا (ورَحْمَةً مِّنَّا) لمن آمن به (وكَانَ) خلقه (أَمْرًا مَّقْضِيًا) به في علمي فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصورا

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم :٢٢]

٢٢ - (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ) تنحت (بِهِ مَكَانًا قَصِيًا) بعيدا عن أهلها

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم :٢٣]

٢٣ - (فَأَجَاءَهَا) جاء بها (المَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة في ساعة (قَالَتْ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا) الأمر (وكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًا) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾

٢٤ - (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا) أي جبريل وكان أسفل منها (أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا) نهر ماء كان قد انقطع

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾

٢٥ - (وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) كانت يابسة والباء زائدة (تُسَاقِطْ) أصله بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت في السين وفي قراءة تركها (عَلَيْكِ رُطَبًا) تمييز (جَنِيًا) صفته

﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم :٢٦]

٢٦ - (فَكُلِي) من الرطب (واشْرَبِي) من السري (وقَرِّي عَيْنًا) بالولد تمييز محول من الفاعل أي لتقر عينك به أي تسكن فلا تطمح إلى غيره (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (تَرَيِنَّ) حذفت منه لام الفعل وعينه والقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لإلتقاء الساكنين (مِنَ البَشَرِ أَحَدًا) فيسألك عن ولدك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أي إمساكا عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل (فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنسِيًا) أي بعد ذلك

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم :٢٧]

٢٧ - (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) حال فرأوه (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًا) عظيما حيث أتيت بولد من غير أب

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم :٢٨]

٢٨ - (يَا أُخْتَ هَارُونَ) هو رجل صالح أي يا شبيهته في العفة (مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ) أي زانيا (ومَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

٢٩ - (فَأَشَارَتْ) لهم (إِلَيْهِ) أن كلموه (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ) أي وجد (فِي المَهْدِ صَبِيًا)

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾

٣٠ - (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ) أي الإنجيل (وجَعَلَنِي نَبِيًا)

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم :٣١]

٣١ - (وجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ) أي نفاعا للناس إخبار بـ ما كتب له (وأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ والزَّكَاةِ) أمرني بهما (مَا دُمْتُ حَيًا) .

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾

٣٢ - (وبَرًا بِوَالِدَتِي) منصوب بـ جعلني مقدرا (ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا) متعاظما (شَقِيًا) عاصيا لربه

﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم :٣٣]

٣٣ - (والسَّلامُ) من الله (عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ويَوْمَ أَمُوتُ ويَوْمَ أُبْعَثُ حَيًا) يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم :٣٤]

٣٤ - (ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ) بالرفع خبر مبتدأ مقدر أي قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت والمعنى القول الحق (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) من المرية أي يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله كذبوا

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم :٣٥]

٣٥ - (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (إِذَا قَضَى أَمْرًا) أي أراد أن يحدثه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

٣٦ - (وإِنَّ اللَّهَ رَبِّي ورَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (هَٰذَا) المذكور (صِرَاطٌ) طريق (مُّسْتَقِيمٌ) مؤد إلى الجنة

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم :٣٧]

٣٧ - (فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) أي النصارى في عيسى أهو ابن الله أم إله معه أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ) فشدة عذاب (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) بما ذكر وغيره (مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أي حضور يوم القيامة وأهواله

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم :٣٨]

٣٨ - (أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ) بهم صيغة تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يَوْمَ يَأْتُونَنَا) في الآخرة (لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمر (اليَوْمَ) أي في الدنيا (فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) أي بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أي إعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صما عميا

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم :٣٩]

٣٩ - (وأَنذِرْهُمْ) خوف يا محمد كفار مكة (يَوْمَ الحَسْرَةِ) هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا (إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ) لهم فيه بالعذاب (وهُمْ) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ) عنه (وهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) به

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

٤٠ - (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد (نَرِثُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْهَا) من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم (وإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فيه للجزاء

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

٤١ - (واذْكُرْ) لهم (فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) أي خبره (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) مبالغا في الصدق (نَّبِيًّا) ويبدل من خبره

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم :٤٢]

٤٢ - (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ) آزر (يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام (لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنكَ) لا يكفيك (شَيْئًا) من نفع أو ضر

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم :٤٣]

٤٣ - (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا) طريقا (سَوِيًّا) مستقيما

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم :٤٤]

٤٤ - (يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) بطاعتك إياه في عبادة الأصنام (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا) كثير العصيان

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم :٤٥]

٤٥ - (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ) إن لم تتب (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ ولِيًا) ناصرا وقرينا في النار

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم :٤٦]

٤٦ - (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) فتعيبها (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ) عن التعرض لها (لأَرْجُمَنَّكَ) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني (واهْجُرْنِي مَلِيًا) دهرا طويلا

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم :٤٧]

٤٧ - (قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ) مني أي لا أصيبك بمكروه (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًا) من حفي أي بارا فيجيب دعائي وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء واغفر لابي وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم :٤٧]

٤٨ - (وأَعْتَزِلُكُمْ ومَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ وأَدْعُو) أعبد (رَبِّي عَسَى) أن (أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي) بعبادته (شَقِيًا) كما شقيتم بعبادة الأصنام

﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم :٤٩]

٤٩ - (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ ومَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) بأن ذهب إلى الأرض المقدسة (وهَبْنَا لَهُ) ابنين يأنس بهما (إسْحَاقَ ويَعْقُوبَ وكُلاًّ) منهما (جَعَلْنَا نَبِيًا) .

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم :٥٠]

٥٠ - (ووَهَبْنَا لَهُم) للثلاثة (مِّن رَّحْمَتِنَا) المال والولد (وجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًا) رفيعا هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم :٥١]

٥١ - (واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس (وكَانَ رَسُولاً نَّبِيًا)

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾

٥٢ - (ونَادَيْنَاهُ) بقول يا موسى إني انا الله (مِن جَانِبِ الطُّورِ) اسم الجبل (الأَيْمَنِ) أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين (وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًا) مناجيا بأن أسمعه الله تعالى كلامه

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ [مريم :٥٣]

٥٣ - (ووَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا) نعمتنا (أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (نَبِيًا) حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم :٥٤]

٥٤ - (واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ) لم يعد شيئا إلا وفى به وانتظر من وعد ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه في مكانه (وكَانَ رَسُولاً) إلى جرهم (نَّبِيًا) .

﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾

٥٥ - (وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أي قومه (بِالصَّلاةِ والزَّكَاةِ وكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًا) اصله مرضووا وأقلبت الواوان ياءين والضمة كسرة

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾

٥٦ - (واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ) هو جد أبي نوح (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًا)

﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم :٥٧]

٥٧ - (ورَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا) هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنة ادخلها بعد أن اذيق الموت واحيي ولم يخرج منها

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا

وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾

٥٨- (أُولَئِكَ) مبتدأ (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم) صفة له (مِّنَ النَّبِيِّينَ) بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده الى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله (مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ) أي إدريس (ومِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام (ومِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أي إسمعيل وإسحق ويعقوب ومن ذرية (إِسْرَائِيل) وهو يعقوب أي موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى (ومِمَّنْ هَدَيْنَا واجْتَبَيْنَا) أي من جملتهم وخبر اولئك (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبُكِيًّا) جمع ساجد وباك أي فكونوا مثلهم وأصل بكي بكوي قلبت الواو ياء والضمة كسرة

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم :٥٩]

٥٩ - (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ) بتركها كاليهود والنصارى (واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) من المعاصي (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) وهو واد في جهنم أي يقعون فيه

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم :٦٠]

٦٠ - (إلاَّ) لكن (مَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ) ينقصون (شَيْئًا) من ثوابهم

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم :٦١]

٦١ - (جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة بدل من الجنة (الَّتِي وعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) حال أي غائبين عنها (إِنَّهُ كَانَ وعْدُهُ) أي موعوده (مَأْتِيًّا) بمعنى آتيا وأصله مأتوي أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم :٦٢]

٦٢ - (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) من الكلام (إلاَّ) لكن يسمعون (سَلامًا) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض (ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وعَشِيًّا) أي على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾

٦٣- (تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ) نعطي وننزل (مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا) بطاعته ونزل لما تأخر الوحي أياما وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ .

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم :٦٤]

٦٤- (ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) أي أمامنا من أمور الآخرة (ومَا خَلْفَنَا) من أمور الدنيا (ومَا بَيْنَ ذَلِكَ) أي ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه (ومَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) بمعنى ناسيا أي تاركا لك بتأخير الوحي عنك (١).

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم :٦٥]

٦٥- هو (رَبُّ) مالك (السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) أي اصبر عليها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أي مسمى بذلك لا

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾

٦٦ - (ويَقُولُ الإِنسَانُ) المنكر للبعث ابي بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أَئِذَا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال الألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي

١٩- سورة مريم

(١) أسباب نزول الآية ٦٤ : أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: «وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يومًا فذكر نحوه.

* وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أيُّ البقاع أحبُّ إلى الله، وأبغض إلى الله؟ فقال: ما أدري حتى أسأل، فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه، فقال: لقد أبطأت عليَّ حتى ظننت أن تُرى عليَّ موجدة، فقال: «وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ» الآية.

* وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس أنَّ قريشًا لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيًا، فلمَّا نزل جبريل قال له : أبطأت، فذكره.

أي لا أحيا بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾

٦٧ - (أَوَلا يَذْكُرُ الإنسانُ) أصله يتذكر أبدلت التاء ذالا وادغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) فيستدل بالابتداء على الإعادة

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم :٦٨]

٦٨ - (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ) أي المنكرين للبعث (والشَّيَاطِينَ) أي نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) من خارجها (جِثِيًّا) على الركب جمع جاث وأصله جثوو أو جثوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾

٦٩ - (ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ) فرقة منهم (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) جراءة

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم :٧٠]

٧٠ - (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا) أحق بجهنم الأشد وغيره منهم (صِلِيًّا) دخولا واحتراقا فتبدأ بهم وأصله صلوي من صلي بكسر اللام وفتحها

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾

٧١ - (وإن) أي ما (مِّنكُمْ) أحد (إلاَّ وارِدُهَا) أي داخل جهنم (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًا) حتمه وقضى به لا يتركه

﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

٧٢ - (ثُمَّ نُنَجِّي) مشددا ومخففا (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك والكفر منها (ونَذَرُ الظَّالِمِينَ) بالشرك والكفر (فِيهَا جِثِيًّا) على الركب

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾

٧٣ - (وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ) أي المؤمنين والكافرين (آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الفَرِيقَيْنِ) نحن وأنتم (خَيْرٌ مَّقَامًا) منزلا ومسكنا بالفتح من قام وبالضم من أقام (وأَحْسَنُ نَدِيًّا) بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيرا منكم .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾

٧٤ - (وكَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ) أي امة من الأمم الماضية (هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا) مالا ومتاعا (ورِءْيًا) منظرا من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء .

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم :٧٥]

٧٥ - (قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ) شرط جوابه (فَلْيَمْدُدْ) فجوابه بمعنى الخبر أي يمد (لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) في الدنيا يستدرجه (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إمَّا العَذَابَ) كالقتل والأسر (وإمَّا السَّاعَةَ) المشتملة على جهنم فيدخلونها (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وأَضْعَفُ جُندًا) أعوانا أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾

٧٦ - (ويَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالإيمان (هُدًى) بما ينزل عليهم من الآيات (والْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هي الطاعة تبقى لصاحبها (خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وخَيْرٌ مَّرَدًّا) أي ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار والخيرية هنا في مقابلة قولهم أي الفريقين خير مقاما

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾

٧٧ - (أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا) العاصي بن وائل (وقَالَ) لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال (لأُوتَيَنَّ) على تقدير البعث (مَالاً ووَلَدًا) فأقضيك [1] .

(١) **أسباب نزول الآية ٧٧**: أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال: جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقًا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني لميت ثم لمبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك مالاً وولدًا فأقضيك فنزلت: «أَرأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا».

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾

٧٨ - قال تعالى: (أَطَّلَعَ الغَيْبَ) أي أعلمه وأن يؤتى ما قاله واستغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت (أَم اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) بأن يؤتى ما قاله

﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾

٧٩ - (كَلاَّ) أي لا يؤتى ذلك (سَنَكْتُبُ) نأمر بكتب (مَا يَقُولُ ونَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَدًّا) نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم :٨٠]

٨٠ - (ونَرِثُهُ مَا يَقُولُ) من المال والولد (ويَأْتِينَا) يوم القيامة (فَرْدًا) لا مال له ولا ولد

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾

٨١ - (واتَّخَذُوا) أي كفار مكة (مِن دُونِ اللَّهِ) الأوثان (آلِهَةً) يعبدونهم (لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا

﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾

٨٢ - (كَلاَّ) أي لا مانع من عذابهم (سَيَكْفُرُونَ) أي الآلهة (بِعِبَادَتِهِمْ) أي ينفونها كما في آية أخرى ما كانوا إيانا يعبدون (ويَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أعوانا وأعداء

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾

٨٣ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) سلطناهم (عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ) تهيجهم الى المعاصي (أَزًّا).

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم :٨٤]

٨٤ - (فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بطلب العذاب (إنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ) الأيام والليالي أو الأنفاس (عَدًّا) إلى وقت عذابهم

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم :٨٥]

٨٥ - اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ) بإيمانهم (إلَى الرَّحْمَنِ وفْدًا) جمع وافد بمعنى راكب

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم :٨٦]

٨٦ - (ونَسُوقُ المُجْرِمِينَ) بكفرهم (إلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾

٨٧ - (لا يَمْلِكُونَ) أي الناس (الشَّفَاعَةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) أي شهادة أن لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم :٨٨]

٨٨ - (وقَالُوا) أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ ولَدًا) قال تعالى لهم

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم :٨٩]

٨٩ - (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إدًّا) أي منكرا عظيما

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم :٩٠]

٩٠ - (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) بالتاء وتشديد الطاء وفي قراءة (ينفطرن) بالنون بالإنشقاق (مِنْهُ وتنشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا) أي تنطبق عليهم من أجل

﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم :٩١]

٩١ - (أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ ولَدًا)

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم :٩٢]

٩٢ - (ومَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ ولَدًا) أي ما يليق به ذلك

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾

٩٣ - (إن) أي ما (كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزيز وعيسى

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم :٩٤]

٩٤ - (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وعَدَّهُمْ عَدًّا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم :٩٥]

٩٥ - (وكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا) بلا مال ولا نصير يمنعه

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

﴿الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم :٩٦]

٩٦ - (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا)(١) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾

[مريم :٩٧]

٩٧ - (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) أي القرآن (بِلِسَانِكَ) العربي (لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ) الفائزين بالإيمان (وتُنذِرَ) تخوف (بِهِ قَوْمًا لُدًّا) جمع ألد أي جدل بالباطل وهم كفار مكة

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾

[مريم :٩٨]

٩٨ - (وكَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ) أي أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل (هل تحس) تجد (مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتا خفيا لا فكما أهلكنا اولئك نهلك هؤلاء.

* * *

٢٠- سورة طه

مكية إلا آياتي ١٣٠ ، ١٣١ فمدنيتان وآياتها ١٣٥ مائة وخمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه﴾

١ - (طه) الله أعلم بمراده بذلك

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه :٢]

٢ - (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ) يا محمد (لِتَشْقَى) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن نفسك

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه :٣]

٣ - (إِلاَّ) لكن أنزلناه (تَذْكِرَةً) به (لِّمَن يَخْشَى) يخاف الله

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه :٤]

٤ - (تنزيلاً) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمَوَاتِ العُلَى) جمع عليا ككبرى وكبر

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥]

٥ - هو (الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ) وهو في اللغة سرير الملك (اسْتَوَى) استواء يليق به تعالى

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه :٦]

٦ - (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا) من المخلوقات (ومَا تَحْتَ الثَّرَى) هو التراب الندي والمراد الأرضون السبع لأنها تحته

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه :٧]

٧ - (وإن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ) في ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) منه أي ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه :٨]

٨ - (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) التسع والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩٦:** أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة وَجَدَ في نفسه على فراق أصحابه بمكة: منهم شيبة وعتبة ابني ربيعة وأمية بن خلف، فأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» قال: محبة في قلوب المؤمنين.

٢٠- سورة طه

(١) **أسباب نزول الآيات١-٢:** أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلّى، فأنزل: «طَهَ ٭ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى».

* وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: قالوا: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت: «طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القرآنَ لِتَشْقَى»

* وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قالوا: لقد شقي الرجل بربه، فأنزل الله: «طه ٭ ما أنزلنا عليك القُرآنَ لِتَشْقَى».

﴿وَهَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه :٩]

٩ - (وهَلْ) قد (أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾

١٠ - (إِذْ رَأَى نَـارًا فَـقَـالَ لأَهْـلِـهِ) لامـرأتـه (امْكُثُوا) هنا وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر (إِنِّي آنَسْتُ) أبصرت (نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ) بشعلة في رأس فتيلة أو عود (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) أي هاديا يدلني على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل وقال لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه :١١]

١١ - (فَلَمَّا أَتَاهَا) وهي شجرة عوسج (نُودِيَ يَا مُوسَى)

﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

١٢ - (إِنِّي) بكسر الهمزة بتأويل نودي بقيل وبفتحها بتقدير الباء (أَنَا) تأكيد لياء المتكلم (رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المطهر أو المبارك (طُوًى) بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه :١٣]

١٣ - (وأَنَا اخْتَرْتُكَ) من قومك (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) إليك مني

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه :١٤]

١٤ - (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) فيها

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾

١٥ - (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها (لِتُجْزَى) فيها (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) به من خير أو شر

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾

١٦ - (فَلا يَصُدَّنَّكَ) يصرفنك (عَنْهَا) أي عن الإيمان بها (مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا واتَّبَعَ هَوَاهُ) في إنكارها (فَتَرْدَى) أي فتهلك إن صددت عنها

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه :١٧]

١٧ - (ومَا تِلْكَ) كائنة (بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها

﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه :١٨]

١٨ - (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ) أعتمد (عَلَيْهَا) عند الوثوب والمشي (وأَهُشُّ) أخبط ورق الشجر (بِهَا) ليسقط (عَلَى غَنَمِي) فتأكله (ولِيَ فِيهَا مَآرِبُ) جمع مأربة مثلث الراء أي حوائج (أُخْرَى) كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام وزاد في الجواب بيان حاجاته بها

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه :١٩]

١٩ - (قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى)

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه :٢٠]

٢٠ - (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ) ثعبان عظيم (تَسْعَى) تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾

٢١ - (قَالَ خُذْهَا ولا تَخَفْ) منها (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا) منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها (الأُولَى) فأدخل يده في فمها فعادت عصا وتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها وأري ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه :٢٢]

٢٢ - (واضْمُمْ يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (إِلَى جَنَاحِكَ) إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها (تَخْرُجْ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أي برص تضيء كشعاع الشمس تغشي البصر (آيَةً أُخْرَى) وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه :٢٣]

٢٣- (لِنُرِيَكَ) بها إذا فعلت ذلك لإظهارها (مِنْ آيَاتِنَا) الآية (الكُبْرَى) أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى فضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه :٢٤]

٢٤- (اذْهَبْ) رسولا (إِلَى فِرْعَوْنَ) ومن معه (إِنَّهُ طَغَى) جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإله

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه :٢٥]

٢٥- (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وسعه لتحمل الرسالة

﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه :٢٦]

٢٦- (وَيَسِّرْ) سهل (لِي أَمْرِي) لأبلغها

﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ [طه :٢٧]

٢٧- (واحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي) حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير

﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه :٢٨]

٢٨- (يَفْقَهُوا) يفهموا (قَوْلِي) عند تبليغ الرسالة

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طه :٢٩]

٢٩- (واجْعَل لِّي وزِيرًا) معينا عليها (مِّنْ أَهْلِي)

﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾ [طه :٣٠]

٣٠- (هَرُونَ) مفعول ثاني (أَخِي) عطف بيان

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه :٣١]

٣١- (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) ظهري

﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه :٣٢]

٣٢- (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) أي الرسالة والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب

﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ [طه :٣٣]

٣٣- (كَيْ نُسَبِّحَكَ) تسبيحا (كَثِيرًا)

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه :٣٤]

٣٤- (ونَذْكُرَكَ) ذكرا (كَثِيرًا)

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه :٣٥]

٣٥- (إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا) عالما فأنعمت بالرسالة

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه :٣٦]

٣٦- (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) منا عليك

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه :٣٧]

٣٧- (ولَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى)

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه :٣٨]

٣٨- (إِذْ) للتعليل (أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ) مناما أو إلهاما لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد (مَا يُوحَى) في أمرك ويدل منه

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه :٣٩]

٣٩- (أَنِ اقْذِفِيهِ) ألقيه (فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ) بالتابوت (فِي الْيَمِّ) بحر النيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بالسَّاحِلِ) أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر (يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وعَدُوٌّ لَّهُ) وهو فرعون (وأَلْقَيْتُ) بعد أن أخذك (عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) لتحب في الناس فأحبك فرعون وكل من رآك (ولِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) تربى على رعايتي وحفظي لك

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه :٤٠]

٤٠- (إِذْ) للتعليل (تَمْشِي أُخْتُكَ) مريم لتتعرف من خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ) فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائك (ولا تَحْزَنَ) حينئذ (وقَتَلْتَ نَفْسًا) هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله

من جهة فرعون (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وفَتَنَّاكَ فُتُونًا) اختبرناك في الإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه (فَلَبِثْتَ سِنِينَ) عشرا (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب النبي وتزوجك بابنته (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ) في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك (يَا مُوسَى)

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه :٤١]

٤١ - (واصْطَنَعْتُكَ) اخترتك (لِنَفْسِي) بالرسالة

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾

٤٢ - (اذْهَبْ أَنتَ وأَخُوكَ) إلى الناس (بِآيَاتي) التسع (ولا تَنِيَا) تفترا (فِي ذِكْرِي) بتسبيح وغيره

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه :٤٣]

٤٣ - (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) بادعائه الربوبية

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه :٤٤]

٤٤ - (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا) في رجوعه عن ذلك (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أَوْ يَخْشَى) الله فيرجع والترجي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾

٤٥ - (قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا) أي يعجل بالعقوبة (أَوْ أَن يَطْغَى) علينا أي يتكبر

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾

٤٦ - (قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا) بعوني (أَسْمَعُ) ما يقول (وأَرَى) ما يفعل

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه :٤٧]

٤٧ - (فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) إلى الشام (ولا تُعَذِّبْهُمْ) أي خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) بحجة (مِّن رَّبِّكَ) على صدقنا بالرسالة (والسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى) أي السلامة له من العذاب

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾

٤٨ - (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ) ما جئنا به (وتَوَلَّى) أعرض عنه فأتياه وقالا جميع ما ذكره

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ [طه :٤٩]

٤٩ - (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى) اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

٥٠ - (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ) من الخلق (خَلْقَهُ) الذي هو عليه متميز به من غيره (ثُمَّ هَدَى) الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكم وغير ذلك .

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه :٥١]

٥١ - (قَالَ) فرعون (فَمَا بَالُ) حال (القُرُونِ) الأمم (الأُولَى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾

٥٢ - (قَالَ) موسى (عِلْمُهَا) أي علم حالهم محفوظ (عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لاَّ يَضِلُّ) يغيب (رَبِّي) عن شيء (ولا يَنسَى) ربي شيئا

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه :٥٣]

٥٣ - هو (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ) في جملة الخلق (الأَرْضَ مَهْدًا) فراشا (وسَلَكَ) سهل (لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً) طرقا (وأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا قال تعالى تتميما لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة (فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى) صفة أزواجا أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شت الأمر تفرق

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾

٥٤ - (كُلُوا) منها (وارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ) فيها جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للاباحة وتذكير النعمة والجملة حال

من ضمير أخرجنا أي مبيحين لكم الأكل ورعي الإنعام (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور هنا (لَآيَاتٍ) لعبرا (لِأُولِي النُّهَى) لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾

٥٥ - (مِنْهَا) أي من الأرض (خَلَقْنَاكُمْ) بخلق أبيكم آدم منها (وفِيهَا نُعِيدُكُمْ) مقبورين بعد الموت (ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) عند البعث (تَارَةً) مرة (أُخْرَى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه :٥٦]

٥٦ - (ولَقَدْ أَرَيْنَاهُ) أي أبصرنا فرعون (آيَاتِنَا كُلَّهَا) التسع (فَكَذَّبَ) بها وزعم أنها سحر (وأَبَى) أن يوحد الله تعالى

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾

٥٧ - (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا) مصر ويكون لك الملك فيها (بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى)

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه :٥٨]

٥٨ - (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ) يعارضه (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لذلك (لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ ولا أَنْتَ مَكَانًا) منصوب بنزع الخافض في (سُوًى) بكسر أوله وضمه أي وسطا تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾

٥٩ - (قَالَ) موسى (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون (وأَن يُحْشَرَ النَّاسُ) يجمع أهل مصر (ضُحًى) وقته للنظر فيما يقع

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طه :٦٠]

٦٠ - (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) أدبر (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أي ذوي كيده من السحرة (ثُمَّ أَتَى) بهم الموعد

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه :٦١]

٦١ - (قَالَ لَهُم مُوسَى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا (ويْلَكُمْ) أي ألزمكم الله الويل (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بإشراك أحد معه (فَيُسْحِتَكُم) بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أي يهلككم (بِعَذَابٍ) من عنده (وقَدْ خَابَ) خسر (مَنِ افْتَرَى) كذب على الله

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ [طه :٦٢]

٦٢ - (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ) في موسى وأخيه (وأَسَرُّوا النَّجْوَى) أي الكلام بينهم فيهما

﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾

٦٣ - (قَالُوا) لأنفسهم (إِنْ هَذَانِ) لأبي عمرو ولغيره ((هذين)) وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث (لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ويَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى) مؤنث أمثل بمعنى أشرف أي باشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه :٦٤]

٦٤ - (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أي لم وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) حال أي مصطفين (وقَدْ أَفْلَحَ) فاز (اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) غلب

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾

٦٥ - (قَالُوا يَا مُوسَى) اختر (إِمَّا أَن تُلْقِيَ) عصاك أولا (وإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) عصاه

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه :٦٦]

٦٦ - (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فألقوا (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ) أصله عصوو قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا) حيات (تَسْعَى) على بطونها

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ [طه :٦٧]

٦٧ - (فَأَوْجَسَ) أحس (فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) أي خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزاته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه :٦٨]

٦٨ - (قُلْنَا) له (لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى) عليهم بالغلبة

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه :٦٩]

٦٩ - (وأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ) وهي عصاه (تَلْقَفْ) تبتلع (مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) أي جنسه (ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) بسحره فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾

٧٠ - (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا) خروا ساجدين لله تعالى (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ ومُوسَى)

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه :٧١]

٧١ - (قَالَ) فرعون (آمَنتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ) معلمكم (الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ) حال بمعنى مختلفة أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى (ولَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) أي عليها (ولَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا) يعني نفسه ورب موسى (أَشَدُّ عَذَابًا وأَبْقَى) أدوم على مخالفته

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾

٧٢ - (قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ) نختارك (عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ) الدالة على صدق موسى (والَّذِي فَطَرَنَا) خلقنا قسم أو عطف على ما (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ) أي اصنع ما قلته (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا) النصب على الاتساع أي فيها وتجزى عليه في الآخرة

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه :٧٣]

٧٣ - (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا) من الإشراك وغيره (ومَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) تعلما وعملا لمعارضة موسى (واللَّهُ خَيْرٌ) منك ثوابا إذا اطيع (وأَبْقَى) منك عذابا إذا عصي

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه :٧٤]

٧٤ - قال تعالى (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) كافرا كفرعون (فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (ولا يَحْيَى) حياة تنفعه

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه :٧٥]

٧٥ - (ومَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ) الفرائض والنوافل (فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى) جمع عليا مؤنث أعلى

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه :٧٦]

٧٦ - (جَنَّاتُ عَدْنٍ) أي إقامة بيان له (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى) تطهر من الذنوب

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾

٧٧ - (ولَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي) بهمزة قطع من أسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان أي أسر بهم ليلا من أرض مصر (فَاضْرِبْ لَهُمْ) اجعل لهم بعصاك (طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا) أي يابسا فامتثل ما أمر به وأيبس الله الأرض فمروا فيها (لاَّ تَخَافُ دَرَكًا) أي أن يدركك فرعون (ولا تَخْشَى) غرقا

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾

٧٨ - (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) وهو معهم (فَغَشِيَهُم مِّنَ اليَمِّ) أي البحر (مَا غَشِيَهُمْ) فأغرقهم

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه :٧٩]

٧٩ - (وأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ) بدعائهم إلى عبادته (ومَا هَدَى) بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ

﴿الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾

٨٠ - (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ) فرعون بإغراقه (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ) فنؤتي موسى التوراة للعمل بها (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾

٨١ - (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) أي المنعم به عليكم (ولا تَطْغَوْا فِيهِ) بأن تكفروا النعمة به (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) بكسر الحاء أي يجب وبضمها أي ينزل (وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي) بكسر اللام وضمها (فَقَدْ هَوَى) سقط في النار

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾

٨٢ - (وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ) من الشرك (وآمَنَ) وحد الله (وعَمِلَ صَالِحًا) يصدق بالفرض والنفل (ثُمَّ اهْتَدَى) باستمراره على ما ذكر إلى موته

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه :٨٣]

٨٣ - (ومَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ) لمجيء ميعاد أخذ التوراة (يَا مُوسَى)

﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾

٨٤ - (قَالَ هُمْ أُوْلاءِ) أي بالقرب مني يأتون (عَلَى أَثَرِي وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) عني أي زيادة على رضاك وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾

٨٥ - (قَالَ) تعالى (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ) أي بعد فراقك لهم (وأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) فعبدوا العجل

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾

٨٦ - (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهتهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وعْدًا حَسَنًا) أي صدقا أنه يعطيكم التوراة (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ) مدة مفارقتي إياكم (أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ) يجب (عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ) بعبادتكم العجل (فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي) وتركتم المجيء بعدي

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾

٨٧ - (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) مثلث الميم أي بقدرتنا أو أمرنا (ولَكِنَّا حُمِّلْنَا) بفتح الحاء مخففا وبضمها وكسر الميم مشددا (أَوْزَارًا) أثقالا (مِّن زِينَةِ القَوْمِ) أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم (فَقَذَفْنَاهَا) طرحناها في النار بأمر السامري (فَكَذَلِكَ) كما ألقينا (أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه :٨٨]

٨٨ - (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً) صاغه من الحلي (جَسَدًا) لحما ودما (لَّهُ خُوَارٌ) أي صوت يسمع أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فمه (فَقَالُوا) أي السامري وأتباعه (هَذَا إِلَهُكُمْ وإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) موسى ربه هنا وذهب يطلبه

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه :٨٩]

٨٩ - (أَفَلا يَرَوْنَ) ن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لا يَرْجِعُ) العجل (إِلَيْهِمْ قَوْلاً) أي لا يرد لهم جوابا (ولا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا) أي دفعه (ولا نَفْعًا) أي جلبه أي فكيف يتخذ إلها

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه :٩٠]

٩٠ - (ولَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ) أي قبل أن يرجع أن موسى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وإِنَّ رَبَّكُمُ

الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي) في عبادته (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) فيها

﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾

٩١ - (قَالُوا لَن نَّبْرَحَ) نزال (عَلَيْهِ عَاكِفِينَ) على عبادته مقيمين (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ [طه :٩٢]

٩٢ - (قَالَ) موسى بعد رجوعه (يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا) بعبادته

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه :٩٣]

٩٣ - (أ) ن (لا تَتَّبِعَنِ) لا زائدة (أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾

٩٤ - (قَالَ) هارون (يَا بْنَؤُمَّ) بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه (لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي) وكان أخذها بشماله (ولا بِرَأْسِي) وكان أخذ شعره بيمينه غضبا (إِنِّي خَشِيتُ) لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل (أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وتغضب علي (وَلَمْ تَرْقُبْ) تنتظر (قَوْلِي) فيما رأيته في ذلك

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [طه :٩٥]

٩٥ - (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ) شأنك الداعي إلى ما صنعت (يَا سَامِرِيُّ)

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه :٩٦]

٩٦ - (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء والتاء أي علمت بما لم يعلموه (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ) تراب (أَثَرِ) حافر فرس (الرَّسُولِ) جبريل (فَنَبَذْتُهَا) القيتها في صورة العجل المصاغ (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ) زينت (لِي نَفْسِي) ألقي فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر والقيها على ما لا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلها فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلاههم

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه :٩٧]

٩٧ - (قَالَ) له موسى (فَاذْهَبْ) من بيننا (فَإِنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ) أي مدة حياتك (أَن تَقُولَ) لمن رأيته (لَا مِسَاسَ) أي لا تقربني فكان يهيم في البرية وإذ مس أحدا أو مسه أحد حما جميعا (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا) لعذابك (لَّن تُخْلَفَهُ) بكسر اللام أي لن تغيب عنه وبفتحها أي بل تبعث إليه (وانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ) أصله ظللت بلامين اولاهما مكسورة وحذفت تخفيفا أي دمت (عَلَيْهِ عَاكِفًا) أي مقيما تعبده (لَّنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار (ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفًا) نذرينه في هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره

﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه :٩٨]

٩٨ - (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ وسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) تمييز محول عن الفاعل أي وسع علمه كل شيء

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه :٩٩]

٩٩ - (كَذَلِكَ) أي كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ) أخبار (مَا قَدْ سَبَقَ) من الأمم (وقَدْ آتَيْنَاكَ) أعطيناك (مِن لَّدُنَّا) من عندنا (ذِكْرًا) قرآنا

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾

١٠٠ - (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) فلم يؤمن به (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ وِزْرًا) حملا ثقيلا من الإثم

﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾

١٠١ - (خَالِدِينَ فِيهِ) أي في عذاب الوزر (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً) تمييز مفسر للضمير في ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه :١٠٢]

١٠٢ - (يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة

الثانية (ونَحْشُرُ المُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) عيونهم مع سواد وجوههم

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه :١٠٣]

١٠٣ - (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ) يتسارون (إن) ما (لَّبِثْتُمْ) في الدنيا (إلاَّ عَشْرًا) من الليالي بأيامها

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه :١٠٤]

١٠٤ - (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) في ذلك أي ليس كما قالوا (إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ) أعدلهم (طَرِيقَةً) فيه (إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ يَوْمًا) يستقلون لبثهم في الدنيا جدا لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾

١٠٥ - (ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ) كيف تكون يوم القيامة (فَقُلْ) لهم (يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها كالريح

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه :١٠٦]

١٠٦ - (فَيَذَرُهَا قَاعًا) منبسطا (صَفْصَفًا) مستويا

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه :١٠٧]

١٠٧ - (لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) انخفاضا (ولا أَمْتًا) ارتفاعا

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه :١٠٨]

١٠٨ - (يَوْمَئِذٍ) أي يوم إذ نسفت الجبال (يَتَّبِعُونَ) أي الناس بعد القيام من القبور (الدَّاعِيَ) إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول هلموا إلى عرض الرحمن (لا عِوَجَ لَهُ) أي لاتباعهم أي لا يقدرون أن لا يتبعوا (وخَشَعَتِ) سكنت (الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْسًا) صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه :١٠٩]

(١) **أسباب نزول الآية ١٠٥**: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ» الآية.

١٠٩ - (يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ) أحدا (إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) أن يشفع له (ورَضِيَ لَهُ قَوْلاً) بأن يقول لا إله إلا الله

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾

١١٠ - (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمور الآخرة (ومَا خَلْفَهُمْ) من أمور الدنيا (ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) لا يعلمون ذلك

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه :١١١]

١١١ - (وعَنَتِ الوُجُوهُ) خضعت (لِلْحَيِّ القَيُّوم) أي الله (وقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) أي شركا

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه :١١٢]

١١٢ - (ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) الطاعات (وهُوَ مُؤْمِنٌ فلا يَخَافُ ظُلْمًا) بزيادة في سيئاته (ولا هَضْمًا) بنقص من حسناته

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه :١١٣]

١١٣ - (وكَذَلِكَ) معطوف على كذلك نقص أي مثل إنزال ما ذكر (أَنزَلْنَاهُ) أي القرآن (قُرْآنًا عَرَبِيًّا وصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الشرك (أَوْ يُحْدِثُ) القرآن (لَهُمْ ذِكْرًا) بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبروا

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾

١١٤ - (فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ) عما يقول المشركون (ولا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ) أي بقراءته (مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وحْيُهُ) أي يفرغ جبريل من إبلاغه (وقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) أي بالقرآن فكلما انزل عليه شيء منه زاد به علمه (١).

(١) **أسباب نزول الآية ١١٤**: أخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه، يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله: «وَلاَ تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ» الآية.
* وتقدم في سورة النِّساء سبب آخر وهذا أصح.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه :١١٥]

١١٥ - (ولَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ) ووصيناه أن لا يأكل من الشجرة (مِن قَبْلُ) أي قبل أكله منها (فَنَسِيَ) ترك عهدنا (ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) حزما وصبرا عما منعناه عنه

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه :١١٦]

١١٦ - (وإذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ) وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أَبَى) عن السجود لآدم فقال أنا خير منه

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه :١١٧]

١١٧ - (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوْجِكَ) حواء بالمد (فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى) تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقائه لأن الرجل يسعى على زوجته

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه :١١٨]

١١٨ - (إنَّ لَكَ (أ) لاَّ تَجُوعَ فِيهَا ولا تَعْرَى)

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه :١١٩]

١١٩ - (وأَنَّكَ) بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها (لا تَظْمَأُ فِيهَا) تعطش (ولا تَضْحَى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء شمس الضحى في الجنة

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه :١٢٠]

١٢٠ - (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ) أي التي يخلد من يأكل منها (ومُلْكٍ لاَّ يَبْلَى) لا يفنى وهو لازم الخلد

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾

١٢١ - (فَأَكَلا) أي آدم وحواء (مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا) أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذا يلزقان (عَلَيْهِمَا مِن ورَقِ الجَنَّةِ) ليستترا به (وعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) بالأكل من الشجرة

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه :١٢٢]

١٢٢ - (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) قربه (فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (وهَدَى) أي هداه إلى المداومة على التوبة

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه :١٢٣]

١٢٣ - (قَالَ اهْبِطَا) أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (مِنْهَا) من الجنة (جَمِيعًا بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) من ظلم بعضهم بعضا (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة (يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ) أي القرآن (فَلا يَضِلُّ) في الدنيا (ولا يَشْقَى) في الآخرة

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه :١٢٤]

١٢٤ - (ومَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي) أي القرآن فلم يؤمن به (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره (ونَحْشُرُهُ) أي المعرض عن القرآن (يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى) أعمى البصر

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾

١٢٥ - (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وقَدْ كُنتُ بَصِيرًا) في الدنيا وعند البعث

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾

١٢٦ - (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا) تركتها ولم تؤمن بها (وكَذَلِكَ) مثل نسيانك آياتنا (اليَوْمَ تُنسَى) تترك في النار

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه :١٢٧]

١٢٧ - (وكَذَلِكَ) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ) أشرك (ولَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ

رَبِّهِ ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وأَبْقَى) أدوم

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾

١٢٨ - (أَفَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لَهُمْ) لكفار مكة (كَمْ) خبرية مفعول (أَهْلَكْنَا) أي كثيرا إهلاكنا (قَبْلَهُم مِّنَ القُرُونِ) أي الأمم الماضية لتكذيب الرسل (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِنِهِمْ) في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ) لعبرا (لأُوْلِي النُّهَى) لذوي العقول

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾

١٢٩ - (ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة (لَكَانَ) الإهلاك (لِزَامًا) لازما لهم في الدنيا (وأَجَلٌ مُّسَمًّى) مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾

[طه :١٣٠]

١٣٠ - (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) منسوخ بآية القتال (وسَبِّحْ) صل (بِحَمْدِ رَبِّكَ) حال أي ملتبسا به (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) صلاة الصبح (وقَبْلَ غُرُوبِهَا) صلاة العصر (ومِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) ساعاته (فَسَبِّحْ) صل المغرب والعشاء (وأَطْرَافَ النَّهَارِ) عطف على محل من آناء المنصوب أي صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني (لَعَلَّكَ تَرْضَى) بما تعطى من الثواب

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

١٣١ - (ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) بأن يطغوا (ورِزْقُ رَبِّكَ) في الجنة (خَيْرٌ) مما أوتوه في الدنيا (وأَبْقَى) أدوم

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه :١٣٢]

١٣٢ - (وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ) اصبر (عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ) نكلفك (رِزْقًا) لنفسك ولا لغيرك (رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ والْعَاقِبَةُ) الجنة (لِلتَّقْوَى) لأهلها

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه :١٣٣]

١٣٣ - (وقَالُوا) أي المشركون (لَوْلا) هلا (يَأْتِينَا) محمد (بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ) مما يقترحونه (أَوَلَمْ تَأْتِهِم) بالياء والتاء (بينة) بيان (ما فِي الصُّحُفِ الأُولَى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه :١٣٤]

١٣٤ - (ولَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ) قبل محمد الرسول (لَقَالُوا) يوم القيامة (رَبَّنَا لَوْلا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ) في القيامة (ونَخْزَى) في جهنم

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه :١٣٥]

١٣٥ - (قُلْ) لهم (كُلٌّ) منا ومنكم (مُّتَرَبِّصٌ) منتظر ما يؤول إليه الأمر (فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ) في القيامة (مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ) الطريق (السَّوِيِّ) المستقيم (ومَنِ اهْتَدَى) من الضلالة أنحن أم أنتم.

* * *

(١) أسباب نزول الآية ١٣١ : أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبزار وأبو يعلى عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفًا فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقًا إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: «وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ».

٢١- سورة الأنبياء عليهم السلام

(مكية) وآياتها ١١٢ مائة واثنتا عشرة آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء :١]

١ - (اقْتَرَبَ) قرب (لِلنَّاسِ) أهل مكة منكري البعث (حِسَابُهُمْ) يوم القيامة (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عنه (مُّعْرِضُونَ) عن التأهب له بالإيمان

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء :٢]

٢ - (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ) شيئا فشيئا أي لفظ القرآن (إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وهُمْ يَلْعَبُونَ) يستهزئون

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء :٣]

٣ - (لاهِيَةً) غافلة (قُلُوبُهُمْ) عن معناه (وأَسَرُّوا النَّجْوَى) أي الكلام (الَّذِينَ ظَلَمُوا) بدل من واو وأسروا النجوى (هَلْ هَذَا) أي محمد (إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) فما يأتي به سحر (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ) تتبعونه (وأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) تعلمون أنه سحر

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء :٤]

٤ - (قَالَ) لهم (رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ) كائنا (فِي السَّمَاءِ والأَرْضِ وهُوَ السَّمِيعُ) لما أسروه (العَلِيمُ) به

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء :٥]

٥ - (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة (قَالُوا) فيما أتى به من القرآن هو (أَضْغَاثُ أَحْلامٍ) أخلاط رآها في النوم (بَلِ افْتَرَاهُ) اختلقه (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) فما أتى به شعر (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) كالناقة والعصا واليد

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء :٦]

٦ - (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ) أي أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) بتكذيبها ما أتاها من الآيات (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) لا[1] .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء :٧]

٧ - (ومَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إلاَّ رِجَالاً نُوحِي) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إلَيْهِمْ) لا ملائكة (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء :٨]

٨ - (ومَا جَعَلْنَاهُمْ) أي الرسل (جَسَدًا) بمعنى أجسادا (لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) بل يأكلونه (ومَا كَانُوا خَالِدِينَ) في الدنيا

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء :٩]

٩ - (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الوَعْدَ) بإنجائهم (فَأَنجَيْنَاهُمْ ومَن نَّشَاءُ) أي المصدقين لهم (وأَهْلَكْنَا المُسْرِفِينَ) المكذبين لهم

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء :١٠]

١٠ - (لَقَدْ أَنزَلْنَا إلَيْكُمْ) يا معشر قريش (كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) لأنه بلغتكم (أَفَلا تَعْقِلُونَ) فتؤمنوا به

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء :١١]

١١ - (وكَمْ قَصَمْنَا) أهلكنا (مِن قَرْيَةٍ) أي أهلها (كَانَتْ ظَالِمَةً) كافرة (وأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ)

٢١- سورة الأنبياء

(١) **أسباب نزول الآية ٦** : أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أهل مكة للنبي ﷺ: إنْ كان ما تقول حقًا ويسرك أنْ نؤمن فحوّل لنا الصّفا ذهبًا، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك ولكنه إنْ كان ثمّ لم يؤمنوا لم يُنظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله: «مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ».

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾

١٢ - (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا) أي شعر أهل القرية بالإهلاك (إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين

﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء :١٣]

١٣ - فقالت لهم الملائكة استهزاء (لا تَرْكُضُوا وارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ) نعمتم (فِيهِ ومَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) شيئا من دنياكم على العادة

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :١٤]

١٤ - (قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالكفر

﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء :١٥]

١٥ - (فَمَا زَالَت تِّلْكَ) الكلمات (دَعْوَاهُمْ) يدعون بها ويرددونها (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا) أي كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف (خَامِدِينَ) ميتين كخمود النار إذا طفئت

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾

١٦ - (ومَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ) عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء :١٧]

١٧ - (لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا) ما يلهى به من زوجة أو ولد (لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا) من عندنا من الحور العين والملائكة (إِن كُنَّا فَاعِلِينَ) ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده

﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء :١٨]

١٨ - (بَلْ نَقْذِفُ) نرمي (بِالْحَقِّ) الإيمان (عَلَى البَاطِلِ) الكفر (فَيَدْمَغُهُ) يذهبه (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ذاهب ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل (ولَكُمْ) يا كفار مكة (الوَيْلُ) العذاب الشديد (مِمَّا تَصِفُونَ) الله به من الزوجة أو الولد

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾

١٩ - (ولَهُ) تعالى (مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) ملكا (ومَنْ عِندَهُ) أي الملائكة مبتدأ خبره (لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ولا يَسْتَحْسِرُونَ) لا يعيون

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء :٢٠]

٢٠ - (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾

٢١ - (أَم) بمعنى بل للإنتقال والهمزة للإنكار (اتَّخَذُوا آلِهَةً) كائنة (مِّنَ الأَرْضِ) كحجر وذهب وفضة (هُمْ) أي الآلهة (يُنشِرُونَ) أي يحيون الموتى لا ولا يكون إلها إلا من يحي الموتى

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء :٢٢]

٢٢ - (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أي السموات والأرض (آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ) أي غيره (لَفَسَدَتَا) خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه (فَسُبْحَانَ) تنزيه (اللَّهِ رَبِّ) خالق (العَرْشِ) الكرسي (عَمَّا يَصِفُونَ) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره

﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء :٢٣]

٢٣ - (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ) عن أفعالهم

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء :٢٤]

٢٤ - (أَم اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ) تعالى أي سواه (آلِهَةً) فيه استفهام توبيخ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ذلك ولا سبيل إليه (هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ) أي أمتي وهو القرآن (وذِكْرُ مَن قَبْلِي) من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا تعالى عن ذلك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الحَقَّ) أي توحيد الله (فَهُم

مُعْرِضُونَ) عن النظر الموصل إليه

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء :٢٥]

٢٥ - (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) أي وحدوني

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء :٢٦]

٢٦ - (وقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ ولَدًا) من الملائكة (سُبْحَانَهُ بَلْ) هم (عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) عنده والعبودية تنافي الولادة

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾

٢٧ - (لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله (وهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) أي بعده

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾

٢٨ - (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ومَا خَلْفَهُمْ) أي ما عملوا وما هم عاملون (ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى) تعالى أن يشفع له (وهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ) تعالى (مُشْفِقُونَ) أي خائفون

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :٢٩]

٢٩ - (ومَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ) أي الله أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ) كما نجزيه (نَجْزِي الظَّالِمِينَ) أي المشركين

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء :٣٠]

٣٠ - (أَوَ لَمْ يَرَ) بواو وتركها (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) أي سدا بمعنى مسدودة (وجَعَلْنَا) جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت (مِنَ المَاءِ كُلَّ) النازل من السماء والنابع من الأرض (شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا) من نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته (يُؤْمِنُونَ) بتوحيدي

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء :٣١]

٣١ - (وجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت لـ (أَن) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِهِمْ وجَعَلْنَا فِيهَا) أي الرواسي (فِجَاجًا) مسالك (سُبُلاً) بدل طرقا نافذة واسعة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إلى مقاصدهم في الأسفار

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء :٣٢]

٣٢ - (وجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا) للأرض كالسقف للبيت (مَّحْفُوظًا) عن الوقوع (وهُمْ عَنْ آيَاتِهَا) من الشمس والقمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء :٣٣]

٣٣ - (وهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ والشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فِي فَلَكٍ) أي مستدير كالطاحونة في السماء (يَسْبَحُونَ) يسيرون بسرعة كالسابح في الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء :٣٤]

٣٤ - ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (ومَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الخُلْدَ) أي البقاء في الدنيا (أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ) فيها؟ لا فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري[(١)] .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء :٣٥]

٣٥ - (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ) في الدنيا

---

(١) أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعي إلى النبي ﷺ نفسه، فقال: يا رب فمن لأمتي، فنزلت: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الخُلْدَ» الآية.

(ونَبْلُوكُم) نختبركم (بِالشَّرِّ والْخَيْرِ) كفقر وغنى وسقم وصحة (فِتْنَةً) مفعول له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا (وإلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء :٣٦]

٣٦ - (وإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إن) ما (يَتَّخِذُونَكَ إلاَّ هُزُوًا) أي مهزوءا به يقولون (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ) أي يعيبها (وهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ) لهم (هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) به إذ قالوا ما نعرفه

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء :٣٧]

٣٧ - ونزل في استعجالهم العذاب (خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ) أي أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه (سَأُرِيكُمْ آيَاتِي) مواعيدي بالعذاب (فَلا تَسْتَعْجِلُونِ) فيه فأراهم القتل ببدر

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

٣٨ - (ويَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ) بالقيامة (إن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيه

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء :٣٩]

٣٩ - قال تعالى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ) يدفعون (عَن وجُوهِهِمُ النَّارَ ولا عَن ظُهُورِهِمْ ولا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون منها في القيامة وجواب لو ما قالوا ذلك

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء :٤٠]

٤٠ - (بَلْ تَأْتِيهِم) القيامة (بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ) تحيرهم (فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ولا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء :٤١]

٤١ - (ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فَحَاقَ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء :٤٢]

٤٢ - (قُلْ) لهم (مَن يَكْلَؤُكُم) يحفظكم (بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) من عذابه إن نزل بكم أي لا أحد يفعل ذلك والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له (بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم) أي القرآن (مُّعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيه

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾

٤٣ - (أَمْ) فيها معنى الهمزة للانكار أي : أ (لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم) مما يسوؤهم (مِّن دُونِنَا) أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا لا (لا يَسْتَطِيعُونَ) أي الآلهة (نَصْرَ أَنفُسِهِمْ) فلا ينصرونهم (ولا هُم) أي الكفار (مِّنَّا) من عذابنا (يُصْحَبُونَ) يجارون يقال صحبك الله أي حفظ وأجارك

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء :٤٤]

٤٤ - (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وآبَاءَهُمْ) بما أنعمنا عليهم (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ) فاغتروا بذلك (أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ) نقصد أرضهم (نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتح على النبي (أَفَهُمُ الغَالِبُونَ) لا بل النبي وأصحابه

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء :٤٥]

٤٥ - (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ) من

---

(١) أسباب نزول الآية ٣٦: وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي قال: مرَّ النبيﷺ على أبي جهل، وأبي سفيان وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعها النبيﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوَّفه، وقال: ما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب من غيّر عهده، فنزلت: «وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إلاَّ هُزُوًا».

الله لا من قبل نفسي (ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (مَا يُنذَرُونَ) أي هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :٤٦]

٤٦ - (ولَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ) وقعة خفيفة (مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا) للتنبيه (ويْلَنَا) هلاكنا (إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالإشراك وتكذيب محمد

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء :٤٧]

٤٧ - (ونَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ) ذوات العدل (لِيَوْمِ القِيَامَةِ) أي فيه (فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وإن كَانَ) العمل (مِثْقَالَ) زنة (حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا) بموزونها (وكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) محصين كل شيء

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء :٤٨]

٤٨ - (ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وهَارُونَ الفُرْقَانَ) أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وضِيَاءً) بها (وذِكْرًا) عظة بها (لِّلْمُتَّقِينَ)

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء :٤٩]

٤٩ - (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) عن الناس أي في الخلاء عنهم (وهُم مِّنَ السَّاعَةِ) أي أهوالها (مُشْفِقُونَ) خائفون

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾

٥٠ - (وهَذَا) أي القرآن (ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) الاستفهام فيه للتوبيخ

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :٥١]

٥١ - (ولَقَدْ آتَيْنَا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) أي هداه قبل بلوغه (وكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) أي بأنه أهل لذلك

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء :٥٢]

٥٢ - (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ) الأصنام (الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) أي على عبادتها مقيمون

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء :٥٣]

٥٣ - (قَالُوا وجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) فاقتدينا بهم

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

٥٤ - (قَالَ) لهم (لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وآبَاؤُكُمْ) بعبادتها (فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾

٥٥ - (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) في قولك هذا (أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ) فيه

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء :٥٦]

٥٦ - (قَالَ بَل رَّبُّكُمْ) المستحق للعبادة (رَبُّ) مالك (السَّمَوَاتِ والأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) خلقهن على غير مثال سبق (وأَنَا عَلَى ذَلِكُم) الذي قلته (مِّنَ الشَّاهِدِينَ) به

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾

٥٧ - (وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء :٥٨]

٥٨ - (فَجَعَلَهُمْ) بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم (جُذَاذًا) بضم الجيم وكسرها فتاتا بفأس (إلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ) علق الفأس في عنقه (لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ) أي إلى الكبير (يَرْجِعُونَ) فيروا ما فعل بغيره

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٥٩ - (قَالُوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) فيه

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾

٦٠ - (قَالُوا) له أي بعضهم لبعض (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ) أي يعيبهم (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾

٦١ - (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) أي ظاهرا (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عليه أنه الفاعل

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾

٦٢ - (قَالُوا) بعد إتيانه (أَأَنتَ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء :٦٣]

٦٣ - (قَالَ) ساكتا عن فعله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ) عن فاعله (إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهًا.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء :٦٤]

٦٤ - (فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ) بالتفكر (فَقَالُوا) لأنفسهم (إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ) أي بعبادتكم من لا ينطق

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء :٦٥]

٦٥ - (ثُمَّ نُكِسُوا) من الله (عَلَى رُءُوسِهِمْ) أي ردوا إلى كفرهم وقالوا والله (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ) أي فكيف تأمرنا بسؤالهم

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء :٦٦]

٦٦ - (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي بدله (مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا) من رزق وغيره (ولَايَضُرُّكُمْ) شيئا إذا لم تعبدوه

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

٦٧ - (أُفٍّ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتنا وقبحا (لَّكُمْ ولِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره (أَفَلا تَعْقِلُونَ) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾

٦٨ - (قَالُوا حَرِّقُوهُ) أي إبراهيم (وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أي بتحريقه (إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾

٦٩ - (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاما سلم من الموت ببردها

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾

٧٠ - (وأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) وهو التحريق (فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ) في مرادهم

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :٧١]

٧١ - (ونَجَّيْنَاهُ ولُوطًا) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء :٧٢]

٧٢ - (ووَهَبْنَا لَهُ) أي لإبراهيم وكان سأل ولدا كما ذكر في الصافات (إِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ نَافِلَةً) أي زيادة على المسئول أو هو ولد الولد (وكُلاً) أي هو وولداه (جَعَلْنَا صَالِحِينَ) أنبياء

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء :٧٣]

٧٣ - (وجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) إلى ديننا (وأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وإِقَامَ الصَّلَاةِ وإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف

(وكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء :٧٤]

٧٤ - (ولُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا) فصلا بين الخصوم (وعِلْمًا ونَجَّيْنَاهُ مِنَ القَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ) أي أهلها الأعمال (الخَبَائِثَ) من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (إنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ) مصدر «ساءه» نقيض «سره» (فَاسِقِينَ)

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

٧٥ - (وأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) بأن أنجيناه من قومه (إنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء :٧٦]

٧٦ - (و) اذكر (نُوحًا) وما بعده بدل منه (إذْ نَادَى) دعا على قومه بقوله رب لا تذر الخ (مِن قَبْلُ) أي قبل إبراهيم ولوط (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وأَهْلَهُ) الذين في سفينته (مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) أي الغرق وتكذيب قومه له

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء :٧٧]

٧٧ - (ونَصَرْنَاهُ) منعناه (مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته أن لا يصلوا إليه بسوء (إنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾

٧٨ - (و) اذكر (دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ) أي قصتهما ويبدل منهما (إذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ) هو زرع أو كرم (إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ) أي رعته ليلا بلا راع بأن انفلتت (وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم. وقال سليمان : ينتفع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردها إليه

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء :٧٩]

٧٩ - (فَفَهَّمْنَاهَا) أي الحكومة (سُلَيْمَانَ) وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان وقيل بوحي والثاني ناسخ للأول (وكُلًّا) منهما (آتَيْنَا) ه (حُكْمًا) نبوة (وعِلْمًا) بأمور الدين (وسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ) كذلك سخرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له (وكُنَّا فَاعِلِينَ) تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجبا عندكم أي مجاوبته للسيد داود

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء :٨٠]

٨٠ - (وعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ) وهي الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح (لكم) في جملة الناس (لِتُحْصِنَكُم) بالنون لله وبالتحتانية لداود وبالفوقانية للبوس (مِّنْ بَأْسِكُمْ) حربكم مع أعدائكم (فَهَلْ أَنتُمْ) يا أهل مكة (شَاكِرُونَ) نعمتي بتصديق الرسول اشكروني بذلك

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :٨١]

٨١ - (و) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) وفي آية أخرى رخاء أي شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وهي الشام (وكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) من ذلك علم الله تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه للخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء :٨٢]

٨٢ - (و) سخرنا (مِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ) يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (ويَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ) أي سوى الغوص من البناء وغيره (وكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) من أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء :٨٣]

٨٣ - (و) اذكر (أَيُّوبَ) ويبدل منه (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثا أو سبعاً أو ثماني عشرة وضيق عيشه (أَنِّي) بفتح الهمزة بتقدير الياء (مَسَّنِيَ الضُّرُّ) أي الشدة (وأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء :٨٤]

٨٤ - (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداءه (فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ) أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع (ومِثْلَهُم مَّعَهُمْ) من زوجته وزيد في شبابها وكان له أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض (رَحْمَةً) مفعول له (مِّنْ عِندِنَا) صفة (وذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) ليصبروا فيثابوا

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء :٨٥]

٨٥ - (و) اذكر (إِسْمَاعِيلَ وإِدْرِيسَ وذَا الكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) على طاعة الله وعن معاصيه

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

٨٦ - (وأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا) من النبوة (إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ) لها وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبيا

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :٨٧]

٨٧ - (و) اذكر (ذَا النُّونِ) صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا) لقومه أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك (فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ) أي نقضي عليه ما قضيناه من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عيه بذلك (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أَن) أي بأن (لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) في ذهابي من بين قومي بلا إذن

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء :٨٨]

٨٨ - (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ) بتلك الكلمات (وكَذَلِكَ) كما نجيناه (نُنجِي المُؤْمِنِينَ) من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء :٨٩]

٨٩ - (و) اذكر (زَكَرِيَّا) ويبدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) بقوله (رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا) أي بلا ولد يرثني (وأَنتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ) الباقي بعد فناء خلقك

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾

٩٠ - (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداءه (ووَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى) ولدا (وأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) فأتت بالولد بعد عقمها (إِنَّهُمْ) أي مَنْ ذُكِرَ مِنَ الأنبياء (كَانُوا يُسَارِعُونَ) يبادرون (فِي الخَيْرَاتِ) الطاعات (ويَدْعُونَنَا رَغَبًا) في رحمتنا (ورَهَبًا) من عذابنا (وكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) متواضعين في عبادتهم

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

٩١ - (و) اذكر مريم (الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته من أن ينال (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى (وجَعَلْنَاهَا وابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء :٩٢]

٩٢ - (إِنَّ هَذِهِ) أي ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً واحِدَةً) حال لازمة (وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) وحدون

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾

٩٣ - (وتَقَطَّعُوا) أي بعض المخاطبين (أَمْرَهُم

بَيْنَهُمْ) أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى، قال تعالى: (كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) أي فنجازيه بعمله

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾

٩٤ - (فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ) أي لاجحود (لِسَعْيِهِ وإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

٩٥ - (وحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أريد أهلها (أَنَّهُمْ لا) زائدة (يَرْجِعُونَ) أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء :٩٦]

٩٦ - (حَتَّى) غاية لامتناع رجوعهم (إِذَا فُتِحَتْ) بالتخفيف والتشديد (يَأْجوجُ ومَأْجُوجُ) بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف أي سدهما وذلك قرب القيامة (وهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ) مرتفع من الأرض (يَنسِلُونَ) يسرعون

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء :٩٧]

٩٧ - (واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ) أي يوم القيامة (فَإِذَا هِيَ) أي القصة (شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) في ذلك اليوم لشدته يقولون (يَا) للتنبيه (ويْلَنَا) هلاكنا (قَدْ كُنَّا) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا) اليوم (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أنفسنا بتكذيبنا الرسل

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء :٩٨]

٩٨ - (إِنَّكُمْ) يا أهل مكة (ومَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الأوثان (حَصَبُ جَهَنَّمَ) وقودها (أَنتُمْ لَهَا وارِدُونَ) داخلون فيها

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء :٩٩]

٩٩ - (لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ) الأوثان (آلِهَةً) كما زعمتم (مَّا وَرَدُوهَا) دخلوها (وكُلٌّ) من العابدين والمعبودين (فِيهَا خَالِدُونَ)

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾

١٠٠ - (لَهُمْ) للعابدين (فِيهَا زَفِيرٌ) صوت شديد (وهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ) شيئا لشدة غليانها ونزل لما قال ابن الزبعري: عُبِدَ عزيرٌ والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء :١٠١]

١٠١ - (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا) المنزلة (الحُسْنَى) ومنهم من ذكر (أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)[1].

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء :١٠٢]

١٠٢ - (لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) صوتها (وهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ) من النعيم (أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ).

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

١٠٣ - (لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ) وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار (وتَتَلَقَّاهُمُ) تستقبلهم (المَلائِكَةُ) عند خروجهم من القبور يقولون لهم (هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) في الدنيا

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٤]

١٠٤ - (يَوْمَ) منصوب بـ اذكر مقدرا قبله (نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ) اسم ملك (لِلْكُتُبِ) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى مكتوب واللام بمعنى على وفي قراءة للكتب جمعا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ) من عدم (نُّعِيدُهُ) بعد إعدامه فالكاف متعلقة بـ

---

(١) أسباب نزول الآية ١٠١: وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: «لما نزلت: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّم أَنتُمْ لَهَا وَارِدُون». قال ابن الزبعري: وقد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير، وعيسى فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون» ونزلت: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا» إلى: «خَصِمُون».

(نعيده) وضميره عائد إلى أول وما مصدرية (وَعْدًا عَلَيْنَا) منصوب بوعدنا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ما وعدنا

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء :١٠٥]

١٠٥ - (ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) يعنى الكتاب أي كتب الله المنزلة (مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) يعمعنى أم الكتاب الذي عند الله (أَنَّ الْأَرْضَ) أرض الجنة (يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) عام في كل صالح

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾

١٠٦ - (إِنَّ فِي هَذَا) القرآن (لَبَلاغًا) كفاية في دخول الجنة (لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) عاملين به

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

١٠٧ - (ومَا أَرْسَلْنَاكَ) يامحمد (إِلاَّ رَحْمَةً) أي للرحمة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن بك

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء :١٠٨]

١٠٨ - (قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ) أي ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته (فَهَلْ أَنتُم مُسْلِمُونَ) منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء :١٠٩]

١٠٩ - (فَإِن تَوَلَّوْا) عن ذلك (فَقُلْ آذَنتُكُمْ) أعلنتكم بالحرب (عَلَى سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول أي مستوين في علمه لا أستبد به دونكم لتتأهبوا (وإِنْ) ما (أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ) من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء :١١٠]

١١٠ - (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الجَهْرَ مِنَ القَوْلِ) والفعل منكم ومن غيركم (ويَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أنتم وغيركم من السر

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾

١١١ - (وإِنْ) ما (أَدْرِي لَعَلَّهُ) أي ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فِتْنَةٌ) اختبار (لَّكُمْ) ليرى كيف صنعكم (ومَتَاعٌ) تمتع (إِلَى حِينٍ) أي انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجى بلعل وليس الثاني محلا للترجي

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء :١١٢]

١١٢ - (قَالَ) وفي قراءة قال (رَبِّ احْكُم) بيني وبين مكذبي (بِالْحَقِّ) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد وحنين والأحزاب والخندق ونصر عليهم (ورَبُّنَا الرَّحْمَنُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) من كذبكم على الله في قولكم اتخذ ولدا وعلي في قولكم ساحر وعلى القرآن في قولكم شعر

* * *

٢٢- سورة الحج

مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج :١]

١ - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة وغيرهم (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أي عقابه بأن تطيعوه (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ) أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة (شَيْءٌ عَظِيمٌ) في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج :٢]

٢ - (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ) بسببها (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) بالفعل (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أي تنساه (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أي حبلى (حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) من

شدة الخوف (وَمَا هُم بِسُكَارَى) من الشراب (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) فهم يخافونه

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ [الحج :٣]

٣ - ونزل في النضر بن الحارث وجماعته (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابا (وَيَتَّبِعُ) في جداله (كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ) أي متمرد

﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج :٤]

٤ - (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضي على الشيطان (أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ) أي اتبعه (فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ) يدعوه (إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أي النار

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾

٥ - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم) أي أصلكم آدم (مِّن تُرَابٍ ثُمَّ) خلقنا ذريته (مِن نُّطْفَةٍ) مني (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) وهي الدم الجامد (ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ) وهي لحمة قدر ما يمضغ (مُّخَلَّقَةٍ) مصورة تامة الخلق (وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) أي غير تامة الخلقة (لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ) كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته (وَنُقِرُّ) مستأنف (فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت خروجه (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ) من بطون أمهاتكم (طِفْلًا) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) نعمركم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة (وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى) يموت قبل بلوغ الأشد (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أخسه من الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يابسة (فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَتْ) ارتفعت وزادت (وَأَنبَتَتْ مِن) زائدة (كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) حسن

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج :٦]

٦ - (ذَلِكَ) المذكور من بدء خلق الإنسان الى آخر إحياء الأرض (بِأَنَّ) بسبب أن (اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت الدائم (وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج :٧]

٧ - (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ) شك (فيها وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ) ونزل في أبي جهل

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج :٨]

٨ - (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى) معه (وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) له نور معه

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج :٩]

٩ - (ثَانِيَ عِطْفِهِ) حال أي لاوي عنقه تكبرا عن الإيمان والعطف الجانب عن يمين أو شمال (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي دينه (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) عذاب فقتل يوم بدر (وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي الإحراق بالنار ويقال له

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾

١٠ - (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) أي قدمته عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) أي بذي ظلم فيعذبهم بغير ذنب

٢٢- سورة الحج

(١) **أسباب نزول الآية ٣**: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ». قال: نزلت في النضر بن الحارث.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾

١١ - (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) أي شك في عبادته شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) صحة وسلامة في نفسه وماله (اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) محنة وسقم في نفسه وماله (انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أي رجع إلى الكفر (خَسِرَ الدُّنْيَا) بفوات ما أمله منها (وَالآخِرَةَ) بالكفر (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين [1] .

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [الحج :١٢]

١٢ - (يَدْعُو) يعبد (مِن دُونِ اللَّهِ) من الصنم (مَا لا يَضُرُّهُ) إن لم يعبده (وَمَا لا يَنفَعُهُ) إن عبده (ذَلِكَ) الدعاء (هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ) عن الحق

﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج :١٣]

١٣ - (يَدْعُو لَمَن) اللام زائدة (ضَرُّهُ) بعبادته (أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ) إن نفع بتخيله (لَبِئْسَ المَوْلَى) هو أي الناصر (وَلَبِئْسَ العَشِيرُ) الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج :١٤]

١٤ - (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج :١٥]

١٥ - (مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ) أي محمدا نبيه (فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) بحبل (إِلَى السَّمَاءِ) أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح (فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ) في عدم نصرة النبي (مَا يَغِيظُ) ه منها المعنى فليختنق غيظا منها فلا بد منها

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ [الحج :١٦]

١٦ - (وَكَذَلِكَ) أي مثل إنزالنا الآية السابقة (أَنزَلْنَاهُ) أي القرآن الباقي (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ) هداه معطوف على هاء أنزلناه

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

١٧ - (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالصَّابِئِينَ) طائفة منهم (وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ) بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من عملهم (شَهِيدٌ) عالم به علم مشاهدة

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج :١٨]

١٨ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) أن يخضع له بما يراد منه (وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١ :** أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة (فيسلم) فإن ولدت امرأته غلامًا ونُتِجت خيله قال: هذا دينٌ صالحٌ، وإنْ لم تلد امرأته ولدًا ذكرًا ولم تُنتج خيله قال: هذا دينُ سوءٍ، فأنزل الله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ» الآية.

* وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال: أسلم رجلٌ من اليهود فذهب بصره وماله وولده، فتشاءم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيرًا، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ» الآية.

العَذَابُ) وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ) يشقه (فَمَا لَهُ مِن مُكرِم) مسعد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الإهانة والإكرام

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج :١٩]

١٩ - (هَذَانِ خَصْمَانِ) أي المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) أي في دينه (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) يلبسونها يعني أحيطت بهم النار (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة[1].

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج :٢٠]

٢٠ - (يُصْهَرُ) يذاب (بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) من شحوم وغيرها ، وتشوى به (الْجُلُودُ)

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج :٢١]

٢١ - (وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ) لضرب رؤوسهم

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج :٢٢]

٢٢ - (كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجوا مِنْهَا) أي النار (مِنْ غَمٍّ) يلحقهم بها (أُعِيدُوا فِيهَا) ردوا إليها بالمقامع وقيل لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ) أي البالغ نهاية الإحراق

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

٢٣ - وقال في المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) بالجر أي منهما بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وبالنصب عطفا على محل من أساور (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) هو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا

﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج :٢٤]

٢٤ - (وَهُدُوا) في الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ) وهو لا إله إلا الله (وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ) أي طريق الله المحمودة ودينه

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج :٢٥]

٢٥ - (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (و) عن (الْمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ) منسكا ومتعبدا (لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ) المقيم (فِيهِ وَالْبَادِ) الطارىء (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) الباء زائدة (بِظُلْم) أي بسببه بأن ارتكب منهيا ولو شتم الخادم (نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم) مؤلم أي بعضه ومن هذا يؤخر خبر إن أي نذيقهم من عذاب أليم[1].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج :٢٦]

٢٦ - (و) اذكر (إِذْ بَوَّأْنَا) بينا (لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٩**: أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية: «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» في حمزة وعبيدة والحارث وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة.

* وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم» إلى قوله: «الحريق».

* وأخرج من وجه آخر عنه قال: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة والحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة.

* وأخرج ابنُ جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أنَّها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابًا، ونبينا قبل نبيكم، فقال المؤمنون: نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله.

(١) **أسباب نزول الآية ٢٥**: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: بعث النبيُّ ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجري والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة، فنزلت فيه: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْم» الآية.

البَيْتِ) ليبنيه وكان قد رفع من زمن الطوفان وأمرناه (أن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ) من الأوثان (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ) المقيمين به (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جمع راكع وساجد المصلين

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج :٢٧]

٢٧ - (وَأَذِّن) ناد (فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) فنادى على جبل أبي قبيس يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك وجواب الأمر (يَأْتُوكَ رِجَالًا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (و) ركبانا (عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى (يَأْتِينَ) أي الضوامر حملا على المعنى (مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) طريق بعيد[1] .

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج :٢٨]

٢٨ - (لِيَشْهَدُوا) أن يحضروا (مَنَافِعَ لَهُمْ) في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما أقوال (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ) أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال (عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فَكُلُوا مِنْهَا) إذا كانت مستحبة (وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) أي شديد الفقر

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج :٢٩]

٢٩ - (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وَلْيُوفُوا) بالتخفيف والتشديد (نُذُورَهُمْ) من الهدايا والضحايا (وَلْيَطَّوَّفُوا) طواف الإفاضة (بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: «يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ» فأمرهم بالزاد ورخص لهم في الركوب والمتجر.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج :٣٠]

٣٠ - (ذَلِكَ) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك مذكور (وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ) هي ما لا يحل انتهاكه (فَهُوَ) أي تعظيمها (خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ) في الآخرة (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ) أكلا بعد الذبح (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) من للبيان أي الذي هو الأوثان (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أي الشرك بالله في تلبيتكم أو شهادة الزور

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج :٣١]

٣١ - (حُنَفَاءَ لله) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ) سقط (مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أي تأخذه بسرعة (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أي تسقطه (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج :٣٢]

٣٢ - (ذَلِكَ) يقدر قبله الأمر مبتدأ (وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا) أي فإن تعظيمها وهي البدن التي تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن (مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدي كطعن حديدة بسنامها

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج :٣٣]

٣٣ - (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت نحرها (ثُمَّ مَحِلُّهَا) أي مكان حل نحرها (إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي عنده والمراد الحرم جميعه

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج :٣٤]

٣٤ - (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جَعَلْنَا مَنسَكًا) بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أي ذبحها قربانا أو مكانه (لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ) عند ذبحها (فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا) انقادوا (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) المطيعين المتواضعين

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

٣٥ - (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) من البلايا (وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ) في أوقاتها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج :٣٦]

٣٦ - (وَالْبُدْنَ) جمع بدنة وهي الإبل (جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) نفع في الدنيا كما تقدم وأجر في العقبى (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عند نحرها (صَوَافَّ) قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها (فَكُلُوا مِنْهَا) إن شئتم (وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ) الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يعترض (وَالْمُعْتَرَّ) السائل أو المعترض (كَذَلِكَ) أي مثل ذلك التسخير (سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ) بأن تنحر وتركب وإلا لم تطق (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) إنعامي عليكم

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج :٣٧]

٣٧ - (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا) أي لا يرفعان إليه (وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ) أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان (سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) أي الموحدين [1].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج :٣٨]

٣٨ - (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) غوائل المشركين (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) في أمانته (كَفُورٍ) لنعمته وهم المشركون المعنى أنه يعاقبهم

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج :٣٩]

٣٩ - (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ) أي للمؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت في الجهاد (بِأَنَّهُمْ) أي بسبب أنهم (ظُلِمُوا) بظلم الكافرين إياهم (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [2].

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج :٤٠]

٤٠ - هم (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ) في الإخراج ما أخرجوا (إِلاَّ أَن يَقُولُوا) أي بقولهم (رَبُّنَا اللَّهُ) وحده وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم) بدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ) بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صَوَامِعُ) للرهبان (وَبِيَعٌ) كنائس للنصارى (وَصَلَوَاتٌ) كنائس لليهود بالعبرانية (وَمَسَاجِدُ) للمسلمين (يُذْكَرُ فِيهَا) أي المواضع المذكورة (اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) وتنقطع العبادات بخرابها

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٧**: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: فنحن أحق أن نضمخ، فأنزل الله: «لن ينال الله لحومها» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ٣٩**: أخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «خرج النبي ﷺ من مكة، فقال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكنَّ، فأنزل الله: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ الله عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ»، قال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال».

(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ) أي ينصر دينه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ) على خلقه (عَزِيزٌ) منيع في سلطانه وقدرته .

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج :٤١]

٤١ - (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ) بنصرهم على عدوهم (أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ) جواب الشرط وهو جوابه صلة الموصول ويقدر قبله هم مبتدأ (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) أي إليه مرجعها في الآخرة

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [الحج :٤٢]

٤٢ - (وَإِن يُكَذِّبُوكَ) فيه تسلية للنبي ﷺ (فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادٌ) قوم هود (وَثَمُودُ) قوم صالح.

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [الحج :٤٣]

٤٣ - (وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ)

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج :٤٤]

٤٤ - (وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَكُذِّبَ مُوسَى) كذبه القبط لا قومه بنو إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) أمهلتهم بتأخير العقاب لهم (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم والاستفهام للتقرير أي هو واقع موقعه

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾

٤٥ - (فَكَأَيِّن) أي كم (مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) وفي قراءة أهلكناها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أي أهلها بكفرهم (فَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سقوفها وكم من (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ) متروكة بموت أهلها (وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) رفيع خال بموت أهله

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج :٤٦]

٤٦ - (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أي كفار مكة (فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) ما نزل بالمكذبين قبلهم (أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) إخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فَإِنَّهَا) أي القصة (لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) تأكيد

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج :٤٧]

٤٧ - (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) بإنزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وإن يوما عند ربك) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) بالتاء والياء في الدنيا

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج :٤٨]

٤٨ - (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا) المراد أهلها (وَإِلَيَّ المَصِيرُ) المرجع

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

٤٩ - (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الإنذار وأنا بشير للمؤمنين

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج :٥٠]

٥٠ - (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ) من الذنوب (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) هو الجنة

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحج :٥١]

٥١ - (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا) القرآن بإبطالها (مُعَاجِزِينَ) من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) النار

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٥٢ - (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ) هو

نبي أمر بالتبليغ (وَلا نَبِيٍّ) أي لم يؤمر بالتبليغ (إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى) قرأ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش بعد أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بالقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به : تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآية (فَيَنسَخُ اللَّهُ) يبطل (مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) يثبتها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بإلقاء الشيطان ما ذكر (حَكِيمٌ) في تمكينه منه يفعل ما يشاء [(١)].

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج :٥٣]

٥٣ - (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة (لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك ونفاق (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) أي المشركين عن قبول الحق (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج :٥٤]

٥٤ - (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) التوحيد والقرآن (أَنَّهُ) أي القرآن (الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ) تطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أي دين الإسلام

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾

٥٥ - (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ) شك (مِّنْهُ) أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير أو هو يوم القيامة لا ليل بعده

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

٥٦ - (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة (لله) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين والكافرين بما بين بعد (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فضلا من الله

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الحج :٥٧]

٥٧ - (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) شديد بسبب كفرهم

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الحج :٥٨]

٥٨ - (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي

(١) **أسباب نزول الآية ٥٢**: أخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المنذر، من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: «قرأ النبيُّ ﷺ بمكة: «والنَّجم» فلمَّا بلغ: «أفرأيْتُمُ اللاَّتَ وَالعُزَّى وَمُنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى» ألقى الشَّيطان على لسانه: تلك الغرانيق العُلا، وإنَّ شفاعتهنَّ لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ» الآية».

* وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه، وقال: لا يروى متصلًا إلا بهذا الإسناد. وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.
* وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي.
* وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
* وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس.
* وأورده ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب.
* وموسى بن عقبة عن ابن شهاب.
* وابن جرير عن محمد بن قيس.
* وابن أبي حاتم عن السُّدي ، كلهم بمعنى واحد.
* وكلُّها إمَّا ضعيفة أو منقطعة سوى طريق ابن جبير الأولى. قال الحافظ ابن حجر: «لكن كثرة الطرق تدل على أنَّ للقصة أصلًا، مع أنَّ لها طريقين صحيحين مرسلين أخرجهما ابن جرير: أحدهما من طريق الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. والآخر من طريق داود بن هند عن أبي العالية. ولا عبرة بقول ابن العربي وعياض أنَّ هذه الروايات باطلة لا أصل لها» انتهى.

طاعته من مكة إلى المدينة (ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا) هو رزق الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل المعطين

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج :٥٩]

٥٩ - (لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً) بضم الميم وفتحها أي إدخالا أو موضعا (يَرْضَوْنَهُ) وهو الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ) بنياتهم (حَلِيمٌ) عن عقابهم

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾

٦٠ - الأمر (ذَلِكَ) الذي قصصناه عليك (وَمَنْ عَاقَبَ) جازى من المؤمنين (بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ) ظلما من المشركين أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرم (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ) منهم أي ظلم بإخراجه من منزله (لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ) عن المؤمنين (غَفُورٌ) لهم عن قتالهم في الشهر الحرام[1]

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾

٦١ - (ذَلِكَ) النصر (بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) أي يدخل كلا منهما في الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) دعاء المؤمنين (بَصِيرٌ) بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

٦٢ - (ذَلِكَ) النصر أيضا (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ) الثابت (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء يعبدون (مِن دُونِهِ) وهو الأصنام (هُوَ البَاطِلُ) الزائل (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) أي العالي على كل شيء بقدرته (الكبير) الذي يصغر كل شيء سواه

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾

٦٣ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً) بالنبات وهذا من أثر قدرته (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) بعباده في إخراج النبات بالماء (خَبِيرٌ) بما في قلوبهم عند تأخير المطر

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج :٦٤]

٦٤ - (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) على جهة الملك (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الغَنِيُّ) عن عباده (الحَمِيدُ) لأوليائه

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

٦٥ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ) من البهائم (وَالْفُلْكَ) السفن (تَجْرِي فِي البَحْرِ) للركوب والحمل (بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ) من (أن) أو لئلا (تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) فتهلكوا (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) في التسخير والإمساك

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج :٦٦]

٦٦ - (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ) بالإنشاء (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) عند البعث (إِنَّ الإِنسَانَ) أي المشرك (لَكَفُورٌ) لنعم الله بتركه توحيده

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج :٦٧]

٦٧ - (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا) بفتح السين وكسرها شريعة (هُمْ نَاسِكُوهُ) عاملون به (فَلا

---

(١) أسباب نزول الآية ٦٠ : أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ فلقوا المشركين للبلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام وإن أصحاب محمد ناشدوهم وذكروهم بالله أن لا يعرضوا لقتالهم، فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام ، إلا من بادأهم ، وإن المشركين بدأوا وقاتلوهم فاستحل الصحابة قتالهم عند ذلك فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم، فنزلت هذه الآية.

يُنَازِعُنَّكَ) يراد به لا تنازعهم (فِي الأَمْرِ) أي أمر الذبيحة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ) أي إلى دينه (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى) دين (مُسْتَقِيمٍ)

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

٦٨ - (وَإِن جَادَلُوكَ) في أمر الدين (فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج :٦٩]

٦٩ - (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والكافرون (يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾

٧٠ - (أَلَمْ تَعْلَمْ) الإستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ) أي ما ذكر (فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ) علم ما ذكر (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سهل

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

٧١ - (وَيَعْبُدُونَ) أي المشركون (مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) هو الأصنام (سُلْطَانًا) حجة (وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ) أنها آلهة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بالإشراك (مِن نَّصِيرٍ) يمنع عنهم عذاب الله

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج :٧٢]

٧٢ - (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ) أي الإنكار لها أي أثره من الكراهة والعبوس (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) أي يقعون فيهم بالبطش (قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمْ) أي بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم هو (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بأن مصيرهم إليها (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج :٧٣]

٧٣ - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) وهو (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره وهم الأصنام (لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا) اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث (وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ) لخلقه (وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به (لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ) لا يستردوه (مِنْهُ) لعجزهم فكيف يعبدون شركاء الله تعالى هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضَعُفَ الطَّالِبُ) العابد (وَالْمَطْلُوبُ) المعبود

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

٧٤ - (مَا قَدَرُوا اللَّهَ) عظموه (حَقَّ قَدْرِهِ) عظمته إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) غالب

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج :٧٥]

٧٥ - (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) رسلا ونزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لمقالتهم (بَصِيرٌ) بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحج :٧٦]

٧٦ - (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي ما قدموا وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون بعد (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

٧٧ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) أي صلوا (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وحدوه (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ) كصلة الرحم ومكارم الأخلاق (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون بالبقاء في الجنة

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج :٧٨]

٧٨ - (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (حَقَّ جِهَادِهِ) باستفراغ الطاقة فيه ونصب حق على المصدر (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أي ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر (مِلَّةَ أَبِيكُمْ) منصوب بنزع الخافض الكاف (إِبْرَاهِيمَ) عطف بيان (هُوَ) أي الله (سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ) أي قبل هذا الكتاب (وَفِي هَذَا) أي القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا) أنتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلهم بلغوهم (فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلاكُمْ) ناصركم ومتولي أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أي الناصر لكم

* * *

٢٣- سورة المؤمنون

مكية وآياتها (١١٨) مائة وثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون :١]

١ - (قَدْ) للتحقيق (أَفْلَحَ) فاز (الْمُؤْمِنُونَ)

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون :٢]

٢ - (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) متواضعون(١) .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون :٣]

٣ - (والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ) من الكلام وغيره (مُعْرِضُونَ)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون :٤]

٤ - (والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون :٥]

٥ - (والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) عن الحرام

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون :٦]

٦ - (إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) أي من زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أي السراري (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) في إتيانهن

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

٧ - (فَمَنِ ابْتَغَى وراءَ ذَلِكَ) من الزوجات والسراري كالاستمناء بيده (فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ) المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

٨ - (والَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (وعَهْدِهِمْ) فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (رَاعُونَ) حافظون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون :٩]

٩ - (والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (يُحَافِظُونَ) يقيمونها في أوقاتها

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾

[المؤمنون :١٠]

١٠ - (أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ) لا غيرهم

٢٣- سورة المؤمنون

(١) **أسباب نزول الآية ٢** : أخرج الحاكم عن أبي هريرة: أَنَّ رسول الله ﷺ كان إذا صلَّى رفع بصره إلى السَّماء، فنزلت: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ» فطأطأ رأسه.

* وأخرجه ابن مردويه بلفظ: كان يلتفت في الصلاة.

* وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن سيرين مرسلًا بلفظ: كان يقلب بصره ، فنزلت.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسلًا: كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السَّماء في الصَّلاة، فنزلت.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون :١١]

١١ - (الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ) هو جنة أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدأ بعده

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾

١٢ - والله (ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ) آدم (مِن سُلالَةٍ) هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته (مِّن طِينٍ) متعلق بسلالة

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون :١٣]

١٣ - (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ) أي الإنسان نسل آدم (نُطْفَةً) منيا (فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) هو الرحم

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

١٤ - (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) دما جامدا (فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً) لحمة قدر ما يمضغ (فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا) وفي قراءة عظما في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) بنفخ الروح فيه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) أي المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقا [1].

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون :١٥]

١٥ - (ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ)

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون :١٦]

١٦ - (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) للحساب والجزاء

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون :١٧]

١٧ - (ولَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) أي سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة (ومَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ) التي تحتها (غَافِلِينَ) أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية ويمسك السماء أن تقع على الأرض

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون :١٨]

١٨ - (وأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) من كفايتهم (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) فيموتون مع دوابهم عطشا

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون :١٩]

١٩ - (فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وأَعْنَابٍ) هما أكثر فواكه العرب (لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ومِنْهَا تَأْكُلُونَ) صيفا وشتاء

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون :٢٠]

٢٠ - وأنشأنا (وشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة (تَنْبُتُ) من الرباعي والثلاثي (بِالدُّهْنِ) الباء زائدة على الأول ومعدية على الثاني وهي شجرة الزيتون (وصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ) عطف على الدهن أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

٢١ - (وإنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً) عظة تعتبرون بها (نُّسْقِيكُم) بفتح النون وضمها (مِّمَّا فِي بُطُونِهَا) أي اللبن (ولَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك (ومِنْهَا تَأْكُلُونَ)

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون :٢٢]

٢٢ - (وعَلَيْهَا) الإبل (وعَلَى الفُلْكِ) السفن (تُحْمَلُونَ)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون :٢٣]

---

(١) أسباب نزول الآية ١٤: أخرج ابن أبي حاتم عن عمر قال: وافقت ربي في أربع نزلت: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِن طِينٍ» الآية، فلمَّا نزلت قلت أنا: «فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ».

٢٣ - (ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) أطيعوا الله ووحدوه (مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون :٢٤]

٢٤ - (فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ) لأتباعهم (مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ) يتشرف (عَلَيْكُمْ) بأن يكون متبوعا وأنتم أتباعه (ولَوْ شَاءَ اللَّهُ) أن لا يعبد غيره (لأَنزَلَ مَلائِكَةً) بذلك لابشرا (مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا) الذي دعا إليه نوح من التوحيد (فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ) أي الأمم الماضية

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون :٢٥]

٢٥ - (إِنْ هُوَ) ما نوح (إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) حالة جنون (فَتَرَبَّصُوا بِهِ) انتظروه (حَتَّى حِينٍ) إلى زمن موته

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون :٢٦]

٢٦ - (قَالَ) نوح (رَبِّ انصُرْنِي) عليهم (بِمَا كَذَّبُونِ) بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم قال تعالى مجيبا دعاءه

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون :٢٧]

٢٧ - (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الفُلْكَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا وحفظنا (ووَحْيِنَا) أمرنا (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (وفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فَاسْلُكْ فِيهَا) أي أدخل في السفينة (مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ) ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما (اثْنَيْنِ) ذكرا وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة وفي قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تاكيد له (وأَهْلَكَ) زوجته وأولاده (إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ مِنْهُمْ) بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه إلا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساؤهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (ولا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكهم (إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون :٢٨]

٢٨ - (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ) اعتدلت (أَنتَ ومَن مَّعَكَ عَلَى الفُلْكِ فَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَذِي نَجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين وإهلاكهم

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون :٢٩]

٢٩ - (وقُل) عند نزولك من الفلك (رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً) بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول (مُّبَارَكًا) ذلك الإنزال أو المكان (وأَنتَ خَيْرُ المُنزِلِينَ) ما ذكر

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون :٣٠]

٣٠ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار (لآيَاتٍ) دلالات على قدرة الله تعالي (وإِن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون :٣١]

٣١ - (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا) قوما (آخَرِينَ) هم عاد

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون :٣٢]

٣٢ - (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ) هودا (أَنِ)

أي بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) عقابه فتؤمنوا

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون :٣٣]

٣٣- (وقَالَ المَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ) أي بالمصير إليها (وأَتْرَفْنَاهُمْ) نعمناهم (فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ويَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون :٣٤]

٣٤- والله (ولَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ) فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو مغن عن جواب الثاني (إِنَّكُمْ إِذًا) أي إذا أطعتموه (لَّخَاسِرُونَ) أي مغبونون

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون :٣٥]

٣٥- (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وكُنتُمْ تُرَابًا وعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ) هو خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون :٣٦]

٣٦- (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أي بعد بعد (لِمَا تُوعَدُونَ) من الإخراج من القبور واللام زائدة للبيان

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون :٣٧]

٣٧- (إِنْ هِيَ) ما الحياة (إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ ونَحْيَا) بحياة آبائنا (ومَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون :٣٨]

٣٨- (إِنْ هُوَ) أي ما الرسول (إلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ومَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) أي مصدقين بالبعث بعد الموت .

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون :٣٩]

٣٩- (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون :٤٠]

٤٠- (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ) من الزمان وما زائدة (لَّيُصْبِحُنَّ) ليصيرن (نَادِمِينَ) على كفرهم وتكذيبهم

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون :٤١]

٤١- (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) صيحة العذاب والهلاك كائنة (بِالْحَقِّ) فماتوا (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) وهو نبت يبس أي صيرناهم مثله في اليبس (فَبُعْدًا) من الرحمة (لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المكذبين

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون :٤٢]

٤٢- (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا) أقواما (آخَرِينَ)

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [المؤمنون :٤٣]

٤٣- (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بأن تموت قبله (ومَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون :٤٤]

٤٤- (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا) بالتنوين وعدمه متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينهما وبين الواو (رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا) في الهلاك (وجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ)

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [المؤمنون :٤٥]

٤٥- (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون :٤٦]

٤٦ - (إِلَى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها والله (وكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) قاهرين بني إسرائيل بالظلم

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون :٤٧]

٤٧ - (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) مطيعون خاضعون

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون :٤٨]

٤٨ - (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون :٤٩]

٤٩ - (ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ) أي قومه بني إسرائيل (يَهْتَدُونَ) به من الضلالة وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون :٥٠]

٥٠ - (وجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى (وأُمَّهُ آيَةً) لم يقل آيتين لأن الآية فيها واحدة ولادته من غير فحل (وآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع وهو البيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال (ذَاتِ قَرَارٍ) أي مستوية يستقر عليها ساكنوها (ومَعِينٍ) ماء جار ظاهر تراه العيون

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون :٥١]

٥١ - (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الحلالات (واعْمَلُوا صَالِحًا) من فرض ونفل (إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) فأجازيكم عليه

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون :٥٢]

٥٢ - واعلموا (وإِنَّ هَذِهِ) أي ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً واحِدَةً) حال لازمة وفي قراءة بتخفيف النون وفي أخرى بكسرها مشددة استئنافا (وأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) فاحذرون

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون :٥٣]

٥٣ - (فَتَقَطَّعُوا) أي الأتباع (أَمْرَهُم) دينهم (بَيْنَهُمْ زُبُرًا) حال من فاعل تقطعوا أي أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم من الدين (فَرِحُونَ) مسرورون

﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون :٥٤]

٥٤ - (فَذَرْهُمْ) أي اترك كفار مكة (فِي غَمْرَتِهِمْ) ضلالتهم (حَتَّى حِينٍ) أي حين موتهم

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون :٥٥]

٥٥ - (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ) نعطيهم (مِن مَّالٍ وبَنِينَ) في الدنيا

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون :٥٦]

٥٦ - (نُسَارِعُ) نعجل (لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ) لا (بَل لاَّ يَشْعُرُونَ) أن ذلك استدراج لهم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون :٥٧]

٥٧ - (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم) خوفهم منه (مُّشْفِقُونَ) خائفون من عذابه

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون :٥٨]

٥٨ - (والَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) أي القرآن (يُؤْمِنُونَ) يصدقون

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون :٥٩]

٥٩ - (والَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ) معه غيره

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون :٦٠]

٦٠ - (والَّذِينَ يُؤْتُونَ) يعطون (مَا آتَوْا) أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وقُلُوبُهُمْ وجِلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم (أَنَّهُمْ) يقدر قبله لام الجر

(إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون :٦١]

٦١ - (أُوْلَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) في علم الله

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون :٦٢]

٦٢ - (ولا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلاَّ وسْعَهَا) أي طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي قائما فليصلي جالسا ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل (ولَدَيْنَا) أي عندنا (كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وهُمْ) أي النفوس العاملة (لا يُظْلَمُونَ) شيئا منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد في السيئات

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون :٦٣]

٦٣ - (بَلْ قُلُوبُهُمْ) أي الكفار (فِي غَمْرَةٍ) جهالة (مِّنْ هَذَا) القرآن (ولَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ) المذكور للمؤمنين (هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) فيعذبون عليها

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون :٦٤]

٦٤ - (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم) أغنياءهم ورؤساءهم (بِالْعَذَابِ) أي السيف يوم بدر (إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) يضجون يقال لهم

﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون :٦٥]

٦٥ - (لا تَجْأَرُوا اليَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ) لا تمنعون

﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون :٦٦]

٦٦ - (قد كانت آياتي) من القرآن (تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقرى

﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾ [المؤمنون :٦٧]

٦٧ - (مُسْتَكْبِرِينَ) عن الإيمان (بِهِ) أي بالبيت أو بالحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم (سَامِرًا) حال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تَهْجُرُونَ) من الثلاثي تتركون القرآن ومن الرباعي أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن[1].

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون :٦٨]

٦٨ - (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال (القَوْلَ) أي القرآن الدال على صدق النبي (أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ)

﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون :٦٩]

٦٩ - (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ)

﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون :٧٠]

٧٠ - (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به (بَلْ) للانتقال (جَاءَهُم بِالْحَقِّ) أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام (وأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون :٧١]

٧١ - (ولَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ) أي القرآن (أَهْوَاءَهُمْ) بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى الله عن ذلك (لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ ومَن فِيهِنَّ) أي خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ) القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم

(١) **أسباب نزول الآية ٦٧**: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير قال: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به، ويفتخرون به فأنزل الله: «مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ».

(فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرِضُونَ).

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون :٧٢]

٧٢ - (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) أجرا على ما جئتهم به من الإيمان (فَخَرَاجُ رَبِّكَ) أجره وثوابه ورزقه (خَيْرٌ) وفي قراءة خرجا في الموضعين وفي قراءة أخرى خراجا فيهما (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل من أعطى وآجر

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون :٧٣]

٧٣ - (وإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُّسْتَقِيمٍ) دين الإسلام

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ [المؤمنون :٧٤]

٧٤ - (وإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (عَنِ الصِّرَاطِ) الطريق (لَنَاكِبُونَ) عادلون

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون :٧٥]

٧٥ - (ولَوْ رَحِمْنَاهُمْ وكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ) أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين (لَّلَجُّوا) تمادوا (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالتهم (يَعْمَهُونَ) يترددون

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون :٧٦]

٧٦ - (ولَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ) الجوع (فَمَا اسْتَكَانُوا) تواضعوا (لِرَبِّهِمْ ومَا يَتَضَرَّعُونَ) يرغبون إلى الله بالدعاء [1].

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون :٧٧]

٧٧ - (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا) صاحب (عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو يوم بدر بالقتل (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون :٧٨]

٧٨ - (وهُوَ الَّذِي أَنشَأَ) خلق (لَكُمُ السَّمْعَ) بمعنى الأسماع (والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلاً مَّا) تأكيد للقلة (تَشْكُرُونَ)

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المؤمنون :٧٩]

٧٩ - (وهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الأَرْضِ وإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون :٨٠]

٨٠ - (وهُوَ الَّذِي يُحْيِي) بنفخ الروح في المضغة (ويُمِيتُ ولَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أَفَلا تَعْقِلُونَ) صنعه تعالى فتعتبروا

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ [المؤمنون :٨١]

٨١ - (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ)

﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون :٨٢]

٨٢ - (قَالُوا) أي الأولون (أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا وعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) لا وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون :٨٣]

٨٣ - (لَقَدْ وعِدْنَا نَحْنُ وآبَاؤُنَا هَذَا) أي البعث بعد الموت (مِن قَبْلُ إِنْ) ما (هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ)

---

(١) أسباب نزول الآية ٧٦: وأخرج النسائي، والحاكم عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العلهز - يعني الوبر بالدم - فأنزل الله: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ».

* وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: أنَّ ثمامة بن أثال الحنفي لما أتي به للنبي ﷺ وهو أسير خلّى سبيله وأسلم فلحق بمكة ثم رجع إلى اليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: ألست تزعم أنّك بعثت رحمة للعالمين قال: بلى، قال: فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت.

أكاذيب (الأَوَّلِينَ) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون :٨٤]

٨٤ - (قُل) لهم (لِّمَنِ الأَرْضُ ومَن فِيهَا) من الخلق (إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) خالقها ومالكها

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون :٨٥]

٨٥ - (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ) لهم (أَفَلا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون :٨٦]

٨٦ - (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) الكرسي

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون :٨٧]

٨٧ - (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) تحذرون عبادة غيره

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون :٨٨]

٨٨ - (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك (كُلِّ شَيْءٍ) والتاء للمبالغة (وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجَارُ عَلَيْهِ) يحمي ولا يحمى عليه (إن كُنتُم تَعْلَمُونَ)

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون :٨٩]

٨٩ - (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) وفي قراءة لله بلام الجر في الموضعين نظرا إلى أن المعنى من له ما ذكر (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أي كيف تخيل لكم أنه باطل

﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون :٩٠]

٩٠ - (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (وإنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في نفيه وهو

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون :٩١]

٩١ - (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ومَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا) أي لو كان معه إله (لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (ولَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له (عَمَّا يَصِفُونَ) ـه به مما ذكر

﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون :٩٢]

٩٢ - (عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو مقدرا (فَتَعَالَى) تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) ـه معه

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون :٩٣]

٩٣ - (قُل رَّبِّ إِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ) ـه من العذاب هو صادق بالقتل ببدر

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون :٩٤]

٩٤ - (رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأهلك بإهلاكهم

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون :٩٥]

٩٥ - (وإنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ)

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون :٩٦]

٩٦ - (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي الخلة من الصفح والإعراض عنهم (السَّيِّئَةَ) أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أي يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ [المؤمنون :٩٧]

٩٧ - (وقُل رَّبِّ أَعُوذُ) اعتصم (بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) نزعاتهم بما يوسوسون به

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون :٩٨]

٩٨ - (وأعوذ بك ربّ أن يحضرونِ) في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون :٩٩]

٩٩ - (حَتَّى) ابتدائية (إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) الجمع للتعظيم

﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٠]

١٠٠ - (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا) بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون (فِيمَا تَرَكْتُ) ضيعت من عمري أي في مقابلته قال تعالى (كَلاَّ) أي لا رجوع (إِنَّهَا) أي رب ارجعون (كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) ولا فائدة له فيها (ومِن ورَائِهِم) أمامهم (بَرْزَخٌ) حاجز يصدهم عن الرجوع (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ولا رجوع بعده

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون :١٠١]

١٠١ - (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى أو الثانية (فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يتفاخرون بها (ولا يَتَسَاءَلُونَ) عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عند ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون وفي آية فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

١٠٢ - (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بالحسنات (فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) الفائزون

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٣]

١٠٣ - (ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيئات (فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) فهم (فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٤]

١٠٤ - (تَلْفَحُ وجُوهَهُمُ النَّارُ) تحرقها (وهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٥]

١٠٥ - (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) مِن القرآن (تُتْلَى عَلَيْكُمْ) تخوفون بها (فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ)

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون :١٠٦]

١٠٦ - (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الهدية

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٧]

١٠٧ - (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا) إلى المخالفة (فَإِنَّا ظَالِمُونَ)

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون :١٠٨]

١٠٨ - (قَالَ) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخْسَئُوا فِيهَا) ابعدوا في النار اذلاء (ولا تُكَلِّمُونِ) في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

١٠٩ - (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي) هم المهاجرون (يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون :١١٠]

١١٠ - (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإنساء فنسب إليهم (وكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ)

﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون :١١١]

١١١ - (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ) النعيم المقيم (بِمَا صَبَرُوا) على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم (أَنَّهُمْ) بكسر الهمزة استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم (هُمُ الْفَائِزُونَ) بمطلوبهم

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون :١١٢]

١١٢ - (قَالَ) تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ) في الدنيا وفي قبوركم (عَدَدَ سِنِينَ) تمييز

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون :١١٣]

١١٣ - (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ) الملائكة المحصين أعمال الخلق

﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون :١١٤]

١١٤ - (قَالَ) تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضا قل (إن) ما (لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة إلى لبثكم في النار

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون :١١٥]

١١٥ - (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) لا لحكمة (وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون :١١٦]

١١٦ - (فَتَعَالَى اللَّهُ) عن العبث وغيره مما لا يليق به (الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) الكرسي الحسن.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون :١١٧]

١١٧ - (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ) صفة كاشفة لا مفهوم لها (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ) جزاؤه (عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ) لا يسعدون

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون :١١٨]

١١٨ - (وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ) المؤمنين في الرحمة زيادة عن المغفرة (وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أفضل راحم.

* * *

٢٤- سورة النور

مدنية وآياتها أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور :١]

١ - هذه (سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وفَرَضْنَاهَا) مخففة ومشددة لكثرة المفروض فيها (وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات الدلالات (لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور :٢]

٢ - (الزَّانِيَةُ والزَّانِي) أي غير المحصنين لرجمها بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) ضربة يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (ولا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) حكمه بأن تتركوا شيئا من حدهما (إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ) أي يوم البعث في هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا) أي الجلد (طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا.

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
[النور :٣]

٣ - (الزَّانِي لا يَنكِحُ) يتزوج (إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً والزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أي المناسب لكل منهما ما ذكر (وحُرِّمَ ذَلِكَ) أي نكاح الزواني (عَلَى المُؤْمِنِينَ) الأخيار نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهن وقيل عام ونسخ بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور :٤]

٤ - (والَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ) العفيفات بالزنا (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) على زناهن برؤيتهم (فَاجْلِدُوهُمْ) أي كل واحد منهم (ثَمَانِينَ جَلْدَةً ولا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً) في شيء (أَبَدًا وأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) لإتيانهم كبيرة

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور :٥]

٥ - (إلاَّ الَذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم قذفهم (رَّحِيمٌ) بهم بإلهامهم التوبة فبها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم وقيل لا تقبل رجوعا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾
[النور :٦]

٦ - (والَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) بالزنا (ولَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ) عليه (إلاَّ أَنفُسُهُمْ) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مبتدأ (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصب على المصدر (بِاللَّهِ إنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رمى به زوجته من الزنى [(١)].

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾
[النور :٧]

٧ - (والْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إن كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ) في ذلك وخبر المبتدأ تدفع عنه حد القذف

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النور :٨]

٨ - (ويَدْرَأُ) يدفع (عَنْهَا العَذَابَ) أي حد الزنا الذي ثبت بشهاداته (أن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ) فيما رماها به من الزنا

٢٤- سورة النور

(١) **أسباب نزول الآية ٣**: أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: كانت امرأة يقال لها أم مهزول، وكانت تسافح، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها، فأنزل الله: «وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلى المُؤْمِنِينَ».

* وأخرج أبو داود، والترمذي، والنَّسائي، والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مزيد يحمل من الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق، فاستأذن النبي ﷺ أن ينكحها، فلم يرد عليه شيئًا حتى نزلت: «الزَّانِي لاَ يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ» الآية، فقال رسول الله ﷺ: يا مرثد: «الزَّانِي لاَ يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ» الآية، فلا تَنْكِحْها.

* وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: لما حرم الله الزِّنا، فكان زوانٍ عندهنَّ جمال، فقال النَّاس: لينطلقنَ فليتزوجنَّ، فنزلت.

(١) **أسباب نزول الآيات ٦ - ٧ - ٨**: أخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس: أنَّ هلال بن أمية قذف امرأته عند النَّبي ﷺ، بشريك ابن سحماء، فقال له النَّبي ﷺ: البيِّنةُ أو حدٌّ في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البيِّنة؟ فجعل النَّبيُّ ﷺ يقول: البيِّنة أو حدّ في ظهرك.

* فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنِّي لصادق ولينْزِلَنَّ الله ما يبرِّئُ ظهري من الحد، فنزل جبريل، فأنزل الله عليه: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ» فقرأ حتى بلغ : «إنْ كَانَ مِنَ الصَّادقينَ».

* وأخرجه أحمد بلفظ لما نزلت: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهدَاءَ فَاجْلُدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا». قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟ قالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنَّه رجلٌ غيورٌ، والله ما تزوَّج امرأةً قطّ فاجترأ رجلٌ منَّا أنْ يتزوَّجها من شدَّة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إنِّي

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور :٩]

٩ - (والْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في ذلك

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور :١٠]

١٠ - (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ) بالستر في ذلك (وأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) بقبوله التوبة في ذلك وغيره (حَكِيمٌ) فيما حكم به في ذلك وغيره ليبين الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور :١١]

١١ - (إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ) أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها (عُصْبَةٌ مِّنكُمْ) جماعة من المؤمنين قالت حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش (لا تَحْسَبُوهُ) أيها المؤمنون غير العصبة (شَرًا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان فإنها قالت كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما انزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحيل فإذا عقدي انقطع - وهو بكسر المهملة : القلادة- فرجعت التمسه وحملوا هودجي -وهو ما يركب فيه . على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافا إنما يأكلن العلقة وهو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام أي القليل ووجدت عقدي وجئت بعد ما ساروا فجلست في النزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فادلج -هما بتشديد الراء والدال- أي نزل من آخر الليل للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم أي شخصه فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون فخمرت وجهي بجلبابي أي غطيته بالملاءة والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطيء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش

لأعلم أنَّها حقٌّ وأنَّها من الله ولكنِّي تعجَّبت أنِّي لو وجدت لكاعًا قد تفخذها رجل لم يكن لي أنْ أنحيه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته. قال: فما لبثوا إلاَّ يسيرًا حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثَّلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاءً فوجد عند أهله رجلًا فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ، وقال له: إنِّي جئت أهلي عِشاءً فوجدت عندها رجلًا فرأيتُ بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتدَّ عليه واجتمعت الأنصار فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويُبطل شهادته في النَّاس.

* فقال هلال: والله إنِّي لأَرجو أن يجعل الله لي منها مخرجًا، فوالله إنَّ رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، فأنزل الله عليه الوحي فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُم» الآية.

* وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس.

* وأخرج الشَّيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: اسأل لي رسول الله ﷺ، أرأيت رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فقتله، أيُقتل به؟ أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب رسول الله ﷺ السَّائل فلقيه عويمر فقال: ما صنعت؟ قال: ما صنعت، إنَّك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل، فقال عويمر: فوالله لآتينَّ رسول الله ﷺ فلأسألنَّه، فسأله فقال: إنَّه أنزل فيك وفي صاحبتك الآيات، الحديث.

* قال الحافظ ابن حجر: اختلفت الأئمة في هذه المواضع، فمنهم من رجَّح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجَّح أنَّها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأنَّ أوَّل من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال: لعلهما اتَّفق لهما ذلك في وقت واحد.

* قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أنَّ النُّزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النَّبيُّ ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال، فنزل جبريل، وفي قصة عويمر: قد أنزل الله فيك، فيؤول قوله قد أنزل الله فيك، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين.

* وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: لو رأيت مع أم رومان رجلًا ما كنت فاعلًا به؟ قال: كنت فاعلًا به شرًا، قال: وأنت يا عمر؟ قال: كنت أقول لعن الله الأعجز وإنه لخبيث، فنزلت.

* قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة أي من أوغر واقفين في مكان وغر من شدة الحر فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي بن سلول أهـ قولها رواه الشيخان قال تعالى (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم) أي عليه (مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْم) في ذلك (والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبي (لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو النار في الآخرة (١).

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور :١٢]

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١**: أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج سهمي فخرجت وذلك بعد ما أنزل الحجاب. فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلمّا قضيت شأني أقبلت إلى الرَّحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرَّهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنّي فيه.

* قالت: وكانت النِّساء إذ ذاك خفافًا لم يُهَبَّلْنَ ولم يغشهن اللحم إنّما يأكلن العلقة من الطعام فلا يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحّلوه ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي عند ما سار الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيمّمت منزلي الذي كنت فيه فظننت أنَّ القوم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السُّلمي قد عرّس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل أن يُضرب عليَّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته، فوطىء على يدها فرَكِبْتُها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني.

* وكان الذي تولّى كبره عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرًا، والنَّاس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيءٍ من ذلك ، حتَّى خرجت بعد ما نقهت وخرجت مع أمّ مِسطح قبل المناصع وهو متبرَّزنا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلًا شهد بدرًا؟ قالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا إلى مرضي.

* فلمّا دخل عليَّ رسول الله ﷺ قلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ وأنا أريد أن أتيقّن الخبر من قبلهما فأذن لي، فجئت أبوي، فقلت لأُمي: يا أُمّاه ما يتحدث النَّاس؟ قالت: أي بنية هوِّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلاَّ أكثرن عليها. قلت: سبحان الله أوَ قد تحدَّث النَّاس بهذا ! فبكيت تلك اللَّيلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثمَّ أصبحت أبكي.

* ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأُسامة بن زيد، حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأمَّا أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلاّ خيرًا، وأمَّا عليّ فقال: لم يضيّق الله عليك، والنِّساء سواها كثير، وإنْ تسأل الجارية تصدقك. فدعا بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيءٍ يريبك من عائشة؟» قالت: والذي بعثك بالحق إنْ رأيت عليها أمرًا قط أغمصه عليها أكثر من أنَّها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الدَّاجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبيّ، فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلاّ خيرًا.

* قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ثمَّ بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أنَّ البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذَنَتْ عليّ امرأةٌ من الأنصار، فأذِنْتُ لها فجلست تبكي معي، ثمَّ دخل رسول الله ﷺ فسلَّم ثمَّ جلس... وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيءٌ، فتشهَّد ثمَّ قال: أما بعد يا عائشة فإنَّه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإنْ كنت بريئة فسيبرئكِ الله، وإنْ كنت قد ألممت بذنب فاستغفري الله ثمَّ توبي إليه، فإنَّ العبد إذا اعترف بذنب ثمَّ تاب، تاب الله عليه، فلمَّا قضى مقالته... قلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول، فقلت وأنا جارية حديثة السن...: والله لقد عرفت أنَّكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم: إنِّي بريئة والله يعلم أنّي بريئة لا تصدقوني، وفي رواية: ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، وإنِّي والله لا أجد لي ولكم مثلًا إلاَّ كما قال أبو يوسف: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله المُسْتَعانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» ثمَّ تحولت فاضطجعت على فراشي.

* فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فلمَّا سُرّي عنه كان أول كلمة تكلَّم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلاَّ الله، هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» عشر آيات... فقال أبو بكر: وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره، والله لا أنفق عليه شيئًا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل

١٢ - (لَوْلا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ) أي ظن بعضهم ببعض (خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) كذب بين فيه التفات عن الخطاب أي ظننتم أيها العصبة وقلتم

﴿لَوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَآءِ فَأُولَٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾ [النور :١٣]

١٣ - (لَوْلا) هلا (جاءُوا) أي العصبة (عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) شاهدوه (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ) أي في حكمه (هُمُ الكاذِبُونَ) فيه

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور :١٤]

١٤ - (ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ) أيها العصبة أي خضتم (فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) في الآخرة

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور :١٥]

١٥ - (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) أي يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل إحدى التاءين وإذ منصوب بمسكم أو بأفضتم (وتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا) لا إثم فيه (وهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ) في الإثم

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور :١٦]

١٦ - (ولَوْلا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ) ما ينبغي (لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ) هو للتعجب هنا (هَذَا بُهْتَانٌ) كذب (عَظِيمٌ)

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور :١٧]

١٧ - (يَعِظُكُمُ اللَّهُ) ينهاكم (أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) تتعظون بذلك

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَٰتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

١٨ - (ويُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ) في الأمر والنهي (واللَّهُ عَلِيمٌ) بما يأمر به وينهى عنه (حَكِيمٌ) فيه

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَٰحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور :١٩]

١٩ - (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ) باللسان (فِي الَّذِينَ آمَنُوا) بنسبتها إليهم وهم العصبة (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) بحد القذف (والآخِرَةِ) بالنار لحق الله (واللَّهُ يَعْلَمُ) انتفاءها عنهم (وأَنتُمْ) أيها العصبة بما قلتم من الإفك (لا تَعْلَمُونَ) وجودها فيهم

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور :٢٠]

٢٠ - (ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أيها العصبة (ورَحْمَتُهُ وأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) بكم لعاجلكم بالعقوبة

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور :٢١]

٢١ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) أي طرق تزيينه (ومَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ) أي المتبع (يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) أي القبيح (والمُنكَرِ) شرعا باتباعها (ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم) أيها العصبة بما قلتم من الإفك (مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه (ولَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي) يطهر (مَن يَشَاءُ) من الذنب بقبول توبته منه (واللَّهُ سَمِيعٌ) بما قلتم (عَلِيمٌ) بما قصدتم

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٢٢ - (ولا يَأْتَلِ) يحلف (أُولُوا الفَضْلِ) أي أصحاب الغنى (مِنكُمْ والسَّعَةِ أَن) لا (يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى والمَسَاكِينَ والمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) نزلت

الله: «وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ» إلى: «أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك (وليَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا) عنهم في ذلك (ألا تُحِبونَ أن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) للمؤمنين قال أبو بكر بلى أنا احب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه [١] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور :٢٣]

٢٣ - (إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالزنا (المُحْصَنَاتِ) العفائف (الغَافِلاتِ) عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها (المُؤْمِنَاتِ) بالله ورسوله (لُعِنُوا في الدُّنْيا والآخِرَةِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [٢].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور :٢٤]

٢٤ - (يَوْمَ) ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم (تَشْهَدُ) بالفوقانية والتحتانية (عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من قول وفعل وهو يوم القيامة

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور :٢٥]

٢٥ - (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ) يجازيهم جزاءه الواجب عليهم (ويَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ) حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبي والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول سورة التوبة غيرهن

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور :٢٦]

٢٦ - (الخَبِيثَاتُ) من النساء ومن الكلمات (لِلْخَبِيثِينَ) من الناس (والْخَبِيثُونَ) من الناس (لِلْخَبِيثَاتِ) مما ذكر (والطَّيِّبَاتُ) مما ذكر (لِلطَّيِّبِينَ) من الناس (والطَّيِّبُونَ) منهم (لِلطَّيِّبَاتِ) مما ذكر أي اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله (أُولَئِكَ) الطيبون من الرجال والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) أي الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم (لَهُم) للطيبين والطيبات من النساء (مَّغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ) من الجنة وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما [١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور :٢٧]

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٢ : قال أبو بكر: والله إنّي لأُحبُّ أنْ يغفر الله لي، فرجع إلى مِسْطَح ما كان ينفق عليه.
* وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر عند الطبراني.
* وأبي هريرة عند البزار.
* وأبي اليسر عند ابن مردويه.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٣ : وأخرج الطبراني عن خصيف قلت لسعيد بن جبير: أيما أشدّ، الزّنا أو القذف؟ قال: الزّنا، قلت: إنَّ الله يقول: «إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِنَاتِ» قال: إنّما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة، في إسناده يحيى الحماني ضعيف.
* وأخرج أيضًا عن الضحاك بن مزاحم قال: نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة: «إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِنَاتِ» الآية.
* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عائشة خاصة.
* وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: رُميت بما رميتُ وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك فبينا رسول الله ﷺ عندي إذ أوحي إليه... ثم استوى جالسًا فمسح وجهه وقال: يا عائشة أبشري فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: «إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِنَاتِ» حتى بلغ: «أولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ».

(١) أسباب نزول الآية ٢٦ : وأخرج الطبراني بسندٍ رجالُه ثقاتٌ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : «الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ» الآية. قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرّأها الله من ذلك.
* وأخرج الطبراني بسندين فيهما ضعف عن ابن عباس قال: نزلت «الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ» الآية، للذين قالوا في زوج النّبي ﷺ ما قالوا من البهتان.
* وأخرج الطبراني عن الحكم بن عتبة. قال: لما خاض النّاس في أمر عائشة أرسل رسول الله ﷺ إلى عائشة، فقال: يا عائشة ما يقول النّاس؟ فقالت: لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة النّور، ثمّ قرأ حتى بلغ: «الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ» الآية، مرسل صحيح الإسناد.

٢٧ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) أي تستأذنوا (وتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل كما ورد في الحديث (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الذال خيريته فتعملوا به [1].

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور :٢٨]

٢٨ - (فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا) يأذن لكم (فلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وإن قِيلَ لَكُمْ) بعد الاستئذان (ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ) أي الرجوع (أَزْكَى) أي خير (لَكُمْ) من القعود على الباب (واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الدخول بإذن وغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور :٢٩]

٢٩ - (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ) أي منفعة (لَكُمْ) باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون (ومَا تَكْتُمُونَ) تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور :٣٠]

٣٠ - (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) عما لايحل لهم نظره ومن زائدة (ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) عما لا يحل لهم فعله بها (ذَلِكَ أَزْكَى) أي خير (لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور :٣١]

٣١ - (وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما لايحل لهن نظره (ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لا يحل لهن فعله بها (ولا يُبْدِينَ) يظهرن (زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع (ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين (إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعل أي زوج (أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ما ملكت أيمانهن العبيد (أَوِ التَّابِعِينَ) في فضول الطعام (غَيْرِ) بالجر صفة والنصب استثناء (أُوْلِي الإِرْبَةِ) أصحاب الحاجة إلى النساء (مِنَ الرِّجَالِ) بأن لم ينتشر ذكر كل (أَوِ الطِّفْلِ) بمعنى الأطفال

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: أخرج الفريابي وابن جرير عن عدي بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحبُّ أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل عليَّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف صنع؟ فنزلت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بيوتِكُم حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا» الآية.

*وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر، يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة، والمدينة، والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان؟ فنزلت: «لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ».

(الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) يطلعوا (عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا بين السرة والركبة (ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ) من خلخال يتقعقع (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفي الآية تغليب الذكور على الإناث

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور :٣٢]

٣٢ - (وأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ) جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر (والصَّالِحِينَ) أي المؤمنين (مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ) وعباد من جموع عبد (إن يَكُونُوا) أي الأحرار (فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ) بالتزوج (مِن فَضْلِهِ واللَّهُ واسِعٌ) لخلقه (عَلِيمٌ) بهم

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور :٣٣]

٣٣ - (ولْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا) أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ) يوسع عليهم (مِن فَضْلِهِ) فينكحوا (والَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ) بمعنى المكاتبة (مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (فَكَاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة وصيغتها مثلا كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فإذا أديتهما فأنت حر فيقول قبلت (وآتُوهُم) أمر للسادة (مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم (ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ) إماءكم (عَلَى البِغَاءِ) أي الزنا و(إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) تعففا عنه وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط (لِّتَبْتَغُوا) بالإكراه (عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) نزلت في عبد الله بن أبي كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (ومَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ) لهن (رَّحِيمٌ) بهن [١].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور :٣٤]

٣٤ - (ولَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرها في هذه السورة بين فيها ما ذكر أو تبينه (ومَثَلًا) خبرا عجيبا وهو خبر عائشة (مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ) أي من جنس أمثالهم أي

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣١:** وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا أنّ جابر بن عبد الله، حدّث أنّ أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها، فجعل النّساء يدخلن عليها غير متأزّرات فيبدو ما في أرجلهن، يعني: الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء : ما أقبح هذا ! فأنزل الله في ذلك: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن حضرمي: أنّ امرأة اتخذت بُرّتين من فضة واتخذت جزعًا، فمرّت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلخال على الجزع فصوّت، فأنزل الله: «وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ٣٣:** أخرج ابن السكن في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكا لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتاب فأبى فنزلت: «وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ» الآية.

* قوله تعالى: «ولا تكرهوا فتياتكم عَلَى الْبِغَآءِ» الآية.
* أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أبيّ يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئًا، فأنزل الله: «وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ» الآية.
* وأخرج أيضًا من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبيّ يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى النّبي ﷺ فأنزل الله: «وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ» الآية.
* وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: جاءت مسيكة لبعض الأنصار، فقالت: إنّ سيدي يُكرهني على البغاء فنزلت: «وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاء» الآية.
* وأخرج البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله بن أبيّ جارية تزني في الجاهلية فلمّا حُرِّم الزّنا قالت: لا والله لا أزني أبدًا، فنزلت: «وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ».
* وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس نحوه وسمى الجارية معاذة.
* وأخرج سعيد بن منصور عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أنّ عبد الله بن أبيّ كانت له أمتان: مسيكة، ومعاذة، فكان يكرههما على الزّنا، فقالت إحداهما: إنْ كان خيرًا فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنّه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله: «وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ» الآية.

أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) في قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا إذ سمعتموه الخ يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور :٣٥]

٣٥ - (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) أي منورهما بالشمس والقمر (مَثَلُ نُورِهِ) أي صفته في قلب المؤمن (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) هي القنديل والمصباح السراج أي الفتيلة الموقودة والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا) والنور فيها (كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعها الظلام وبضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر اللؤلؤ (يُوقَدُ) المصباح بالماضي وفي قراءة بمضارع أوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفي أخرى توقد بالفوقانية أي الزجاجة (مِن) زيت (شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) لصفائه (نُّورٌ) به (عَلَى نُورٍ) بالنار ونور الله أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمان (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ) أي لدين الإسلام (مَن يَشَاءُ ويَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) تقريبا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه ضرب الأمثال

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [النور :٣٦]

٣٦ - (فِي بُيُوتٍ) متعلق بيسبح الآتي (أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ) تعظم (ويُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) بتوحيده (يُسَبِّحُ) بفتح الموحدة وكسرها أي يصلي (لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ) مصدر بمعنى الغدوات أي البكر (والآصَالِ) العشايا من بعد الزوال

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور :٣٧]

٣٧ - (رِجَالٌ) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه (لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ) أي شراء (ولا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلاةِ) حذف هاء إقامة تخفيف (وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ) تضطرب (فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصَارُ) من الخوف القلوب بين النجاة والهلاك والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور :٣٨]

٣٨ - (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أي ثوابه وأحسن بمعنى حسن (ويَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ واللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقال فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور :٣٩]

٣٩ - (والَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) جمع قاع أي فلاة وهي شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري (يَحْسَبُهُ) يظنه (الظَّمْآنُ) أي العطشان (مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه (ووَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ) أي عند عمله (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) أي جازاه عليه في الدنيا (واللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ) أي المجازاة

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور :٤٠]

٤٠ - (أَوْ) الذين كفروا أعمالهم السيئة (كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ) عميق (يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن

فَوْقِهِ) أي الموج (مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ) أي الموج الثاني (سَحَابٌ) أي غيم هذه (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب (إِذَا أَخْرَجَ) الناظر (يَدَهُ) في هذه الظلمات (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) أي لم يقرب من رؤيتها (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) أي من لم يهده الله لم يهتد

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور :٤١]

٤١ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومن التسبيح صلاة (وَالطَّيْرُ) جمع طائر بين السماء والأرض (صَافَّاتٍ) حال باسطات أجنحتهن (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ) الله (صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيه تغليب العاقل

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور :٤٢]

٤٢ - (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور :٤٣]

٤٣ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) يسوقه برفق (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) مخارجه (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن) زائدة (جِبَالٍ فِيهَا) في السماء بدل باعادة الجار (مِن بَرَدٍ) أي بعضه (فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ) يقرب (يَكَادُ سَنَا) لمعانه (بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) الناظرة له أي أنه يخطفها

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور :٤٤]

٤٤ - (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أي يأتي بكل منهما بدل الآخر (إِنَّ فِي ذَلِكَ) التقليب (لَعِبْرَةً) دلالة (لِأُولِي الْأَبْصَارِ) لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور :٤٥]

٤٥ - (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) أي حيوان (مِّن مَّاءٍ) أي نطفة (فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ) كالحيات والهوام (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ) كالإنسان والطير (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) كالبهائم والأنعام (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور :٤٦]

٤٦ - (لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ) أي بينات هي القرآن (وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُّسْتَقِيمٍ) أي دين الإسلام

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور :٤٧]

٤٧ - (وَيَقُولُونَ) أي المنافقون (آمَنَّا) صدقنا (بِاللَّهِ) بتوحيده (وَبِالرَّسُولِ) محمد (وَأَطَعْنَا) هما فيما حكما به (ثُمَّ يَتَوَلَّى) يعرض (فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ) عنه (وَمَا أُولَئِكَ) المعرضون (بِالْمُؤْمِنِينَ) المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور :٤٨]

٤٨ - (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنهم (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ) عن المجيء إليه (١) .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٤٨** : أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل خصومة أو منازعة فدعي إلى النبي ﷺ وهو محقٌّ أذعن ، وعلم أنَّ النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أنْ يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض فقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله: «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» الآية.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور :٤٩]

٤٩ - (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) مسرعين طائعين

﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [النور :٥٠]

٥٠ - (أفي قلوبهم مرض) كفر (أم ارتابوا) أي شكوا في نبوته (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكم أي فيظلموا فيه لا (بل أولئك هم الظالمون) بالإعراض عنه

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور :٥١]

٥١ - (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) أي فالقول اللائق بهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) بالإجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور :٥٢]

٥٢ - (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله) يخافه (ويتقه) بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه (فأولئك هم الفائزون) بالجنة

﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور :٥٣]

٥٣ - (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غايتها (لئن أمرتهم) بالجهاد (ليخرجن قل) لهم (لا تقسموا طاعة معروفة) للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه (إن الله خبير بما تعملون) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور :٥٤]

٥٤ - (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا) عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم (فإنما عليه ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من طاعته (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي التبليغ البين

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور :٥٥]

٥٥ - (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) بدلا من الكفار (كما استخلف) بالبناء للفاعل والمفعول (الذين من قبلهم) من بني إسرائيل بدلا من الجبابرة (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكونها (وليبدلنهم) بالتخفيف والتشديد (من بعد خوفهم) من الكفار (أمنا) وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر وأثنى عليهم بقوله (يعبدونني لا يشركون بي شيئا) هو مستأنف في حكم التعليل (ومن كفر بعد ذلك) الإنعام منهم به (فأولئك هم الفاسقون) وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا .

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور :٥٦]

٥٦ - (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) أي رجاء الرحمة

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور :٥٧]

٥٧ - (لا تحسبن) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الذين كفروا معجزين) لنا (في

(١) **أسباب نزول الآية ٥٥**: أخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبي بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت: «وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ» الآية .

* وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء قال: فينا نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد.

الأرض) بأن يفوتونا (ومأواهم) مرجعهم (النار ولبئس المصير) المرجع هي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور :٥٨]

٥٨ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ) من الأحرار وعرفوا أمر النساء (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) في ثلاثة أوقات (مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ) أي وقت الظهر (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ) بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه : أي هي أوقات أو بالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ) أي المماليك والصبيان (جُنَاحٌ) في الدخول عليكم بغير استئذان (بَعْدَهُنَّ) أي بعد الأوقات الثلاثة هم (طَوَّافُونَ عَلَيْكُم) للخدمة (بَعْضُكُمْ) طائف (عَلَى بَعْضٍ) والجملة مؤكدة لما قبلها (كَذَلِكَ) كما بين ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) أي الأحكام (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأمور خلقه (حَكِيمٌ) بما دبره لهم وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[النور :٥٩]

٥٩ - (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمْ) أيها الأحرار (الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) في جميع الأوقات (كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أي الأحرار الكبار (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[النور :٦٠]

٦٠ - (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لذلك (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ) مظهرات (بِزِينَةٍ) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ) بأن لا يضعنها (خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بما في قلوبكم

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور :٦١]

٦١ - (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) في مؤاكلة مقابليهم (ولا) حرج (عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ) بيوت أولادكم (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ) خزنتموه لغيركم (أَوْ صَدِيقِكُمْ) وهو من صدقكم في مودته المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا أي إذا علم رضاهم به (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا) مجتمعين (أَوْ أَشْتَاتًا) متفرقين جمع شت فيمن تحرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا) لكم لا أهل بها (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ) قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم (تَحِيَّةً)

مصدر حيا (مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً) يثاب عليها (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ) أي يفصل لكم معالم دينكم (لَعَلَّكُمْ تعْقِلُونَ) لكي تفهموا ذلك[1].

(١) **أسباب نزول الآية ٦١ :** قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والأعرج والمريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته، فكانت الزَّمنى يتحرَّجون من ذلك يقولون: إنَّما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رُخصةً لهم: «لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله: «يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ»، فقال المسلمون: إنَّ الله قد نهانا أَنْ نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الأموال فلا يحلُّ لأحدٍ منَّا أن يأكل عند أحدٍ فكفَّ النَّاس عن ذلك، فنزل: «لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ» إلى قوله: «أو مَا مَلَكْتُم مَفَاتِحَهُ» الآية.

* وأخرج عن الضَّحاك قال: كان أَهل المدينة قبل أَن يُبعث النَّبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج لأنَّ الأعمى لا يبصر طيب الطعام ، والمريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت رخصة في مؤاكلتهم.

* وأخرج عن مقسم قال: «كانوا يتَّقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج» فنزلت .

* وأخرج الثَّعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: خرج الحارث غازيًا مع رسول الله ﷺ فخلف على أهله خالد بن زيد فحرج أَنْ يأكل من طعامهم وكان مجهودًا فنزل قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» الآية.

* أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النَّفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى زَمْنَاهم ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أَنْ تأكلوا مما أحببتم، وكانوا يقولون: إنَّه لا يحل لنا إنَّهم أذنوا عن غير طيب نفس ، فأنزل الله: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» إلى قوله: «أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ».

* وأخرج ابن جرير عن الزُّهري أنَّه سُئل عن قوله: «لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ» ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هنا؟ فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال: إنَّ المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زَمْناهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون: قد أحللنا لكم أَن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرَّجون من ذلك، ويقولون لا ندخلها وهم غُيَّب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم.

* وأخرج عن قتادة قال: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا» في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه.

* وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قالا: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضَّيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فنزلت رخصةً لهم.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
[النور :٦٢]

٦٢ - (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وإِذَا كَانُوا مَعَهُ) الرسول (عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) كخطبة الجمعة (لَّمْ يَذْهَبُوا) لعروض عذر لهم (حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ورَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أمرهم (فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ) بالانصراف (واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1] .

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور :٦٣]

٦٣ - (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا) بأن تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا) أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء وقد للتحقيق (فَلْيَحْذَرِ الَذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أي الله أو الرسول (أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) بلاء (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة[2] .

(١) **أسباب نزول الآية ٦٢ :** أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من رومة بئر بالمدينة، قائدها أبو سفيان وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمى إلى جانب أحد، وجاءَ رسولَ الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه، وعمل المسلمون فيه، وأبطأ رجال من المنافقين، وجعلوا يأتون بالضَّعيف من العمل، فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرَّجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بدَّ منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذنُ له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: «إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَإذا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ» إلى قوله: «وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم».

(٢) **أسباب نزول الآية ٦٣ :** أخرج أبو نعيم في الدلائل من

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النور :٦٤]

٦٤ - (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ) أيها المكلفون (عَلَيْهِ) من الإيمان والنفاق ويعلم (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) فيه التفات عن الخطاب أي متى يكون (فَيُنَبِّئُهُم) فيه (بِمَا عَمِلُوا) من الخير والشر (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أعمالهم وغيرهم (عَلِيمٌ)

* * *

٢٥- سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨، ٦٩، ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ سبعة وسبعون آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان :١]

١ - (تَبَارَكَ) تعالى (الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ) القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل (عَلَى عَبْدِهِ) محمد (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) أي الإنس والجن دون الملائكة (نَذِيرًا) مخوفا من عذاب الله

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا﴾ [الفرقان :٢]

٢ - (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ولَمْ يَتَّخِذْ ولَدًا ولَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) سواه تسوية

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان :٣]

٣ - (واتَّخَذُوا) أي الكفار (مِن دُونِهِ) أي الله أي غيره (آلِهَةً) هي الأصنام (لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وهُمْ يُخْلَقُونَ ولا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرًّا) أي دفعه (ولا نَفْعًا) أي جره (ولا يَمْلِكُونَ مَوْتًا ولا حَيَاةً) أي إماتة لأحد ولا إحياء لأحد (ولا نُشُورًا) أي بعثا للأموات

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ [الفرقان :٤]

٤ - (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا) ما القرآن (إِلاَّ إِفْكٌ) كذب (افْتَرَاهُ) محمد (وأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) وهم من أهل الكتاب قال تعالى (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وزُورًا) كفرا وكذبا أي بهما

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان :٥]

٥ - (وقَالُوا) أيضا هو (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم (اكْتَتَبَهَا) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فَهِيَ تُمْلَى) تقرأ (عَلَيْهِ) ليحفظها (بُكْرَةً وأَصِيلاً) غدوة وعشية قال تعالى ردا عليهم

﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان :٦]

٦ - (قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ) الغيب (فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا) للمؤمنين (رَّحِيمًا) بهم

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان :٧]

٧ - (وقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ويَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا) هلا (أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) يصدقه

﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ [الفرقان :٨]

٨ - (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ) من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش (أَوْ

---

١ طريق الضَّحاك عن ابن عباس قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: «لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا». فقالوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله.

تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (يَأْكُلُ مِنْهَا) أي من أثمارها فيكتفي بها وفي قراءة نأكل بالنون أي نحن فيكون له مزية علينا بها (وقَالَ الظَّالِمُونَ) أي الكافرون للمؤمنين (إن) ما (تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا) مخدوعا مغلوبا على عقله

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان :٩]

٩ - (انظُرْ كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ) بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر (فَضَلُّوا) بذلك عن الهدى (فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) طريقا إليه

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان :١٠]

١٠ - (تَبَارَكَ) تكاثر خير الله (الَّذِي إن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ) الذي قالوه من الكنز والبستان (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهارُ) أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة (ويَجْعَل) بالجزم وفي قراءة بالرفع استئنافا (لَّكَ قُصُورًا) أيضا

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان :١١]

١١ - (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) القيامة (وأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) نارا مسعرة أي مشتدة

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان :١٢]

١٢ - (إذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا) غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزَفِيرًا) صوتا شديدا وسماع التغيظ رؤيته وعلمه.

٢٥- سورة الفرقان

(١) أسباب نزول الآية ١٠: أخرج ابن أبي شيبة في المصنَّف، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن خيثمة قال: «قيل للنبي ﷺ: إنْ شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها، لا ينقصكَ ذلك عندنا شيئًا في الآخرة، وإنْ شئت جمعتهما لك في الآخرة قال: بل اجمعهما لي في الآخرة فنزلت: «تَبَارَكَ الَّذِي إنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ» الآية».

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان :١٣]

١٣ - (وإذَا أُلْقُوا مِنهَا مَكَانًا ضَيِّقًا) بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لأنه في الأصل صفة له (مُّقَرَّنِينَ) مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال والتشديد للتكثير (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) هلاكا فيقال لهم

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان :١٤]

١٤ - (لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورًا واحِدًا وادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) كعذابكم

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان :١٥]

١٥ - (قُلْ أَذَلِكَ) المذكور من الوعيد وصفة النار (خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتِي وعِدَ) ها (المُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ) في علمه تعالى (جَزَاءً) ثوابا (ومَصِيرًا) مرجعا

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان :١٦]

١٦ - (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ) حال لازمة (كَانَ) وعدهم ما ذكر (عَلَى رَبِّكَ وعْدًا مَّسْئُولاً) يسأله من وعد به ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان :١٧]

١٧ - (ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) بالنون والتحتانية (ومَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الملائكة وعيسى وعزيز والجن (فَيَقُولُ) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتا للحجة على العابدين (أأَنتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ) أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم (أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) طريق الحق بأنفسهم.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان :١٨]

١٨ - (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عما لا يليق بك (مَا كَانَ يَنبَغِي) يستقيم (لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ) أي غيرك (مِنْ أَوْلِيَاءَ) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا (ولَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وآبَاءَهُمْ) من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق (حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ) تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن (وكَانُوا قَوْمًا بُورًا) هلكى

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان :١٩]

١٩ - (فَقَدْ كَذَّبُوكُم) أي كذب المعبودون العابدين (بِمَا تَقُولُونَ) بالفوقانية أنهم آلهة (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ) بالتحتانية والفوقانية أي لاهم ولا أنتم (صَرْفًا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نَصْرًا) منعا لكم منه (ومَن يَظْلِم) يشرك (مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) شديدا في الآخرة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان :٢٠]

٢٠ - (ومَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ويَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ) فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) بلية ابتلي الغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثاني في كل مالي لا أكون كالأول في كل (أَتَصْبِرُونَ) على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا (وكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمن يصبر وبمن يجزع[1] .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان :٢١]

٢١ - (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يخافون البعث (لَوْلا) هلا (أُنزِلَ عَلَيْنَا المَلائِكَةُ) فكانوا رسلا إلينا (أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا) فنخبر بأن محمدا رسوله قال تعالى (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا) تكبروا (فِي) شأن (أَنفُسِهِمْ وعَتَوْا) طغوا (عُتُوًّا كَبِيرًا) بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتى بالإبدال في مريم

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان :٢٢]

٢٢ - (يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ) في جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه بـ اذكر مقدرا (لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ) أي الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (ويَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا) على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة أي عوذا معاذا يستعيذون من الملائكة

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان :٢٣]

٢٣ - (وقَدِمْنَا) عمدنا (إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق أي مثله في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان :٢٤]

٢٤ - (أصحاب الجنة) يوم القيامة (خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا) من الكافرين في الدنيا (وأَحْسَنُ مَقِيلاً) منهم أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في الحديث

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٠:** وأخرج الواحدي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: لمَّا عيَّر المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة، وقالوا: ما لهذا الرَّسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ حزن رسول الله ﷺ، فنزلت: «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ المُرْسَلِينَ إلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ» الآية.

* وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس:

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان :٢٥]

٢٥ - (ويَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ) أي كل سماء (بِالْغَمَامِ) أي معه وهو غيم أبيض (ونُزِّلَ المَلائِكَةُ) من كل سماء (تَنزِيلاً) هو يوم القيامة ونصبه بـ اذكر مقدرا وفي قراءة بتشديد شين تشقق بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها وفي أخرى ننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان :٢٦]

٢٦ - (المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ) لا يشركه فيه أحد (وكَانَ) اليوم (يَوْمًا عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيرًا) بخلاف المؤمنين

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان :٢٧]

٢٧ - (ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ) المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي بن خلف (عَلَى يَدَيْهِ) ندما وتحسرا في يوم القيامة (يَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ) محمد (سَبِيلاً) طريقا إلى الهدى

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان :٢٨]

٢٨ - (يَا ويْلَتَى) ألفه عوض عن ياء الإضافة أي ويلتي ومعناه هلكتي (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا) أي أبيا (خَلِيلاً)

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان :٢٩]

٢٩ - (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ) أي القرآن (بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) بأن ردني عن الإيمان به قال تعالى (وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ) الكافر (خَذُولاً) بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان :٣٠]

٣٠ - (وقَالَ الرَّسُولُ) محمد (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي) قريشا (اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُورًا) متروكا

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان :٣١]

٣١ - (وكَذَلِكَ) كما جعلنا عدوا من مشركي قومك (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ) قبلك (عَدُوًّا مِّنَ المُجْرِمِينَ) المشركين فاصبر كما صبروا (وكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا) لك (ونَصِيرًا) ناصرا لك على أعدائك

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان :٣٢]

٣٢ - (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا) هلا (نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً) كالتوراة والإنجيل والزبور قال تعالى نزلناه (كَذَلِكَ) أي متفرقا (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) نقوي قلبك (ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) أتينا به شيئا فشيئا بتمهل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان :٣٣]

٣٣ - (ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) في إبطال أمرك (إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) الدافع له (وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) بيانا لهم

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان :٣٤]

٣٤ - (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وجُوهِهِمْ) أي يساقون (إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا) هو جهنم (وأَضَلُّ سَبِيلاً) أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان :٣٥]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٧**: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبيّ بن خلف يحضر النبيَّ ﷺ فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» إلى قوله: «خَذُولا».

* وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم.

(١) **أسباب نزول الآية ٣٢**: وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم، وصحّحه، والضياء في المختارة، عن ابن عباس قال: قال المشركون: إنْ كان محمد كما يزعم نبيًا فلِمَ يعذّبه ربُّه؟ ألا يُنزل عليه القرآن جملةً واحدةً، ينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً».

٣٥ - (ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ) التوراة (وجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وزِيرًا) معينا

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان :٣٦]

٣٦ - (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى القَوْمِ الَذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أي القبط فرعون وقومه فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما (فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) أهلكناهم إهلاكا

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان :٣٧]

٣٧ - واذكر (وقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكأنه رسل أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد (أَغْرَقْنَاهُمْ) جواب لما (وجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ) بعدهم (آيَةً) عبرة (وأَعْتَدْنَا) في الآخرة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما سوى ما يحل بهم في الدنيا

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان :٣٨]

٣٨ - واذكر (وعَادًا) قوم هود (وثَمُودَ) قوم صالح (وأَصْحَابَ الرَّسِّ) اسم بئر ونبيهم قيل شعيب وقيل غيره كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم (وقُرُونًا) أقواما (بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) أي بين عاد وأصحاب الرس

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان :٣٩]

٣٩ - (وكُلاً ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ) في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار (وكُلاً تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) أهلكنا إهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان :٤٠]

٤٠ - (ولَقَدْ أَتَوْا) أي مر كفار مكة (عَلَى القَرْيَةِ الَتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) في سفرهم إلى الشام فيعتبروا والاستفهام للتقرير (بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ) يخافون (نُشُورًا) بعثا فلا يؤمنون

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان :٤١]

٤١ - (وإِذَا رَأَوْكَ إِن) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا) مهزوؤا به يقولون (أَهَذَا الَذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً) في دعواه محتقرين له عن الرسالة

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان :٤٢]

٤٢ - (إن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه (كَادَ لَيُضِلُّنَا) يصرفنا (عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا) لصرفنا عنها قال تعالى (وسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ) عيانا في الآخرة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً) أخطأ طريقا أهم أم المؤمنين

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان :٤٣]

٤٣ - (أَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أي مهويه قدم المفعول الثاني لأنه أهم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثاني (أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وكِيلاً) حافظا تحفظه عن اتباع هواه لا

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان :٤٤]

٤٤ - (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ) سماع تفهم (أَوْ يَعْقِلُونَ) ما تقول لهم (إِنْ) ما (هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) أخطأطريقا منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان :٤٥]

٤٥ - (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى) فعل (رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس (ولَوْ شَاءَ) ربك (لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) مقيما لا

يزول بطلوع الشمس (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ) أي الظل (دَلِيلاً) فلولا الشمس ما عرف الظل

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان :٤٦]

٤٦ - (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) أي الظل الممدود (إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) خفيا بطلوع الشمس

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان :٤٧]

٤٧ - (وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساترا كاللباس (والنَّوْمَ سُبَاتًا) راحة للأبدان بقطع الأعمال (وجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان :٤٨]

٤٨ - (وهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وفي قراءة الريح (بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا وفي أخرى بسكونها ونون مفتوحة مصدر وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرات ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير (وأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) مطهرا

﴿لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان :٤٩]

٤٩ - (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (ونُسْقِيَهُ) أي الماء (مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا) إبلا وبقرا وغنما (وأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع أنسي

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان :٥٠]

٥٠ - (ولَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) أي الماء (بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) أصله يتذكروا أدغمت التاء في الدال وفي قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا) جحودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾

٥١ - (ولَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان :٥٢]

٥٢ - (فَلا تُطِعِ الكَافِرِينَ) في هواهم (وجَاهِدْهُم بِهِ) أي القرآن (جِهَادًا كَبِيرًا)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان :٥٣]

٥٣ - (وهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنِ) أرسلهما متجاورين (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (وهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر (وحِجْرًا مَحْجُورًا) أي سترا ممنوعا به اختلاطهما

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان :٥٤]

٥٤ - (وهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرًا) من المني إنسانا (فَجَعَلَهُ نَسَبًا) ذا نسب (وصِهْرًا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل (وكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) قادرا على ما يشاء

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان :٥٥]

٥٥ - (ويَعْبُدُونَ) أي الكفار (مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ) بعبادته (ولا يَضُرُّهُمْ) بتركها وهو الأصنام (وكَانَ الكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) معينا للشيطان بطاعته

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان :٥٦]

٥٦ - (ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا) بالجنة (ونَذِيرًا) مخوفا من النار

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان :٥٧]

٥٧ - (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أي على تبليغ ما أرسلت به (مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ) لكن (مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) طريقا بإنفاق ماله في مرضاته تعالى

فلا أمنعه من ذلك

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان :٥٨]

٥٨ - (وتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وسَبِّحْ) متلبسا (بِحَمْدِهِ) أي قل سبحان الله والحمد لله (وكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) عالما تعلق به بذنوب

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان :٥٩]

٥٩ - هو (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أي قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ) هو في اللغة سرير الملك (الرَّحْمَنُ) بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به (فَاسْئَلْ) أيها الإنسان (بِهِ) بالرحمن (خَبِيرًا) يخبرك بصفاته

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان :٦٠]

٦٠ - (وإذَا قِيلَ لَهُمْ) لكفار مكة (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا ومَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه لا (وزَادَهُمْ) هذا القول (نُفُورًا) عن الإيمان

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان :٦١]

٦١ - (تَبَارَكَ) تعاظم (الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) إثني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الأسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو (وجَعَلَ فِيهَا) أيضا (سِرَاجًا) هو الشمس (وقَمَرًا مُنِيرًا) وفي قراءة سرجا بالجمع أي نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلته

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان :٦٢]

٦٢ - (وهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً) أي يخلف كل منهما الآخر (لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ) بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) أي شكرا لنعمة ربه عليه فيهما

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان :٦٣]

٦٣ - (وعِبَادُ الرَّحْمَنِ) مبتدأ وما بعده صفات له إلى «أولئك يجزون» غير المعترض فيه (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) أي بسكينة وتواضع (وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ) بما يكرهونه (قَالُوا سَلامًا) أي قولا يسلمون فيه من الإثم

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان :٦٤]

٦٤ - (والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا) جمع ساجد (وقِيَامًا) بمعنى قائمين أي يصلون الليل

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان :٦٥]

٦٥ - (والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) لازما

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان :٦٦]

٦٦ - (إنَّهَا سَاءَتْ) بئست (مُسْتَقَرًّا ومُقَامًا) هي أي موضع استقرار وإقامة

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان :٦٧]

٦٧ - (والَّذِينَ إذَا أَنفَقُوا) على عيالهم (لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا) بفتح أوله وضمه أي يضيقوا (وكَانَ) إنفاقهم (بَيْنَ ذَلِكَ) الإسراف والإقتار (قَوَامًا) وسطا

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان :٦٨]

٦٨ - (والَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) قتلها (إِلاَّ بِالْحَقِّ ولا يَزْنُونَ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ) أي واحدا من الثلاثة (يَلْقَ أَثَامًا) أي عقوبة [1].

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾

٦٩ - (يُضَاعَفْ) وفي قراءة يضعف بالتشديد (لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ ويَخْلُدْ فِيهِ) بجزم الفعلين بدلا ويرفعهما استئنافا (مُهَانًا) حال

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان :٧٠]

٧٠ - (إلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا) منهم (فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ) المذكورة (حَسَنَاتٍ) في الآخرة (وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) أي لم يزل متصفا بذلك

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان :٧١]

٧١ - (ومَن تَابَ) من ذنوبه من غير من ذكر (وعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان :٧٢]

٧٢ - (والَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أي الكذب والباطل (وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) من الكلام القبيح وغيره (مَرُّوا كِرَامًا) معرضين عنه

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان :٧٣]

٧٣ - (والَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) أي القرآن (لَمْ يَخِرُّوا) يسقطوا (عَلَيْهَا صُمًّا وعُمْيَانًا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان :٧٤]

٧٤ - (والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا) بالجمع والإفراد (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) لنا بأن نراهم مطيعين لك (واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) في الخير

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان :٧٥]

٧٥ - (أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ) الدرجة العليا في الجنة (بِمَا صَبَرُوا) على طاعة الله (ويُلَقَّوْنَ) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فِيهَا) في الغرفة (تَحِيَّةً وسَلامًا) من الملائكة

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان :٧٦]

٧٦ - (خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَامًا) موضع إقامة لهم وأولئك وما بعده خبر «عباد الرحمن» المبتدأ

﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [الفرقان: ٧٧]

٧٧ - (قُلْ) يا محمد لأهل مكة (مَا) نافية (يَعْبَأُ) يكترث (بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ) إياه في الشدائد فيكشفها (فَقَدْ) أي فكيف يعبأ بكم وقد (كَذَّبْتُمْ) الرسول والقرآن (فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازما لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون وجواب لولا دل عليه ما قبلها.

---

(١) **أسباب نزول الآية ٦٨**: وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أيّ الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، قلت: ثمَّ أيّ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يُطْعَمَ معك، قلت: ثمَّ أيّ؟ قال: أن تُزاني حليلة جارك، فأنزل الله تصديقها: «وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهِ إلاَّ بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ».

* وأخرج الشيخان عن ابن عباس: أنّ ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثمَّ أتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفّارة، فنزلت: «وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلهًا آخَرَ» إلى قوله: «غَفُورًا رَحِيمًا» ونزل: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ٧٠**: وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان: «وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ» الآية. قال مشركو أهل مكة: «قد قتلنا النَّفس بغير حق وَدعونا مع الله إلهًا آخَرَ وأتَيْنَا الفواحش، فنزلت: «إلاَّ مَنْ تَابَ» الآية.

* * *

٢٦- سورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء :١]

١ - (طسم) الله أعلم بمراده بذلك

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء :٢]

٢ - (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (المُبِينِ) المظهر الحق من الباطل

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :٣]

٣ - (لَعَلَّكَ) يا محمد (بَاخِعٌ نَّفْسَكَ) قاتلها غما من أجل (أَلاَّ يَكُونُوا) أي أهل مكة (مُؤْمِنِينَ) ولعل هنا للاشفاق أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغم

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء :٤]

٤ - (إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ) بمعنى المضارع أي تظل أي تدوم (أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) فيؤمنون ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء :٥]

٥ - (ومَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ) قرآن (مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ) صفة كاشفة (إلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ)

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء :٦]

٦ - (فَقَدْ كَذَّبُوا) به (فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ) عواقب (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء :٧]

٧ - (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى) ينظروا (الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن) أي كثيرا (كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) نوع حسن

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :٨]

٨ - (إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) دلالة على كمال قدرته تعالى (ومَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) في علم الله وكان قال سيبويه زائدة

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :٩]

٩ - (وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرَّحِيمُ) يرحم المؤمنين

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء :١٠]

١٠ - (و) اذكر يا محمد لقومك (إذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى) ليلة رأى النار والشجرة (أَنِ) أي بأن (ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ) رسولا

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء :١١]

١١ - (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم (أَلا) الهمزة للاستفهام الإنكاري (يَتَّقُونَ) الله بطاعته فيوحدوه

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء :١٢]

١٢ - (قَالَ) موسى (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ)

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الشعراء :١٣]

١٣ - (ويَضِيقُ صَدْرِي) من تكذيبهم لي (ولا يَنطَلِقُ لِسَانِي) بأداء الرسالة للعقدة التي فيه (فَأَرْسِلْ إِلَى) أخي (هَرُونَ) معي

﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء :١٤]

١٤ - (ولَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) بقتل القبطي منهم (فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) به

﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء :١٥]

١٥ - (قَالَ) تعالى (كَلاَّ) لا يقتلونك (فَاذْهَبَا) أنت وأخوك ففيه تغليب الحاضر على الغائب

(بآياتنا إِنَّا مَعَكُم مُستَمِعُونَ) ما تقولون وما يقال لكم أجريا مجرى الجماعة

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء :١٦]

١٦ - (فَأْتِيَا فِرعَوْنَ فَقُولا إِنَّا) أي كلا منا (رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ) إليك

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء :١٧]

١٧ - (أَنْ) أي بأن (أَرسِلْ مَعَنَا) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) فأتياه فقالا له ما ذكر

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء :١٨]

١٨ - (قَالَ) فرعون لموسى (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا) في منازلنا (وَلِيدًا) صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء :١٩]

١٩ - (وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ) هي قتله القبطي (وَأَنتَ مِنَ الكَافِرِينَ) الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء :٢٠]

٢٠ - (قَالَ) موسى (فَعَلْتُهَا إِذًا) حينئذ (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) عما آتاني الله من بعدها من العلم والرسالة

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء :٢١]

٢١ - (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا) وعلما (وجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ)

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

٢٢ - (وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) أصله تمن بها علي (أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بيان لتلك أي اتخذتهم عبيدا ولم تستعبدني لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء :٢٣]

٢٣ - (قَالَ فِرْعَوْنُ) لموسى (ومَا رَبُّ العَالَمِينَ) الذي قلت إنك رسوله أي أي شيء هو ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء :٢٤]

٢٤ - (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا) أي خالق ذلك (إن كُنتُم مُوقِنِينَ) بأنه تعالى خلقه فآمنوا به وحده

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء :٢٥]

٢٥ - (قَالَ) فرعون (لِمَنْ حَوْلَهُ) من أشراف قومه (أَلا تَسْتَمِعُونَ) جوابه الذي لم يطابق السؤال

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء :٢٦]

٢٦ - (قَالَ) موسى (رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) وهذا وإن كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء :٢٧]

٢٧ - (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء :٢٨]

٢٨ - (قَالَ) موسى (رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ومَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) أنه كذلك فآمنوا به وحده

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء :٢٩]

٢٩ - (قَالَ) فرعون لموسى (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء :٣٠]

٣٠ - (قَالَ) له موسى (أَوَ لَوْ) أي أتفعل ذلك

ولو (جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) برهان بين على رسالتي

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء :٣١]

٣١ - (قَالَ) فرعون له (فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء :٣٢]

٣٢ - (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) حية عظيمة

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء :٣٣]

٣٣ - (ونَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ) ذات شعاع (لِلنَّاظِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء :٣٤]

٣٤ - (قَالَ) فرعون (لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فائق في علم السحر

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء :٣٥]

٣٥ - (يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء :٣٦]

٣٦ - (قَالُوا أَرْجِهْ وأَخَاهُ) أخر أمرهما (وابْعَثْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء :٣٧]

٣٧ - (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) يفضل موسى في عالم السحر

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء :٣٨]

٣٨ - (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) وهو وقت الضحى من يوم الزينة

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء :٣٩]

٣٩ - (وقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ)

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء :٤٠]

٤٠ - (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء :٤١]

٤١ - (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ)

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء :٤٢]

٤٢ - (قَالَ نَعَمْ وإِنَّكُمْ إِذًا) حينئذ (لَّمِنَ المُقَرَّبِينَ)

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [الشعراء :٤٣]

٤٣ - (قَالَ لَهُم مُّوسَى) بعد ما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ) فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلا به إلى إظهار الحق

﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء :٤٤]

٤٤ - (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ وقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ)

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء :٤٥]

٤٥ - (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ) بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع (مَا يَأْفِكُونَ) يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الشعراء :٤٦]

٤٦ - (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ)

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء :٤٧]

٤٧ - (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ)

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء :٤٨]

٤٨ - (رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ) لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء :٤٩]

٤٩ - (قَالَ) فرعون (آمَنتُم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (لَهُ) لموسى (قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ما ينالكم مني (لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ) أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ولأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء :٥٠]

٥٠ - (قَالُوا لا ضَيْرَ) لا ضرر علينا في ذلك (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا) بعد موتنا بأي وجه كان (مُنقَلِبُونَ) راجعون في الآخرة

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَيَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :٥١]

٥١ - (إِنَّا نَطْمَعُ) نرجو (أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن) أي بأن (كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) في زماننا

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾

٥٢ - (وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى) بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عتوا (أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي) بني إسرائيل وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسر من سرى لغة في أسرى سر بهم ليلا إلى البحر (إِنَّكم مُّتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فانجيكم وأغرقهم

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَائِنِ حَشِرِينَ﴾ [الشعراء :٥٣]

٥٣ - (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ) حين أخبر بسيرهم (فِي الْمَدَائِنِ) قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية (حَاشِرِينَ) جامعين الجيش قائلا

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء :٥٤]

٥٤ - (إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ) طائفة (قَلِيلُونَ) قيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ [الشعراء :٥٥]

٥٥ - (وإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) فاعلون ما يغيظنا

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ [الشعراء :٥٦]

٥٦ - (وإِنَّا لَجمِيعٌ حَاذِرُونَ) مستعدون وفي قراءة حذرون متيقظون

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء :٥٧]

٥٧ - (فَأَخْرجْنَاهُم) أي فرعون وجنوده من مصر ليلحقوا موسى وقومه (مِّن جَنَّاتٍ) بساتين كانت على جانبي النيل (وعُيُونٍ) أنهار جارية في الدور من النيل

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء :٥٨]

٥٨ - (وكُنُوزٍ) أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لأنه لم يعط حق الله تعالى منها (ومَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَهَا بَنِى إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء :٥٩]

٥٩ - (كَذَلِكَ) أي إخراجنا كما وصفنا (وأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعد إغراق فرعون وقومه

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء :٦٠]

٦٠ - (فَأَتْبَعُوهُم) لحقوهم (مُّشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس

﴿فَلَمَّا تَرَءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾

٦١ - (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ) أي رأى كل منهما الآخر (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء :٦٢]

٦٢ - (قَالَ) موسى (كَلاَّ) أي لن يدركونا (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي) بنصره (سَيَهْدِينِ) طريق النجاة

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء :٦٣]

٦٣ - قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ) فضربه (فَانفَلَقَ) فانشق اثني عشر فرقا (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ) الجبل

الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ [الشعراء :٦٤]

٦٤ - (وأَزْلَفْنَا) قربنا (ثَمَّ) هناك (الآخَرِينَ) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء :٦٥]

٦٥ - (وأَنجَيْنَا مُوسَى ومَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ) بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ [الشعراء :٦٦]

٦٦ - (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ) فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :٦٧]

٦٧ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي إغراق فرعون وقومه (لآيَةً) عبرة لمن كان بعدهم (ومَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التي دلت على عظام يوسف عليه السلام

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :٦٨]

٦٨ - (وإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ) فانتقم من الكافرين بإغراقهم (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء :٦٩]

٦٩ - (واتْلُ عَلَيْهِمْ) أي كفار مكة (نَبَأَ) خبر (إبْرَاهِيمَ) ويبدل منه

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء :٧٠]

٧٠ - (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ)

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء :٧١]

٧١ - (قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) أي نقيم نهارا على عبادتها زادوه في الجواب افتخارا به

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء :٧٢]

٧٢ - (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ) حين (تَدْعُونَ)

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء :٧٣]

٧٣ - (أَوْ يَنفَعُونَكُمْ) إن عبدتموهم (أَوْ يَضُرُّونَ) كم إن لم تعبدوهم

﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء :٧٤]

٧٤ - (قَالُوا بَلْ وجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) مثل فعلنا

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء :٧٥]

٧٥ - (قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ)

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء :٧٦]

٧٦ - (أَنتُمْ وآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ)

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء :٧٧]

٧٧ - (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي) أي لا أعبدهم (إلاَّ) لكن (رَبَّ العَالَمِينَ) فإني أعبده

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء :٧٨]

٧٨ - (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) إلى الدين

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء :٧٩]

٧٩ - (والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي ويَسْقِينِ)

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء :٨٠]

٨٠ - (وإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء :٨١]

٨١ - (والَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء :٨٢]

٨٢ - (والَّذِي أَطْمَعُ) أرجو (أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء :٨٣]

٨٣ - (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) علما (وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) النبيين

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء :٨٤]

٨٤ - (واجعل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ) ثناء حسنا (فِي الآخِرِينَ) الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة

﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء :٨٥]

٨٥ - (واجعَلْني مِن ورثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم) أي ممن يعطاها

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء :٨٦]

٨٦ - (واغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) بأن تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة براءة

﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء :٨٧]

٨٧ - (ولا تُخْزِنِي) تفضحني (يَوْمَ يُبْعَثُونَ) أي الناس

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء :٨٨]

٨٨ - (يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ) أحدا

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء :٨٩]

٨٩ - (إلاَّ) لكن (مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم) من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء :٩٠]

٩٠ - (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) فيرونها

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء :٩١]

٩١ - (وبُرِّزَتِ الجَحِيمُ) أظهرت (لِلْغَاوِينَ) الكافرين

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء :٩٢]

٩٢ - (وقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُم تَعْبُدُونَ)

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء :٩٣]

٩٣ - (مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الأصنام (هَلْ يَنصُرُونَكُمْ) بدفع العذاب عنكم (أَوْ يَنتَصِرُونَ) بدفعه عن أنفسهم لا

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء :٩٤]

٩٤ - (فَكُبْكِبُوا) ألقوا (فِيهَا هُمْ والْغَاوُونَ)

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء :٩٥]

٩٥ - (وجُنُودُ إِبْلِيسَ) أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس (أَجْمَعُونَ)

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء :٩٦]

٩٦ - (قَالُوا) أي الغاوون (وهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) مع معبوديهم

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء :٩٧]

٩٧ - (تَاللَّهِ إِن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه (كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين

﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء :٩٨]

٩٨ - (إِذْ) حيث (نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ) في العبادة

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء :٩٩]

٩٩ - (ومَا أَضَلَّنَا) عن الهدى (إِلاَّ المُجْرِمُونَ) أي الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء :١٠٠]

١٠٠ - (فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ) كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء :١٠١]

١٠١ - (ولا صَدِيقٍ حَمِيم) أي يهمه أمرنا

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :١٠٢]

١٠٢ - (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) لو هنا للتمني ونكون جوابه

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :١٠٣]

١٠٣ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور من قصة إبراهيم وقومه (لآيَةً ومَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :١٠٤]

١٠٤ - (وإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ)

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء :١٠٥]

١٠٥ - (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المُرْسَلِينَ) بتكذيبهم

له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل وتأنيث قوم باعتبار معناه وتذكيره باعتبار لفظه

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء :١٠٦]

١٠٦ - (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ) نسبا (نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) الله

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء :١٠٧]

١٠٧ - (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على تبليغ ما أرسلت به

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١٠٨]

١٠٨ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به من توحيد الله وإطاعته

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء :١٠٩]

١٠٩ - (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغه (مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ) أي ثوابي (إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١١٠]

١١٠ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) كرره تأكيدا

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء :١١١]

١١١ - (قَالُوا أَنُؤْمِنُ) نصدق (لَكَ) لقولك (وَاتَّبَعَكَ) وفي قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ (الْأَرْذَلُونَ) السفلة كالحاكة والأساكفة

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء :١١٢]

١١٢ - (قَالَ وَمَا عِلْمِي) أي علم لي (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء :١١٣]

١١٣ - (إِنْ) ما (حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي) فيجازيهم (لَوْ تَشْعُرُونَ) تعلمون ذلك ما عبدتموهم

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :١١٤]

١١٤ - (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ)

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء :١١٥]

١١٥ - (إِنْ) ما (أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء :١١٦]

١١٦ - (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ) عما تقول لنا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) بالحجارة أو بالشتم

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء :١١٧]

١١٧ - (قَالَ) نوح (رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ)

﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :١١٨]

١١٨ - (فَافْتَحْ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ فَتْحًا) أي احكم (ونَجِّنِي ومَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء :١١٩]

١١٩ - (فَأَنجَيْنَاهُ ومَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) المملوء من الناس والحيوان والطير

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ [الشعراء :١٢٠]

١٢٠ - (ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ) أي بعد إنجائهم (الْبَاقِينَ) من قومه

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :١٢١]

١٢١ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ومَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :١٢٢]

١٢٢ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء :١٢٣]

١٢٣ - (كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء :١٢٤]

١٢٤ - (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ)

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء :١٢٥]

١٢٥ - (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١٢٦]

١٢٦ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ)

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء :١٢٧]

١٢٧ - (ومَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إنْ) ما (أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ)

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء :١٢٨]

١٢٨ - (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) مكان مرتفع (آيَةً) بناء علما للمارة (تَعْبَثُونَ) بمن يمر بكم وتسخرون منهم والجملة حال من ضمير تبنون

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء :١٢٩]

١٢٩ - (وتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) للماء تحت الأرض (لَعَلَّكُمْ) كأنكم (تَخْلُدُونَ) فيها لا تموتون

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء :١٣٠]

١٣٠ - (وإِذَا بَطَشْتُم) بضرب أو قتل (بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) من غير رأفة

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١٣١]

١٣١ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ) في ذلك (وأَطِيعُونِ) فيما أمرتكم به

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء :١٣٢]

١٣٢ - (واتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم) أنعم عليكم (بِمَا تَعْلَمُونَ)

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء :١٣٣]

١٣٣ - (أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وبَنِينَ)

﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء :١٣٤]

١٣٤ - (وجَنَّاتٍ) بساتين (وعُيُونٍ) أنهار

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٣٥ - (إنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) في الدنيا والآخرة إن عصيتموني

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء :١٣٦]

١٣٦ - (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا) مستو عندنا (أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الوَاعِظِينَ) أصلا أي لا نرعوي لوعظك

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء :١٣٧]

١٣٧ - (إنْ) ما (هَذَا) الذي خوفتنا به (إلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ) اختلاقهم وكذبهم وفي قراءة بضم الخاء واللام أي ما هذا الذي نحن عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعاداتهم

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء :١٣٨]

١٣٨ - (ومَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء :١٣٩]

١٣٩ - (فَكَذَّبُوهُ) بالعذاب (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) في الدنيا بالريح (إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ومَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :١٤٠]

١٤٠ - (وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء :١٤١]

١٤١ - (كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء :١٤٢]

١٤٢ - (إذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ)

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء :١٤٣]

١٤٣ - (إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١٤٤]

١٤٤ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ)

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

١٤٥ - (ومَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إنْ) ما (أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ)

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ [الشعراء :١٤٦]

١٤٦ - (أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا) من الخيرات (آمِنِينَ).

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ [الشعراء :١٤٧]

١٤٧- (فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ)

﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ [الشعراء :١٤٨]

١٤٨- (وزُرُوعٍ ونَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) لطيف لين

﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء :١٤٩]

١٤٩- (وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ) بطرين وفي قراءة فارهين حاذقين

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١٥٠]

١٥٠- (فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ) فيما أمرتكم به

﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الشعراء :١٥١]

١٥١- (ولا تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ)

﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء :١٥٢]

١٥٢- (الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) بالمعاصي (ولا يُصْلِحُونَ) بطاعة الله

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء :١٥٣]

١٥٣- (قَالُوا إنَّمَا أَنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء :١٥٤]

١٥٤- (مَا أَنتَ) أيضا (إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في رسالتك

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الشعراء :١٥٥]

١٥٥- (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ) نصيب من الماء (ولَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الشعراء :١٥٦]

١٥٦- (ولا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) بعظم العذاب

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ [الشعراء :١٥٧]

١٥٧- (فَعَقَرُوهَا) أي عقرها بعضهم برضاهم (فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) على عقرها

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء :١٥٨]

١٥٨- (فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ) الموعود به فهلكوا (إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ومَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :١٥٩]

١٥٩- (وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ)

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء :١٦٠]

١٦٠- (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ)

﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء :١٦١]

١٦١- (إذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ)

﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الشعراء :١٦٢]

١٦٢- (إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١٦٣]

١٦٣- (فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ)

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء :١٦٤]

١٦٤- (ومَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إنْ) ما (أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ)

﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء :١٦٥]

١٦٥- (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العَالَمِينَ) أي من الناس

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء :١٦٦]

١٦٦- (وتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم) أقبالهن (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) متجاوزون الحلال إلى الحرام

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء :١٦٧]

١٦٧- (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ) عن إنكارك

علينا (لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخْرَجِينَ) من بلدتنا

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء :١٦٨]

١٦٨ - (قَالَ) لوط (إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ القَالِينَ) المبغضين

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء :١٦٩]

١٦٩ - (رَبِّ نَجِّنِي وأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) أي من عذابه

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء :١٧٠]

١٧٠ - (فَنَجَّيْنَاهُ وأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ)

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الشعراء :١٧١]

١٧١ - (إلاَّ عَجُوزًا) امرأته (فِي الغَابِرِينَ) الباقين أهلكناها

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء :١٧٢]

١٧٢ - (ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ) أهلكناهم

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾

١٧٣ - (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا) حجارة من جملة الإهلاك (فَسَاءَ مَطَرُ المُنذَرِينَ) مطرهم

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾

١٧٤ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ومَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :١٧٥]

١٧٥ - (وإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ)

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء :١٧٦]

١٧٦ - (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ) وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء وهي غيضة شجر قرب مدين (المُرْسَلِينَ)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء :١٧٧]

١٧٧ - (إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ) لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم (أَلا تَتَّقُونَ)

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء :١٧٨]

١٧٨ - (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء :١٧٩]

١٧٩ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ)

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء :١٨٠]

١٨٠ - (ومَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ)

﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾

١٨١ - (أَوْفُوا الكَيْلَ) أتموه (ولا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ) الناقصين

﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء :١٨٢]

١٨٢ - (وزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ) الميزان السوي

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء :١٨٣]

١٨٣ - (ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) لا تنقصوهم من حقهم شيئا (ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره من عثي بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

١٨٤ - (واتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ والْجِبِلَّةَ) الخليقة (الأَوَّلِينَ)

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء :١٨٥]

١٨٥ - (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ)

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

١٨٦ - (ومَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وإِن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه (نَّظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ)

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

١٨٧ - (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا) بسكون السين وفتحها قطعة (مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في رسالتك

﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء :١٨٨]

١٨٨ - (قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ

﴿يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء :١٨٩]

١٨٩ - (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾

١٩٠ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء :١٩١]

١٩١ - (وإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ)

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء :١٩٢]

١٩٢ - (وإنَّهُ) أي القرآن (لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ)

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء :١٩٣]

١٩٣ - (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) جبريل

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء :١٩٤]

١٩٤ - (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ)

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء :١٩٥]

١٩٥ - (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) بين وفي قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء :١٩٦]

١٩٦ - (وإِنَّهُ) أي ذكر القرآن المنزل على محمد (لَفِي زُبُرِ) كتب (الأَوَّلِينَ) كالتوراة والإنجيل

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾

١٩٧ - (أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ) لكفار مكة (آية) على ذلك (أن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك ويكن بالتحتانية ونصب آية وبالفوقانية ورفع آية

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ [الشعراء :١٩٨]

١٩٨ - (ولَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) جمع أعجم

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾

١٩٩ - (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم) أي كفار مكة (مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) أنفة من أتباعه

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

٢٠٠ - (كَذَلِكَ) أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي (سَلَكْنَاهُ) أدخلنا التكذيب به (فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ) أي كفار مكة بقراءة النبي

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾

٢٠١ - (لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ)

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

٢٠٢ - (فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وهُمْ لا يَشْعُرُونَ)

﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ [الشعراء :٢٠٣]

٢٠٣ - (فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ) لنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الشعراء :٢٠٤]

٢٠٤ - (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء :٢٠٥]

٢٠٥ - (أَفَرَأَيْتَ) أخبرني (إن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ) [1]

﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الشعراء :٢٠٦]

٢٠٦ - (ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ) من العذاب

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء :٢٠٧]

٢٠٧ - (مَا) استفهامية بمعنى أي شيء (أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) في دفع العذاب أو تخفيفه أي لم يغن

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾

٢٠٨ - (ومَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ) رسل تنذر أهلها

﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الشعراء :٢٠٩]

٢٦- سورة الشعراء

(١) أسباب نزول الآية ٢٠٥ : أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم قال: رُئِي النبي ﷺ كأنَّه متحير فسألوه عن ذلك، فقال: ولم؟ ورأيت عدوي يكون من أمتي بعدي، فنزلت: «أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون» فطابت نفسه.

٢٠٩ - (ذِكْرَى) عظة لهم (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) في إهلاكهم بعد إنذارهم ونزل ردا لقول المشركين

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء :٢١٠]

٢١٠ - (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) بالقرآن (الشَّيَاطِينُ)

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء :٢١١]

٢١١ - (وَمَا يَنْبَغِي) يصلح (لَهُمْ) أن ينزلوا به (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء :٢١٢]

٢١٢ - (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ) لكلام الملائكة (لَمَعْزُولُونَ) محجوبون بالشهب

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾

٢١٣ - (فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ) إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء :٢١٤]

٢١٤ - (وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهارا رواه البخاري ومسلم[١] .

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

٢١٥ - (واخْفِضْ جَنَاحَكَ) ألن جانبك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) الموحدين

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾

٢١٦ - (فَإِنْ عَصَوْكَ) أي عشيرتك (فَقُلْ) لهم (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة غير الله

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء :٢١٧]

٢١٧ - (وتَوَكَّلْ) بالواو والفاء (عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ) الله أي فوض إليه جميع أمورك

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء :٢١٨]

٢١٨ - (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) إلى الصلاة

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء :٢١٩]

٢١٩ - (وتَقَلُّبَكَ) في أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فِي السَّاجِدِينَ) المصلين

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء :٢٢٠]

٢٢٠ - (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾

٢٢١ - (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أي كفار مكة (عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء :٢٢٢]

٢٢٢ - (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾

٢٢٣ - (يُلْقُونَ) أي الشياطين (السَّمْعَ) أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة (وأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يضمون إلى المسموع كذبا كثيرا وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء :٢٢٤]

٢٢٤ - (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ) في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون[١] .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾

٢٢٥ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ) من أودية الكلام وفنونه (يَهِيمُونَ) يمضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء :٢٢٦]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢١٤:** أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت: «وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ». بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشقَّ ذلك علي المسلمين، فأنزل الله: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ».

(١) **أسباب نزول الآية ٢٢٤:** وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ: أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غُواة من قومه وهم السُّفهاء، فأنزل الله: «والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُون» الآيات».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه.

* وأخرج عن عروة قال: لما نزلت: «وَالشُّعَرَاءُ» إلى قوله تعالى: «مَا لا يَفْعَلُون». قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أنّي منهم، فأنزل الله: «إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا» إلى آخر السُّورة.

* وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البرَّاد قال: لما نزلت: «وَالشُّعَرَاءُ» الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنَّا شعراء، هلكنا، فأنزل الله: «إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا» الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم.

٢٢٦ - (وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ) فعلنا (مَا لا يَفْعَلُونَ) أي يكذبون

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء :٢٢٧]

٢٢٧ - (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الشعراء (وذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وانتَصَرُوا) بهجوهم الكفار (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين قال الله تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الشعراء وغيرهم (أَيَّ مُنقَلَبٍ) مرجع (يَنقَلِبُونَ) يرجعون بعد الموت.

* * *

٢٧- سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

١ - (طس) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ القُرآنِ) آيات منه (وكِتَابٍ مُّبِينٍ) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل :٢]

٢ - هو (هُدًى) أي هاد من الضلالة (وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) المصدقين به بالجنة

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل :٣]

٣ - (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ) يأتون بها على وجهها (ويُؤْتُونَ) يعطون (الزَّكَاةَ وهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يعلمونها بالاستدلال وأعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل :٤]

٤ - (إنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يتحيرون فيها لقبحها عندنا

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل :٥]

٥ - (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ) أشده في الدنيا القتل والأسر (وهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

٦ - (وإنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لَتُلَقَّى القُرْآنَ) يلقى عليك بشدة (مِن لَّدُنْ) من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) في ذلك

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل :٧]

٧ - اذكر (إذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ) زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر (إنِّي آنَسْتُ) أبصرت من بعيد (نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) عن حال الطريق وكان قد ضلها (أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بالإضافة للبيان وتركها أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود (لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفئون من البرد والطاء بدل تاء الافتعال من صلي النار بكسر اللام وفتحها

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل :٨]

٨ - (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن) أي بأن (بُورِكَ) أي بارك الله (مَن فِي النَّارِ) أي موسى (ومَنْ حَوْلَهَا) أي الملائكة أو العكس وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف ويقدر بعد في مكان (وسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل :٩]

٩ - (يَا مُوسَى إنَّهُ) الشأن (أَنَا اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ)

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾

١٠ - (وأَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) حية خفيفة (ولَّى مُدْبِرًا ولَمْ يُعَقِّبْ) يرجع قال تعالى (يَا مُوسَى لا تَخَفْ) منها

(إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ) عندي (الْمُرْسَلُونَ) من حية وغيرها

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١١ - (إِلَّا) لكن (مَن ظَلَمَ) نفسه (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) أتاه (بَعْدَ سُوءٍ) أي تاب (فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أقبل التوبة وأغفر له

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾

١٢ - (وأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) طوق قميصك (تَخْرُجْ) خلاف لونها من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) برص لها شعاع يغشى البصر آية (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) مرسلا بها (إِلَى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

١٣ - (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) مضيئة واضحة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين ظاهر

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل :١٤]

١٤ - (وجَحَدُوا بِهَا) أي لم يقروا (و) قد (اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) تيقنوا أنها من عند الله (ظُلْمًا وعُلُوًّا) تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد (فَانظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) التي علمتها من إهلاكهم

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل :١٥]

١٥ - (ولَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ) ابنه (عِلْمًا) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وقَالا) شكرا لله (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا) بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين (عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾

١٦ - (ووَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) النبوة والعلم دون باقي أولاده (وقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) أي فهم أصواته (وأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ) تؤتاه الأنبياء والملوك (إِنَّ هَذَا) المؤتى (لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ) البين الظاهر

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل :١٧]

١٧ - (وحُشِرَ) جمع (لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيْرِ) في مسير له (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يجمعون ثم يسافرون

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل :١٨]

١٨ - (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وادِ النَّمْلِ) هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار (قَالَتْ نَمْلَةٌ) هي ملكة النمل وقد رأت جند سليمان (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ) يكسرنكم (سُلَيْمَانُ وجُنُودُهُ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ) نزل النمل منزل العقلاء في الخطاب بخطابهم

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل :١٩]

١٩ - (فَتَبَسَّمَ) سليمان ابتداء (ضَاحِكًا) انتهاء (مِّن قَوْلِهَا) وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير (وقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) ألهمني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وعَلَى والِدَيَّ وأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل :٢٠]

٢٠ - (وتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره (فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الهُدْهُدَ) أي أعرض لي ما منعني من رؤيته (أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ) فلم أره لغيبته فلما تحققها

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل :٢١]

٢١ - قال (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) تعذيبا (شَدِيدًا) بنتف رأسه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام (أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ) بقطع حلقومه (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي) بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) ببرهان بين ظاهر على عذره

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل :٢٢]

٢٢ - (فَمَكَثَ) بضم الكاف وفتحها (غَيْرَ بَعِيدٍ) يسيرا من الزمن وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته (فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) اطلعت على ما لم تطلع عليه (وجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ) بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف (بِنَبَإٍ) خبر (يَقِينٍ)

﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل :٢٣]

٢٣ - (إِنِّي وجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (ولَهَا عَرْشٌ) سرير (عَظِيمٌ) طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل :٢٤]

٢٤ - (وجدتُّهَا وقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق (فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ)

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل :٢٥]

٢٥ - (أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ) أي أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما في قوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) والجملة في محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى (الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ويَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ) في القلوب (ومَا تُعْلِنُونَ) بألسنتهم

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾

٢٦ - (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

٢٧ - (قَالَ) سليمان للهدهد (سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ) فيما أخبرتنا به (أَمْ كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ) أي من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضئوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل :٢٨]

٢٨ - (اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ) أي بلقيس وقومها (ثُمَّ تَوَلَّ) انصرف (عَنْهُمْ) وقف قريبا منهم (فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) يردون من الجواب فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه في حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على ما فيه

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾

٢٩ - ثم (قَالَتْ) لأشراف قومها (يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) مختوم

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

٣٠ - (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وإِنَّهُ) مضمونه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل :٣١]

٣١ - (أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ)

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل :٣٢]

٣٢ - (قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا أي أشيروا علي (فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا) قاضيته (حَتَّى تَشْهَدُونِ) تحضرون

﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل :٣٣]

٣٣ - (قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ) أي أصحاب شدة في الحرب (والأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) نا نطعك

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل :٣٤]

٣٤ - (قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) بالتخريب (وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أي مرسلو الكتاب

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل :٣٥]

٣٥ - (وإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ) من قبول الهدية أو ردها إن كان ملكا قبلها أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانا وأن يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾

٣٦ - (فَلَمَّا جَاءَ) الرسول بالهدية ومعه أتباعه (سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ) من النبوة والملك (خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم) من الدنيا (بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لفخركم بزخارف الدنيا

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل :٣٧]

٣٧ - (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) بما أتيت به من الهدية (فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ) لا طاقة (لَهُم بِهَا ولَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا) من بلدهم سبأ سميت باسم أبي قبيلتهم (أَذِلَّةً وهُمْ صَاغِرُونَ) أي إن لم يأتوني مسلمين فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف فيل مع كل فيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل :٣٨]

٣٨ - (قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ) في الهمزتين ما تقدم (يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل :٣٩]

٣٩ - (قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ) هو القوي الشديد (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ) الذي تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار (وإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ) أي على حمله (أَمِينٌ) على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾

٤٠ - (قَالَ الذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ) المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) إذا نظرت به إلى شيء فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن

جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًا) ساكنا (عِندَهُ قَالَ هَذَا) أي الإتيان لي به (مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) ليختبرني (أَأَشْكُرُ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ أَكْفُرُ) النعمة (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أي لأجلها لأن ثواب شكره له (وَمَن كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ) عن شكره (كَرِيمٌ) بالأفضال على من يكفرها

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل :٤١]

٤١ - (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أي غيروه إلى حال تنكره إذا رأته (نَنظُرْ أَتَهْتَدِي) إلى معرفته (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ) إلى معرفة ما يغير عليهم قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن فيه شيئا فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل :٤٢]

٤٢ - (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ) لها (أَهَكَذَا عَرْشُكِ) أي أمثل هذا عرشك (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) أي فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت نعم قال سليمان ولما رأى لها معرفة وعلما (وَأُوتِينَا العِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل :٤٣]

٤٣ - (وَصَدَّهَا) عن عبادة الله (مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره (إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ)

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل :٤٤]

٤٤ - (قِيلَ لَهَا) أيضا (ادْخُلِي الصَّرْحَ) هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) من الماء (وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا) لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حسانا (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ) مملس (مِّن قَوَارِيرَ) أي من زجاج ودعاها إلى الإسلام (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة غيرك (وَأَسْلَمْتُ) كائنة (مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل :٤٥]

٤٥ - (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا أَنِ) بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) في الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل :٤٦]

٤٦ - (قَالَ) للمكذبين (يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ) أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقا فأتنا بالعذاب (لَوْلا) هلا (تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) من الشرك (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) فلا تعذبون

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل :٤٧]

٤٧ - (قَالُوا اطَّيَّرْنَا) أصله تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل أي تشاءمنا (بِكَ وبِمَن مَّعَكَ) أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا (قَالَ طَائِرُكُمْ) شؤمكم (عِندَ اللَّهِ) أتاكم به (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تختبرون بالخير والشر

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل :٤٨]

٤٨ - (وَكَانَ فِي المَدِينَةِ) مدينة ثمود (تِسْعَةُ

رَهْطٍ) أي رجال (يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) بالمعاصي، منها قرضهم الدنانير والدراهم (ولا يُصْلِحُونَ) بالطاعة

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

٤٩ - (قَالُوا) أي قال بعضهم لبعض (تَقَاسَمُوا) أي احلفوا (بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (وأَهْلَهُ) أي من آمن به أي نقتلهم ليلا (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لِوَلِيِّهِ) لولي دمه (مَا شَهِدْنَا) حضرنا (مَهْلِكَ أَهْلِهِ) بضم الميم وفتحها أي إهلاكهم أو هلاكهم فلا ندري من قتلهم (وإنَّا لَصَادِقُونَ)

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

٥٠ - (ومَكَرُوا) في ذلك (مَكْرًا ومَكَرْنَا مَكْرًا) أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وهُمْ لا يَشْعُرُونَ)

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل :٥١]

٥١ - (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ) أهلكناهم (وقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل :٥٢]

٥٢ - (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بِمَا ظَلَمُوا) بظلمهم أي كفرهم (إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) لعبرة (لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قدرتنا فيتعظون.

﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

٥٣ - (وأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بصالح وهم أربعة آلاف (وكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل :٥٤]

٥٤ - (ولُوطًا) منصوب بـ «اذكر» مقدرا قبله ويبدل منه (إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ) اللواط (وأَنتُمْ تُبْصِرُونَ) يبصر بعضكم بعضا انهماكا في المعصية

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل :٥٥]

٥٥ - (أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) عاقبة فعلكم

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾

٥٦ - (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ) أهله (مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل :٥٧]

٥٧ - (فَأَنجَيْنَاهُ وأَهْلَهُ إلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا) جعلناها بتقديرنا (مِنَ الغَابِرِينَ) الباقين في العذاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾

٥٨ - (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا) هو حجارة السجيل فأهلكتهم (فَسَاءَ) بئس (مَطَرُ المُنذَرِينَ) بالعذاب مطرهم

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل :٥٩]

٥٩ - (قُلِ) يا محمد (الحَمْدُ لِلَّهِ) على هلاك الكفار من الأمم الخالية (وسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) هم (ءآللَّهُ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (خَيْرٌ) لمن يعبده (أَمَّا يُشْرِكُونَ) بالتاء والياء أي أهل مكة به ءالآلهة خير لعابديها

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل :٦٠]

٦٠ - (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا) فيه التفات من الغيبة إلى التكلم (بِهِ حَدَائِقَ) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذَاتَ بَهْجَةٍ) حسن (مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا) لعدم قدرتكم عليه (أَإِلَهٌ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية

وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة (مَّعَ اللَّهِ) أعانه على ذلك أي ليس معه إله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يشركون بالله غيره

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل :٦١]

٦١ - (أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا) لا تميد بأهلها (وجَعَلَ خِلالَهَا) فيما بينها (أَنْهَارًا وجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) جبالا أثبت بها الأرض (وجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزًا) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) توحيده .

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

٦٢ - (أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ) المكروب الذي مسه الضر (إِذَا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ) عنه وعن غيره (ويَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ) الإضافة بمعنى في أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) تتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء في الذال وما زائدة لتقليل القليل

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل :٦٣]

٦٣ - (أَمَّن يَهْدِيكُمْ) يرشدكم إلى مقاصدكم (فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ) بالنجوم ليلا وبعلامات الأرض نهارا (ومَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أي قدام المطر (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به غيره

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل :٦٤]

٦٤ - (أَمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ) في الأرحام من نطفة (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها (ومَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ) بالمطر (والأَرْضِ) بالنبات (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ) أي لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه (قُلْ) يا محمد (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجتكم (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) أن معي إلها فعل شيئا مما ذكر وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل :٦٥]

٦٥ - (قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) من الملائكة والناس (الغَيْبَ) أي ما غاب عنهم (إلاَّ) لكن (اللَّهُ) يعلمه (ومَا يَشْعُرُونَ) أي كفار مكة كغيرهم (أَيَّانَ) وقت (يُبْعَثُونَ)

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل :٦٦]

٦٦ - (بَلِ) بمعنى هل (ادَّارَكَ) أي بلغ ولحق أو تتابع وتلاحق وفي قراءة (أدرك) بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالا وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل (عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) أي بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ) من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل :٦٧]

٦٧ - (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أيضا في إنكار البعث (أَئِذَا كُنَّا تُرابًا وآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ) من القبور

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل :٦٨]

٦٨ - (لَقَدْ وعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ) ما (هَذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) جمع أسطورة بالضم ما سطر من الكذب

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل :٦٩]

٦٩ - (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُجْرِمِينَ) بإنكارهم وهي هلاكهم بالعذاب

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾

٧٠ - (ولا تحزنْ عليهم ولا تكن في ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم عليك فإنا ناصروك عليهم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

٧١ - (ويَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ) بالعذاب (إن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيه

﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾

٧٢ - (قُلْ عَسَى أن يَكُونَ رَدِفَ) قرب (لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) فحصل لهم القتل ببدر وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل :٧٣]

٧٣ - (وإنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه تأخير العذاب عن الكفار (ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ) فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

٧٤ - (وإنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تخفيه (ومَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

٧٥ - (ومَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ والأرْضِ) الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس (إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

[النمل :٧٦]

٧٦ - (إنَّ هَذَا القُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ) الموجودين في زمان نبينا (أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا

﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل :٧٧]

٧٧ - (وإنَّهُ لَهُدًى) من الضلالة (ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) من العذاب

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾

٧٨ - (إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم) كغيرهم يوم القيامة (بِحُكْمِهِ) أي عدله (وهُوَ العَزِيزُ) الغالب (العَلِيمُ) بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾

٧٩ - (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ) الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمي

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل :٨٠]

٨٠ - فقال (إنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ولَّوْا مُدْبِرِينَ)

﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾

[النمل :٨١]

٨١ - (ومَا أَنتَ بِهَادِي العُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إن) ما (تُسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُم مُّسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

٨٢ - (وإذَا وقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ) حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (أَنَّ النَّاسَ) أي كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة إن نقدر الباء بعد تكلمهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ) لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل :٨٣]

٨٣ - (و) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) جماعة (مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا) وهم رؤساؤهم المتبعون (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يجمعون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[النمل :٨٤]

٨٤ - (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا) مكان الحساب (قَالَ) تعالى لهم (أَكَذَّبْتُم) أنبيائي (بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا) من جهة تكذيبكم (بِهَا عِلْمًا أَمْ) فيه إدغام ما الاستفهامية (ذَا) موصول أي ما الذي (كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) مما أمرتم به

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾

٨٥ - (وَوَقَعَ الْقَوْلُ) حق العذاب (عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا) أي أشركوا (فَهُمْ لا يَنطِقُونَ) إذ لا حجة لهم

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٨٦ - (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا) خلقنا (اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ) كغيرهم (والنَّهَارَ مُبْصِرًا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾

٨٧ - (وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى من إسرافيل (فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ) أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى فصعق والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه (إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ) أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وعن ابن عباس هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون (وَكُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة (أَتَوْهُ) بصيغة الفعل واسم الفاعل (دَاخِرِينَ) صاغرين والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

٨٨ - (وتَرَى الجِبَالَ) تبصرها وقت النفخة (تَحْسَبُهَا) تظنها (جَامِدَةً) واقفة مكانها لعظمها (وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) المطر إذا ضربته أي الريح تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صُنْعَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله صنع أي الله ذلك صنعا (الَّذِي أَتْقَنَ) أحكم (كُلَّ شَيْءٍ) صنعه (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾

٨٩ - (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) أي لا إله إلا الله يوم القيامة (فَلَهُ خَيْرٌ) وثواب (مِّنْهَا) أي بسببها وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها وفي آية أخرى عشر أمثالها (وهُم) أي الذين جاءوا بها (مِّن فَزَعِ يَوْمَئِذٍ) بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منونا وفتح الميم (آمِنُونَ)

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[النمل :٩٠]

٩٠ - (ومَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) أي الشرك (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال لهم تبكيتا (هَلْ) أي ما (تُجْزَوْنَ إِلاَّ) جزاء (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من الشرك والمعاصي قل لهم

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل :٩١]

٩١ - (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ) أي مكة (الَّذِي حَرَّمَهَا) أي جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم الإنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم

على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب (ولَهُ) تعالى (كُلُّ شَيْءٍ) فهو ربه وخالقه ومالكه (وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ) لله بتوحيده

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل :٩٢]

٩٢ - (وأَنْ أَتْلُوَ القُرْآنَ) عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان (فَمَنِ اهْتَدَى) له (فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لأجلها فإن ثواب اهتدائه له (ومَن ضَلَّ) عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فَقُلْ) له (إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنْذِرِينَ) المخوفين فليس علي إلا التبليغ وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[النمل :٩٣]

٩٣ - (وقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار (ومَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالياء والتاء وإنما يمهلهم لوقتهم.

* * *

٢٨- سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ﴾

[القصص :١]

١ - (طسم) الله أعلم بمراده بذلك

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾

[القصص :٢]

٢ - (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الكِتَابِ) الإضافة بمعنى مِن (المُبِينِ) المظهر الحق من الباطل

﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[القصص :٣]

٣ - (نَتْلُو) نقص (عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ) خبر (مُوسَى وفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) الصدق (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) لأجلهم لأنهم المنتفعون به

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

[القصص :٤]

٤ - (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا) تعظم (فِي الأَرْضِ) أرض مصر (وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) فرقا في خدمته (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ) وهم بنو إسرائيل (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) المولودين (ويَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكه (إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره

* * *

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص :٥]

٥ - (ونُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (ونَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ) ملك فرعون

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص :٦]

٦ - (ونُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) أرض مصر والشام (ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وجُنُودَهُمَا) وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة (مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص :٧]

٧ - (وأَوْحَيْنَا) وحي إلهام أو منام (إلَى أُمِّ مُوسَى) وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ) البحر أي النيل (ولا تَخَافِي) غرقه (ولا تَحْزَنِي) لفراقه (إنَّا رَادُّوهُ إلَيْكِ وجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ) فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته في بحر النيل ليلا

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص :٨]

٨ - (فَالْتَقَطَهُ) بالتابوت صبيحة الليل (آلُ) أعوان (فِرْعَوْنَ) فوضعوه بين يديه وفتح وأخرج منه موسى وهو يمص من إبهامه لبنا (لِيَكُونَ لَهُمْ) في عاقبة الأمر (عَدُوًّا) بقتل رجالهم (وحَزَنًا) يستعبد نساءهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه (إنَّ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ) وزيره (وجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص :٩]

٩ - (وقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ) وقد هم مع أعوانه بقتله هو (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي ولَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ ولَدًا) فأطاعوها (وهُمْ لا يَشْعُرُونَ) بعاقبة أمرهم معه

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص :١٠]

١٠ - (وأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى) لما علمت بالتقاطه (فَارِغًا) مما سواه (إن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنها (كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) بأنه ابنها (لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) بالصبر أي سكَّنَّاه (لِتَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ما قبله

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص :١١]

١١ - (وقَالَتْ لأُخْتِهِ) مريم (قُصِّيهِ) اى اتبعي أثره حتى تعلمي خبره (فَبَصُرَتْ بِهِ) أبصرته (عَن جُنُبٍ) من مكان بعيد اختلاسا (وهُمْ لا يَشْعُرُونَ) أنها أخته وأنها ترقبه

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص :١٢]

١٢ - (وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِن قَبْلُ) قبل رده إلى أمه أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له (فَقَالَتْ) اخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ) لما رأت حنوهم عليه (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) بالإرضاع وغيره (وهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) وفسرت ضمير له بالملك جوابا لهم فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذن لها في إرضاعه في بيتها فرجعت به

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص :١٣]

١٣ - (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائه (ولا تَحْزَنَ) حينئذ (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) برده إليها (حَقٌّ ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى الناس (لا يَعْلَمُونَ) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء (ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص :١٤]

١٤ - (ولَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث (واسْتَوَى) بلغ أربعين سنة (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) حكمة (وعِلْمًا) فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا (وكَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي المُحْسِنِينَ) لأنفسهم

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص :١٥]

١٥ - (ودَخَلَ) موسى (المَدِينَةَ) مدينة فرعون وهي منف بعد أن غاب عنها مدة (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) وقت القيلولة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ) إسرائيلي (وهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) فقال له موسى خل سبيله فقيل إنه قال لموسى لقد هممت أن أحمله عليك (فَوَكَزَهُ مُوسَى) ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فَقَضَى عَلَيْهِ) أى قتله ولم يكن يقصد قتله ودفنه في الرمل (قَالَ هَذَا) أى قتله (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) المهيج غضبي (إِنَّهُ عَدُوٌّ) لابن آدم (مُّضِلٌّ) له (مُّبِينٌ) بين الإضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص :١٦]

١٦ - (قَالَ) نادما (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتله (فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) أي المتصف بهما أزلا وأبدا

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص :١٧]

١٧ - (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ) بحق إنعامك (عَلَيَّ) بالمغفرة اعصمني (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا) عونا (لِّلْمُجْرِمِينَ) الكافرين بعد هذه إن عصمتني

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص :١٨]

١٨ - (فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) ينتظر ما يناله من جهة القتيل (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يستغيث به على قبطي آخر (قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ) بين الغواية لما فعلته الأمس واليوم

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص :١٩]

١٩ - (فَلَمَّا أَنْ) زائدة (أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا) لموسى والمستغيث به (قَالَ) المستغيث ظانا أنه يبطش به لما قال له (يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن) ما (تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ) فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص :٢٠]

٢٠ - (وجَاءَ رَجُلٌ) هو مؤمن آل فرعون (مِّنْ أَقْصَا المَدِينَةِ) آخرها (يَسْعَى) يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم (قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ المَلأَ) من قوم فرعون (يَأْتَمِرُونَ بِكَ) يتشاورون فيك (لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ) من المدينة (إِنِّي لَكَ مِنَ

النَّاصِحِينَ) في الأمر بالخروج

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص :٢١]

٢١ - (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) لحوق طالب أو غوث الله إياه (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قوم فرعون

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص :٢٢]

٢٢ - (وَلَمَّا تَوَجَّهَ) قصد بوجهه (تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) جهتها وهي قرية شعيب على مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي قصد الطريق أي الطريق الوسط إليها فأرسل الله ملكا بيده عنزة فانطلق به إليها

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص :٢٣]

٢٣ - (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) بئر فيها أي وصل إليها (وجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) جماعة (مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) مواشيهم (وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ) أى سواهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تمنعان أغنامهما عن الماء (قَالَ) موسى لهما (مَا خَطْبُكُمَا) أى ما شأنكما لا تسقيان (قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) جمع راع أي يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي وفي قراءة يصدر من الرباعي أي يصرفون مواشيهم من الماء (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لا يقدر أن يسقي

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص :٢٤]

٢٤ - (فَسَقَى لَهُمَا) من بئر أخرى بقربها رفع حجرا عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس (ثُمَّ تَوَلَّى) انصرف (إِلَى الظِّلِّ) لسمرة من شدة الشمس وهو جائع (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) طعام (فَقِيرٌ) محتاج فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما فقال لإحداهما : ادعيه لي.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص :٢٥]

٢٥ - قال تعالى :(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فأجابها منكرا في نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان مما يريدها فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا قال: لا ، عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فأكل وأخبره بحاله قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُ وقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون (قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لا سلطان لفرعون على مدين

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص :٢٦]

٢٦ - (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) اتخذه أجيرا يرعى غنمنا بدلنا (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) اى استأجره لقوته وأمانته فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشي خلفي وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فرغب في إنكاحه

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص :٢٧]

٢٧ - (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ) وهي الكبرى أو الصغرى (عَلَى أَن تَأْجُرَنِي) تكون أجيرا لي في رعي غنمي (ثَمَانِيَ حِجَجٍ) أى

سنين (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا) رعي عشر سنين (فَمِنْ عِندِكَ) التمام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) باشتراط العشر (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (مِنَ الصَّالِحِينَ) الوافين بالعهد

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

٢٨ - (قَالَ) موسى (ذَٰلِكَ) الذي قلته (بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ) الثمان أو العشر وما زائدة أي رعيه (قَضَيْتُ) به أي: فرغت منه (فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) بطلب الزيادة عليه (واللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ) أنا وأنت (وكِيلٌ) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصا الأنبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص :٢٩]

٢٩ - (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به (وسَارَ بِأَهْلِهِ) زوجته بإذن أبيها نحو مصر (آنَسَ) أبصر من بعيد (مِن جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا) هنا (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) عن الطريق وكان قد أخطأها (أَوْ جِذْوَةٍ) بتثليث الجيم قطعة وشعلة (مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص :٣٠]

٣٠ - (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ) جانب (الوَادِ الأَيْمَنِ) لموسى (فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ) لموسى بسماعه كلام الله فيها (مِنَ الشَّجَرَةِ) بدل من شاطيء بإعادة الجار لنباتها فيه وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج (أَن) مفسرة لا مخففة (يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ)

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ [القصص :٣١]

٣١ - (وأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها (وَلَّى مُدْبِرًا) هاربا منها (ولَمْ يُعَقِّبْ) أي يرجع فنودي (يَا مُوسَى أَقْبِلْ ولا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ)

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص :٣٢]

٣٢ - (اسْلُكْ) أدخل (يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (فِي جَيْبِكَ) وهو طوق القميص وأخرجها (تَخْرُجْ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أي برص فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشي البصر (واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) بفتح الحرفين وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر (فَذَانِكَ) بالتشديد والتخفيف أي العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره (بُرْهَانَانِ) مرسلان (مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ ومَلَإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾

٣٣ - (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا) هو القبطي السابق (فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) به

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾

٣٤ - (وأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) أبين (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا) معينا وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة (يُصَدِّقُنِي) بالجزم جواب الدعاء وفي قراءة بالرفع وجملته صفة ردءا (إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ)

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾

٣٥ - (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) نقويك (بِأَخِيكَ

ونَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) غلبة (فَلا يَصِلُونَ إلَيْكُمَا) بسوء اذهبا (بِآيَاتِنَا أَنتُمَا ومَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ) لهم

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾

٣٦ - (فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالُوا مَا هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى) مختلق (ومَا سَمِعْنَا بِهَذَا) كائنا (فِي) أيام (آبَائِنَا الأَوَّلِينَ)

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

٣٧ - (وقَالَ) بواو وبدونها (مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ) الضمير للرب (ومَن) عطف على من قبلها (تَكُونُ) بالفوقانية والتحتانية (لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أي وهو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به (إنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الكافرون

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

٣٨ - (وقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ) فاطبخ لي الآجر (فَاجْعَل لِّي صَرْحًا) قصرا عاليا (لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إلَى إلَهِ مُوسَى) أنظر إليه وأقف عليه (وإنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ) في ادعائه إلهًا آخر وأنه رسول

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص :٣٩]

٣٩ - (واسْتَكْبَرَ هُوَ وجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ) أرض مصر (بِغَيْرِ الحَقِّ وظَنُّوا أَنَّهُمْ إلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ) بالبناء للفاعل وللمفعول

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص :٤٠]

٤٠ - (فَأَخَذْنَاهُ وجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ) طرحناهم (فِي اليَمِّ) البحر المالح فغرقوا (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) حين صاروا إلى الهلاك

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص :٤١]

٤١ - (وجَعَلْنَاهُمْ) في الدنيا (أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء رؤساء في الشرك (يَدْعُونَ إلَى النَّارِ) بدعائهم إلى الشرك (ويَوْمَ القِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ) بدفع العذاب عنهم

﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص :٤٢]

٤٢ - (وأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) خزيا (ويَوْمَ القِيَامَةِ هُم مِّنَ المَقْبُوحِينَ) المبعدين

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص :٤٣]

٤٣ - (ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ) التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى) قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنوارا للقلوب (وهُدًى) من الضلالة لمن عمل به (ورَحْمَةً) لمن آمن به (لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بما فيه من المواعظ .

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص :٤٤]

٤٤ - (ومَا كُنتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) الجبل أو الوادي أو المكان (الغَرْبِيِّ) من موسى حين المناجاة (إذْ قَضَيْنَا) أوحينا (إلَى مُوسَى الأَمْرَ) بالرسالة إلى فرعون وقومه (ومَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لذلك فتعلمه فتخبر به

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص :٤٥]

٤٥ - (ولَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا) أمما من بعد موسى (فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ) أى : طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولا وأوحينا إليك خبر موسى وغيره (ومَا كُنتَ ثَاوِيًا) مقيما (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها (ولَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) لك وإليك بأخبار المتقدمين

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص :٤٦]

٤٦ – (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ) الجبل (إِذْ) حين (نَادَيْنَا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (وَلَكِن) أرسلناك (رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ) وهم أهل مكة (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص :٤٧]

٤٧ – (ولَوْلا أن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر وغيره (فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (ونَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾

٤٨ – (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ) محمد (مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا) هلا (أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة ؟قال تعالى (أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ) حيث (قَالُوا) فيه وفي محمد (سحران) و فى قراءة (ساحران) اى القرآن والتوراة (تظاهرا) تعاونا (وقالوا إنا بكل) من النبيين والكتابين (كافرون)

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص :٤٩]

٤٩ – (قُلْ) لهم (فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا) من الكتابين (أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٥٠ – (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) دعاءك بالإتيان بكتاب (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) في كفرهم (ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) أي لا أضل منه (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

٥١ – (ولَقَدْ وصَّلْنَا) بينا (لَهُمُ القَوْلَ) القرآن (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنوا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾

٥٢ – (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِن قَبْلِهِ) أي القرآن (هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ) أيضا نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص :٥٣]

٥٣ – (وإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) القرآن (قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) موحدين

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾

٥٤ – (أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ) بإيمانهم بالكتابين (بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على العمل بهما (ويَدْرَءُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) منهم (ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

٥٥ – (وإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) الشتم والأذى من الكفار (أَعْرَضُوا عَنْهُ وقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا ولَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) سلام متاركة أى :سلمتم منا من الشتم وغيره (لا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ) لا نصحبهم

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص :٥٦]

٥٦ – ونزل في حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبي طالب (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ

أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (بِالْمُهْتَدِينَ)

﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٥٧ - (وقَالُوا) أى قومه (إن نَّتَّبِع الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا) ننتزع منها بسرعة قال تعالى (أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا) يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض (يُجْبَى) بالفوقانية والتحتانية (إليه ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) من كل أوب (رِّزْقًا) لهم (من لَّدُنَّا) عندنا (ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) أن ما نقوله حق

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

٥٨ - (وكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) اى: عيشها وأريد بالقرية أهلها (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إلاَّ قَلِيلاً) للمارة يوما أو بعضه (وكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ) منهم

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص :٥٩]

٥٩ - (وما كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى) بظلم منها (حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا) أى أعظمها (رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ومَا كُنَّا مُهْلِكِي القُرَى إلاَّ وأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) بتكذيب الرسل

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص :٦٠]

٦٠ - (ومَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وزِينَتُهَا) أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى (ومَا عِندَ اللَّهِ) أي ثوابه (خَيْرٌ وأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ) بالتاء والياء أن الباقي خير من الفاني؟

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾

٦١ - (أَفَمَن وعَدْنَاهُ وعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ) مصيبه وهو الجنة (كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) فيزول عن قريب (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ) النار؟ الأول المؤمن والثاني الكافر أي لا تساوي بينهما

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

٦٢ - واذكر (ويَوْمَ يُنَادِيهِمْ) الله (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) هم شركائي

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾

٦٣ - (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ) بدخول النار وهم رؤساء الضلالة (رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) هم مبتدأ وصفة (أَغْوَيْنَاهُمْ) خبره فغووا (كَمَا غَوَيْنَا) لم نكرههم على الغي (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) منهم (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [القصص :٦٤]

٦٤ - (وقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) أي الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) دعاءهم (ورَأَوُا) هم (العَذَابَ) أبصروه (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) في الدنيا لما رأوه في الآخرة

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

٦٥ - اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ) إليكم

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾

٦٦ - (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ) الأخبار المنجية في الجواب (يَوْمَئِذٍ) لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ) عنه فيسكتون

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص :٦٧]

٦٧ - (فَأَمَّا مَن تَابَ) من الشرك (وآمَنَ) صدق بتوحيد الله (وعَمِلَ صَالِحًا) أدى الفرائض (فَعَسَى أن يَكُونَ مِنَ المُفْلِحِينَ) الناجين بوعد الله

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

٦٨ - (وربك يخلق ما يشاء ويختار) ما يشاء (ما كان لهم) للمشركين (الخيرة) الاختيار في شيء (سبحان الله وتعالى عما يشركون) عن إشراكهم

﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾

٦٩ - (وربك يعلم ما تكن صدورهم) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وما يعلنون) بألسنتهم من ذلك

﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾

[القصص :٧٠]

٧٠ - (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى) الدنيا (والآخرة) الجنة (وله الحكم) القضاء النافذ في كل شيء (وإليه ترجعون) بالنشور

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ [القصص :٧١]

٧١ - (قل) لأهل مكة (أرأيتم) أي أخبروني (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما (إلى يوم القيامة من إله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بضياء) نهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ [القصص :٧٢]

٧٢ - (قل) لهم (أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بليل تسكنون) تستريحون (فيه) من التعب (أفلا تبصرون) ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعوا عنه؟

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾

٧٣ - (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار للكسب (ولعلكم تشكرون) النعمة فيهما

﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص :٧٤]

٧٤ - اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) ذكر ثانيا ليبنى عليه

﴿ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾

٧٥ - (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على ما قلتم من الإشراك (فعلموا أن الحق) في الإلهية (لله) لا يشاركه فيه أحد (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) في الدنيا من أن معه شريكا - تعالى عن ذلك - .

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص :٧٦]

٧٦ - (إن قارون كان من قوم موسى) ابن عمه وابن خالته وآمن به (فبغى عليهم) بالكبر والعلو وكثرة المال (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء) تثقل (بالعصبة) الجماعة (أولي) أصحاب (القوة) أي تثقلهم فالباء للتعدية وعدتهم قيل سبعون وقيل عددهم :أربعون وقيل : عشرة وقيل : غير ذلك . واذكر (إذ قال له قومه) المؤمنون من بني إسرائيل (لا تفرح) بكثرة المال فرح بطر (إن الله لا يحب الفرحين) بذلك

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ [القصص :٧٧]

٧٧ - (وابتغ) اطلب (فيما آتاك الله) من المال (الدار الآخرة) بأن تنفقه في طاعة الله (ولا تنس) تترك (نصيبك من الدنيا) أي أن تعمل فيها للآخرة (وأحسن) للناس بالصدقة (كما أحسن الله إليك ولا تبغ) تطلب (الفساد في الأرض) بعمل المعاصي (إن الله لا يحب المفسدين) بمعنى أنه يعاقبهم

﴿قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾

٧٨ - (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ) أي المال (عَلَى عِلْمٍ عِندِي) أي في مقابلته وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) للمال أي هو عالم بذلك ويهلكهم الله (ولا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص :٧٩]

٧٩ - (فَخَرَجَ) قارون (عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) بأتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا) للتنبيه (لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) في الدنيا (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ) نصيب (عَظِيمٍ) واف فيها

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾

٨٠ - (وقَالَ) لهم (الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) بما وعد الله في الآخرة (ويْلَكُمْ) كلمة زجر (ثَوَابُ اللَّهِ) في الآخرة بالجنة (خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحًا) مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يُلَقَّاهَا) الجنة المثاب بها (إِلاَّ الصَّابِرُونَ) على الطاعة وعن المعصية

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾

٨١ - (فَخَسَفْنَا بِهِ) بقارون (وبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك (ومَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ) منه

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾

٨٢ - (وأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ) أي من قريب (يَقُولُونَ ويْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ) يوسع (الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ويَقْدِرُ) يضيق على من يشاء و«وي» اسم فعل بمعنى أعجب أي أنا والكاف بمعنى اللام (لَوْلا أن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا) بالبناء للفاعل والمفعول (ويْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ) لنعمة الله كـ «قارون» .

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص :٨٣]

٨٣ - (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ) أي الجنة (نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ) بالبغي (ولا فَسَادًا) بعمل المعاصي (والْعَاقِبَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ) عقاب الله بعمل الطاعات

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

٨٤ - (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (ومَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي مثله

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾

٨٥ - (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أنزله (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) إلى مكة وكان قد اشتاقها (قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى ومَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) نزل جوابا لقول كفار مكة له : إنك في ضلال أي فهو الجائي بالهدى وهم في ضلال و«أعلم» بمعنى عالم.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾

٨٦ - (ومَا كُنتَ تَرْجُو أن يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابُ) القرآن (إلاَّ) لكن ألقي إليك (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا) معينا (لِّلْكَافِرِينَ) على دينهم الذي دعوك إليه

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

٨٧ - (ولا يَصُدُّنَّكَ) أصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم والواو للفاعل لإلتقائها مع النون الساكنة (عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ) أي لا ترجع إليهم في ذلك (وادْعُ) الناس (إِلَى رَبِّكَ) بتوحيده وعبادته (ولا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

بإعانتهم ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٨٨ - (ولا تَدْعُ) تعبد (مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وجْهَهُ) إلا إياه (لَهُ الحُكْمُ) القضاء النافذ (وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالنشور من قبوركم.

* * *

٢٩- سورة العنكبوت

مكية إلا آية ١ لغاية ١١ فمدنية و اياتها ٦٩ تسع و ستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ﴾ [العنكبوت :١]

١ - (الم) الله أعلم بمراده بذلك

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

٢ - (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا) أي بقولهم (آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ) يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت :٣]

٣ - (ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) في إيمانهم علم مشاهدة (ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ) فيه

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت :٤]

٤ - (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) الشرك والمعاصي (أَن يَسْبِقُونَا) يفوتونا فلا ننتقم منهم؟ (سَاءَ) بئس (مَا) الذي (يَحْكُمُونَ) ه حكمهم هذا

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت :٥]

٥ - (مَن كَانَ يَرْجُو) يخاف (لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) به (لآتٍ) فليستعد له (وهُوَ السَّمِيعُ) لأقوال العباد (العَلِيمُ) بأفعالهم

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت :٦]

٦ - (ومَن جَاهَدَ) جهاد حرب أو نفس (فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) فإن منفعة جهاده له لا لله (إنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

٧ - (والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) بعمل الصالحات (ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض الباء (الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهو الصالحات

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت :٨]

٨ - (ووَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) أي إيصاء ذا حسن بأن يبرهما (وإن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) بإشراكه (عِلْمٌ) موافقة للواقع فلا مفهوم له (فَلا تُطِعْهُمَا) في الإشراك (إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

---

٢٩ - سورة العنكبوت

(١) **أسباب نزول الآيتين ١ - ٢**: أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله: «آلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ». قال: أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقرُّوا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت هذه الآية، فكتبوا إليهم: أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا، فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قُتل، ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم: «ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا...» الآية.

* وأخرج عن قتادة قال: أنزلت «الم أحسب الناس» في أناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ، فعرض لهم المشركون فرجعوا، فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم من القرآن، فخرجوا، فقُتل من قتل، وخلص من خلص، فنزل القرآن: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا...» الآية.

فأجازيكم به [1].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت :٩]

٩ - (والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت :١٠]

١٠ - (ومِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ) أي أذاهم له (كَعَذَابِ اللَّهِ) في الخوف منه فيطيعهم فينافق (ولَئِن) لام قسم (جَاءَ نَصْرٌ) للمؤمنين (مِّن رَّبِّكَ) فغنموا (لَيَقُولُنَّ) حذفت منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) في الإيمان فأشركونا في الغنيمة قال تعالى (أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أي بعالم (بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ) قلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

١١ - (ولَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بقلوبهم (ولَيَعْلَمَنَّ المُنَافِقِينَ) فيجازي الفريقين واللام في الفعلين لام قسم

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت :١٢]

١٢ - (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) ديننا (ولْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) في اتباعنا إن كانت والأمر بمعنى الخبر قال تعالى (ومَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في ذلك.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت :١٣]

١٣ - (ولَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أوزارهم (وأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم مقلديهم (ولَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام في الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

١٤ - (ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) وعمره أربعون سنة أو أكثر (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا (وهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت :١٥]

١٥ - (فَأَنجَيْنَاهُ) نوحا (وأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) الذين كانوا معه فيها (وجَعَلْنَاهَا آيَةً) عبرة (لِّلْعَالَمِينَ) لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت :١٦]

١٦ - واذكر (إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ واتَّقُوهُ) خافوا عقابه (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) مما أنتم عليه من عبادة الأصنام (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) الخير من غيره

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت :١٧]

١٧ - (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره (أَوْثَانًا وتَخْلُقُونَ إِفْكًا) تقولون كذبا إن الأوثان شركاء الله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لا يقدرون أن يرزقوكم (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ) اطلبوه منه (واعْبُدُوهُ واشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

---

(١) أسباب نزول الآية ٨: أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعامًا، ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، فنزلت: «وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي» الآية .

(٢) أسباب نزول الآية ١٠: تقدم سبب نزولها في سورة النساء.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت :١٨]

١٨ - (وإن تُكَذِّبُوا) أي تكذبوني يا أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ) من قبلي (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ) إلا البلاغ البين. وفي هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺوقال تعالى في قومه:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت :١٩]

١٩ - (أَوَ لَمْ يَرَوْا) بالياء والتاء ينظروا (كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثُمَّ) هو بضم أوله وقرىء بفتحه من بدأ وأبدأ بمعنى أي يخلقهم ابتداء (ثم) هو (يُعِيدُهُ) أى الخلق كما بدأهم (إِنَّ ذَلِكَ) المذكور من الخلق الأول والثاني (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) فكيف ينكرون الثاني؟

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت :٢٠]

٢٠ - (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ) لمن كان قبلكم وأماتهم (ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) مدًا وقصْرًا مع سكون الشين (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه البدء والإعادة

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾

٢١ - (يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) تعذيبه (ويَرْحَمُ مَن يَشَاءُ) رحمته (وإلَيْهِ تُقْلَبُونَ) تردون

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

٢٢ - (ومَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) ربكم عن إدراككم (فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ) لو كنتم فيها أي لاتفوتونه (ومَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِن ولِيٍّ) يمنعكم منه (ولا نَصِير) ينصركم من عذابه

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٢٣ - (والَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ولِقَائِهِ) أي القرآن والبعث (أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي) أى جنتي (وأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت :٢٤]

٢٤ - قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه (بردا وسلاما) (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى فى إنجائه منها (لآيَاتٍ) هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت :٢٥]

٢٥ - (وقَالَ) إبراهيم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) تعبدونها و«ما» مصدرية (مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة المعنى تواددتم على عبادتها (فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ) يتبرأ القادة من الأتباع (ويَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) يلعن الأتباع القادة (ومَأْوَاكُمُ) مصيركم جميعا (النَّارُ ومَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ) منها

﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت :٢٦]

٢٦ - (فَآمَنَ لَهُ) صدق بإبراهيم (لُوطٌ) وهو ابن أخيه هاران (وقَالَ) إبراهيم (إِنِّي مُهَاجِرٌ) من قومي (إِلَى رَبِّي) أى إلى حيث أمرني ربي وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ) في ملكه (الحَكِيمُ) في صنعه

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت :٢٧]

٢٧ - (ووَهَبْنَا لَهُ) بعد إسماعيل (إِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ) بعد إسحق (وجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ) فكل

الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته (والْكِتَابَ) بمعنى الكتب أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان (وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٢٨ - (و) اذكر (لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ) أى أدبار الرجال (مَا سَبَقكم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ العَالَمِينَ) الإنس والجن

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت :٢٩]

٢٩ - (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم (وتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ) أى: متحدثكم (المُنكَرَ) فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

٣٠ - (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي) بتحقيق قولي في إنزال العذاب (عَلَى القَوْمِ المُفْسِدِينَ) العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾

٣١ - (ولَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) بإسحاق ويعقوب بعده (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ) أى قرية لوط (إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾

٣٢ - (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا) الرسل (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ) بالتخفيف والتشديد (وأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ) الباقين في العذاب

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾

٣٣ - (ولَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وقَالُوا لا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ) بالتشديد والتخفيف (وأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ) ونصب أهلك عطفًا على محل الكاف

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت :٣٤]

٣٤ - (إِنَّا مُنزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ رِجْزًا) عذابا (مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا) بالفعل الذي (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أي بسبب فسقهم

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

٣٥ - (ولَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً) ظاهرة هي آثار خرابها (لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

٣٦ - (و) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ) اخشوه، هو يوم القيامة (ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عثي بكسر المثلثة أفسد

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [العنكبوت :٣٧]

٣٧ - (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت :٣٨]

٣٨ - (و) أهلكنا (عَادًا وثَمُودَ) بصرف ثمود وتركه بمعنى الحي والقبيلة (وقَد تَّبَيَّنَ لَكُم) إهلاكهم (مِّن مَّساكِنِهِمْ) بالحجر واليمن (وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) من الكفر والمعاصي (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الحق (وكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) ذوي بصائر

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت :٣٩]

٣٩ - (و)أهلكنا (قَارُونَ وفِرْعَوْنَ وهَامَانَ ولَقَدْ جَاءَهُم) من قبل (مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ ومَا كَانُوا سَابِقِينَ) فائتين عذابنا

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

٤٠ - (فَكُلاًّ) من المذكورين (أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (ومِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كثمود (ومِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ) كقارون (ومِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه (ومَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) فيعذبهم بغير ذنب (ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾

٤١ - (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى أصناما يرجون نفعها (كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها تأوي إليه (وإِنَّ أَوْهَنَ) أضعف (البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنكَبُوتِ) لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الأصنام لا تنفع عابديها (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما عبدوها

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت :٤٢]

٤٢ - (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا) بمعنى الذي (يَدْعُونَ) يعبدون بالياء والتاء (مِن دُونِهِ) غيره (مِن شَيْءٍ وهُوَ العَزِيزُ) في ملكه (الحَكِيمُ) في صنعه

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت :٤٣]

٤٣ - (وتِلْكَ الأَمْثَالُ) في القرآن (نَضْرِبُهَا) نجعلها (لِلنَّاسِ ومَا يَعْقِلُهَا) أى يفهمها (إلاَّ العَالِمُونَ) المتدبرون

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت :٤٤]

٤٤ - (خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي محقا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) دلالة على قدرته تعالى (لِّلْمُؤْمِنِينَ) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

٤٥ - (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ) القرآن (وأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ) شرعا أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها (ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) من غيره من الطاعات (واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) فيجازيكم به

﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

٤٦ - (ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي) أي المجادلة التي (هِيَ أَحْسَنُ) كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه (إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية (وقُولُوا) لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم (آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وأُنزِلَ إِلَيْكُمْ) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك (وإِلَهُنَا وإِلَهُكُمْ واحِدٌ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) مطيعون

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [العنكبوت :٤٧]

٤٧ - (وكَذٰلِكَ أَنزلْنا إِلَيكَ الكِتَابَ) القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها (فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالقرآن (ومِنْ هَؤُلاءِ) أى أهل مكة (مَن يُؤْمِنُ بِهِ وما يَجْحَدُ بآيَاتِنَا) بعد ظهورها (إلاّ الكافِرُونَ) اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائي به محق وجحدوا ذلك

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت :٤٨]

٤٨ - (ومَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ) أى القرآن (مِن كِتَابٍ ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذًا) أي لو كنت قارئا كاتبا (لاَرْتَابَ) شك (المُبْطِلُونَ) اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

٤٩ - (بَلْ هُوَ) أي القرآن الذي جئت به (آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) أي المؤمنون يحفظونه (ومَا يَجْحَدُ بآيَاتِنَا إلاّ الظَّالِمُونَ) أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

٥٠ - (وقَالُوا) أي كفار مكة (لَوْلا) هلا (أُنزِلَ عَلَيْهِ) أي محمد (آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ) وفي قراءة آيات كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى (قُلْ لهم (إنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ) ينزلها كيف يشاء (وإنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٥١ - (أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ) فيما طلبوا (أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ) القرآن (يُتْلَى عَلَيْهِمْ) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات (إنَّ فِي ذَٰلِكَ) الكتاب (لَرَحْمَةً وذِكْرَى) عظة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [1].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

٥٢ - (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ شَهِيدًا) بصدقي (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ) ومنه حالي وحالكم (والَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ) وهو ما يعبد من دون الله (وكَفَرُوا بِاللَّهِ) منكم (أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت :٥٣]

٥٣ - (ويَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ ولَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى) له (لَجَاءَهُمُ العَذَابُ) عاجلا (ولَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وهُمْ لا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانه

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾

٥٤ - (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) في الدنيا (وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت :٥٥]

٥٥ - (يَوْمَ يَغْشَاهُمُ العَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ ومِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ويَقُولُ) فيه بالنون أى: نأمر بالقول وبالياء يقول الموكل بالعذاب (ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاءه فلا تفوتوننا

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت :٥٦]

٥٦ - (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) في أى أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٥١: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبيُّ ﷺ: كفى بقوم ضلالةً أنْ يرغبوا عمَّا جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى قوم غيرهم، فنزلت: «أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ».

٥٧ - (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء بعد البعث

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [العنكبوت :٥٨]

٥٨ - (والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم) ننزلهم وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء الإقامة وتعديته إلى غرفا بحذف في (مِّنَ الجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ) هذا الأجر

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت :٥٩]

٥٩ - هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت :٦٠]

٦٠ - (وكَأَيِّن) كم (مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا) لضعفها (اللَّهُ يَرْزُقُهَا وإيَّاكُمْ) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (العَلِيمُ) بضمائركم [1] .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

٦١ - (ولَئِن) لام قسم (سَأَلْتَهُم) أي الكفار (مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت :٦٢]

٦٢ - (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحانا (ويَقْدِرُ) يضيق (لَهُ) بعد البسط أي لمن يشاء ابتلاء (إنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه محل البسط والضيق

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت :٦٣]

٦٣ - (ولَئِن) لام قسم (سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) فكيف يشركون به؟ (قُلِ) لهم (الحَمْدُ لِلَّهِ) على ثبوت الحجة عليكم (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) تناقضهم في ذلك

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

٦٤ - (ومَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ) وأما القُرَب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) بمعنى الحياة (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما آثروا الدنيا عليها

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت :٦٥]

٦٥ - (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أي الدعاء أي لا يدعون معه غيره لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) به

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

٦٦ - (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (ولِيَتَمَتَّعُوا) باجتماعهم على عبادة الأصنام وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾

٦٧ - (أَوَ لَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّا جَعَلْنَا) بلدهم

---

(١) أسباب نزول الآية ٦٠: أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهيه، قال: لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعامًا ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قومًا يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين؟ قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: «وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا الله يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ».

فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الله لم يأمرني بكنز الدُّنيا ولا باتباع الشَّهوات، ألا وإنِّي لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ولا أخبأ رزقًا لغد.

مكة (حَرَمًا آمِنًا ويُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قتلا وسبيًا دونهم (أَفَبِالْبَاطِلِ) الصنم (يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) بإشراكهم؟ (١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾

٦٨ - (ومَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بأن أشرك به (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ) النبي أو الكتاب (لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى) مأوى (لِّلْكَافِرِينَ)؟ أي فيها ذلك وهو منهم

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت :٦٩]

٦٩ - (والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) في حقنا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) أى طريق السير إلينا (وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ) المؤمنين بالنصر والعون

* * *

٣٠- سورة الروم مكية

إلا اية ١٧ مدنية و اياتها ٦٠ ستون اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ﴾ [الروم :١]

١ - (الم) الله أعلم بمراده في ذلك

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم :٢]

٢ - (غُلِبَتِ الرُّومُ) وهم أهل الكتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم (٢)

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾

٣ - (فِي أَدْنَى الأَرْضِ) أى أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس (وَهُم) الروم (مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) أضيف المصدر إلى المفعول أي غلبة فارس إياهم (سَيَغْلِبُونَ) فارس

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم :٤]

٤ - (فِي بِضْعِ سِنِينَ) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس (لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) أى من قبل غلب الروم ومن بعده المعنى أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله أي إرادته (وَيَوْمَئِذٍ) يوم تغلب الروم (يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ)

﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

٥ - (بِنَصْرِ الله) إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ) الغالب (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم :٦]

٦ - (وَعْدَ الله) مصدر بدل من اللفظ بفعله

---

(١) **أسباب نزول الآية ٦٧** : أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلاّ مخافة أن يتخطّفنا النّاس لقلّتنا والأعراب أكثر منّا، فمتى بلغهم أنّا قد دخلنا في دينك اختُطفنا فكنّا أكلة رأس، فأنزل الله: «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا».

٣٠- سورة الروم

(٢) **أسباب نزول الآيتين ١ - ٢** : أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لمّا كان يوم بدر ظهرت الرّوم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: «آلم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ». إلى قوله: «بِنَصْرِ الله» يعني: بفتح الغين.

* وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: بلغنا أنَّ المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكّة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الرّوم يشهدون أنّهم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنّكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسنغلبكم كما غلب فارس الروم، فأنزل الله: «آلم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ».

* وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يعمر وقتادة.

* فالرواية الأُولى على قراءة: غَلَبَتِ - بالفتح - لأنّها نزلت يوم غَلَبِهم يوم بدر.

* والثانية: على قراءة الضم، فيكون معناه: وهم من بعد غَلَبِهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصح معنى الكلام، وإلاّ لم يكن له كبير معنى.

والأصل وعدهم الله النصر (لا يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ) به (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ) وعده تعالى بنصرهم

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم :٧]

٧ - (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس أي وغير ذلك (وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) إعادة هم تأكيد

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم :٨]

٨ - (أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم) ليرجعوا عن غفلتهم (مَّا خَلَقَ الله السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) لذلك تفنى عند انتهائه وبعده البعث (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) أي كفار مكة (بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم :٩]

٩ - (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) كعاد وثمود (وَأَثَارُوا الأَرْضَ) حرثوها وقلبوها للزرع والغرس (وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) أي كفار مكة (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الظاهرات (فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ) بإهلاكهم بغير جرم (وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بتكذيبهم رسلهم

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم :١٠]

١٠ - (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى) تأنيث الأسوأ الأقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم وإساءتهم (أَن) أي بأن (كَذَّبُوا بِآيَاتِ الله) القرآن (وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ).

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

١١ - (الله يَبْدَأُ الخَلْقَ) أي ينشئ خلق الناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) أي: خلقهم بعد موتهم (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم :١٢]

١٢ - (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ) يسكت المشركون لانقطاع حجتهم

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الروم :١٣]

١٣ - (وَلَمْ يَكُن) أي: لا يكون (لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ) ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم (شُفَعَاؤُا وَكَانُوا) أي يكونون (بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ) أي متبرئين منهم

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم :١٤]

١٤ - (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ) تأكيد (يَتَفَرَّقُونَ) المؤمنون والكافرون

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم :١٥]

١٥ - (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ) جنة (يُحْبَرُونَ) يسرون

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْآخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم :١٦]

١٦ - (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (وَلِقَاءِ الآخِرَةِ) البعث وغيره (فَأُوْلَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ)

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

١٧ - (فَسُبْحَانَ الله) أي سبحوا الله بمعنى صلوا (حِينَ تُمْسُونَ) تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾

١٨ - (وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) اعتراض ومعناه يحمده أهلهما (وَعَشِيًّا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) تدخلون

في الظهيرة وفيه صلاة الظهر

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم :١٩]

١٩ - (يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ) كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة (وَيُخْرِجُ المَيِّتَ) النطفة والبيضة (مِنَ الحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها (وَكَذَلِكَ) الإخراج (تُخْرَجُونَ) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم :٢٠]

٢٠ - (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى الدالة على قدرته (أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) أي أصلكم آدم (ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ) من دم ولحم (تَنتَشِرُونَ) في الأرض

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم :٢١]

٢١ - (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) فخلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وتألفوها (وَجَعَلَ بَيْنَكُم) جميعا (مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في صنع الله تعالى

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾

٢٢ - (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها (وَأَلْوَانِكُمْ) من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِّلْعَالِمِينَ) بفتح اللام وكسرها أي ذوي العقول وأولي العلم

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

٢٣ - (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بإرادته راحة لكم (وَابْتِغَاؤُكُم) بالنهار (مِّن فَضْلِهِ) أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واعتبار

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم :٢٤]

٢٤ - (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ) أي إراءتكم (البَرْقَ خَوْفًا) للمسافر من الصواعق (وَطَمَعًا) للمقيم في المطر (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أي يبسها بأن تنبت (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾

٢٥ - (وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بإرادته من غير عمد (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ) بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور (إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ) منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾

٢٦ - (وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) مطيعون

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم :٢٧]

٢٧ - (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ) للناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد هلاكهم (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من إعادة الشيء أسهل من ابتدائه وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة (وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أي الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله (وَهُوَ العَزِيزُ) في ملكه (الحَكِيمُ) في خلقه [1].

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٧**: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: تعجّب الكفّار من إحياء الله الموتى، فنزلت: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ».

ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم :٢٨]

٢٨ - (ضَرَبَ) جعل (لَكُم) أيها المشركون (مَّثَلاً) كائنا (مِّنْ أَنفُسِكُمْ) وهو (هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم) أي من مماليككم (مِّن شُرَكَاءَ) لكم (فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ) من الأموال وغيرها (فَأَنتُمْ) وهم (فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) أى أمثالكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي المعنى ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له ؟(كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ) نبينها مثل ذلك التفصيل (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون [1].

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾

٢٩ - (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالإشراك (أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ الله) أي لا هادي له (وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) مانعين من عذاب الله

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٣٠ - (فَأَقِمْ) يا محمد (وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) مائلا إليه أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فِطْرَتَ اللهِ) خلقته (الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) وهي دينه أي ألزموها (لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) لدينه أي لا تبدلوه بأن تشركوا (ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ) المستقيم توحيد الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ) توحيد الله

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم :٣١]

٣١ - (مُنِيبِينَ) راجعون (إِلَيْهِ) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أي أقيموا (وَاتَّقُوهُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ)

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم :٣٢]

٣٢ - (مِنَ الَّذِينَ) بدل بإعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُم) باختلافهم فيما يعبدونه (وَكَانُوا شِيَعًا) فرقا في ذلك (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم (فَرِحُونَ) مسرورون وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

٣٣ - (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ) أى كفار مكة (ضُرٌّ) شدة (دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) دون غيره (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً) بالمطر (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

٣٤ - (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) أريد به التهديد (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة تمتعكم فيه التفات عن الغيبة

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم :٣٥]

٣٥ - (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) حجة وكتابا (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) تكلم دلالة (بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) أي يأمرهم بالاشراك؟ لا

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم :٣٦]

٣٦ - (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) كفار مكة وغيرهم (رَحْمَةً) نعمة (فَرِحُوا بِهَا) فرح بطر (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) شدة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) ييأسون من الرحمة ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم :٣٧]

٣٧ - (أَوَ لَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَن يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء

(١) أسباب نزول الآية ٢٨ : وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان يلبي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الآية.

* وأخرج جويبر مثله عن داود بن أبي هند عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه .

ابتلاء (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بها.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

٣٨ - (فَآتِ ذَا القُرْبَى) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر من الصدقة وأمة النبي تبع له في ذلك (ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ الله) أي ثوابه بما يعملون (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم :٣٩]

٣٩ - (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا) بأن يعطي شيئا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة (لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) المعطين أي يزيد (فَلا يَرْبُو) يزكو (عِندَ الله) أي لا ثواب فيه للمعطين (وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ) بها (وَجْهَ الله فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ثوابهم بما أرادوه فيه التفات عن الخطاب

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم :٤٠]

٤٠ - (الله الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم) ممن أشركتم بالله (مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ) لا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

٤١ - (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ) أي القفار بقحط المطر وقلة النبات (وَالْبَحْرِ) أي البلاد التي على الأنهار بقلة مائها (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) من المعاصي (لِيُذِيقَهُم) بالياء والنون (بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أي عقوبته (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يتوبون

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم :٤٢]

٤٢ - (قُلْ) لكفار مكة (سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ) فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم :٤٣]

٤٣ - (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ) دين الإسلام (مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ الله) هو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم :٤٤]

٤٤ - (مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وبال كفره وهو النار (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) يوطئون منازلهم في الجنة

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الروم :٤٥]

٤٥ - (لِيَجْزِيَ) متعلق بيصدعون (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ) يثيبهم (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ) أي يعاقبهم

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم :٤٦]

٤٦ - (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى (أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) بمعنى لتبشركم بالمطر (وَلِيُذِيقَكُم) بها (مِّن رَّحْمَتِهِ) المطر والخصب (وَلِتَجْرِيَ الفُلْكُ) السفن بها (بِأَمْرِهِ) بإرادته (وَلِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِن فَضْلِهِ) الرزق بالتجارة في البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم :٤٧]

٤٧ - (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم (فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أهلكنا الذين كذبوهم (وَكَانَ حَقًّا

عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم :٤٨]

٤٨ - (اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) تزعجه (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) من قلة وكثرة (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) بفتح السين وسكونها قطعا متفرقة (فَتَرَى الوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) أى وسطه (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ) بالودق (مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بالمطر

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم :٤٩]

٤٩ - (وَإِن) وقد (كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ) تأكيد (لَمُبْلِسِينَ) آيسين من إنزاله

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم :٥٠]

٥٠ - (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ) وفي قراءة أثر (رَحْمَتِ الله) أى نعمته بالمطر (كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) ييبسها بأن تنبت (إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي) المحيي الأرض (المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم :٥١]

٥١ - (وَلَئِنْ) لام قسم (أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرة على نبات (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا) صاروا جواب القسم (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد اصفراره (يَكْفُرُونَ) يجحدون النعمة عليهم بالمطر

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الروم :٥٢]

٥٢ - (فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى- ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم :٥٣]

٥٣ - (وَمَا أَنتَ بِهَادِ العُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن) ما (تُسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُم مُّسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم :٥٤]

٥٤ - (الله الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ) ماء مهين (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) آخر وهو ضعف الطفولية (قُوَّةً) أى قوة الشباب (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) ضعف الكبر وشيب الهرم والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من القوة و الضعف والشباب والشيبة (وَهُوَ العَلِيمُ) بتدبير خلقه (القَدِيرُ) على ما يشاء

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم :٥٥]

٥٥ - (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ) يحلف (المُجْرِمُونَ) الكافرون (مَا لَبِثُوا) في القبور (غَيْرَ سَاعَةٍ) قال تعالى (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق (البعث) كما صرفوا عن الحق: الصدق في مدة اللبث

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم :٥٦]

٥٦ - (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ) من الملائكة وغيرهم (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ الله) فيما كتبه في سابق علمه (إِلَى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ) الذي أنكرتموه (وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) وقوعه

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم :٥٧]

٥٧ - (فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ) بالياء والتاء (الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) في إنكارهم له (وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم :٥٨]

٥٨ - (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) تنبيها لهم (وَلَئِن) لام قسم (جِئْتَهُم) يا محمد (بِآيَةٍ) مثل العصا واليد لموسى (لَيَقُولَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِنْ) ما (أَنتُمْ) أي محمد وأصحابه (إلاَّ مُبْطِلُونَ) أصحاب أباطيل

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٥٩ - (كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله عَلَى قُلُوبِ الَذِينَ لا يَعْلَمُونَ) التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم :٦٠]

٦٠ - (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ الله) بنصرك عليهم (حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَذِينَ لا يُوقِنُونَ) بالبعث لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر أي لا تتركنّه.

* * *

٣١- سورة لقمان

مكية إلا (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) (٢٧ - ٢٨) الآيتين فمدنيتان و آياتها أربعة وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم﴾ [لقمان :١]

١ - (الم) الله أعلم بمراده به

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان :٢]

٢ - (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الكِتَابِ) القرآن (الحَكِيم) ذي الحكمة والإضافة بمعنى من

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان :٣]

٣ - هو (هُدًى ورَحْمَةٌ) بالرفع (لِلْمُحْسِنِينَ) وفي قراءة العامة بالنصب حالا من الآيات العامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان :٤]

٤ - (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ) بيان للمحسنين (ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) هم الثاني تأكيد

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

٥ - (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) الفائزون

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان :٦]

٦ - (ومِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ) أي ما يلهي منه عما يعني (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَن سَبِيلِ اللَّه) طريق الإسلام (بِغَيْرِ عِلْمٍ ويَتَّخِذَهَا) بالنصب عطفا على يضل وبالرفع عطفا على يشتري (هُزُوًا) مهزوءا بها (أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة(١) .

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان :٧]

٧ - (وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) أي القرآن (ولَّى مُسْتَكْبِرًا) متكبرا (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وقْرًا) صمما وجملتا التشبيه حالان من ضمير «ولَّى» أو الثانية بيان للأولى (فَبَشِّرْهُ) أعلمه (بِعَذَابٍ أَلِيم) مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحارث كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمدا يحدثكم أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

٣١- سورة لقمان

(١) أسباب نزول الآية ٦ : أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ» قال: نزلت في رجلٍ من قريش اشترى جارية مغنية.

* وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في النضر بن الحارث اشترى قيّنة ، وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلاَّ انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه، واسقيه، وغنيه، هذا خيرٌ ممَّا يدعوك إليه محمد من الصَّلاة والصِّيام، وأن تقاتل بين يديه، فنزلت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾

٨ - (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيم)

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

٩ - (خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة أي مقدرا خلودهم فيها إذا دخلوها (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أي وعدهم الله بذلك وحقه حقا (وَهُوَ العَزِيزُ) الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده (الحَكِيمُ) الذي لا يضع شيئا إلا في محله

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

١٠ - (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأنه لا عمد أصلا (وأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا مرتفعة لـ (أَن) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِكُمْ وبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وأَنزَلْنَا) فيه التفات عن الغيبة (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) صنف حسن

﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان :١١]

١١ - (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) أى مخلوقه (فَأَرُونِي) أخبروني يا أهل مكة (مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) غيره ، أي آلهتكم ؟ أي حتى أشركتموها به تعالى؟ وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذي بصلته خبره وأروني معلق عن العمل لفظا وما بعده سد مسد المفعولين (بَلِ) للانتقال (الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) بين بإشراكهم وأنتم منهم

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾

١٢ - (ولَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ) منها العلم والديانة والإصابة في القول وحِكَمُه كثيرة مأثورة كان يفتي قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال في ذلك ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل له أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئا (أَنِ) أى وقلنا له أن (اشْكُرْ لِلَّهِ) ما أعطاك من الحكمة (ومَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن ثواب شكره له (ومَن كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود في صنعه

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان :١٣]

١٣ - (و) اذكر (وإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ) تصغير إشفاق (لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ) بالله (لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) فرجع إليه وأسلم

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾

١٤ - (ووَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أمرناه أن يبرهما (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ) فوهنت (وَهْنًا عَلَى وهْنٍ) أي ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة (وفِصَالُهُ) أي فطامه (فِي عَامَيْنِ) وقلنا له (أَنِ اشْكُرْ لِي ولِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ) أي المرجع

﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان :١٥]

١٥ - (وإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) موافقة للواقع (فَلا تُطِعْهُمَا وصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أي بالمعروف البر والصلة (واتَّبِعْ سَبِيلَ) طريق (مَنْ أَنَابَ) رجع (إِلَيَّ) بالطاعة (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيكم عليه وجملة الوصية وما بعدها اعتراض

﴿يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان :١٦]

١٦ - (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا) أى الخصلة السيئة (إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ) أي في أخفى مكان من ذلك (يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) فيحاسب عليها (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) باستخراجها (خَبِيرٌ) بمكانها

﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾

١٧ - (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ واصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) بسبب الأمر والنهي (إِنَّ ذَٰلِكَ) المذكور (مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) أى: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان :١٨]

١٨ - (ولا تُصَعِّرْ) وفي قراءة تصاعر (خَدَّكَ لِلنَّاسِ) لا تمل وجهك عنهم تكبرا (ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا) أى خيلاء (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متبختر في مشيه (فَخُورٍ) على الناس

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان :١٩]

١٩ - (واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) توسط فيه بين الدبيب والإسراع وعليك السكينة والوقار (واغْضُضْ) اخفض (مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ) أقبحها (لَصَوْتُ الحَمِيرِ) أوله زفير وآخره شهيق

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾

٢٠ - (أَلَمْ تَرَوْا) تعلموا يا مخاطبين (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (ومَا فِي الأَرْضِ) من الثمار والأنهار والدواب (وأَسْبَغَ) أوسع وأتم (عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً) وهي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك (وبَاطِنَةً) هي المعرفة وغيرها (ومِنَ النَّاسِ) أى: أهل مكة (مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ولا هُدًى) من رسول (ولا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) أنزله الله بل بالتقليد

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان :٢١]

٢١ - (وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) قال تعالى :(أ) يتبعونه(وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أي موجباته؟ لا

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾

٢٢ - (ومَن يُسْلِمْ وجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) يقبل على طاعته (وهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى) بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه (وإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) مرجعها

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان :٢٣]

٢٣ - (ومَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ) يا محمد (كُفْرُهُ) لا تهتم بكفره (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى: بما فيها كغيره فمجاز عليه

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

٢٤ - (نُمَتِّعُهُمْ) في الدنيا (قَلِيلاً) أيام حياتهم (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) في الآخرة (إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصا

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٢٥ - (ولَئِن) لام قسم (سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) وجوبه عليهم

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان :٢٦]

٢٦ - (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) ملكًا وخلقًا وعبيدًا فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ) عن خلقه (الحَمِيدُ) المحمود في صنعه

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان :٢٧]

٢٧ - (ولَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والْبَحْرُ) عطف على اسم أن (يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) مدادا (مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك لأن معلوماته تعالى غير متناهية (إِنَّ

اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شيء (حَكِيمٌ) لا يخرج شيء عن علمه وحكمته [1].

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان :٢٨]

٢٨ - (مَا خَلْقُكُمْ ولا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ) خلقا وبعثا لأنه بكلمة (كن) فيكون (إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) يسمع كل مسموع (بَصِيرٌ) يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان :٢٩]

٢٩ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا مخاطب (أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ) يدخل (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ويُولِجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِي) في فلكه (إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) هو يوم القيامة (وأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان :٣٠]

٣٠ - (ذَلِكَ) المذكور (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ) الثابت (وأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء يعبدون (مِن دُونِهِ البَاطِلُ) الزائل (وأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ) على خلقه بالقهر (الكَبِيرُ) العظيم

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

٣١ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ) السفن (تَجْرِي فِي البَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم) يا مخاطبين بذلك (مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) عبرا (لِّكُلِّ صَبَّارٍ) عن معاصي الله (شَكُورٍ) لنعمته

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان :٣٢]

٣٢ - (وإِذَا غَشِيَهُم) أي علا الكفار (مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ) كالجبال التي تظل من تحتها (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) الدعاء بأن يجنبهم أي لا يدعون معه غيره (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ) متوسط بين الكفر والإيمان ومنهم باق على كفره (ومَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) ومنها الإنجاء من الموج (إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ) غدار (كَفُورٍ) لنعم الله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان :٣٣]

٣٣ - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أهل مكة (اتَّقُوا رَبَّكُمْ واخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي) يغني (والِدٌ عَن ولَدِهِ) فيه شيئا (ولا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن والِدِهِ) فيه (شَيْئًا إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) بالبعث (فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا) عن الإسلام (ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ) في حلمه وإمهاله (الغَرُورُ) الشيطان

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

٣٤ - (إنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم (ويُنَزِّلُ) بالتخفيف والتشديد (الغَيْثَ) بوقت يعلمه (ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ) أذكر أم أنثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله تعالى (ومَا تَدْرِي نَفْسٌ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٧**: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً» فقالوا: تزعم أنّا لم نؤت من العلم إلاّ قليلاً، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فنزلت: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ» الآية.

* وأخرج ابن إسحاق عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة: «وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً» فلمّا هاجر إلى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنّك تقول: «وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً» إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كُلاًّ عَنيت، قالوا: فإنّك تتلو أنّا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كلّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، فأنزل الله: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ».

* وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس.

* وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنّما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ» الآية.

مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) من خير أو شر ويعلمه الله تعالى (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ويعلمه الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بكل شيء (خَبِيرٌ) بباطنه كظاهره . روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتيح الغيب خمسة إن الله عنده علم الساعة....» إلى آخر السورة [1] .

* * *

٣٢- سورة السجدة

وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ﴾ [السجدة :١]

١ - (الم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٢ - (تَنزِيلُ الكِتَابِ) القرآن مبتدأ (لا رَيْبَ) شك (فِيهِ) خبر أول (مِن رَّبِّ العَالَمِينَ) خبر ثان

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾

٣ - (أَمْ) بل (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) محمد؟ لا (بَلْ هُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ) به (قَوْمًا مَّا) نافية (أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) بإنذارك

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة :٤]

٤ - (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ) هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به (مَا لَكُم) يا كفار مكة (مِّن دُونِهِ) أى غيره (مِن ولِيٍّ) اسم (ما) بزيادة مِن أي ناصر (ولا شَفِيعٍ) يدفع عذابه عنكم (أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنوا

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

٥ - (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ) مدة الدنيا (ثُمَّ يَعْرُجُ) يرجع الأمر والتدبير (إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) في الدنيا وفي سورة سأل (خمسين ألف سنة)(٧٠:٤٠) وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾

٦ - (ذَلِكَ) الخالق المدبر (عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ) أي ما غاب عن الخلق وما حضر (العَزِيزُ) المنيع في ملكه (الرَّحِيمُ) بأهل طاعته

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة :٧]

٧ - (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة لـ (شيء) وبسكونها بدل اشتمال (وبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ) آدم (مِن طِينٍ)

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾

٨ - (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) ذريته (مِن سُلالَةٍ) علقة (مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ) ضعيف هو النطفة

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة :٩]

٩ - (ثُمَّ سَوَّاهُ) أى خلق آدم (ونَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ) أي جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا (وجَعَلَ لَكُمْ) أى: لذريته (السَّمْعَ) بمعنى الأسماع (والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) ما زائدة مؤكدة للقلة

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة :١٠]

١٠ - (وقَالُوا) أى منكرو البعث (أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ) غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على

---

(١) أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني بما تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولِدْتُ، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله «إنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعة» الآية.

الوجهين في الموضعين قال تعالى (بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) بالبعث (كَافِرُونَ)

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة :١١]

١١ - (قُلْ) لهم (يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) أي يقبض أرواحكم (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أحياء فيجازيكم بأعمالكم

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

١٢ - (ولَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ) الكافرون (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ) مطأطؤوها حياء يقولون (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) ما أنكرنا من البعث (وسَمِعْنَا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَالِحًا) فيها (إِنَّا مُوقِنُونَ) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون ، وجواب لو: لرأيت أمرا فظيعا

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

١٣ - (ولَوْ شِئْنَا لأتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها (ولَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي) وهو (لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ) الجن (والنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

١٤ - (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أي بترككم الإيمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم في العذاب (وذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ) الدائم (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من الكفر والتكذيب

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

١٥ - (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وسَبَّحُوا) متلبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى قالوا :سبحان الله وبحمده (وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والطاعة

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة :١٦]

١٦ - (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ المَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدا (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عقابه (وطَمَعًا) في رحمته (ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (١) .

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة :١٧]

١٧ - (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ) خبيء (لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تقر به أعينهم وفي قراءة بسكون الياء مضارع (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾

١٨ - (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ) أي المؤمنون والفاسقون (٢) .

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة :١٩]

١٩ (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى نُزُلاً) هو ما يعد للضيف (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون).

٣٢- سورة السجدة

(١) أسباب نزول الآية ١٦ : أخرج البزار عن بلال قال: كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع» في إسناده عبد الله بن شبيب ضعيف.

* وأخرج الترمذي وصححه عن أنس أن هذه الآية: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع» نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

(٢) أسباب نزول الآية ١٨ : وأخرج الواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب أنا أحدُّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون».

* وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله.

* وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله.

* وأخرج الخطيب وابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط وذلك في سباب كان بينهما . كذا في هذه الرواية أنها نزلت في عقبة بن الوليد لا الوليد.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة :٢٠]

٢٠ - (وأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بالكفر والتكذيب (فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ)

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة :٢١]

٢١ - (ولَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ العَذَابِ الأَدْنَى) عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض (دُونَ) قبل (العَذَابِ الأَكْبَرِ) عذاب الآخرة (لَعَلَّهُمْ) أي من بقي منهم (يَرْجِعُونَ) إلى الإيمان

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة :٢٢]

٢٢ - (ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) القرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) أي: لا أحد أظلم منه (إِنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ) أي المشركين (مُنتَقِمُونَ)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

٢٣ - (ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ) التوراة (فَلا تَكُن فِي مِرْيَةٍ) شك (مِّن لِّقَائِهِ) وقد التقيا ليلة الإسراء (وجَعَلْنَاهُ) أي موسى أو الكتاب (هُدًى) هاديا (لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة :٢٤]

٢٤ - (وجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: قادة (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (وكَانُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يُوقِنُونَ)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة :٢٥]

٢٥ - (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾

٢٦ - (أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم) أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا (مِّنَ القُرُونِ) الأمم بكفرهم (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِنِهِمْ) في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) دلالات على قدرتنا (أَفَلا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ؟

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾

٢٧ - (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ) اليابسة التي لا نبات فيها (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ) هذا فيعلمو أنا نقدر على إعادتهم؟

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

٢٨ - (ويَقُولُونَ) للمؤمنين (مَتَى هَذَا الفَتْحُ) بيننا وبينكم (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [1] .

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة :٢٩]

٢٩ - (قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ) بإنزال العذاب بهم (لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ولا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾

٣٠ - (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وانتَظِرْ) إنزال العذاب بهم (إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك ، وهذا قبل الأمر بقتالهم .

* * *

٣٣- سورة الأحزاب

وآياتها ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ

(١) أسباب نزول الآية ٢٨ : وأخرج ابن جرير عن قتادة قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم فيه، فقال المشركون: «ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين» فنزلت.

اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

١ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) دم على تقواه (ولا تُطِعِ الكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بما يكون من قبل كونه (حَكِيمًا) فيما يخلقه (١) .

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب :٢]

٢ - (واتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) أي القرآن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) وفي قراءة «يعملون» بالتحتانية .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

٣ - (وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) في أمرك (وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلًا) حافظا لك وأمته تبع له في ذلك كله

﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب :٤]

٤ - (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ردا على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (ومَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائي) بهمزة وياء وبلا ياء (تُظَاهِرُونَ) بلا ألف قبل الهاء وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء (مِنْهُنَّ) يقول الواحد مثلا لزوجته أنت علي كظهر أمي (أُمَّهَاتِكُمْ) أي كالأمهات في تحريمها بذلك المعد في الجاهلية طلاقا وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة (ومَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ) جمع دعي وهو من يدعى لغير أبيه ابنا له (أَبْنَاءَكُمْ) حقيقة (ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ) أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك (واللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ) في ذلك (وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) سبيل الحق (١) .

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب :٥]

٥ - لكن (ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ) أعدل (عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ومَوَالِيكُمْ) بنو عمكم (ولَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ) في ذلك (ولَكِن) في (مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) فيه هو بعد النهي (وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما كان من قولكم قبل النهي (رَّحِيمًا) بكم في ذلك (٢) .

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

٦ - (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه (وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) في حرمة نكاحهن (وأُوْلُوا الأَرْحَامِ) ذوو القربات (بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ) في الإرث (فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُهَاجِرِينَ) أي من الإرث

٣٣- سورة الأحزاب

(١) أسباب نزول الآية ١ : أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه فأنزل الله: «يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين».

(١) أسباب نزول الآية ٤ : أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين: قلباً معكم وقلباً معه؟ فأنزل الله: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق خصيف عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا: كان رجل يدعى ذا القلبين فنزلت.

* وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن الحسن مثله، وزاد: وكان يقول لي نفس تأمرني ونفس تنهاني.

* وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نزلت في رجل من بني فهر قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر.

(٢) أسباب نزول الآية ٥ : أخرج البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله».

بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ (إلاّ) لكن (أن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا) بوصية فجائز (كَانَ ذَٰلِكَ) أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام (فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا) وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾

٧ - (و) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل (ومِنكَ ومِن نُّوحٍ وإِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (وأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) شديدا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب :٨]

٨ - (لِيَسْأَلَ) الله (الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ) في تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين بهم (وأَعَدَّ) تعالى (لِلْكَافِرِينَ) بهم (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عطف على أخذنا

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب :٩]

٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا) من الملائكة (وكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء من حفر الخندق و «يعملون» بالياء من تحزيب المشركين (بَصِيرًا)[1] .

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب :١٠]

١٠ - (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب (وإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ) مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب (وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ) جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدة الخوف (وتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) المختلفة بالنصر واليأس

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾

١١ - (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ) اختبروا ليتبين المخلص من غيره (وزُلْزِلُوا) حركوا (زِلْزَالاً شَدِيدًا) من شدة الخوف و الفزع

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب :١٢]

١٢ - (و) اذكر (إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) ضعف اعتقاد (مَّا وعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ) بالنصر (إِلاَّ غُرُورًا) باطلا[1] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩ :** أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى عَلَيَّ، فقال: ائتني بخبر القوم. فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشتهم الريح تضربهم بها وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبر القوم أنى تركتهم يرتحلون وأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود» الآية.

أسباب نزول الآية ١٢ : وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدوَّرة فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة فكبّر وكبر المسلمون ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون فسئل عن ذلك فقال: «ضربت الأولى فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها» فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن: «وَإِذْ

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾

١٣ - (وإذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ) أي المنافقين (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لا مُقَامَ لَكُمْ) بضم الميم وفتحها أى لا إقامة ولا مكانة (فَارْجِعُوا) إلى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى سلع جبل خارج المدينة للقتال (ويَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ) في الرجوع (يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) غير حصينة يخشى عليها قال تعالى (ومَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إن) ما (يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَارًا) من القتال

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب :١٤]

١٤ - (ولَوْ دُخِلَتْ) أى: المدينة (عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا) نواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا) أى: سألهم الداخلون (الفِتْنَةَ) الشرك (لأَتَوْهَا) بالمد والقصر أى: أعطوها وفعلوها (ومَا تَلَبَّثُوا بِهَا إلاَّ يَسِيرًا)

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب :١٥]

١٥ - (ولَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً) عن الوفاء به

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب :١٦]

١٦ - (قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُم مِّنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وإذًا) إن فررتم (لاَّ تُمَتَّعُونَ) في الدنيا بعد فراركم (إلاَّ قَلِيلاً) بقية آجالكم

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب :١٧]

١٧ - (قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم) يجيركم (مِّنَ اللَّهِ إنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) هلاكا وهزيمة (أَوْ) يصيبكم بسوء إن (أَرَادَ) الله (بِكُمْ رَحْمَةً) خيرا (ولا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ) أى: غيره (وَلِيًّا) ينفعهم (ولا نَصِيرًا) يدفع الضر عنهم

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب :١٨]

١٨ - (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ) المثبطين (مِنكُمْ والْقَائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ) تعالوا إلينا (ولا يَأْتُونَ البَأْسَ) القتال (إلاَّ قَلِيلاً) رياء وسمعة

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب :١٩]

١٩ - (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بالمعاونة جمع شحيح وهو حال من ضمير يأتون (فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي) كنظر أو كدوران الذي (يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) أي سكراته (فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ) وحيزت الغنائم (سَلَقُوكُم) آذوكم أو ضربوكم (بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ) أي الغنيمة يطلبونها (أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا) حقيقة (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وكَانَ ذَلِكَ) الإحباط (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) بإرادته

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾

٢٠ - (يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ) من الكفار (لَمْ يَذْهَبُوا) إلى مكة لخوفهم منهم (وإن يَأْتِ الأَحْزَابُ) كرة أخرى (يَوَدُّوا) يتمنوا (لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ

يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً».

* وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في معتب بن قشير الأنصاري وهو صاحب هذه المقالة.

* وأخرج ابن إسحاق والبيهقي أيضاً عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قال: قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط.

* وقال أوس بن قيظي في ملأ من قومه: إن بيوتنا عورة وهي خارجة من المدينة ائذن لنا فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا فأنزل الله على رسوله حين فرغ عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود» الآية.

فِي الأَعْرَابِ) أى كائنون في البادية (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) أخباركم مع الكفار (وَلَوْ كَانُوا فِيكُم) هذه الكرة (مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً) رياء وخوفا من التعبير

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾

٢١ - (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ) بكسر الهمزة وضمها (حَسَنَةٌ) اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه (لِّمَن) بدل من لكم (كَانَ يَرْجُو اللَّهَ) يخافه (وَالْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) بخلاف من ليس كذلك

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب :٢٢]

٢٢ - (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ) من الكفار (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من الابتلاء والنصر (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) في الوعد (وَمَا زَادَهُمْ) ذلك (إِلاَّ إِيمَانًا) تصديقا بوعد الله (وَتَسْلِيمًا) لأمره

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

٢٣ - (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) من الثبات مع النبي ﷺ (فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ) مات أو قتل في سبيل الله (وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ) ذلك (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) في العهد وهم بخلاف حال المنافقين [(١)] .

﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

٢٤ - (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ) بأن يميتهم على نفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لمن تاب (رَّحِيمًا) به

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾

٢٥ - (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى الأحزاب (بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) مرادهم من الظفر بالمؤمنين (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالريح والملائكة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا) على إيجاد ما يريده (عَزِيزًا) غالبا على أمره

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب :٢٦]

٢٦ - (وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أي قريظة (مِن صَيَاصِيهِمْ) حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) منهم وهم المقاتلة (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) منهم أي الذراري

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب :٢٧]

٢٧ - (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا) بعد وهي خيبر أخذت بعد قريظة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب :٢٨]

٢٨ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وزينتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) أي متعة الطلاق (وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً) أطلقكن من غير ضرار .

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

٢٩ - (وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ) الجنة (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ) بإرادة الآخرة (أَجْرًا عَظِيمًا) أى الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٣: أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن بدر فكبر عليه فقال أول مشهد قد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع فشهد يوم أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» إلى آخرها.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

٣٠ - (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها أي بُيِّنت أو هي بينة (يُضَاعَفْ) وفي قراءة يضعف بالتشديد وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب (لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه (وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾

٣١ - (وَمَن يَقْنُتْ) يطع (مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) أى مثلي ثواب غيرهن من النساء وفي قراءة بالتحتانية في تعمل ونؤتها (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) في الجنة زيادة

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب :٣٢]

٣٢ - (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ) كجماعة (مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) الله فإنكن أعظم (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) للرجال (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) نفاق (وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) من غير خضوع

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب :٣٣]

٣٣ - (وقَرْنَ) بكسر الكاف وفتحها (فِي بُيُوتِكُنَّ) من القرار وأصله أقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل (ولا تَبَرَّجْنَ) بترك إحدى التاءين من أصله (تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) أي ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) (وأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وأَطِعْنَ اللَّهَ ورَسُولَهُ إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ) الإثم يا (أَهْلَ البَيْتِ) أى نساء النبي ﷺ (ويُطَهِّرَكُمْ) منه (تَطْهِيرًا)

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾

٣٤ - (واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (والْحِكْمَةِ) السنة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) بأوليائه (خَبِيرًا) بجميع خلقه

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب :٣٥]

٣٥ - (إِنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ والمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ والقَانِتِينَ والقَانِتَاتِ) المطيعات (والصَّادِقِينَ والصَّادِقَاتِ) في الإيمان (والصَّابِرِينَ والصَّابِرَاتِ) على الطاعات (والخَاشِعِينَ) المتواضعين (والخَاشِعَاتِ والمُتَصَدِّقِينَ والمُتَصَدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ والحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والحَافِظَاتِ) عن الحرام (والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً) للمعاصي (وأَجْرًا عَظِيمًا) على الطاعات[1] .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب :٣٦]

٣٦ - (ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ) بالتاء والياء (لَهُمُ الخِيَرَةُ) أى الاختيار (مِنْ أَمْرِهِمْ) خلاف أمر الله ورسوله نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما

(١) **أسباب نزول الآية ٣٥**: أخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت: «إن المسلمين والمسلمات» الآية. وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: قالت النساء: يا رسول الله ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فنزلت: «إن المسلمين والمسلمات» الآية.

* وتقدم حديث أم سلمة في آخر سورة آل عمران.

* وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبي ﷺ قال النساء: لو كان فينا خير لذكرنا فأنزل الله: «إن المسلمين والمسلمات» الآية.

لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (ومَن يَعْصِ اللّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا) بينا فزوجها النبي ﷺ لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي ﷺ أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (١) .

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب :٣٧]

٣٧ - (وإِذْ) منصوب باذكر (تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام (وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالإعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أمسك عليك زوجك واتق الله) في أمر طلاقها (وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيه) مظهره من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها (وتَخْشَى النَّاسَ) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (واللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ) في كل شيء وتزوجها ولا عليك من قول الناس ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وطَرًا) حاجة (زَوَّجْنَاكَهَا) فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن وأشبع المسلمين خبزا ولحما (لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وطَرًا وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) مقضيه (مَفْعُولاً) (١) .

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾

٣٨ - (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ) أحل (اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ) أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح (وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) فعله (قَدَرًا مَّقْدُورًا) مقضيا

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب :٣٩]

٣٩ - (الَّذِينَ) نعت للذين قبله (يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ ويَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) حافظا لأعمال خلقه ومحاسبتهم

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾

٤٠ - (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ) فليس أبا زيد أي والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب (ولَكِن) كان (رَّسُولَ اللَّهِ وخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا (وكَانَ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٦:** أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ زينب وهو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها لنفسه فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت فأنزل الله: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة» الآية. فرضيت وسلمت. وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسباً فأنزل الله: «وما كان لمؤمن» الآية كلها.

* وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله.
* وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد قال: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها قالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزلت.

(١) **أسباب نزول الآية ٣٧:** أخرج البخاري عن أنس أن هذه الآية «وتخفي في نفسك ما الله مبديه» نزلت في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

* وأخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك أهلك» فنزلت: «وتخفي في نفسك ما الله مبديه».
* وأخرج مسلم وأحمد والنسائي قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذهب فاذكرها عليّ» فانطلق فأخبرها فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقي الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به «لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم» الآية.

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) منه بأن لا نبي بعده وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته [1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

٤١ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب :٤٢]

٤٢ - (وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً) أول النهار وآخره

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

٤٣ - (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) أي يرحمكم (ومَلائِكَتُهُ) أى يستغفرون لكم (لِيُخْرِجَكُم) ليديم إخراجه إياكم (مِّنَ الظُّلُمَاتِ) أى الكفر (إِلَى النُّورِ) أى الإيمان (وكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [2].

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾

٤٤ - (تَحِيَّتُهُمْ) منه تعالى (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ) بلسان الملائكة (وأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) هو الجنة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

٤٥ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على من أرسلت إليهم (ومُبَشِّرًا) من صدقك بالجنة (ونَذِيرًا) منذرا من كذبك بالنار

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾

٤٦ - (ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) إلى طاعته (بِإِذْنِهِ) بأمره (وسِرَاجًا مُّنِيرًا) أي مثله في الاهتداء به

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾

٤٧ - (وبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا) هو الجنة [3].

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب :٤٨]

٤٨ - (ولا تُطِعِ الكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (ودَعْ) اترك (أَذَاهُمْ) لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر (وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فهو كافيك (وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً) مفوضا إليه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾

٤٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ) وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) تحصونها بالأقراء وغيرها (فَمَتِّعُوهُنَّ) أعطوهن ما يستمتعن به أي إن لم يسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً) خلوا سبيلهن من غير إضرار

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

٥٠ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (ومَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) من الكفار بالسبي كصفية

---

(١) أسباب نزول الآية ٤٠ : وأخرج الترمذي عن عائشة قالت: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٤٣ : أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت «إن الله وملائكته يصلون على النبي» قال أبو بكر: يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه فنزلت: «هو الذي يصلي عليكم وملائكته».

(٣) أسباب نزول الآية ٤٧ : أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالا: لما نزلت: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» قال رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله: «ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات» الآية وأنزل في سورة الأحزاب: «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً».

* وأخرج البيهقي في دلائل النبوّة عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت: «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» نزل بعدها: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فقالوا: يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فنزل: «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً». قال الفضل الكبير: الجنة.

وجويرية (وبَنَاتِ عَمِّكَ وبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وبَنَاتِ خَالِكَ وبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) بخلاف من لم يهاجرن (وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إن وهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أن يَسْتَنكِحَهَا) يطلب نكاحها بغير صداق (خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ) النكاح بلفظ الهبة من غير صداق (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ) أي المؤمنين (فِي أَزْوَاجِهِمْ) من الأحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر (و)في (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) من الإماء بشراء وغيره بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرئ قبل الوطء (لِكَيْلا) متعلق بما قبل ذلك (يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ) ضيق في النكاح (وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) فيما يعسر التحرز عنه (رَّحِيمًا) بالتوسعة في ذلك(١).

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾

٥١ - (تُرْجِي) بالهمزة والياء بدله تؤخر (مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أي أزواجك عن نوبتها (وتُؤْوِي) تضم (إلَيْكَ مَن تَشَاءُ) منهن فتأتيها (ومَنِ ابْتَغَيْتَ) طلبت (مِمَّنْ عَزَلْتَ) من القسمة (فلا جناح عليك) في طلبها وضمها إليك خير في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه (ذَٰلِكَ) التخيير (أَدْنَى) أقرب إلى (أن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ولا يَحْزَنَّ ويَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) مما ذكر المخير فيه (كُلُّهُنَّ) تأكيد للفاعل في يرضين (واللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) من أمر النساء والميل إلى بعضهن وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت (وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَلِيمًا) عن عقابهم(١).

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب :٥٢]

٥٢ - (لا يَحِلُّ) بالياء و التاء (لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) بعد التسع التي اخترنك (ولا أن تَبَدَّلَ) بترك إحدى التاءين في الأصل (بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاج) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (ولَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) من الإماء فتحل لك وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته (وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا) حفيظا(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾

---

(١) أسباب نزول الآية ٥٠: أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق السُّدي عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني فأنزل الله: «إنا أحللنا لك» إلى قوله: «اللاتي هاجرن معك» فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ قالت: نزلت في هذه الآية «وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك» أراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهي عني إذ لم أهاجر.

* قوله تعالى: «وامرأة مؤمنة» الآية. أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله: «وامرأة مؤمنة» الآية. قال: نزلت في أم شريك الدوسية.

* وأخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدؤلي أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة فقال: «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي» فلما نزلت الآية قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك.

(١) أسباب نزول الآية ٥١: أخرج الشيخان عن عائشة أنها كانت تقول: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها ؟ فأنزل الله: «ترجي من تشاء» الآية. فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هواك.

* وأخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: همّ رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه فلما رأين ذلك جعلنه في حل من أنفسهن يؤثر من يشاء على من يشاء فأنزل الله : «إنا أحللنا لك أزواجك» إلى قوله: «ترجي من تشاء منهن» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٥٢: أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خيّر رسول الله ﷺ أزواجه فاخترن الله ورسوله فأنزل الله: «لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج».

٥٣ - (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ) في الدخول بالدعاء (إِلَى طَعَامٍ) فتدخلوا (غَيْرَ نَاظِرِينَ) منتظرين (إِنَاهُ) نضجه مصدر أنى يأني (ولَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ولا) تمكثوا (مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) من بعضكم لبعض (إِنَّ ذَلِكُمْ) المكث (كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ) أن يخرجكم (واللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ) أن يخرجكم أي لا يترك بيانه وقرىء يستحي بياء واحدة (وإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا) أي أزواج النبي ﷺ (فَاسْأَلُوهُنَّ مِن ورَاءِ حِجَابٍ) ستر (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ) من الخواطر المريبة (ومَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) بشيء (ولا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ) ذنبا (عَظِيمًا) [1].

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٤]

٥٤ - (إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ) من نكاحهن بعده (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فيجازيكم عليه

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب :٥٥]

٥٥ - (لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ ولا أَبْنَائِهِنَّ ولا إِخْوَانِهِنَّ ولا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ ولا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ ولا نِسَائِهِنَّ) أي المؤمنات (ولا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الاماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب (واتَّقِينَ اللَّهَ) فيما أمرتن به (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) لا يخفى عليه شيء

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥٣ :** تقدم حديث عمر في سورة البقرة. وأخرج الشيخان عن أنس قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة ثم انطلقوا فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا فجاء حتى دخل وذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه وأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي» إلى قوله: «إن ذلكم كان عند الله عظيماً».

* وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأتى باب امرأة عرّس بها فإذا عندها قوم فانطلق ثم رجع وقد خرجوا فدخل فأرخى بيني وبينه ستراً فذكرته لأبي طلحة فقال: لئن كان كما تقول لينزلنَّ في هذا شيء فنزلت آية الحجاب.

* وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ في قعب فمرّ عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال: أوه لو أطاع فيكن ما رأتكنَّ عين فنزلت آية الحجاب.

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس فخرج النبي ﷺ ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه فقال للرجل: لعلك آذيت النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : «لقد قمت ثلاثاً لكي يتبعني فلم يفعل» فقال له عمر: يا رسول الله، لو اتخذت حجاباً فإن نساءك لسن كسائر النساء وذلك أطهر لقلوبهن فنزلت آية الحجاب.

* قال الحافظ ابن حجر: يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب ولا مانع من تعدد الأسباب.

* وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى بيته بادروه فأخذوا المجالس فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ولا يبسط يده إلى الطعام استحياء منهم فعوتبوا في ذلك فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي» الآية.

* قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ» الآية.

* أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: بلغ النبي ﷺ أن رجلاً يقول: لو قد توفي النبي ﷺ تزوجت فلانة من بعده فنزلت: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» الآية.

* وأخرج عن ابن عباس قال: نزلت في رجل همّ أن يتزوّج بعض نساء النبي ﷺ بعده، قال سفيان: ذكروا أنها عائشة.

* وأخرج عن السُدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده فأنزلت هذه الآية.

* وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة.

* وأخرج جويبر عن ابن عباس أن رجلاً أتي بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها فقال النبي ﷺ : «لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا» فقال: يا رسول الله إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي قال النبي ﷺ : «قد عرفت ذلك أنه ليس أحد أغير من الله وأنه ليس أحد أغير مني» فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من بعده، فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس: فاعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله وحج ماشياً توبة من كلمته.

٥٦ - (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) محمد ﷺ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب :٥٧]

٥٧ - (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة وهو النار (١).

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

٥٨ - (والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا) يرمونهم بغير ما عملوا (فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا) تحملوا كذبا (وَإِثْمًا مُبِينًا) بينا

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٩]

٥٩ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ) جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عينا واحدة (ذَلِكَ أَدْنَى) أقرب إلى (أَن يُعْرَفْنَ) بأنهن حرائر (فَلا يُؤْذَيْنَ) بالتعرض لهن بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما سلف منهن من ترك الستر (رَحِيمًا) بهن إذ سترهن (٢) .

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب :٦٠]

٦٠ - (لَئِن) لام قسم (لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ) عن نفاقهم (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) بالزنا (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) المؤمنين بقولهم قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم (ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ) يساكنونك (فِيهَا إلا قَلِيلاً)

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾

٦١ - ثم يخرجون (مَلْعُونِينَ) مبعدين عن الرحمة (أَيْنَمَا ثُقِفُوا) وجدوا (أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب :٦٢]

٦٢ - (سُنَّةَ اللَّهِ) أي سن الله ذلك (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) منه

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب :٦٣]

٦٣ - (يَسْأَلُكَ النَّاسُ) أى أهل مكة (عَنِ السَّاعَةِ) متى تكون (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك بها؟ أي أنت لا تعلمها (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ) توجد (قَرِيبًا) .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥٧**: أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: «إن الذين يؤذون الله ورسوله» الآية قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي.

* وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبيّ وأناس معه قذفوا عائشة فخطب النبي ﷺ وقال: من يعذرني من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني فنزلت.

(٢) **أسباب نزول الآية ٥٩**: وأخرج البخاري عن عائشة قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها - وكانت امرأة جسيمة لا تخفي على من يعرفها - فرآها عمر فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت: فأوحى الله إليه ثم رُفِعَ عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكنَّ أن تخرجن لحاجتكنَّ.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن وكان أناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فشكوا ذلك فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنما نفعله بالإماء فنزلت هذه الآية: «يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين».

* ثم أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي.

٦٤- (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ) أبعدهم (وأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) نارا شديدة يدخلونها
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾
٦٥- (خَالِدِينَ) مقدرا خلودهم (فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وليًا) يحفظهم عنها (ولا نَصِيرًا) يدفعها عنهم.
﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب :٦٦]
٦٦- (يَوْمَ تُقَلَّبُ وجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا) للتنبيه (لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وأَطَعْنَا الرَّسُولاَ)
﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب :٦٧]
٦٧- (وقَالُوا) أي الأتباع منهم (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا) وفي قراءة ساداتنا جمع الجمع (وكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ) طريق الهدى
﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب :٦٨]
٦٨- (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ) أي مثلي عذابنا (والْعَنْهُمْ) عذبهم (لَعْنًا كَبِيرًا) عدده وفي (كَبِيرًا) قراءة بالموحدة أي عظيما
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾
٦٩- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا) مع نبيكم (كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) بقولهم مثلا ما يمنعه أن يغتسل إلا أنه آدر (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف بين ملأ من بني إسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه ولا أدرة به وهي نفخة في الخصية (وكَانَ عِندَ اللَّهِ وجِيهًا) ذا جاه ومما أوذي به نبينا ﷺ أنه قسم قسما فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر رواه البخاري
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾
٧٠- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا) صوابا.
﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب :٧١]
٧١- (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يتقبلها (ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَن يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) نال غاية مطلوبة
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب :٧٢]
٧٢- (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ) الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب (عَلَى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والْجِبَالِ) بأن خلق فيها فهما ونطقا (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ) خفن (مِنْهَا وحَمَلَهَا الإِنسَانُ) آدم بعد عرضها عليه (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه بما حمله (جَهُولاً) به
﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ [الأحزاب :٧٣]
٧٣- (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (الْمُنَافِقِينَ والْمُنَافِقَاتِ والْمُشْرِكِينَ والْمُشْرِكَاتِ) المضيعين الأمانة (ويَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ) المؤدين الأمانة (وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) للمؤمنين (رَّحِيمًا) بهم

* * *

٣٤ سورة سبأ مكية

إلا آية ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ الآية [٦] فمدنية،

وآياتها ٥٤ أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ :١]

١ (الْحَمْدُ لله) حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) ملكا وخلقا (وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ) كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة (وَهُوَ الحَكِيمُ) في فعله (الخَبِيرُ) بخلقه

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾

٢ (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (فِي الأَرْضِ) كماء وغيره (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كنبات وغيره (وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من رزق وغيره (وَمَا يَعْرُجُ) يصعد (فِيهَا) من عمل وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بأوليائه (الغَفُورُ) لهم

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ :٣]

٣ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) القيامة (قُلْ) لهم (بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ) بالجر صفة والرفع خبر مبتدأ «وعلام» بالجر (لا يَعْزُبُ) يغيب (عَنْهُ مِثْقَالُ) وزن (ذَرَّةٍ) أصغر نملة (فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبأ :٤]

٤ (لِيَجْزِيَ) فيها (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) حسن في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ :٥]

٥ (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) إبطال (آيَاتِنَا) القرآن (مُعَاجِزِينَ) وفي قراءة هنا وفيما يأتي (معاجزين) أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتوننا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب (أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ) سيء العذاب (أَلِيمٌ) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز أو عذاب

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾

٦ (وَيَرَى) يعلم (الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) أي القرآن (هُوَ) فصل (الحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ) طريق (العَزِيزِ الحَمِيدِ) أي الله ذي العزة المحمود.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ :٧]

٧ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي قال بعضهم على جهة التعجب لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) هو محمد (يُنَبِّئُكُمْ) يخبركم أنكم (إِذَا مُزِّقْتُمْ) قطعتم (كُلَّ مُمَزَّقٍ) بمعنى تمزيق (إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ :٨]

٨ (أَفْتَرَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغني بها عن همزة الوصل (عَلَى الله كَذِبًا) في ذلك (أَم بِهِ جِنَّةٌ) جنون تخيل به ذلك قال تعالى (بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ) المشتملة على البعث والعذاب (فِي العَذَابِ) فيها (وَالضَّلالِ البَعِيدِ) عن الحق في الدنيا

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ :٩]

٩ (أَفَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) ما فوقهم وما تحتهم (مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا) بسكون السين وفتحها قطعة (مِّنَ السَّمَاءِ) وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المرئي (لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) راجع إلى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ :١٠]

١٠ (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً) نبوة وكتابا وقلنا (يَا جِبَالُ أَوِّبِي) رجعي (مَعَهُ) بالتسبيح (وَالطَّيْرَ) بالنصب عطفا على محل الجبال أي ودعوناها تسبح معه (وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ) فكان في يده كالعجين.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ :١١]

١١ وقلنا (أَنِ اعْمَلْ) منه (سَابِغَاتٍ) دروعا كوامل يجرها لابسها على الأرض (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) أي نسج الدروع قيل لصانعها سراد أي: اجعله بحيث تتناسب حلقه (وَاعْمَلُوا) أي آل داود معه (صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فأجازيكم به

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ :١٢]

١٢ (و) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غُدُوُّهَا) مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا) سيرها من الزوال إلى الغروب (شَهْرٌ) أي مسيرته (وَأَسَلْنَا) أذبنا (لَهُ عَيْنَ القِطْرِ) أي النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان (وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ) بأمر (رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ) يعدل (مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) له بطاعته (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) النار في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ :١٣]

١٣ (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ) أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج (وَتَمَاثِيلَ) جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته (وَجِفَانٍ) جمع جفنة (كَالْجَوابِ) جمع جابية وهو حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم وقلنا (اعْمَلُوا) يا (آلَ دَاوُودَ) بطاعة الله (شُكْرًا) له على ما آتاكم (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) العامل بطاعتي شكرا لنعمتي.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾

١٤ (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ) على سليمان (المَوْتَ) أي مات ومكث قائمًا على عصاه حولاً ميتًا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتا (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ) مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) بالهمز وتركه بألف عصاه لأنها ينسأ يطرد ويزجر بها (فَلَمَّا خَرَّ) ميتا (تَبَيَّنَتِ الجِنُّ) انكشف لهم (أن) مخففة أي أنهم (لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ) ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان (مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ) العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يومًا وليلة مثلاً.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ :١٥]

١٥ (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب (فِي مَسْكَنِهِمْ)

باليمن (آيَةٌ) دالة على قدرة الله تعالى (جَنَّتَانِ) بدل (عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) عن يمين واديهم وشماله، قيل لهم: (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ) ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا قملة وإن مرَّ الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها (و) الله (رَبٌّ غَفُورٌ)[1] .

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ :١٦]

١٦ (فَأَعْرَضُوا) عن شكره وكفروا (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر فأغرق جنتيهم وأموالهم (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ) تثنية ذوات مفرد على الأصل (أُكُلٍ خَمْطٍ) مر بشع بإضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه (وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾

١٧ (ذَٰلِكَ) التبديل (جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا) بكفرهم (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) بالياء والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور أي ما يناقش إلا هو

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ :١٨]

١٨ (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ وهم باليمن (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة (قُرًى ظَاهِرَةً) متواصلة من اليمن إلى الشام (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء أي وقلنا (سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) لا تخافون في ليل ولا في نهار.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ :١٩]

١٩ (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ) وفي قراءة بعِّد (بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ) بالكفر (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) لمن بعدهم في ذلك (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) فرقناهم في البلاد كل التفريق (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ) عبرا (لِّكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصي (شَكُورٍ) على النعم

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ :٢٠]

٢٠ (وَلَقَدْ صَدَّقَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ) أي الكفار منهم سبأ (إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أنهم بإغوائه يتبعونه (فَاتَّبَعُوهُ) فصدق بالتخفيف في ظنه أي وجده صادقا (إِلَّا) بمعنى لكن (فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) للبيان أي هم المؤمنون لم يتبعوه

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ :٢١]

٢١ (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ) تسليط منا (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) فنجازي كلا منهما (وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) رقيب

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ :٢٢]

٢٢ (قُلِ) يا محمد لكفار مكة (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم) أي زعمتموهم آلهة (مِّن دُونِ اللَّهِ) أي غيره

٣٤- سورة سبأ

(١) **أسباب نزول الآية ١٥**: أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز، وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم؟ فقال: «ما أمرت فيهم بشيء بعد» فأنزلت هذه الآية: «لقد كان لسبأ في مسكنهم» الآيات.

لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم (لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ) وزن (ذَرَّةٍ) من خير أو شر (فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ) شركة (وَمَا لَهُ) تعالى (مِنْهُم) من الآلهة (مِّن ظَهِيرٍ) معين

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ :٢٣]

٢٣ (وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ) تعالى ردًا لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده (إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ) بفتح الهمزة وضمها (لَهُ) فيها (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ) بالبناء للفاعل والمفعول (عَن قُلُوبِهِمْ) كشف عنها الفزع بالإذن فيها ؟ (قَالُوا) قال بعضهم لبعض استبشارا (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) فيها (قَالُوا) القول (الحَقَّ) أي قد أذن فيها (وَهُوَ العَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الكَبِيرُ) العظيم

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

٢٤ (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ) المطر (وَالأَرْضِ) النبات (قُلِ الله) إن لم يقولوه لا جواب غيره (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) أي أحد الفريقين (لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين ، في الإبهام تلطف بهم داعيا إلى الإيمان إذا وفقوا له

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ :٢٥]

٢٥ (قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا) أذنبنا (وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لأنا بريئون منكم

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ :٢٦]

٢٦ (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وَهُوَ الفَتَّاحُ) الحاكم (العَلِيمُ) بما يحكم به

﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ :٢٧]

٢٧ (قُلْ أَرُونِيَ) أعلموني (الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ) في العبادة (كَلاَّ) ردع لهم عن اعتقاد شريك له (بَلْ هُوَ الله العَزِيزُ) الغالب على أمره (الحَكِيمُ) في تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك في ملكه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ :٢٨]

٢٨ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً) حال من الناس قدم للاهتمام (لِّلنَّاسِ بَشِيرًا) مبشرا للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) منذرا للكافرين بالعذاب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ) ذلك

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

٢٩ (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ) بالعذاب (إن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيه ؟

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ :٣٠]

٣٠ (قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ) عليه وهو يوم القيامة

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ :٣١]

٣١ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا القُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له قال تعالى فيهم (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذِ الظَّالِمُونَ) الكافرون (مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ القَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) الرؤساء (لَوْلا أَنتُمْ) صددتمونا عن الإيمان (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بالنبي

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾

٣٢ (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم) ؟ لا (بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ) في أنفسكم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ :٣٣]

٣٣ (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أي مكر فيهما منكم بنا (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بالله وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (وَأَسَرُّوا) أي الفريقان (النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان به (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) أي أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير (وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) في النار (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلاَّ) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) في الدنيا

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ [سبأ :٣٤]

٣٤ (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا) رؤساؤها المتنعمون (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [1]

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ :٣٥]

٣٥ (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا) ممن آمن (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ :٣٦]

٣٦ (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ) ذلك

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ :٣٧]

٣٧ (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) قربى أي تقريبا (إِلاَّ) لكن (مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) أي جزاء العمل: الحسنة مثلا بعشر فأكثر (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ) من الجنة (آمِنُونَ) من الموت وغيره وفي قراءة «الغرفة» بمعنى الجمع.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ :٣٨]

٣٨ (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالإبطال (مُعَاجِزِينَ) لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا (أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ :٣٩]

٣٩ (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه (لَهُ) بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءه (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) في الخير (فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل إنسان يرزق عائلته أي برزق الله.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ :٤٠]

٤٠ - (و) اذكر (يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أي المشركين (ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها (كَانُوا يَعْبُدُونَ)

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ :٤١]

٤١ (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الشريك

---

[1] أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن ابن رزين قال: كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر فلما بُعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه وكان يقرأ بعض الكتب فأتى النبي ﷺ فقال: إلام تدعو؟ فقال: «إلى كذا وكذا» فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: «وما علمك بذلك؟» قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم فنزلت هذه الآية: « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون» فأرسل إليه النبي ﷺ إن الله قد أنزل تصديق ما قلت.

(أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم) أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا (بَلْ) للانتقال (كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ) الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا (أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ) مصدقون فيما يقولون لهم

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾

٤٢- قال تعالى (فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) أي بعض المعبودين لبعض العابدين (نَّفْعًا) شفاعة (وَلا ضَرًّا) تعذيبا (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ)

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ :٤٣]

٤٣(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ(قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ) من الأصنام (قَالُوا مَا هَذَا) القرآن (إِلاَّ إِفْكٌ) كذب (مُّفْتَرًى) على الله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ) ما (هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين

﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ :٤٤]

٤٤- قال تعالى: (وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ) فمن أين كذبوك.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ :٤٥]

٤٥(وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا) أي هؤلاء (مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) من القوة وطول العمر وكثرة المال (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) إليهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك ؟ أي هو واقع موقعه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ :٤٦]

٤٦(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ) هي (أَن تَقُومُوا لله) أي لأجله (مَثْنَى) أي اثنين اثنين (وَفُرَادَى) واحدا واحدا (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) فتعلموا (مَا بِصَاحِبِكُم) محمد (مِّن جِنَّةٍ) جنون (إِنْ) ما (هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ) أي قبل (عَذَابٍ شَدِيدٍ) في الآخرة إن عصيتموه

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ :٤٧]

٤٧(قُلْ) لهم (مَا سَأَلْتُكُم) على الإنذار والتبليغ (مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) أي لا أسألكم عليه أجرا (إِنْ أَجْرِيَ) ما ثوابي (إِلاَّ عَلَى الله وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) مطلع يعلم صدقي

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ :٤٨]

٤٨(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) يلقيه إلى أنبيائه (عَلاَّمُ الغُيُوبِ) ما غاب عن خلقه في السموات والأرض

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾

٤٩(قُلْ جَاءَ الحَقُّ) الإسلام (وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ) الكفر (وَمَا يُعِيدُ) أي لم يبق له أثر

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ :٥٠]

٥٠(قُلْ إن ضَلَلْتُ) عن الحق (فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) أي إثم ضلالي عليها (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) من القرآن والحكمة (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للدعاء (قَرِيبٌ)

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ :٥١]

٥١(وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ فَزِعُوا) عند البعث لرأيت أمرا عظيما (فَلا فَوْتَ) لهم منا أي لا يفوتوننا (وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) أي القبور

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ :٥٢]

٥٢(وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بمحمد أو القرآن (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) بواو وبالهمزة بدلها أي تناول الإيمان

(مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) عن محله إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ :٥٣]

٥٣(وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ) في الدنيا (وَيَقْذِفُونَ) يرمون (بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي ساحر شاعر كاهن وفي القرآن سحر شعر كهانة

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ [سبأ :٥٤]

٥٤(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الإيمان أي قبوله (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم) أشباههم في الكفر (مِّن قَبْلُ) أي قبلهم (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ) موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

* * *

٣٥ سورة فاطر مكية

وآياتها ٤٥ خمس أو ست وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر :١]

١ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد الله تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سبأ (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) خالقهما على غير مثال سبق (جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً) إلى الأنبياء (أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ) في الملائكة وغيرها (مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

٢ (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ) كرزق ومطر (فَلا مُمْسِكَ لَهَا ومَا يُمْسِكْ) من ذلك (فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) أي بعد إمساكه (وَهُوَ العَزِيزُ) الغالب على أمره (الحَكِيمُ) في فعله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر :٣]

٣(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هَلْ مِنْ خَالِقٍ) من زائدة وخالق مبتدأ (غَيْرُ اللَّهِ) بالرفع والجر نعت لخالق لفظا ومحلا وخبر المبتدأ (يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ) المطر (و(من (الأَرْضِ) النبات ؟ والاستفهام للتقرير أي لا خالق رازق غيره (لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطر :٤]

٤ (وإن يُكَذِّبُوكَ) يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) في ذلك فاصبر كما صبروا (وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) في الآخرة فيجازي المكذبين وينصر المرسلين

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر :٥]

٥ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث وغيره (حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا) عن الإيمان بذلك (ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ) في حلمه وإمهاله (الغَرُورُ) الشيطان

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر :٦]

٦ (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) بطاعة الله ولا تطيعوه (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ) أتباعه في الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) النار الشديدة

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر :٧]

٧ (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان لموافقي الشيطان وما لمخالفيه

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر :٨]

٨ ونزل في أبي جهل وغيره (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) بالتمويه (فَرَآهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله ؟ لا، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ويَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) على المزين لهم (حَسَرَاتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه [١].

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾

٩ (واللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وفي قراءة الريح (فَتُثِيرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه (فَسُقْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لا نبات بها (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أنبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ النُّشُورُ) البعث والإحياء.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

١٠ (مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعًا) أي في الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ) يعلمه وهو لا إله إلا الله ونحوها (والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقبله (والَّذِينَ يَمْكُرُونَ) المكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ومَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ) يهلك

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [فاطر :١١]

١١ (واللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) أي مني بخلق ذريته منها (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى ولا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ) حال أي معلومة له (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ) أي ما يزاد في عمر طويل العمر (ولا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) أي ذلك المعمر أو معمر آخر (إِلاَّ فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هين

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [فاطر :١٢]

١٢ (وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) شربه (وهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (ومِن كُلٍّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح وقيل منهما (حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هي اللؤلؤ والمرجان (وتَرَى) تبصر (الفُلْكَ) السفن (فِيهِ) في كل منهما (مَوَاخِرَ) تمخر الماء أي تشقه بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِن فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾

١٣ (يُولِجُ) يدخل الله (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) فيزيد (ويُولِجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد (وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِي) في فلكه (لأَجَلٍ مُّسَمًّى) يوم القيامة (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ والَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِهِ) أي غيره وهم الأصنام (مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ) لفافة النواة

﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر :١٤]

٣٥- سورة الملائكة (فاطر)

(١) **أسباب نزول الآية ٨:** أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية: حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام» فهدى الله عمر وأضل أبا جهل ففيهما أنزلت.

١٤ (إن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ولَوْ سَمِعُوا) فرضا (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) ما أجابوكم (ويَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) بإشراككم إياهم مع الله أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم (ولا يُنَبِّئُكَ) بأحوال الدارين (مِثْلُ خَبِيرٍ) عالم وهو الله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر :١٥]

١٥ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) بكل حال (واللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ) عن خلقه (الحَمِيدُ) المحمود في صنعه بهم

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

١٦ (إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بدلكم

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر :١٧]

١٧ (ومَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر :١٨]

١٨ (ولا تَزِرُ) نفس (وازِرَةٌ) آثمة أي لا تحمل (وِزْرَ) نفس (أُخْرَى وإن تَدْعُ) نفس (مُثْقَلَةٌ) بالوزر (إِلَى حِمْلِهَا) منه أحدا ليحمل بعضه (لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ولَوْ كَانَ) المدعو (ذَا قُرْبَى) قرابة كالأب والابن وعدم الحمل في الشقين حكم من الله (إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) أي يخافونه وما رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار (وأَقَامُوا الصَّلاةَ) أداموها (ومَن تَزَكَّى) تطهر من الشرك وغيره (فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) فصلاحه مختص به (وإِلَى اللَّهِ المَصِيرُ) المرجع فيجازى بالعمل في الآخرة

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر :١٩]

١٩ (ومَا يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ) الكافر والمؤمن

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر :٢٠]

٢٠ (ولا الظُّلُمَاتُ) الكفر (ولا النُّورُ) الإيمان

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [فاطر :٢١]

٢١ (ولا الظِّلُّ ولا الحَرُورُ) الجنة والنار

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر :٢٢]

٢٢ (ومَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ ولا الأَمْوَاتُ) المؤمنون والكافرون وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ) هدايته فيجيبه بالإيمان (ومَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ) أي الكفار شبههم بالموتى فلا يجيبون

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٣]

٢٣ (إنْ) ما (أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ) منذر لهم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٤]

٢٤ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ) بالهدى (بَشِيرًا) من أجاب إليه (ونَذِيرًا) من لم يجب إليه (وإن) ما (مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا) سلف (فِيهَا نَذِيرٌ) نبي ينذرها

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾

٢٥ (وإن يُكَذِّبُوكَ) أي أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (وبِالزُّبُرِ) كصحف إبراهيم (وبِالْكِتَابِ المُنِيرِ) هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

٢٦ (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتكذيبهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك ؟ أي هو واقع موقعه

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر :٢٧]

٢٧ (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) فيه التفات عن الغيبة (بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها (ومِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ) جمع جدة طريق في الجبل وغيره (بِيضٌ

وحُمْرٌ) وصفر (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) بالشدة والضعف (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) عطف على جدد أي صخور شديدة السواد يقال كثيرا أسود غربيب وقليلا غربيب أسود

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر :٢٨]

٢٨ (ومِنَ النَّاسِ والدَّوَابِّ والأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) كاختلاف الثمار والجبال (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ) بخلاف الجهال ككفار مكة (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) في ملكه (غَفُورٌ) لذنوب عباده المؤمنين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر :٢٩]

٢٩ (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ) يقرأون (كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ) أداموها (وأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وعَلانِيَةً) زكاة وغيرها (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)(١) تهلك

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر :٣٠]

٣٠ (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم المذكورة (ويَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ) لذنوبهم (شَكُورٌ) لطاعتهم

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

٣١ (والَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ) القرآن (هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) عالم بالبواطن والظواهر

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

٣٢ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا) أعطينا (الكِتَابَ) القرآن (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وهم أمتك (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) بالتقصير في العمل به (ومِنْهُم مُّقْتَصِدٌ) يعمل به أغلب الأوقات (ومِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) يضم إلى العلم به التعليم والإرشاد إلى العمل به (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (ذَلِكَ) أي إيراثهم الكتاب (هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ)

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر :٣٣]

٣٣ (جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدأ (يُحَلَّوْنَ) خبر ثان (فِيهَا مِنْ) بعض (أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤْلُؤًا) مرصع بالذهب (ولِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر :٣٤]

٣٤ (وقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ) جميعه (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للطاعة

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر :٣٥]

٣٥ (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ) أي الإقامة (مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) تعب (ولا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) إعياء من التعب لعدم التكليف فيها وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه (١).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر :٣٦]

٣٦ (والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٩:** أخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزلت فيه: «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة».

(١) **أسباب نزول الآية ٣٥:** وأخرج البيهقي في البعث، وابن أبي حاتم من طريق نفيع بن الحارث عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم؟ قال: ألا إن النوم شريك الموت وليس في الجنة موتا قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: « ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة» فنزلت « لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ».

عَلَيْهِمْ) بالموت (فَيَمُوتُوا) يستريحوا (ولا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا) طرفة عين (كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ) كافر بالياء والنون مفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

٣٧ (وهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) منها (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فيقال لهم (أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا) وقتا (يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) الرسول؟ فما أجبتم (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (مِن نَّصِيرٍ) يدفع العذاب عنهم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر :٣٨]

٣٨ (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر :٣٩]

٣٩ (هُوَ الَذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ) جمع خليفة يخلف بعضكم بعضا (فَمَن كَفَرَ) منكم (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) أي وبال كفره (ولا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إلاَّ مَقْتًا) غضبا (ولا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إلاَّ خَسَارًا) للآخرة

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر :٤٠]

٤٠ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى (أَرُونِي) أخبروني (مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) شركة مع الله (فِي) خلق (السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ) حجة (مِّنْهُ) بأن لهم معي شركة ؟ لا شيء من ذلك (بَلْ إِن) ما (يَعِدُ الظَالِمُونَ) الكافرون (بَعْضُهُم بَعْضًا إلاَّ غُرُورًا) باطلا بقولهم الأصنام تشفع لهم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

٤١ (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ أَن تَزُولا) يمنعهما من الزوال (ولَئِن) لام قسم (زَالَتَا إِنْ) ما (أَمْسَكَهُمَا) يمسكهما (مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أي سواه (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) في تأخير عقاب الكفار

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾

٤٢ (وأَقْسَمُوا) أي كفار مكة (بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غاية اجتهادهم فيها (لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) رسول (لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ) اليهود والنصارى وغيرهم أي: أي واحدة منها لمَا رأوا من تكذيب بعضهم بعضا إذ (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) محمد ﷺ[1] (مَّا زَادَهُمْ) مجيئه (إلاَّ نُفُورًا) تباعدا عن الهدى

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

٤٣ (اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ) عن الإيمان مفعول له (ومَكْرَ) العمل (السَّيِّئِ) من الشرك وغيره (ولا يَحِيقُ) يحيط (المَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ) وهو الماكر وصف المكر بالسيء أصل وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذرا من الإضافة إلى

(١) **أسباب نزول الآية ٤٢**: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبياً ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع لنبيها ولا أشد تمسكاً بكتابها منا فأنزل الله: «وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين» و«لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم»«وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم» وكانت اليهود تستفتح به على النصارى فيقولون: إنا نجد نبياً يخرج.

الصفة (فَهَلْ يَنظُرُونَ) ينتظرون (إلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾

٤٤ (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ) يسبقه ويفوته (مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا) بالأشياء كلها (قَدِيرًا) عليها

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾

٤٥ (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) من المعاصي (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا) أي الأرض (مِن دَابَّةٍ) نسمة تدب عليها (وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أى: يوم القيامة (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين

* * *

٣٦ - سورة يس مكية

إلا آية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ [يس: ٤٧] الآية إلى آخرها فمدنية،

وآياتها ٨٣ ثلاثة وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ﴾ [يس :١]

١ (يس) الله أعلم بمراده به

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس :٢]

٢ (وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ) المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني [١].

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس :٣]

٣ (إِنَّكَ) يا محمد (لَمِنَ المُرْسَلِينَ)

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس :٤]

٤ (عَلَى) متعلق بما قبله (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: (لست مرسلًا)

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس :٥]

٥ (تَنزِيلَ العَزِيزِ) في ملكه (الرَّحِيمِ) بخلقه خبر مبتدأ مقدر أي القرآن

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾

٦ (لِتُنذِرَ) به (قَوْمًا) متعلق بتنزيل (مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) أي لم ينذروا في زمن الفترة (فَهُمْ) القوم (غَافِلُونَ) عن الإيمان والرشد

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٧ (لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ) وجب (عَلَى أَكْثَرِهِمْ) بالعذاب (فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) أي الأكثر

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس :٨]

٨ (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً) بأن تضم إليها الأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (فَهِيَ) أى: الأيدي مجموعة (إِلَى الأَذْقَانِ) جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين (فَهُم مُّقْمَحُونَ) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له [٢].

٣٦- سورة يس

(١) **أسباب نزول الآيات ١ - ٢**: أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وإذا بهم عميٌ لا يبصرون فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا : ننشدك الله والرحم يا محمد فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت: «يس والقرآن الحكيم» إلى قوله: «أم لم تنذرهم لا يؤمنون» قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد.

(٢) **أسباب نزول الآية ٨**: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلنّ فأنزل

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس :٩]

٩ (وجعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) بفتح السين وضمها في الموضعين (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) تمثيل أيضا لسد طريق الإيمان عليهم

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

١٠ (وسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس :١١]

١١ (إنَّمَا تُنذِرُ) ينفع إنذارك (مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) القرآن (وخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) خافه ولم يره (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وأَجْرٍ كَرِيمٍ) هو الجنة

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس :١٢]

١٢ (إنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى) للبعث (ونَكْتُبُ) في اللوح المحفوظ (مَا قَدَّمُوا) في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه (وآثَارَهُمْ) ما استن به بعدهم (وكُلَّ شَيْءٍ) نصبه بفعل يفسره (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه (في إمَامٍ مُّبِينٍ) كتاب بين هو اللوح المحفوظ[1].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾

١٣ (واضْرِبْ) اجعل (لَهُم مَّثَلاً) مفعول أول (أَصْحَابَ) مفعول ثان (القَرْيَةِ) أنطاكية (إذْ جَاءَهَا) إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية (المُرْسَلُونَ) أي رسل عيسى

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس :١٤]

١٤ (إذْ أَرْسَلْنَا إلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا) إلى آخره بدل من إذ الأولى (فَعَزَّزْنَا) بالتخفيف والتشديد قوينا الاثنين (بِثَالِثٍ فَقَالُوا إنَّا إلَيْكُم مُّرْسَلُونَ)

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس :١٥]

١٥ (قَالُوا مَا أَنتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ومَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إنْ) ما (أَنتُمْ إلاَّ تَكْذِبُونَ)

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس :١٦]

١٦ (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ) جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في (إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يس :١٧]

١٧ (ومَا عَلَيْنَا إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) التبليغ الظاهر بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس :١٨]

١٨ (قَالُوا إنَّا تَطَيَّرْنَا) تشاءمنا (بِكُمْ) لانقطاع المطر عنا بسببكم (لَئِن) لام قسم (لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة (ولَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس :١٩]

١٩ (قَالُوا طَائِرُكُم) شؤمكم (مَّعَكُمْ) بكفركم (أَئِن) همزة استفهام دخلت على أن الشرطية وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (ذُكِّرْتُم) وعظتم وخوفتم ؟ وجواب الشرط محذوف أي تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) متجاوزون الحد بشرككم

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس :٢٠]

الله: «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً» إلى قوله: «لا يبصرون» فكانوا يقولون: هذا محمد فيقول: أين هو؟ أين هو؟ ولا يبصره.

(١) أسباب نزول الآية ١٢: وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية: «إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم» فقال النبي ﷺ: «إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا».

* وأخرج الطبراني عن ابن عباس مثله.

٢٠(وجاءَ مِنْ أَقْصَا المَدِينَةِ رَجُلٌ) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد (يَسْعَى) يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم للرسل (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ)

﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

٢١ (اتَّبِعُوا) تأكيد للأول (مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) على رسالته (وهُم مُّهْتَدُونَ) فقيل له أنت على دينهم ؟

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٢٢ فقال (ومَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَذِي فَطَرَنِي) ؟ خلقني أي ما مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها وأنتم كذلك (وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد الموت فيجازيكم كغيركم.

﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾

٢٣ (أَأَتَّخِذُ) في الهمزتين منه ما تقدم في (أأنذرتهم) وهو استفهام بمعنى النفي (مِن دُونِهِ) أي غيره (آلِهَةً) أصناما ؟ (إن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ) التي زعمتموها (شَيْئًا ولا يُنقِذُونِ) صفة آلهة

﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس :٢٤]

٢٤ (إِنِّي إِذًا) إن عبدت غير الله (لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين

﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس :٢٥]

٢٥ (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أي اسمعوا قولي فرجموه فمات

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾

٢٦ (قِيلَ) له عند موته (ادْخُلِ الجَنَّةَ) وقيل دخلها حيا (قَالَ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ)

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس :٢٧]

٢٧ (بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) بغفرانه (وجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ)

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يس :٢٨]

٢٨(ومَا) نافية (أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ) أي قوم حبيب (مِنْ بَعْدِهِ) بعد موته (مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ) أي ملائكة لإهلاكهم (ومَا كُنَّا مُنزِلِينَ) ملائكة لإهلاك أحد

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾]

٢٩ (إن) ما (كَانَتْ) عقوبتهم (إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً) صاح بهم جبريل (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ساكنون ميتون

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس :٣٠]

٣٠(يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ) هؤلاء ونحوهم ممن كذب الرسل فأهلكوا وهي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري (مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس :٣١]

٣١ (أَلَمْ يَرَوْا) أهل مكة القائلون للنبي «لست مرسلا» والاستفهام للتقرير أي اعلموا (كَمْ) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل والمعنى إنا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم) كثيرا (مِّنَ القُرُونِ) الأمم (أَنَّهُمْ) المهلكين (إِلَيْهِمْ) أي المكذبين (لا يَرْجِعُونَ) أفلا يعتبرون بهم ؟ «وأنهم» إلخ بدل مما قبله برعاية المذكور

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس :٣٢]

٣٢ (وإن) نافية أو مخففة (كُلٌّ) أي الخلائق مبتدأ (لَمَّا) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما مزيدة (جَمِيعٌ) خبر المبتدأ أي مجموعون (لَّدَيْنَا) عندنا في الموقف بعد بعثهم (مُحْضَرُونَ) للحساب خبر ثان

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس :٣٣]

٣٣ (وآيَةٌ لَّهُمُ) على البعث خبر مقدم (الأَرْضُ المَيْتَةُ) بالتخفيف والتشديد (أَحْيَيْنَاهَا) بالماء مبتدأ (وأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا) كالحنطة (فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ)

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [يس :٣٤]

٣٤ (وجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ) بساتين (مِّن نَّخِيلٍ وأَعْنَابٍ وفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ) أي بعضها

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس :٣٥]

٣٥ (لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ) بفتحتين وضمتين أي ثمر المذكور من النخيل وغيره (ومَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أي لم تعمل الثمر (أَفَلا يَشْكُرُونَ) أنعمه تعالى عليهم ؟

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس :٣٦]

٣٦ (سبحَانَ الَذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ) من الحبوب وغيرها (ومِنْ أَنفُسِهِمْ) من الذكور والإناث (ومِمَّا لا يَعْلَمُونَ) من المخلوقات العجيبة الغريبة

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس :٣٧]

٣٧ (وآيَةٌ لَّهُمُ) على القدرة العظيمة (اللَّيْلُ نَسْلَخُ) نفصل (مِنْهُ النَّهارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ) داخلون في الظلام

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس :٣٨]

٣٨ (والشَّمْسُ تَجْرِي) إلى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك (لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا) أي إليه لا تتجاوزه (ذَلِكَ) أي جريها (تَقْدِيرُ العَزِيزِ) في ملكه (العَلِيمِ) بخلقه

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾

٣٩ (والقَمَرَ) بالرفع والنصب وهو منصوب بفعلٍ يفسره ما بعده (قَدَّرْنَاه) من حيث مسيره (مَنَازِلَ) ثمانية وعشرين منزلا في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما وليلة إن كان تسعة وعشرين يوما (حَتَّى عَادَ) في آخر منازله في رأي العين (كَالْعُرْجُونِ القَدِيم) كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس :٤٠]

٤٠ (لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي) يسهل ويصح (لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ) فتجتمع معه في الليل (ولا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) فلا يأتي قبل انقضائه (وكُلٌّ) تنويه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم (فِي فَلَكٍ) مستدير (يَسْبَحُونَ) يسيرون نزلوا منزلة العقلاء

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾

٤١ (وآيَةٌ لَّهُمْ) على قدرتنا (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) وفي قراءة ذرياتهم أي آباءهم الأصول (فِي الفُلْكِ) أي سفينة نوح (المَشْحُونِ) المملوء

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس :٤٢]

٤٢ (وخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ) أي مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (مَا يَرْكَبُونَ) فيه

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس :٤٣]

٤٣ (وإن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) مع إيجاد السفن (فَلا صَرِيخَ) مغيث (لَهُمْ ولا هُمْ يُنقَذُونَ) ينجون

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس :٤٤]

٤٤ (إلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا ومَتَاعًا إِلَى حِينٍ) أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس :٤٥]

٤٥ (وإذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من عذاب الدنيا كغيركم (ومَا خَلْفَكُمْ) من عذاب الآخرة (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أعرضوا

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس :٤٦]

٤٦ (ومَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس :٤٧]

٤٧ (وإِذَا قِيلَ) أي قال فقراء الصحابة (لَهُمْ أَنفِقُوا) علينا (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) من الأموال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) استهزاء بهم (أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) في معتقدكم هذا (إِنْ) ما (أَنتُمْ) في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ؟ (إلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين وللتصريح بكفرهم موقع عظيم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾

٤٨ - قال تعالى (ويَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ) بالبعث (إن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيه

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس :٤٩]

٤٩ (مَا يَنظُرُونَ) أي ينتظرون (إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً) وهي نفخة إسرافيل الأولى (تَأْخُذُهُمْ وهُمْ يَخِصِّمُونَ) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك وفي قراءة «يخصمون» كيضربون أي يخصم بعضهم بعضا

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾

٥٠ (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أي أن يوصوا (ولا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس :٥١]

٥١ (ونُفِخَ فِي الصُّورِ) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فَإِذَا هُم) أي المقبورون (مِّنَ الأَجْدَاثِ) القبور (إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) يخرجون بسرعة

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس :٥٢]

٥٢ (قَالُوا) أي الكفار منهم (يَا) للتنبيه (ويْلَنَا) هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا (هَذَا) أي البعث (مَا) أي الذي (وعَدَ) به (الرَّحْمَنُ وصَدَقَ) فيه (المُرْسَلُونَ) أقروا حين لا ينفعهم الإقرار وقيل يقال لهم ذلك

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس :٥٣]

٥٣ (إن) ما (كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا) عندنا (مُحْضَرُونَ)

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس :٥٤]

٥٤ (فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ولا تُجْزَوْنَ إلاَّ) جزاء (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ﴾

٥٥ (إنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ) بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبكار لا شغل يتعبون فيه لأن الجنة لا نصب فيها (فَاكِهُونَ) ناعمون خبر ثان لإن والأول في شغل

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾

٥٦ (هُمْ) مبتدأ (وأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ) جمع ظلة أو ظل خبر أي لا تصيبهم الشمس (عَلَى الأَرَائِكِ) جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها (مُتَّكِئُونَ) خبر ثان متعلق على

﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس :٥٧]

٥٧ (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ولَهُم) فيها (مَّا يَدَّعُونَ) يتمنون

﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس :٥٨]

٥٨ (سَلامٌ) مبتدأ (قَوْلاً) أي بالقول خبره (مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ) بهم أي يقول لهم سلام عليكم

﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس :٥٩]

٥٩ (و) يقول (امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس :٦٠]

٦٠ (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) آمركم (يَا بَنِي آدَمَ) على لسان رسلي (أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) لا تطيعوه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) بين العداوة ؟

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس :٦١]

٦١ (وأَنِ اعْبُدُونِي) وحدوني وأطيعوني (هَذَا صِرَاطٌ) طريق (مُّسْتَقِيمٌ) ؟

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾

٦٢ (ولَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ) خلقا جمع جبيل كقديم وفي قراءة بضم الباء (كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) عداوته وإضلاله و ما حل بهم من العذاب فتؤمنون ؟ ويقال لهم في الآخرة

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [يس :٦٣]

٦٣ (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) بها

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس :٦٤]

٦٤ (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس :٦٥]

٦٥ (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) أي الكفار لقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) (وتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم) وغيرها (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فكل عضو ينطق بما صدر منه

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس :٦٦]

٦٦ (ولَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) لأعميناهم طمسا (فَاسْتَبَقُوا) ابتدروا (الصِّرَاطَ) الطريق ذاهبين كعادتهم (فَأَنَّى) فكيف (يُبْصِرُونَ) حينئذ ؟ أي لا يبصرون

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس :٦٧]

٦٧ (ولَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ) قردة وخنازير أو حجارة (عَلَى مَكَانَتِهِمْ) وفي قراءة «مكاناتهم» جمع مكانة بمعنى مكان أي في منازلهم (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًا ولا يَرْجِعُونَ) لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

٦٨ (ومَن نُّعَمِّرْهُ) بإطالة أجله (نُنَكِّسْهُ) وفي قراءة بالتشديد من التنكيس (فِي الخَلْقِ) أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهرما (أَفَلا يَعْقِلُونَ) أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون ؟ وفي قراءة بالتاء

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس :٦٩]

٦٩ (ومَا عَلَّمْنَاهُ) أي النبي (الشِّعْرَ) رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر (ومَا يَنْبَغِي) يسهل (لَهُ) الشعر (إِنْ هُوَ) ليس الذي أتى به (إِلاَّ ذِكْرٌ) عظة (وقُرْآنٌ مُّبِينٌ) مظهر للأحكام وغيرها

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

٧٠ (لِيُنذِرَ) بالياء والتاء به (مَن كَانَ حَيًّا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون (ويَحِقَّ القَوْلُ) بالعذاب (عَلَى الكَافِرِينَ) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس :٧١]

٧١ (أَوَ لَمْ يَرَوْا) يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم) في جملة الناس (مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) عملناه بلا شريك ولا معين (أَنْعَامًا) هي الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) ؟ ضابطون

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾

٧٢ (وذَلَّلْنَاهَا) سخرناها (لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) مركوبهم (ومِنْهَا يَأْكُلُونَ)

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

٧٣ (ولَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كأصوافها وأوبارها

وأشعارها (ومَشَارِبُ) من لبنها جمع مشرب بمعنى الشرب أو موضعه (أفَلا يَشْكُرُونَ) المنعم عليهم بها فيؤمنون ؟ أي ما فعلوا ذلك

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾

٧٤ (واتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره (آلِهَةً) أصناما يعبدونها (لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾

٧٥ (لا يَسْتَطِيعُونَ) أي آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء (نَصْرَهُمْ وهُمْ) أي آلهتهم من الأصنام (لَهُمْ جُندٌ) بزعمهم نصرهم (مُحْضَرُونَ) في النار معهم

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس :٧٦]

٧٦ (فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) لك لست مرسلا وغير ذلك (إنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ومَا يُعْلِنُونَ) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس :٧٧]

٧٧ (أَوَ لَمْ يَرَ الإنسَانُ) يعلم وهو العاصي ابن وائل (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ) مني إلى أن صيرناه شديدا قويا (فَإذَا هُوَ خَصِيمٌ) شديد الخصومة لنا (مُّبِينٌ) بينها في نفي البعث(١) ؟

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس :٧٨]

٧٨ (وضَرَبَ لَنَا مَثَلاً) في ذلك (ونَسِيَ خَلْقَهُ) من المني وهو أغرب من مثله (قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وهِيَ رَمِيمٌ) أي بالية ولم يقل رميمة بالتاء لأنه اسم لا صفة وروي أنه أخذ عظما رميما ففتته وقال للنبي ﷺ أترى يحيي الله هذا بعد ما بلي ورم فقال ﷺ نعم ويدخلك النار

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس :٧٩]

٧٩ (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) مخلوق (عَلِيمٌ) مجملا ومفصلا قبل خلقه وبعد خلقه

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس :٨٠]

٨٠ (الَّذِي جَعَلَ لَكُم) في جملة الناس (مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ) المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب (نَارًا فَإذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ) تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفيء النار ولا النار تحرق الخشب

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس :٨١]

٨١ (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِقَادِرٍ) مع عظمها (عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى) أي الأناسي في الصغر (وهُوَ) أي هو قادر على ذلك أجاب نفسه (الخَلاَّقُ العَلِيمُ) الكثير الخلق (إنما) بكل شيء

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس :٨٢]

٨٢ (إنَّمَا أَمْرُهُ) شأنه (إذَا أَرَادَ شَيْئًا) خلق شيء (أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على يقول

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس :٨٣]

٨٣ (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على (كُلِّ شَيْءٍ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون في الآخرة

* * *

(١) **أسباب نزول الآية ٧٧**: وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل فَفَتَّه فقال: يا محمد أيبعث هذا بعد ما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات: «أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة» إلى آخر السورة.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسُّدي نحوه «وسموا الإنسان: أبيّ بن خلف».

٣٧ سورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ مائة واثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات :١]

١ (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات :٢]

٢ (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات :٣]

٣ (فَالتَّالِيَاتِ) أي جماعة قراء القرآن أي تتلونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات :٤]

٤ (إِنَّ إِلَهَكُمْ) يا أهل مكة (لَوَاحِدٌ)

﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾

٥ (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا ورَبُّ المَشَارِقِ) أي والمغارب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات :٦]

٦ (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ) بضوئها أو بها والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات :٧]

٧ (وحِفْظًا) منصوب بفعل مقدر أي حفظناها بالشهب (مِّن كُلِّ) متعلق بالمقدر (شَيْطَانٍ مَّارِدٍ) عات خارج عن الطاعة

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾

٨ (لا يَسَّمَّعُونَ) أي الشياطين وسماعهم مستأنف هو في المعنى المحفوظ عنه (إِلَى المَلأِ الأَعْلَى) الملائكة في السماء وعدي السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون وأدغمت التاء في السين (ويُقْذَفُونَ) الشياطين بالشهب (مِن كُلِّ جَانِبٍ) من آفاق السماء

﴿دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات :٩]

٩ (دُحُورًا) مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو مفعول له (ولَهُمْ) في الآخرة (عَذَابٌ واصِبٌ) دائم

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

١٠ (إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ) مصدر أي المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) كوكب مضيء (ثَاقِبٌ) يثقبه أو يحرقه أو يخبله

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات :١١]

١١ (فَاسْتَفْتِهِمْ) استخبر كفار مكة تقريرا أو توبيخا (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا) من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما ؟ وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء (إِنَّا خَلَقْنَاهُم) أي أصلهم آدم (مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ) لازم يلصق باليد المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدي إلى إهلاكهم اليسير

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات :١٢]

١٢ (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وبحالهم (عَجِبْتَ) بفتح التاء خطابا للنبي ﷺ أي: من تكذيبهم إياك (و) هم (يَسْخَرُونَ) من تعجبك

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ [الصافات :١٣]

١٣ (وإِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا بالقرآن (لا يَذْكُرُونَ) لا يتعظون

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات :١٤]

١٤ (وإِذَا رَأَوْا آيَةً) كانشقاق القمر (يَسْتَسْخِرُونَ) يستهزئون بها

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات :١٥]

١٥ (وقَالُوا) فيها (إِنْ) ما (هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين وقالوا منكرين للبعث

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾

١٦ (أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا وعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات :١٧]

١٧ (أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ) بسكون الواو عطفا بأو وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير في لمبعوثون والفاصل همزة الاستفهام

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [الصافات :١٨]

١٨ (قُلْ نَعَمْ) تبعثون (وأَنْتُم دَاخِرُونَ) صاغرون

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾

١٩ (فَإِنَّمَا هِيَ) ضمير مبهم يفسره (زَجْرَةٌ) أي صيحة (واحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ) أي الخلائق أحياء (يَنظُرُونَ) ما يفعل بهم

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصافات :٢٠]

٢٠ (وقَالُوا) أي: الكفار (يَا) للتنبيه (ويْلَنَا) هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) يوم الحساب والجزاء

﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾

٢١ (هَـذَا يَوْمُ الفَصْلِ) بين الخلائق (الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) ويقال للملائكة

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾

٢٢ (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالشرك (وأَزْوَاجَهُمْ) قرناءهم من الشياطين (ومَا كَانُوا يَعْبُدُونَ)

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾

٢٣ (مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الأوثان (فَاهْدُوهُمْ) دلوهم وسوقوهم (إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ) طريق النار

﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات :٢٤]

٢٤ (وقِفُوهُمْ) احبسوهم عند الصراط (إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويقال لهم توبيخا

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات :٢٥]

٢٥ (مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ) لا ينصر بعضكم بعضا كحالكم في الدنيا ؟ ويقال لهم

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات :٢٦]

٢٦ (بَلْ هُمُ اليَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) منقادون أذلاء

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات :٢٧]

٢٧ (وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يتلاومون ويتخاصمون

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات :٢٨]

٢٨ (قَالُوا) أي الأتباع منهم للمتبوعين (إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى أنكم أضللتمونا

﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات :٢٩]

٢٩ (قَالُوا) أي المتبعون لهم (بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وإنما يصدق الإضلال منا أن لوكنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ﴾

٣٠ (ومَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا (بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) ضالين مثلنا

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصافات :٣١]

٣١ (فَحَقَّ) وجب (عَلَيْنَا) جميعا (قَوْلُ رَبِّنَا) بالعذاب أي قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (إِنَّا) جميعا (لَذَائِقُونَ) العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم

﴿فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ﴾ [الصافات :٣٢]

٣٢ (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) المعلل بقوله (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ)

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات :٣٣]

٣٣ (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أي لاشتراكهم في الغواية

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات :٣٤]

٣٤ (إنَّا كَذٰلِكَ) كما نفعل بهؤلاء (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) غير هؤلاء أي نعذبهم التابع منهم والمتبوع

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات :٣٥]

٣٥ (إنَّهُمْ) أي هؤلاء بقرينة ما بعده (كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾

٣٦ (ويَقُولُونَ أئِنَّا) في همزتيه ما تقدم (لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ) أي لأجل قول محمد ؟ قال تعالى

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات :٣٧]

٣٧ (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الجائين به وهو أن لا إله إلا الله

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [الصافات :٣٨]

٣٨ (إنَّكُمْ) فيه التفات (لَذَائِقُوا العَذَابِ الأَلِيمِ)

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات :٣٩]

٣٩ (ومَا تُجْزَوْنَ إلاَّ) جزاء (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات :٤٠]

٤٠ (إلاَّ عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ) أي المؤمنين استثناء منقطع ذكر جزاؤهم في قوله

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات :٤١]

٤١ (أُوْلَئِكَ لَهُمْ) في الجنة (رِزْقٌ مَّعْلُومٌ) بكرة وعشيا

﴿فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات :٤٢]

٤٢ (فَوَاكِهُ) بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذا لا لحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد (وهُم مُكْرَمُونَ) بثواب الله سبحانه وتعالى

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الصافات :٤٣]

٤٣ (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصافات :٤٤]

٤٤ (عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) لا يرى بعضهم قفا بعض

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ﴾ [الصافات :٤٥]

٤٥ (يُطَافُ عَلَيْهِم) على كل منهم (بِكَأْسٍ) هو الإناء بشرابه (مِّن مَّعِينٍ) من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء

﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات :٤٦]

٤٦ (بَيْضَاءَ) أشد بياضا من اللبن (لَذَّةٍ) لذيذة (لِّلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾

٤٧ (لا فِيهَا غَوْلٌ) ما يغتال عقولهم (ولا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات :٤٨]

٤٨ (وعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهن (عِينٌ) ضخام الأعين حسانها

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات :٤٩]

٤٩ (كَأَنَّهُنَّ) في اللون الأبيض (بَيْضٌ) للنعام (مَّكْنُونٌ) مستور بريشه لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾

٥٠ (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) بعض أهل الجنة (عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عما مر بهم في الدنيا

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ [الصافات :٥١]

٥١ (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) صاحب ينكر البعث

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات :٥٢]

٥٢ (يَقُولُ) لي تبكيتا (أَئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ) بالبعث ؟

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾

٥٣ (أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا وعِظَامًا أَئِنَّا) في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (لَمَدِينُونَ) مجزيون ومحاسبون ؟ أنكر ذلك أيضا

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات :٥٤]

٥٤ (قَالَ) ذلك القائل لإخوانه (هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ) معي إلى النار لننظر حاله ؟ فيقولون: لا.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات :٥٥]

٥٥ (فَاطَّلَعَ) ذلك القائل من بعض كوى الجنة (فَرَآهُ) أي رأى قرينه (فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ) في وسط النار

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات :٥٦]

٥٦ (قَالَ) له شماتة (تَاللَّهِ إن) إن مخففة من الثقيلة (كِدتَّ) قاربت (لَتُرْدِينِ) لتهلكني بإغوائك

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

٥٧ (ولَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي) علي بالإيمان (لَكُنتُ مِنَ المُحْضَرِينَ) معك في النار ويقول أهل الجنة

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات :٥٨]

٥٨ (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ)

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾

٥٩ (إلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى) التي في الدنيا (ومَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصافات :٦٠]

٦٠ (إنَّ هَذَا) الذي ذكرت لأهل الجنة (لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات :٦١]

٦١ (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ) قيل يقال لهم ذلك وقيل هم يقولونه

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات :٦٢]

٦٢ (أَذَلِكَ) المذكور لهم (خَيْرٌ نُّزُلاً) وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) المعدة لأهل النار ؟ وهي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات :٦٣]

٦٣ (إنَّا جَعَلْنَاهَا) بذلك (فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ) أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته ؟

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾

٦٤ (إنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ) أي قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها[1].

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات :٦٥]

٦٥ (طَلْعُهَا) المشبه بطلع النخل (كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) الحيات القبيحة المنظر

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾

٦٦ (فَإنَّهُمْ) أي الكفار (لآكِلُونَ مِنْهَا) مع قبحها لشدة جوعهم (فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ)

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾

٦٧ (ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبا له

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات :٦٨]

٦٨ (ثُمَّ إنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الجَحِيمِ) يفيد أنهم يخرجون منها لشراب الحميم وأنه خارجها

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ [الصافات :٦٩]

٦٩ (إنَّهُمْ أَلْفَوْا) وجدوا (آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ)

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات :٧٠]

٧٠ (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) يزعجون إلى اتباعهم فيسرعون إليه

٣٧- سورة الصافات

(١) **أسباب نزول الآية ٦٤**: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: «إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم» الآية.

* وأخرج نحوه عن السُّدي.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾
٧١ (ولَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ) من الأمم الماضية

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الصافات :٧٢]
٧٢ (ولَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُنذِرِينَ) من الرسل مخوفين

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾
٧٣ (فَانظُرْ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُنذَرِينَ) الكافرين أي عاقبتهم العذاب

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات :٧٤]
٧٤ (إلاَّ عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ) المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾
٧٥ (ولَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) بقوله (رب إني مغلوب فانتصر) (فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ) له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾
٧٦ (ونَجَّيْنَاهُ وأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) أي الغرق

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات :٧٧]
٧٧ (وجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ) فالناس كلهم من نسله عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب والفرس والروم وحام وهو أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات :٧٨]
٧٨ (وتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ) ثناء حسنا (في الأخِرِينَ) من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات :٧٩]
٧٩ (سَلامٌ) منا (عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ)

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات :٨٠]
٨٠ (إنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي المُحْسِنِينَ)

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات :٨١]
٨١ (إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ)

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات :٨٢]
٨٢ (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ) كفار قومه

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات :٨٣]
٨٣ (وإنَّ مِن شِيعَتِهِ) أي ممن تابعه في أصل الدين (لإبْرَاهِيمَ) وإن طال الزمن بينهما وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات :٨٤]
٨٤ (إذْ جَاءَ رَبَّهُ) أي تابعه وقت مجيئه (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشك وغيره

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾
٨٥ (إذْ قَالَ) في هذه الحالة المستمرة له (لأَبِيهِ وقَوْمِهِ) موبخا (مَاذَا) ما الذي (تَعْبُدُونَ)

﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات :٨٦]
٨٦ (أَئِفْكًا) في همزتيه ما تقدم (آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) وإفكا مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون والإفك أسوأ الكذب أي أتعبدون غير الله ؟

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات :٨٧]
٨٧ (فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ) إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب ؟ لا، وكانوا نجامين فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فإذا رجعوا أكلوه وقالوا لسيدنا إبراهيم اخرج معنا

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات :٨٨]
٨٨ (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) إيهاما لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات :٨٩]
٨٩ (فَقَالَ إنِّي سَقِيمٌ) عليل أي سأسقم

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات :٩٠]

٩٠ (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ) إلى عيدهم (مُدْبِرِينَ)

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات :٩١]

٩١ (فَرَاغَ) مال في خفية (إِلَى آلِهَتِهِمْ) وهي الأصنام وعندها طعام (فَقَالَ) استهزاءً (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلم ينطقوا

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات :٩٢]

٩٢ فقال (مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ) فلم تجب

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات :٩٣]

٩٣ (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه

﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات :٩٤]

٩٤ (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) أي يسرعون المشي فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها ؟

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات :٩٥]

٩٥ (قَالَ) لهم موبخا (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) من الحجارة وغيرها أصنامًا

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات :٩٦]

٩٦ (واللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُونَ) من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة

﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾

٩٧ (قَالُوا) بينهم (ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا) فاملؤوه حطبا وأضرموه بالنار فإذا التهب (فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ) النار الشديدة

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾

٩٨ (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) بإلقائه في النار لتهلكه (فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ) المقهورين فخرج من النار سالما

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات :٩٩]

٩٩ (وقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) مهاجر إليه من دار الكفر (سَيَهْدِينِ) إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات :١٠٠]

١٠٠ - قال: (رَبِّ هَبْ لِي) ولدا (مِنَ الصَّالِحِين)

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات :١٠١]

١٠١ (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ) أي ذي حلم كثير

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

١٠٢ (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أي أن يسعى معه ويعينه قيل بلغ سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى) أي رأيت (فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى (فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) من الرأي شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به (قَالَ يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) به (سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) على ذلك

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات :١٠٣]

١٠٣ (فَلَمَّا أَسْلَمَا) خضعا وانقادا لأمر الله تعالى (وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وأمرَّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الإلهية

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات :١٠٤]

١٠٤ (ونَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ)

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

١٠٥ (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي يكفيك ذلك فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناك (نَجْزِي المُحْسِنِينَ) لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات :١٠٦]

١٠٦ (إِنَّ هَذَا) الذبح المأمور به (لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ) الاختبار الظاهر

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات :١٠٧]

١٠٧ (وفديناه) أي المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو اسحاق قولان (بِذِبْحٍ) بكبش (عَظِيم) من الجنة وهو الذي قربه.هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مكبرًا

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الصافات :١٠٨]

١٠٨ (وتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) ثناء حسنا

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات :١٠٩]

١٠٩ (سَلامٌ) منا (عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات :١١٠]

١١٠ (كَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات :١١١]

١١١ (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

١١٢ (وبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) استدل بذلك على أن الذبيح غيره (نَبِيًّا) حال مقدرة أي يوجد مقدرا نبوته (مِّنَ الصَّالِحِينَ)

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات :١١٣]

١١٣ (وبَارَكْنَا عَلَيْهِ) بتكثير ذريته (وعَلَى إِسْحَاقَ) ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله (ومِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) كافر (مُبِينٌ) بين الكفر

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾

١١٤ (ولَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وهَارُونَ) بالنبوة

﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾

١١٥ (ونَجَّيْنَاهُمَا وقَوْمَهُمَا) بني إسرائيل (مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ) أي استعباد فرعون إياهم

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الصافات :١١٦]

١١٦ (ونَصَرْنَاهُمْ) على القبط (فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ)

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ [الصافات :١١٧]

١١٧ (وآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة

﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات :١١٨]

١١٨ (وهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ) الطريق (المُسْتَقِيمَ)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الصافات :١١٩]

١١٩ (وتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ) ثناء حسنا

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات :١٢٠]

١٢٠ (سَلامٌ) منا (عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ)

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات :١٢١]

١٢١ (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناهما (نَجْزِي المُحْسِنِينَ)

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات :١٢٢]

١٢٢ (إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات :١٢٣]

١٢٣ (وإِنَّ إِلْيَاسَ) بالهمزة أوله وتركه (لَمِنَ المُرْسَلِينَ) قيل هو ابن هارون أخي موسى وقيل غيره أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الصافات :١٢٤]

١٢٤ (إِذْ) منصوب باذكر مقدرا (قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ) الله

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

١٢٥ (أَتَدْعُونَ بَعْلاً) اسم صنم لهم من ذهب وبه سمي البلد أيضا مضافا إلى بك أي أتعبدونه (وتَذَرُونَ) تتركون (أَحْسَنَ الخَالِقِينَ) فلا تعبدونه

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

١٢٦ (اللَّهَ رَبَّكُمْ ورَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) برفع الثلاثة على إضمار هو وبنصبها على البدل من أحسن

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات :١٢٧]

١٢٧ (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) في النار

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات :١٢٨]

١٢٨ (إلاَّ عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ) أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات :١٢٩]

١٢٩ (وتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) ثناء حسنا

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات :١٣٠]

١٣٠ (سَلامٌ) منا (عَلَى إِلْ يَاسِينَ) هو إلياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم للمهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أي أهله المراد به إلياس أيضا

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات :١٣١]

١٣١ (إنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي المُحْسِنِينَ)

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات :١٣٢]

١٣٢ (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات :١٣٣]

١٣٣ (وإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ المُرْسَلِينَ)

﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الصافات :١٣٤]

١٣٤ اذكر (إِذْ نَجَّيْنَاهُ وأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ)

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الصافات :١٣٥]

١٣٥ (إلاَّ عَجُوزًا فِي الغَابِرِينَ) أي الباقين في العذاب

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات :١٣٦]

١٣٦ (ثُمَّ دَمَّرْنَا) أهلكنا (الأَخرينَ) كفار قومه

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات :١٣٧]

١٣٧ (وإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم) على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم (مُّصْبِحِينَ) أي وقت الصباح يعني بالنهار

﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات :١٣٨]

١٣٨ (وبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات :١٣٩]

١٣٩ (وإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ)

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات :١٤٠]

١٤٠ (إِذْ أَبَقَ) هرب (إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات :١٤١]

١٤١ (فَسَاهَمَ) قارع أهل السفينة (فَكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ) المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات :١٤٢]

١٤٢ (فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ) ابتلعه (وهُوَ مُلِيمٌ) أي آت بما يلام من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات :١٤٣]

١٤٣ (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ) الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات :١٤٤]

١٤٤ (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات :١٤٥]

١٤٥ (فَنَبَذْنَاهُ) أي ألقيناه من بطن الحوت (بِالعَرَاءِ) بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما (وهُوَ سَقِيمٌ) عليل كالفرخ الممعط

﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات :١٤٦]

١٤٦ (وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ) وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب

من لبنها حتى قوي

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾

١٤٧ (وأَرْسَلْنَاهُ) بعد ذلك كقبله إلى قومه بنينوى من أرض الموصل (إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ) بل (يَزِيدُونَ) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات :١٤٨]

١٤٨ (فَآمَنُوا) عند معاينة العذاب الموعودين به (فَمَتَّعْنَاهُمْ) أي أبقيناهم ممتعين بما لهم (إِلَى حِينٍ) تنقضي آجالهم فيه

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾

١٤٩ (فَاسْتَفْتِهِمْ) استخبر كفار مكة توبيخا لهم (أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (ولَهُمُ البَنُونَ) فيختصون بالأسنى

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾

١٥٠ (أَمْ خَلَقْنَا المَلائِكَةَ إِنَاثًا وهُمْ شَاهِدُونَ) خلقنا فيقولون ذلك

﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾

١٥١ (أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ) كذبهم (لَيَقُولُونَ)

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات :١٥٢]

١٥٢ (وَلَدَ اللَّهُ) بقولهم الملائكة بنات الله (وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فيه

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات :١٥٣]

١٥٣ (أَصْطَفَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت أي اختار (البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ)

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات :١٥٤]

١٥٤ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات :١٥٥]

١٥٥ (أَفَلا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات :١٥٦]

١٥٦ (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) حجة واضحة أن لله ولدا

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصافات :١٥٧]

١٥٧ (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ) التوراة فأروني ذلك فيه (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم ذلك

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات :١٥٨]

١٥٨ (وجَعَلُوا) أي المشركون (بَيْنَهُ) تعالى (وبَيْنَ الجِنَّةِ) أي الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار (نَسَبًا) بقولهم إنها بنات الله (ولَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ) أي قائلي ذلك (لَمُحْضَرُونَ) للنار يعذبون فيها[1] .

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات :١٥٩]

١٥٩ (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن لله ولدا

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات :١٦٠]

١٦٠ (إلاَّ عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ) أي المؤمنين استثناء منقطع أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات :١٦١]

١٦١ (فَإِنَّكُمْ ومَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام

﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ [الصافات :١٦٢]

١٦٢ (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ) أي على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بِفَاتِنِينَ) أحدا

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات :١٦٣]

١٦٣ (إلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ) في علم الله تعالى

---

(١) أسباب نزول الآية ١٥٨ : وأخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سُلَيم وخزاعة وجهينة «وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً» الآية.

* وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال: قال كبار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سراة الجن، فأنزل الله «ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ».

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات :١٦٤]

١٦٤ قال جبريل للنبي ﷺ (وَمَا مِنَّا) معشر الملائكة أحد (إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) في السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزه

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات :١٦٥]

١٦٥ (وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) أقدامنا في الصلاة(١).

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات :١٦٦]

١٦٦ (وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون الله عما لا يليق به

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾ [الصافات :١٦٧]

١٦٧ (وإِن) مخففة من الثقيلة (كَانُوا) أي كفار مكة (لَيَقُولُونَ)

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات :١٦٨]

١٦٨ (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا) كتابا (مِّنَ الأَوَّلِينَ) أي من كتب الأمم الماضية

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات :١٦٩]

١٦٩ (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) العبادة له

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الصافات :١٧٠]

١٧٠ - قال تعالى: (فَكَفَرُوا بِهِ) أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة كفرهم

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

١٧١ (ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا) بالنصر (لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) وهي لأغلبن أنا ورسلي

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات :١٧٢]

١٧٢ أو هي قوله (إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصُورُونَ)

(١) أسباب نزول الآية ١٦٥ : وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلون متبددين فأنزل الله: «وإنا لنحن الصافون» الآية فأمرهم أن يصفوا.

* وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حُدِّثْتُ ... فذكر نحوه.

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات :١٧٣]

١٧٣ (وإِنَّ جُندَنَا) أي المؤمنين (لَهُمُ الغَالِبُونَ) الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات :١٧٤]

١٧٤ (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أي أعرض عن كفار مكة (حَتَّى حِينٍ) تؤمر فيه بقتالهم

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات :١٧٥]

١٧٥ (وأَبْصِرْهُمْ) إذ انزل بهم العذاب (فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) عاقبة كفرهم

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصافات :١٧٦]

١٧٦ فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب ؟ قال تعالى تهديدا لهم (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)(١) ؟

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾

١٧٧ (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم (فَسَاءَ) بئس صباحا (صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات :١٧٨]

١٧٨ (وتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ)

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات :١٧٩]

١٧٩ (وأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) كرر تأكيدا لتهديدهم وتسلية له ﷺ

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

١٨٠ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ) الغلبة (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولدا

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات :١٨١]

١٨١ (وسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) المبلغين عن الله التوحيد والشرائع

(١) أسباب نزول الآية ١٧٦ : وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: قالوا: يا محمد أرنا العذاب الذي تخوفنا به عجِّلة لنا فنزلت: «أفبعذابنا يستعجلون» الآية صحيح على شرط الشيخين.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات :١٨٢]

١٨٢ (والحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) على نصرهم وهلاك الكافرين .

* * *

٣٨ سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ﴾ [ص :١]

١ (ص) الله أعلم بمراده به (والقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أي البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف أي ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص :٢]

٢ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فِي عِزَّةٍ) حمية وتكبر عن الإيمان (وشِقَاقٍ) خلاف وعداوة للنبي ﷺ

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾

٣ (كَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ) أي أمة من الأمم الماضية (فَنَادَوْا) حين نزول العذاب بهم (ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أي ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أي استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة

﴿وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾

٤ (وعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ (وقَالَ الكَافِرُونَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾

٥ (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا واحِدًا) حيث قال لهم قولوا لا إله إلا الله أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) أي عجيب[1].

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص :٦]

٦ (وانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ) من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا لا إله إلا الله (أَنِ امْشُوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) اثبتوا على عبادتها (إِنَّ هَذَا) المذكور من التوحيد (لَشَيْءٌ يُرَادُ) منا

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾

٧ (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ) أي ملة عيسى (إِنْ) ما (هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) كذب

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص :٨]

٨ (أَءُنزِلَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (عَلَيْهِ) على محمد (الذِّكْرُ) القرآن (مِنْ بَيْنِنَا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا أي لم ينزل عليه قال تعالى (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي) وحيي القرآن حيث كذبوا الجائي به (بَل لَّمَّا) لم (يَذُوقُوا عَذَابِ) ولو ذاقوا لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾

٩ (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ العَزِيزِ) الغالب (الوَهَّابِ) من النبوة وغيرها فيعطونها من شاؤوا

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَابِ﴾ [ص :١٠]

١٠ (أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا) إن زعموا ذلك (فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ)

٣٨- سورة ص

(١) أسباب نزول الآيات ٥: أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي؟ ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية كلمة واحدة؟ قال: نعم، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله» فقالوا: إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب فنزل فيهم: «ص والقرآن» إلى قوله: «بل لما يذوقوا عذاب» الآية.

الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص :١١]

١١ (جُندٌ مَّا) أي جندهم جند حقير (هُنَالِكَ) في تكذيبهم لك (مَهْزُومٌ) صفة جند (مِّنَ الْأَحْزَابِ) صفة جند أيضا كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذلك نهلك هؤلاء

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾

١٢ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾

١٣ (وثَمُودُ وقَوْمُ لُوطٍ وأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أي الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (أُوْلَئِكَ الْأَحْزَابُ)

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾

١٤ (إن) ما (كُلٌّ) من الأحزاب (إلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ) لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد (فَحَقَّ) وجب (عِقَابِ)

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾

١٥ (ومَا يَنظُرُ) ينتظر (هَؤُلاءِ) أي كفار مكة (إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً) وهي نفخة القيامة تحل بهم العذاب (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ) بفتح الفاء وضمها رجوع

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾

١٦ (وقَالُوا) لما نزل (فأما من أوتي كتابه بيمينه) [٦٩:١٩] إلخ (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) أي: كتاب أعمالنا (قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ) قالوا ذلك استهزاء

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾

١٧ - قال تعالى: (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ واذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ) أي القوة في العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى مرضاة الله

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾

١٨ (إنَّا سَخَّرنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ) بتسبيحه (بالْعَشِيِّ) وقت صلاة العشاء (والإشْرَاقِ) وقت صلاة الضحى وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص :١٩]

١٩ (و)سخرنا (الطَّيْرَ مَحْشُورَةً) مجموعة إليه تسبح معه (كُلٌّ) من الجبال والطير (لَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى طاعته بالتسبيح

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾

٢٠ (وشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قويناه بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل (وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ) النبوة والإصابة في الأمور (وفَصْلَ الخِطَابِ) البيان الشافي في كل قصد

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾

٢١ (وهَلْ) معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده (أَتَاكَ) يا محمد (نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ) محراب داود ؟ أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أي خبرهم وقصتهم

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص :٢٢]

٢٢ (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ) نحن (خَصْمَانِ) قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها (بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ولا تُشْطِطْ) تجر (واهْدِنَا) أرشدنا (إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) وسط الطريق الصواب

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص :٢٣]

٢٣ (إِنَّ هَـٰذَا أَخِي) أي على ديني (لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً) يعبر بها عن المرأة (ولِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) أي اجعلني كافلها (وعَزَّنِي) غلبني (فِي الخِطَابِ) أي الجدال وأقره الآخر على ذلك

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص :٢٤]

٢٤ (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ) ليضمها (إِلَى نِعَاجِهِ وإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُلَطَاءِ) الشركاء (لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وقَلِيلٌ مَّا هُمْ) ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود قال تعالى (وظَنَّ) أي أيقن (دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) أوقعناه في فتنة أي بلية بمحبته تلك المرأة (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ رَاكِعًا) ساجدا (وأَنَابَ)

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾

٢٥ (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى) أي زيادة خير في الدنيا (وحُسْنَ مَآبٍ) مرجع في الآخرة

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص :٢٦]

٢٦ (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) تدبر أمر الناس (فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الهَوَى) أي هوى النفس (فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الدلائل الدالة على توحيده (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الإيمان بالله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا) بنسيانهم (يَوْمَ الحِسَابِ) المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص :٢٧]

٢٧ (ومَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً) أي عبثا (ذَلِكَ) أي خلق ما ذكر لا لشيء (ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَوَيْلٌ) واد (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص :٢٨]

٢٨ (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار

﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص :٢٩]

٢٩ (كِتَابٌ) خبر مبتدأ محذوف أي هذا (أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال (آيَاتِهِ) ينظروا في معانيها فيؤمنوا (ولِيَتَذَكَّرَ) يتعظ (أُولُوا الأَلْبَابِ) أصحاب العقول

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾

٣٠ (ووَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه (نِعْمَ العَبْدُ) أي سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص :٣١]

٣١ (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ) هو ما بعد الزوال (الصَّافِنَاتُ) الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الجِيَادُ) جمع جواد وهو السابق المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص :٣٢]

٣٢ (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ) أي أردت (حُبَّ الخَيْرِ) أي الخيل (عَن ذِكْرِ رَبِّي) أي صلاة العصر (حَتَّى تَوَارَتْ) أي الشمس (بِالْحِجَابِ) أي استترت بما يحجبها عن الأبصار

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾

٣٣ (رُدُّوهَا عَلَيَّ) أي الخيل المعروضة فردوها (فَطَفِقَ مَسْحًا) بالسيف (بِالسُّوقِ) جمع ساق (والأَعْنَاقِ) أي ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوضه الله خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾

٣٤ (ولَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) ابتليناه بسلب ملكه وذلك لتزوجه بامرأة عشقها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها (وأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) هو ذلك الجني وهو صخر أو غيره جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه (ثُمَّ أَنَابَ) رجع إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص :٣٥]

٣٥ (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي) لا يكون (لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) أي سواي نحو (فمن يهديه من بعد الله) [٢٣:٤٥] أي سوى الله (إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ)

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾

٣٦ (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) لينة (حَيْثُ أَصَابَ) أراد

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص :٣٧]

٣٧ (والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ) يبني الأبنية العجيبة (وغَوَّاصٍ) في البحر يستخرج اللؤلؤ

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص :٣٨]

٣٨ (وآخَرِينَ) منهم (مُقَرَّنِينَ) مشدودين (فِي الأَصْفَادِ) القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص :٣٩]

٣٩ وقلنا له (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ) أعط منه من شئت (أَوْ أَمْسِكْ) عن العطاء (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي لا حساب عليك في ذلك

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص :٤٠]

٤٠ (وإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآبٍ) تقدم مثله

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص :٤١]

٤١ (واذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي) أي بأني (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) بضر (وعَذَابٍ) ألم ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدبا معه تعالى

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص :٤٢]

٤٢ وقيل له (ارْكُضْ) اضرب (بِرِجْلِكَ) الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل (هَذَا مُغْتَسَلٌ) ماء تغتسل فيه (بَارِدٌ وشَرَابٌ) تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص :٤٣]

٤٣ (ووَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ ومِثْلَهُم مَّعَهُمْ) أي أحيا الله من مات من أولاده ورزقه مثلهم (رَحْمَةً) نعمة (مِّنَّا وذِكْرَى) عظة (لأُوْلِي الأَلْبَابِ) لأصحاب العقول

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص :٤٤]

٤٤ (وخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فَاضْرِب بِّهِ) زوجتك وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما (ولا تَحْنَثْ) بترك ضربها فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (إِنَّا وجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ العَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى الله تعالى

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص :٤٥]

٤٥ (واذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي) أصحاب القوى في العبادة (والأَبْصَارِ) البصائر في الدين وفي قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص :٤٦]

٤٦ (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ) هي (ذِكْرَى الدَّارِ) الآخرة أي ذكرها والعمل لها وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص :٤٧]

٤٧ (وإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ) المختارين (الأَخْيَارِ) جمع خير بالتشديد

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾

٤٨ (واذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ والْيَسَعَ) هو نبي واللام زائدة (وذَا الكِفْلِ) اختلف في نبوته قيل كفل مائة نبي فروا إليه من القتل (وكُلٌّ) أي كلهم (مِّنَ الأَخْيَارِ) جمع خير بالتثقيل

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص :٤٩]

٤٩ (هَذَا ذِكْرٌ) لهم بالثناء الجميل هنا (وإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الشاملين لهم (لَحُسْنَ مَآبٍ) مرجع في الآخرة

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص :٥٠]

٥٠ (جَنَّاتِ عَدْنٍ) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ) منها

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾

٥١ (مُتَّكِئِينَ فِيهَا) على الأرائك (يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وشَرَابٍ)

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ﴾ [ص :٥٢]

٥٢ (وعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حابسات العين على أزواجهن (أَتْرَابٌ) أسنانهن واحدة وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص :٥٣]

٥٣ (هَذَا) المذكور (مَا تُوعَدُونَ) بالغيبة والخطاب التفاتا (لِيَوْمِ الحِسَابِ) أي لأجله

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص :٥٤]

٥٤ (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ) أي انقطاع والجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لأن أي دائما أو دائم

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾ [ص :٥٥]

٥٥ (هَذَا) المذكور للمؤمنين (وإِنَّ لِلطَّاغِينَ) مستأنف (لَشَرَّ مَآبٍ)

﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [ص :٥٦]

٥٦ – هو (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (فَبِئْسَ المِهَادُ) الفراش

﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾ [ص :٥٧]

٥٧ (هَذَا) أي العذاب المفهوم مما بعده (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ) أي ماء حار محرق (وغَسَّاقٌ) بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾ [ص :٥٨]

٥٨ (وآخَرُ) بالجمع والإفراد (مِن شَكْلِهِ) أي: مثل المذكور من الحميم والغساق (أَزْوَاجٌ) أصناف أي عذابهم من أنواع مختلفة

﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾

٥٩ ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم (هَذَا فَوْجٌ) جمع (مُّقْتَحِمٌ) داخل (مَّعَكُمْ) النار بشدة فيقول المتبعون (لا مَرْحَبًا بِهِمْ) أي لا سعة عليهم (إِنَّهُمْ صَالُواْ النَّارِ)

﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾

٦٠ (قَالُوا) أي: الأتباع (بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) أي الكفر (فَبِئْسَ القَرَارُ) لنا ولكم النار

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ﴾

٦١ (قَالُوا) أيضا (رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) مثل عذابه على كفره (فِي النَّارِ)

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ [ص :٦٢]

٦٢ (وقَالُوا) أي كفار مكة وهم في النار (مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم) في الدنيا (مِّنَ الأَشْرَارِ)

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص :٦٣]

٦٣ (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا) بضم السين وكسرها أي كنا نسخر بهم في الدنيا والياء للنسب أي: أمفقودون هم ؟ (أَمْ زَاغَتْ) مالت (عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) فلم نرهم ؟ وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص :٦٤]

٦٤ (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ) واجب وقوعه وهو (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) كما تقدم

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

٦٥ (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ) مخوف بالنار (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ) لخلقه

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾

٦٦ (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ) الغالب على أمره (الغَفَّارُ) لأوليائه

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص :٦٧]

٦٧ (قُلْ) لهم (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ)

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص :٦٨]

٦٨ (أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) أي القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي وهو قوله

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

٦٩ (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى) أي الملائكة (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) في شأن آدم حين قال الله إني جاعل في الأرض خليفة إلخ

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص :٧٠]

٧٠ (إن) ما (يُوحَى إِلَيَّ إلاَّ أَنَّمَا أَنَا) أي إني (نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الإنذار

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾

٧١ اذكر (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ) هو آدم

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

٧٢ (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممته (ونَفَخْتُ) أجريت (فِيهِ مِن رُّوحِي) فصار حيا وإضافة الروح إليه تشريف لآدم والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية بالانحناء

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص :٧٣]

٧٣ (فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيدان

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص :٧٤]

٧٤ (إلاَّ إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة (اسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ) في علم الله تعالى

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص :٧٥]

٧٥ (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أي توليت خلقه وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق تولى الله خلقه (أَسْتَكْبَرْتَ) الآن عن السجود استفهام توبيخ (أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ) المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

٧٦ (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص :٧٧]

٧٧ (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) أي من الجنة وقيل من السموات (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص :٧٨]

٧٨ (وإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص :٧٩]

٧٩ (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أي الناس

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [ص :٨٠]

٨٠ (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ)

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [ص :٨١]

٨١ (إلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ) وقت النفخة الأولى

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص :٨٢]

٨٢ (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص :٨٣]

٨٣ (إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ) المؤمنين

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص :٨٤]

٨٤ (قَالَ فَالْحَقُّ والْحَقَّ أَقُولُ) بنصبهما ورفع الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ونصب الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أي أحق الحق وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي فالحق مني وقيل فالحق قسمي وجواب القسم

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٨٥ (لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ) بذريتك (ومِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ) الناس (أَجْمَعِينَ)

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾

٨٦ (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة (مِنْ أَجْرٍ) جُعْل (ومَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ) المتقولين القرآن من تلقاء نفسي

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [ص :٨٧]

٨٧ (إنْ هُوَ) أي ما القرآن (إلاَّ ذِكْرٌ) عظة (لِّلْعَالَمِينَ) للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص :٨٨]

٨٨ (ولَتَعْلَمُنَّ) يا كفار مكة (نَبَأَهُ) خبر صدقه (بَعْدَ حِينٍ) أي يوم القيامة وعلم بمعنى عرف واللام لام قسم مقدر أي والله .

* * *

٣٩ - سورة الزمر مكية

إلا (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) ٥٣ الآية فمدنية وآياتها ٧٥ خمس وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾

١ (تَنزِيلُ الكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (العَزِيزِ) في ملكه (الحَكِيمِ) في صنعه .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر :٢]

٢ (إنَّا أَنزَلْنَا إلَيْكَ) يا محمد (الكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) من الشرك أي موحدا له

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر :٣]

٣ (ألا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ) لا يستحقه غيره (والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ) الأصنام (أَوْلِيَاءَ) وهم كفار مكة قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللَّهِ زُلْفَى) قربى مصدر بمعنى تقريبا (إنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) وبين المسلمين (فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) في نسبة الولد إليه (كَفَّارٌ) بعبادته غير الله [1] .

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾

٤ (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا) كما قالوا (اتخذ الرحمن ولدا)[١٩: ٨٨، ٢١:٢٦] (لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) واتخذه ولدا غير من قالوا إن

٣٩- سورة الزمر

(١) **أسباب نزول الآية ٣:** أخرج جويبر عن ابن عباس في هذه الآية قال: أنزلت في ثلاثة أحياء عامر ، وكنانة، وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان ويقولون: الملائكة بناته فقالوا: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى».

الملائكة بنات الله و(عزيز ابن الله) و(المسيح ابن الله) (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن اتخاذ الولد (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لخلقه

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر :٥]

٥ (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق (يُكَوِّر) يدخل (اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ) فيزيد (ويُكَوِّرُ النَّهَارَ) يدخله (عَلَى اللَّيْلِ) فيزيد (وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي) في فلكه (لأَجَلٍ مُسَمًّى) ليوم القيامة (أَلا هُوَ العَزِيزُ) الغالب على أمره المنتقم من أعدائه (الغَفَّارُ) لأوليائه

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾

٦ (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ) أي آدم (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (وأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من كل زوجين ذكرا وأنثى كما بين في سورة «الأنعام» [٦: ١٤٣] (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطفا ثم علقا ثم مضغا (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) عن عبادته إلى عبادة غيره ؟

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر :٧]

٧ (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ولا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ وإن تَشْكُرُوا) الله فتؤمنوا (يَرْضَهُ) بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي: الشكر (لَكُمْ ولا تَزِرُ) نفس (وازِرَةٌ وِزْرَ) نفس (أُخْرَى) أي لا تحمله (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر :٨]

٨ (وإِذَا مَسَّ الإِنسانَ) أي الكافر (ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ) تضرع (مُنِيبًا) راجعًا (إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً) أعطاه إنعاما (مِّنْهُ نَسِيَ) ترك (مَا كَانَ يَدْعُوا) يتضرع (إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) وهو الله فما في موضع من (وجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) شركاء (لِّيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَن سَبِيلِهِ) دين الإسلام (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً) بقية أجلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

٩ (أَمَّنْ) بتخفيف الميم (هُوَ قَانِتٌ) قائم بوظائف الطاعات (آنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وقَائِمًا) للصلاة (يَحْذَرُ الآخِرَةَ) أي يخاف عذابها (ويَرْجُو رَحْمَةَ) جنة (رَبِّهِ) كمن هو عاص بالكفر أو غيره ؟ وفي قراءة «أم من» فأم بمعنى بل والهمزة (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُوا الأَلْبَابِ) أصحاب العقول [1].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر :١٠]

١٠ (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أي عذابه بأن تطيعوه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا)

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩**: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى: «أمن هو قانت» الآية. قال: نزلت في عثمان بن عفان.

*وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في عمار بن ياسر.

*وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة.

*وأخرج جويبر عن عكرمة قال: نزلت في عمار بن ياسر.

بالطاعة (حَسَنَةٌ) هي الجنة (وأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ) فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ) على الطاعة وما يبتلون به (أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير مكيال ولا ميزان .

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾

١١ (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) من الشرك

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر :١٢]

١٢ (وأُمِرْتُ لأَنْ) أي بأن (أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ) من هذه الأمة

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٣ (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر :١٤]

١٤ (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي) من الشرك

﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾

١٥ (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ) غيره فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى (قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ) بتخليد الأنفس في النار وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا (أَلا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ) البين

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر :١٦]

١٦ (لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) طباق (مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) من النار (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) أي المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ)

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر :١٧]

١٧ (والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) الأوثان (أَن يَعْبُدُوهَا وأَنَابُوا) أقبلوا (إِلَى اللَّهِ لَهُمُ البُشْرَى) بالجنة (فَبَشِّرْ عِبَادِ) [(١)] .

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

١٨ (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وهو ما فيه فلاحهم (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) أصحاب العقول

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾

١٩ (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ) أي (لأملأن جهنم) الآية [١١: ١١٩] (أَفَأَنتَ تُنقِذُ) تخرج (مَن فِي النَّارِ) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للإنكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾

٢٠ (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بأن أطاعوه (لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وَعْدَ اللَّهِ) منصوب بفعله المقدر (لا يُخْلِفُ اللَّهُ المِيعَادَ) وعده

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر :٢١]

٢١ (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ) أدخله أمكنة نبع (فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ) ييبس (فَتَرَاهُ) بعد الخضرة مثلا (مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) فتاتا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى) تذكيرا (لأُوْلِي الأَلْبَابِ)

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٧** : أخرج جويبر بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت: «لها سبعة أبواب» الآية. أتى رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي سبعة مماليك وإني قد أعتقت لكل باب منها مملوكاً فنزلت فيه هذه الآية: «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه».

❋ أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

يتذكرون به للدلالة على وحدانية الله تعالى وقدرته

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر :٢٢]

٢٢ (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإسْلام) فاهتدى (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) كمن طبع على قلبه ؟ دل على هذا (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ) أي عن قبول القرآن (أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر :٢٣]

٢٣ (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) بدل من أحسن أي قرآنا (مُّتَشَابِهًا) أي يشبه بعضه بعضا في النظم وغيره (مَّثَانِيَ) يثني فيه الوعد والوعيد وغيرهما (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ) ترتعد عند ذكر وعيده (جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ) يخافون (رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ) تطمئن (جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) عند ذكر وعده (ذَلِكَ) أي الكتاب (هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [1].

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر :٢٤]

٢٤ (أَفَمَن يَتَّقِي) يلقى (بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى: أشده بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) كفار مكة (ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ) أي جزاءه

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر :٢٥]

٢٥ (كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) رسلهم في إتيان العذاب (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) من جهة لا تخطر ببالهم

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر :٢٦]

٢٦ (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا) المكذبون (يَعْلَمُونَ) عذابها ما كذبوا

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر :٢٧]

٢٧ (ولَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ .

٢٨ (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أى: لبس واختلاف (لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٢٩ (ضَرَبَ اللَّهُ) للمشرك والموحد (مَثَلاً رَّجُلاً) بدل من مثلاً (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) متنازعون سيئة أخلاقهم (ورَجُلاً سَلَمًا) خالصا (لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً) تمييز أي لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أى: أهل مكة (لا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر :٣٠]

٣٠ (إِنَّكَ) خطاب للنبي ﷺ (مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت نزلت لما استبطئوا موته ﷺ

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

٣١ (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾

٣٢ (فَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك له والولد إليه (وكَذَّبَ

(١) أسباب نزول الآية ٢٣ : تقدم سببها في سورة يوسف.

بِالصِّدْقِ بالقرآن (إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْكَافِرِينَ) بلى .

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر :٣٣]

٣٣ (والَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبي ﷺ (وَصَدَّقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذي بمعنى الذين (أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الشرك

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾

٣٤ (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بإيمانهم

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر :٣٥]

٣٥ (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

٣٦ (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أي النبي ؟ بلى (وَيُخَوِّفُونَكَ) الخطاب له (بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) أي الأصنام أن تقتله أو تخبله (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (١) .

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ [الزمر :٣٧]

٣٧ (ومَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) غالب على أمره (ذِي انتِقَامٍ) من أعدائه ؟ بلى

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر :٣٨]

٣٨ (ولَئِن) لام قسم (سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ) الأصنام (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) لا (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) لا وفي قراءة بالإضافة فيهما (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يثق الواثقون

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر :٣٩]

٣٩ (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عامِلٌ) على حالتي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

٤٠ (مَن) موصولة مفعول العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ويَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر :٤١]

٤١ (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) اهتداؤه (ومَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ومَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) فتجبرهم على هدى

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر :٤٢]

٤٢ (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) ويتوفى (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أي يتوفاها وقت النوم (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ ويُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ) دلالات (لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا في ذلك

---

(١) **أسباب نزول الآية ٣٦:** أخرج عبد الرزاق عن معمر. قال لي رجل قالوا للنبي ﷺ: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك فنزلت: «ويخوفونك بالذين من دونه» الآية.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر :٤٣]

٤٣ (أَم) بل (اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ) أي الأصنام آلهة (شُفَعَاءَ) عند الله بزعمهم ؟ (قُلْ) لهم (أ) يشفعون (وَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) من الشفاعة وغيرها (ولا يَعْقِلُونَ) أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر :٤٤]

٤٤ (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) أي هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه (لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر :٤٥]

٤٥ (وإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وحْدَهُ) أي دون آلهتهم (اشْمَأَزَّتْ) نفرت وانقبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ وإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) أي الأصنام (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [1] .

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر :٤٦]

٤٦ (قُلِ اللَّهُمَّ) بمعنى يا الله (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) مبدعهما (عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر :٤٧]

٤٧ (ولَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ومِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ وبَدَا) ظهر (لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يظنون.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر :٤٨]

٤٨ (وبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وحَاقَ) نزل (بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر :٤٩]

٤٩ (فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ) الجنس (ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ) أعطيناه (نِعْمَةً) إنعاما (مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) من الله بأني له أهل (بَلْ هِيَ) أي القولة (فِتْنَةٌ) بلية يبتلى بها العبد (ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) أن التخويل استدراج وامتحان

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر :٥٠]

٥٠ (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم كقارون وقومه الراضين بها (فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾

٥١ (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي جزاؤها (والَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ) أي قريش (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ومَا هُم بِمُعْجِزِينَ) بفائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر :٥٢]

٥٢ (أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَن يَشَاءُ) امتحانا (ويَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر :٥٣]

---

(١) **أسباب نزول الآية ٤٥** : أخرج ابن المنذر عن مجاهد أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة.

٥٣(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا) بكسر النون وفتحها وقرىء بضمها تيأسوا (مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) لمن تاب من الشرك (إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) [١].

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر :٥٤]

٥٤(وأَنِيبُوا) ارجعوا (إِلَى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا) أخلصوا العمل (لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ) بمنعه إن لم تتوبوا

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

٥٥ (واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم) هو القرآن (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ) قبل إتيانه بوقته

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر :٥٦]

٥٦ فبادروا قبل (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى) أصله يا حسرتي، أي ندامتي (عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) أي طاعته (وإن) مخففة من الثقيلة أي وإني (كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) بدينه وكتابه

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

٥٧ (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) بالطاعة فاهتديت (لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِين) عذابه

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر :٥٨]

٥٨ (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ) المؤمنين فيقال له من قبل الله

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر :٥٩]

٥٩(بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي) القرآن وهو سبب الهداية (فَكَذَّبْتَ بِهَا واسْتَكْبَرْتَ) تكبرت عن الإيمان بها (وكُنتَ مِنَ الكَافِرِينَ)

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

٦٠ (ويَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الإيمان ؟ بلى

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر :٦١]

٦١ (ويُنَجِّي اللَّهُ) من جهنم (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (بِمَفَازَتِهِمْ) أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه (لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ)

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾

٦٢ (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ) متصرف فيه كيف يشاء

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر :٦٣]

٦٣ (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما (والَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) متصل

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥٣**: تقدم حديث الشيخين في سورة الفرقان.

* وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة.

* وأخرج الحاكم والطبراني عن ابن عمر قال: كنا نقول ما لمفتتن توبة إذا ترك دينه بعد إسلامه ومعرفته فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم: «يا عبادي الذين أسرفوا» الآية.

* وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه: كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله: «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» الآية. فقال وحشي: هذا شرط شديد: «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» فلعلي لا أقدر على هذا فأنزل الله: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة فلا أدري أيغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله» الآية. قال وحشي: هذا نعم، فأسلم.

بقوله (وينجي الله الذين اتقوا) إلخ وما بينهما اعتراض

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾

٦٤ (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ)؟ غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك بتقدير أن (١) .

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر :٦٥]

٦٥ (ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) والله (لَئِنْ أَشْرَكْتَ) يا محمد فرضا (لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ)

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر :٦٦]

٦٦ (بَلِ اللَّهَ) وحده (فَاعْبُدْ وكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ) إنعامه عليك

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر :٦٧]

٦٧ (ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره (والأَرْضُ جَمِيعًا) حال أي السبع (قَبْضَتُهُ) أي مقبوضة له أي: في ملكه وتصرفه (يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ) مجموعات (بِيَمِينِهِ) بقدرته (سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (١) .

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر :٦٨]

٦٨ (ونُفِخَ فِي الصُّورِ) النفخة الأولى (فَصَعِقَ) مات (مَن فِي السَّمَوَاتِ ومَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ) من الحور والولدان وغيرهما (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ) أي جميع الخلائق الموتى (قِيَامٌ يَنظُرُونَ) ينتظرون ما يفعل بهم

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

٦٩ (وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ) أضاءت (بِنُورِ رَبِّهَا) حين يتجلى الله لفصل القضاء (ووُضِعَ الكِتَابُ) كتاب الأعمال للحساب (وجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ والشُّهَدَاءِ) أي بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ (وقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) أي العدل (وهُمْ لا يُظْلَمُونَ) شيئا

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

٧٠ (ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) أي جزاءه (وهُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَا يَفْعَلُونَ) فلا يحتاج إلى شاهد

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر :٧١]

٧١ (وسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعنف (إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) جماعات متفرقة (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جواب إذا (وقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) القرآن وغيره (ويُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى ولَكِنْ حَقَّتْ

---

(١) أسباب نزول الآية ٦٤: سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرون. وأخرج البيهقي في الدلائل عن الحسن البصري قال: قال المشركون للنبي ﷺ: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟ فأنزل الله: «قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون» إلى قوله: «من الشاكرين» .

(٢) أسباب نزول الآية ٦٧: وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: مرّ يهودي بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السماوات على ذه والأرضين على ذه والماء على ذه والجبال على ذه، فأنزل الله: «وما قدروا الله حق قدره» الآية.

* والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا» دون فأنزل.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: غدت اليهود فنظروا في خلق السماوات والأرض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله: «وما قدروا الله حق قدره».

* وأخرج عن سعيد بن جبير قال: تكلمت اليهود في صفة الرب فقالوا بما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله الآية.

* وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت: «وسع كرسيه السماوات والأرض» قالوا: يا رسول الله هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فأنزل الله: «وما قدروا الله حق قدره» الآية.

كَلِمَةُ العَذَابِ) أي (لأملأن جهنم) الآية (عَلَى الكَافِرِينَ) .

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

٧٢ (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود (فَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (المُتَكَبِّرِينَ) جهنم

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر :٧٣]

٧٣ (وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بلطف (إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) الواو فيه للحال بتقدير قد (وقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) حال (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) مقدرين الخلود فيها وجواب إذا مقدر أي دخلوها وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريم لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾

٧٤ (وقَالُوا) عطف على دخولها المقدر (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وعْدَهُ) بالجنة (وأَوْرَثَنَا الأَرْضَ) أي أرض الجنة (نَتَبَوَّأُ) ننزل (مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان (فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ) الجنة

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر :٧٥]

٧٥ (وتَرَى المَلائِكَةَ حَافِّينَ) حال (مِنْ حَوْلِ العَرْشِ) من كل جانب منه (يُسَبِّحُونَ) حال من ضمير حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي ملابسين للحمد يقولون سبحان الله وبحمده (وقُضِيَ بَيْنَهُم) بين جميع الخلائق (بِالْحَقِّ) أي العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وقِيلَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة.

٤٠ - سورة غافر مكية

إلا آيتي (إن الذين يجادلون) [٥٦ ، ٥٧] فمدنيتان، وآياتها ٨٥ خمس وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ﴾ [غافر :١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر :٢]

٢ (تَنزِيلُ الكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبر (العَزِيزِ) في ملكه (العَلِيمِ) بخلقه

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر :٣]

٣ (غَافِرِ الذَّنبِ) للمؤمنين (وقَابِلِ التَّوْبِ) لهم مصدر (شَدِيدِ العِقَابِ) للكافرين أي مشددة (ذِي الطَّوْلِ) أي الإنعام الواسع وهو موصوف على الدوام بكل هذه الصفات فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة (لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ) المرجع

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾

[غافر :٤]

٤ (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي البِلادِ) للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار [1] .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

٥ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والأَحْزَابُ) كعاد وثمود وغيرهما (مِنْ بَعْدِهِمْ وهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ

٤٠- سورة غافر

(١) أسباب نزول الآية ٤: أخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي عن أبي مالك في قوله: «ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا» قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقتلوه (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا) يزيلوا (بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ) بالعقاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) لهم ؟ أي هو واقع موقعه

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر :٦]

٦ (وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) أي (لأملأن جهنم) (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) بدل من كلمة

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر :٧]

٧ (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ) مبتدأ (وَمَنْ حَوْلَهُ) عطف عليه (يُسَبِّحُونَ) خبره (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملابسين الحمد أي يقولون سبحان الله وبحمده (ويُؤْمِنُونَ بِهِ) تعالى أي ببصائرهم أي يصدقون بوحدانيته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) يقولون (رَبَّنَا وسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وعِلْمًا) أي وسعت رحمتك كل شيء ووسع علمك كل شيء (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك (واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) دين الإسلام (وقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ) النار

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر :٨]

٨ (رَبَّنَا وأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (الَّتِي وعَدتَّهُمْ ومَن صَلَحَ) عطف على «هم» في وأدخلهم أو وعدتهم (مِنْ آبَائِهِمْ وأَزْوَاجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) في صنعه

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

٩ (وقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أي عذابها (ومَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾

١٠ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ) من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار (لَمَقْتُ اللَّهِ) إياكم (أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ) في الدنيا (إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ)

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر :١١]

١١ (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) إماتتين (وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) إحياءتين لأنهم نطف أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) بكفرنا بالبعث (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ) من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا (مِّن سَبِيلٍ) طريق ؟ وجوابهم: لا

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾

١٢ (ذَلِكُم) أي العذاب الذي أنتم فيه (بِأَنَّهُ) أي بسبب أنه في الدنيا (إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وحْدَهُ كَفَرْتُمْ) بتوحيده (وإِن يُشْرَكْ بِهِ) يجعل له شريك (تُؤْمِنُوا) تصدقوا بالإشراك (فَالْحُكْمُ) في تعذيبكم (لِلَّهِ العَلِيِّ) على خلقه (الكَبِيرِ) العظيم

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر :١٣]

١٣ (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل توحيده (ويُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) بالمطر (ومَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (إِلاَّ مَن يُنِيبُ) يرجع عن الشرك

﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

١٤ (فَادْعُوا اللَّهَ) اعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) إخلاصكم منه.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾

١٥ (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) أي الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين في الجنة (ذُو العَرْشِ) خالقه (يُلْقِي الرُّوحَ) الوحي (مِنْ أَمْرِهِ) أي قوله (عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ) يخوف الملقى عليه الناس (يَوْمَ التَّلاقِ) بحذف الياء وإثباتها يوم القيامة لتلاقي لأهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر :١٦]

١٦ (يَوْمَ هُم بَارِزُونَ) خارجون من قبورهم (لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ) ؟ يقوله تعالى ويجيب نفسه (لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) أي لخلقه

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر :١٧]

١٧ (اليَوْمَ تُجزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوْمَ إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

١٨ (وأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ) يوم القيامة من أزف الرحيل قرب (إِذِ القُلُوبُ) ترتفع خوفا (لَدَى) عند (الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ) ممتلئين غما حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ) محب (ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ) تقبل شفاعته لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلا «فما لنا من شافعين» أو: له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء أي لو شفعوا فرضا لم يقبلوا

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾

١٩ (يَعْلَمُ) أي الله (خَائِنَةَ الأَعْيُنِ) بمسارقتها النظر إلى محرم (ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ) القلوب

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

٢٠ (واللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ والَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون أي كفار مكة بالياء والتاء (مِن دُونِهِ) وهم الأصنام (لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) فكيف يكونون شركاء؟ (إنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (البَصِيرُ) بأفعالهم

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر :٢١]

٢١ (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ) وفي قراءة منكم (قُوَّةً وآثَارًا فِي الأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (بِذُنُوبِهِمْ ومَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن واقٍ) عذابه

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

٢٢ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

٢٣ (ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) برهان بين ظاهر

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر :٢٤]

٢٤ (إِلَى فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وقَارُونَ فَقَالُوا) هو (سَاحِرٌ كَذَّابٌ)

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر :٢٥]

٢٥ (فَلَمَّا جاءَهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واسْتَحْيُوا) استبقوا (نِسَاءَهُمْ ومَا كَيْدُ الكَافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ) هلاك

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر :٢٦]

٢٦ (وقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) لأنهم كانوا يكفونه عن قتله (ولْيَدْعُ رَبَّهُ) ليمنعه مني (إِنِّي أَخَافُ أن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) من عبادتكم إياي فتتبعونه (أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ) من قتل وغيره وفي قراءة وأن وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر :٢٧]

٢٧ (وقَالَ مُوسَى) لقومه وقد سمع ذلك (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي ورَبِّكم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ)

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر :٢٨]

٢٨ (وقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) قيل هو ابن عمه (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجلاً أن) أي لأن (يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَدْ جاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (مِن رَّبِّكُمْ وإِن يَكُ كاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) أي ضرر كذبه (وإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) به من العذاب عاجلا (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (كَذَّابٌ) مفتر

﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾

٢٩ (يَا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ) غالبين حال (فِي الأَرْضِ) أرض مصر (فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) عذابه إن قتلتم أولياءه (إِن جاءَنَا) أي لا ناصر لنا (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى) أي أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى (ومَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ) طريق الصواب

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [غافر :٣٠]

٣٠ (وقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ) أي يوم حزب بعد حزب

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر :٣١]

٣١ (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وعَادٍ وثَمُودَ والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) مثل بدل من مثل قبله أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا (ومَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ)

﴿وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر :٣٢]

٣٢ (ويَا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) بحذف الياء وإثباتها أي يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر :٣٣]

٣٣ (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) عن موقف الحساب إلى النار (مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ) أي عذابه (مِنْ عَاصِمٍ) مانع (ومَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر :٣٤]

٣٤ (ولَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ) أي قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر إلى زمن موسى أو يوسف بن إبراهيم أي ابن يعقوب في قول (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ) من غير برهان (لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً) أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره (كَذَلِكَ) أي مثل إضلالكم (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (مُّرْتَابٌ) شاك فيما شهدت به البينات

﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر :٣٥]

٣٥ (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) معجزاته مبتدأ (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (أَتَاهُمْ كَبُرَ) جدالهم خبر المبتدأ (مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ) مثل إضلالهم (يَطْبَعُ) يختم (اللَّهُ) بالضلال (عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) بتنوين «قلب» ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلوب لا لعموم القلب

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾

٣٦ (وقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا) بناء

عاليا (لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ)

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾

٣٧ (أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) طرقها الموصلة إليها (فَأَطَّلِعَ) بالرفع عطفا على أبلغ وبالنصب جوابا لـ «ابن» (إِلَى إِلَٰهِ مُوسَى وإِنِّي لأَظُنُّهُ) أي موسى (كَاذِبًا) في أن له إلهًا غيري قال فرعون ذلك تمويها (وكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى بفتح الصاد وضمها (ومَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ) خسار

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر :٣٨]

٣٨ (وقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ) باثبات الياء وحذفها (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) تقدم

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر :٣٩]

٣٩ (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) تمتع يزول (وإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ)

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

٤٠ (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجزى إِلاَّ مِثْلَهَا ومَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ) بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسعا بغير تبعة

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾

٤١ (ويَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ)

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر :٤٢]

٤٢ (تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى العَزِيزِ) الغالب على أمره (الغَفَّارِ) لمن تاب

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر :٤٣]

٤٣ (لا جَرَمَ) حقا (أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) لأعبده (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) أي استجابة دعوة (فِي الدُّنْيَا ولا فِي الآخِرَةِ وأَنَّ مَرَدَّنَا) مرجعنا (إِلَى اللَّهِ وأَنَّ المُسْرِفِينَ) الكافرين (هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر :٤٤]

٤٤ (فَسَتَذْكُرُونَ) إذا عاينتم العذاب (مَا أَقُولُ لَكُمْ وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينهم

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر :٤٥]

٤٥ (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) به من القتل (وحَاقَ) نزل (بِآلِ فِرْعَوْنَ) قومه معه (سُوءُ العَذَابِ) الغرق

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾

٤٦ ثم (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) يحرقون بها (غُدُوًّا وعَشِيًّا) صباحا ومساء (ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقال (أَدْخِلُوا) يا (آلَ فِرْعَوْنَ) وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة (أَشَدَّ العَذَابِ) عذاب جهنم

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر :٤٧]

٤٧ (و) اذكر (إِذْ يَتَحَاجُّونَ) يتخاصم الكفار (فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جمع تابع (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ) دافعون (عَنَّا نَصِيبًا) جزءا (مِّنَ النَّارِ)

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر :٤٨]

٤٨ (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر :٤٩]

٤٩ (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) أي قدر يوم (مِّنَ الْعَذَابِ)

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾

٥٠ (قَالُوا) أي الخزنة تهكما (أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (قَالُوا بَلَى) أي فكفروا بهم (قَالُوا فَادْعُوا) أنتم فإننا لا نشفع للكافرين قال تعالى (وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ) انعدام

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر :٥١]

٥١ (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر :٥٢]

٥٢ (يَوْمَ لا يَنفَعُ) بالياء والتاء (الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) عذرهم لو اعتذروا (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ) أي البعد من الرحمة (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) الآخرة أي شدة عذابها

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [غافر :٥٣]

٥٣ (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى) التوراة والمعجزات (وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) من بعد موسى (الْكِتَابَ) التوراة

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر :٥٤]

٥٤ (هُدًى) هاديا (وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ) تذكرة لأصحاب العقول

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر :٥٥]

٥٥ (فَاصْبِرْ) يا محمد (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصر أوليائه (حَقٌّ) وأنت ومن تبعك منهم (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) ليستن بك (وَسَبِّحْ) صل متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ) وهو من بعد الزوال (وَالإِبْكَارِ) الصلوات الخمس

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

٥٦ (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (أَتَاهُمْ إِنْ) ما (فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ) تكبر وطمع أن يعلوا عليك (مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ) من شرهم (بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْبَصِيرُ) بأحوالهم (١).

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٥٧ ونزل في منكري البعث (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) ابتداء (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) مرة ثانية وهي الإعادة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ) ذلك فهو كالأعمى ومن يعلمه كالبصير

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾

٥٨ (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَ) ولا

(١) **أسباب نزول الآية ٥٦** : «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

* وأخرج عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال فقالوا: يكون منا في آخر الزمان فعظموا أمره وقالوا: يصنع كذا فأنزل الله: «إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغية فاستعذ بالله» فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال. قال: لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس قال: من خلق الدجال.

* وأخرج عن كعب الأحبار في قوله: «إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان» قال: هم اليهود نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

(الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهو المحسن (ولا المُسِيءُ) فيه زيادة لا (قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بالياء والتاء أي تذكرهم قليل جدا

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر :٥٩]

٥٩ (إنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ) شك (فِيهَا ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ) بها

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

٦٠ (وقَالَ رَبُّكُم ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أي اعبدوني أثبكم بقرينة ما بعده (إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس (جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) صاغرين

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر :٦١]

٦١ (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ والنَّهَارَ مُبْصِرًا) إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه (إنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ) الله فلا يؤمنون

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر :٦٢]

٦٢ (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ؟

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

٦٣ (كَذَلِكَ يُؤْفَكُ) أي مثل إفك هؤلاء إفك (الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) معجزاته (يَجْحَدُونَ)

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر :٦٤]

٦٤ (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا والسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا (وصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ورَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ)

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر :٦٥]

٦٥ (هُوَ الحَيُّ لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ) اعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر :٦٦]

٦٦ (قُلْ إنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ البَيِّنَات) دلائل التوحيد (مِن رَّبِّي وأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ) [1] .

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر :٦٧]

٦٧ (هَوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) مني (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) دم غليظ (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) يبقيكم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا) بضم الشين وكسرها (ومِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ) قبل الأشد والشيخوخة فعل ذلك بكم لتعيشوا (ولِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى) وقتا محدودا (ولَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) دلائل التوحيد فتؤمنون.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر :٦٨]

٦٨ (هَوَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا) أراد إيجاد شيء (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) بضم النون وفتحها بتقدير أن أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور

---

(1) أسباب نزول الآية ٦٦ : وأخرج جويبر عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك فأنزل الله: «قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله» الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾

٦٩ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أَنَّى) كيف (يُصْرَفُونَ) عن الإيمان.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر :٧٠]

٧٠ (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ) القرآن (وبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عقوبة تكذيبهم.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾

٧١ (إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) إذ بمعنى إذا (والسَّلاسِلُ) عطف على الأغلال فتكون في الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبره (يُسْحَبُونَ) يجرون بها

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر :٧٢]

٧٢ (فِي الحَمِيمِ) أي جهنم (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) يوقدون

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [غافر :٧٣]

٧٣ (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ) تبكيتا (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ)

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر :٧٤]

٧٤ (مِن دُونِ اللَّهِ) معه ؟ وهي الأصنام (قَالُوا ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلا نراهم (بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا) أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت قال تعالى: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) أي وقودها (كَذَلِكَ) أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين (يُضِلُّ اللَّهُ الكَافِرِينَ)

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر :٧٥]

٧٥ ويقال لهم أيضا (ذَلِكُم) العذاب (بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) من الإشراك وإنكار البعث (وبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ) تتوسعون في الفرح

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر :٧٦]

٧٦ (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (المُتَكَبِّرِينَ)

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر :٧٧]

٧٧ (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بعذابهم (حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ) فيه إن الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره (بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فنعذبهم أشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر :٧٨]

٧٨ (ولَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ومِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (ومَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ) لأنهم عبيد مربوبون (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بنزول العذاب على الكفار (قُضِيَ) بين الرسل ومكذبيهم (بِالْحَقِّ وخَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ) أي ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [غافر :٧٩]

٧٩ (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ) قيل الإبل خاصة هنا والظاهر البقر والغنم (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ومِنْهَا تَأْكُلُونَ)

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

٨٠ (ولَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الدر والنسل والوبر والصوف (ولِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) هي حمل الأثقال إلى البلاد (وعَلَيْهَا) في البر (وعَلَى

(الْفُلْكِ) السفن في البحر (تُحْمَلُونَ)

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾

٨١ (ويُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ) الدالة على وحدانيته (تُنكِرُونَ) استفهام توبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيثه

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾

٨٢ (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وآثَارًا فِي الأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

٨٣ (فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَرِحُوا) أي الكفار (بِمَا عِندَهُم) أي الرسل (مِّنَ العِلْمِ) فرح استهزاء وضحك متنكرين له (وحَاقَ) نزل (بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر :٨٤]

٨٤ (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي شدة عذابنا (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وحْدَهُ وكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ)

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

٨٥ (فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ) نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب (وخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ) تبين خسرانهم لكل واحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك .

* * *

٤١ - سورة فصلت أو «حم السجدة»

مكية وآياتها ٥٤ أو ٥٣ ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ﴾ [فصلت :١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت :٢]

٢ (تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مبتدأ

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٣ (كِتَابٌ) خبره (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (قُرآنًا عَرَبِيًّا) حال من كتاب بصفته (لِّقَوْمٍ) متعلق بفصلت (يَعْلَمُونَ) يفهمون ذلك وهم العرب

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾

٤ (بَشِيرًا) صفة قرآنا (ونَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ) سماع قبول

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾

٥ (وقَالُوا) للنبي (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أغطية (مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وفِي آذَانِنَا وقْرٌ) ثقل (ومِنْ بَيْنِنا وبَيْنِكَ حِجَابٌ) خلاف في الدين (فَاعْمَلْ) على دينك (إِنَّنَا عَامِلُونَ) على ديننا

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾

٦ (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) بالإيمان والطاعة (واسْتَغْفِرُوهُ ووَيْلٌ) كلمة عذاب (لِّلْمُشْرِكِينَ)

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾

٧ (الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهُم بِالآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت :٨]

٨ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت :٩]

٩ (قُلْ أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينهما بوجهيها وبين الأولى (لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنين (وتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا) شركاء (ذَلِكَ رَبُّ) مالك (العَالَمِينَ) جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت :١٠]

١٠ (وجَعَلَ) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الأجنبي (فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (مِن فَوْقِهَا وبَارَكَ فِيهَا) بكثرة المياه والزروع والضروع (وقَدَّرَ) قسم (فِيهَا أَقْوَاتَهَا) للناس والبهائم (فِي) تمام (أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء (سَوَاءً) منصوب على المصدر أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص (لِلسَّائِلِينَ) عن خلق الأرض بما فيها

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت :١١]

١١ (ثُمَّ اسْتَوَى) قصد (إِلَى السَّمَاءِ وهِيَ دُخَانٌ) بخار مرتفع (فَقَالَ لَهَا ولِلأَرْضِ ائْتِيَا) إلى مرادي منكما (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين (قَالَتَا أَتَيْنَا) بمن فينا (طَائِعِينَ) فيه تغليب المذكر العاقل أو نزلتا لخطابهما منزلته

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت :١٢]

١٢ (فَقَضَاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أي صيرها (سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام (وأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وحِفْظًا) منصوب بفعله المقدر أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ) في ملكه (العَلِيمِ) بخلقه

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت :١٣]

١٣ (فَإِنْ أَعْرَضُوا) أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان (فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم (صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثَمُودَ) أي عذابا يهلككم مثل الذي أهلكهم

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت :١٤]

١٤ (إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ) أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي والإهلاك في زمنه فقط (أ) ن أي بأن (لا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ) علينا (مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ) على زعمكم (كافرون)

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت :١٥]

١٥ (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وقَالُوا) لما خوفوا بالعذاب (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) أي لا أحد كان أحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء (أَوَ لَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وكَانُوا بِآيَاتِنَا) المعجزات (يَجْحَدُونَ)

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت :١٦]

١٦ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة شديدة الصوت بلا مطر (فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ) بكسر الحاء وسكونها مشئومات عليهم (لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ) الذل (فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى) أشد

(وَهُمْ لا يُنصَرُونَ) بمنعه عنهم

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

١٧ (وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بينا لهم طريق الهدى (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ) اختاروا الكفر (عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) المهين (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

١٨ (ونَجَّيْنَا) منها (الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ) الله.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

١٩ (و) اذكر (يَوْمَ يُحْشَرُ) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة (أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يساقون

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت :٢٠]

٢٠ (حَتَّىٰ إِذَا مَا) زائدة (جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصَارُهُمْ وجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت :٢١]

٢١ (وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أي أراد نطقه (وهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت :٢٢]

٢٢ (ومَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) عن ارتكابكم الفواحش من (أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصَارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ) لأنكم لم توقنوا بالبعث (ولَٰكِن ظَنَنتُمْ) عند استتاركم (أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) [1].

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت :٢٣]

٢٣ (وذَٰلِكُمْ) مبتدأ (ظَنُّكُمُ) بدل منه (الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ) نعت والبدل والخبر (أَرْدَاكُمْ) أي أهلككم (فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ)

﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت :٢٤]

٢٤ (فَإِن يَصْبِرُوا) على العذاب (فَالنَّارُ مَثْوًى) منزل (لَّهُمْ وإِن يَسْتَعْتِبُوا) يطلبوا العتبى أي الرضا (فَمَا هُم مِّنَ المُعْتَبِينَ) المرضيين

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾

٢٥ (وقَيَّضْنَا) سببنا (لَهُمْ قُرَنَاءَ) من الشياطين (فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (ومَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب (وحَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ) بالعذاب وهو (لأملأن جهنم) الآية (في) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ) هلكت (مِن قَبْلِهِم مِّنَ الجِنِّ والإنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت :٢٦]

٢٦ (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) عند قراءة النبي ﷺ (لا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا القُرْآنِ والْغَوْا فِيهِ) ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) فيسكت عن القراءة

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ

٤١- سورة فصلت

(١) أسباب نزول الآية ٢٢: أخرج الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول: فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا فأنزل الله: «وما كنتم تستترون» الآية.

﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت :٢٧]

٢٧ قال تعالى فيهم (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي أقبح جزاء عملهم

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت :٢٨]

٢٨ (ذَلِكَ) العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ) بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوا (النَّارُ) عطف بيان لـ «لجزاء» المخبر به عن ذلك (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أي إقامة لا انتقال منها (جَزَاءً) منصوب على المصدر بفعله المقدر (بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (يَجْحَدُونَ)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾

٢٩ (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) في النار (رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ والإنس) أي إبليس وقابيل سنا الكفر والقتل (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) في النار (لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ) أي أشد عذابا منا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت :٣٠]

٣٠ (إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ) عند الموت (أ) بأن (لا تَخَافُوا) من الموت وما بعده (ولا تَحْزَنُوا) على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه (وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

٣١ (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي نحفظكم فيها (وفِي الآخِرَةِ) أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة (ولَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ ولَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) تطلبون

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت :٣٢]

٣٢ (نُزُلاً) رزقا مهيئا منصوب بجعل مقدرا (مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) أي الله

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت :٣٣]

٣٣ (ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً) أي لا أحد أحسن قولا (مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ) بالتوحيد (وعَمِلَ صَالِحًا وقَالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ)

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

٣٤ (ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ) في جزاءاتهما لأن بعضهما فوق بعض (ادْفَعْ) السيئة (بِالَّتِي) أي بالخصلة التي (هِيَ أَحْسَنُ) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ ولِيٌّ حَمِيمٌ) أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك فالذي مبتدأ وكأنه الخبر وإذا ظرف لمعنى التشبيه

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت :٣٥]

٣٥ (ومَا يُلَقَّاهَا) يؤتى الخصلة التي هي أحسن (إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ومَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ) ثواب (عَظِيمٍ)

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت :٣٦]

٣٦ (وإمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك (إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (العَلِيمُ) بالفعل

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

٣٧ (ومِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولا لِلْقَمَرِ واسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) أي الآيات الأربع (إن كُنتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ)

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت :٣٨]

٣٨ (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا) عن السجود لله وحده (فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) الملائكة (يُسَبِّحُونَ) يصلون (لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ) لا يملون

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت :٣٩]

٣٩ (ومِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً) يابسة لا نبات فيها (فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (ورَبَتْ) انتفخت وعلت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المُوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت :٤٠]

٤٠ (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ) من ألحد ولحد (فِي آيَاتِنَا) القرآن بالتكذيب (لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) فنجازيهم (أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) تهديدا لهم [(١)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾

٤١ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) نجازيهم (وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) منيع

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت :٤٢]

٤٢ (لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ) أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) الله المحمود في أمره

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت :٤٣]

٤٣ (مَا يُقَالُ لَكَ) من التكذيب (إِلاَّ) مثل (مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) للمؤمنين (وذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) للكافرين

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾

٤٤ (ولَوْ جَعَلْنَاهُ) أي الذكر (قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا) هلا (فُصِّلَتْ) بينت (آيَاتُهُ) حتى ؟ نفهمها (أَ) قرآن (أَعْجَمِيٌّ) ونبي (وعَرَبِيٌّ) ؟ استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألف بإشباع ودونه (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى) من الضلالة (وشِفَاءٌ) من الجهل (والَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وقْرٌ) ثقل فلا يسمعونه (وهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) فلا يفهمونه (أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به [(١)].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت :٤٥]

٤٥ (ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ) التوراة (فَاخْتُلِفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) في الدنيا فيما اختلفوا فيه (وإِنَّهُمْ) المكذبين به (لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) موقع في الريبة

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت :٤٦]

٤٦ (مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (ومَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أي فضرر إساءته على نفسه (ومَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ) أي بذي ظلم لقوله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)

---

(١) أسباب نزول الآية ٤٠ :وأخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر: «أفمن يُلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» الآية.

(١) أسباب نزول الآية ٤٤ :وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً فأنزل الله: «لقالوا لولا فصلت آياته» الآية. وأنزل الله بعد هذه الآية: فيه بكل لسان قال ابن جرير: والقراءة على هذا «أعجمي» بلا استفهام.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾

٤٧ (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تكون لا يعلمها غيره (ومَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ) وفي قراءة «ثمر» (من أكمامها) أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا بعلمه (ومَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى ولا تَضَعُ إلاَّ بِعِلْمِهِ ويَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ) أعلمناك الآن (مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ) أي شاهد بأن لك شريكا

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت :٤٨]

٤٨ (وضَلَّ) غاب (عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ) يعبدون (مِن قَبْلُ) في الدنيا من الأصنام (وظَنُّوا) أيقنوا (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) مهرب من العذاب والنفي في الموضعين معلق عن العمل وجملة النفي سدت مسد المفعولين

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت :٤٩]

٤٩ (لا يَسْأَمُ الإنسَانُ مِن دُعَاءِ الخَيْرِ) أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما (وإن مَّسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والشدة (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) من رحمة الله وهذا وما بعده في الكافر

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت :٥٠]

٥٠ (ولَئِنْ) لام قسم (أَذَقْنَاهُ) آتيناه (رَحْمَةً) غنى وصحة (مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ) شدة وبلاء (مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) أي بعملي (ومَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ولَئِن) لام قسم (رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى) أي الجنة (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ولَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد واللام في الفعلين لام قسم

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت :٥١]

٥١ (وإذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ) الجنس (أَعْرَضَ) عن الشكر (ونَأَى بِجَانِبِهِ) ثنى عطفه متبخترا وفي قراءة بتقديم الهمزة (وإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) كثير

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾

٥٢ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن كَانَ) أي القرآن (مِنْ عِندِ اللَّهِ) كما قال النبي (ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ) لا أحد (أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق ؟ أوقع هذا موقع منكم بيانا لحالهم

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت :٥٣]

٥٣ (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ) أقطار السموات والأرض من النيرات والنبات والأشجار (وفِي أَنفُسِهِمْ) من لطيف الصنعة وبديع الحكمة (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ) القرآن (الحَقُّ) المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به (أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) فاعل يكف (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه أي أو لم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما ؟

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت :٥٤]

٥٤ (أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ) لإنكارهم البعث (أَلا إِنَّهُ) تعالى (بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) علما وقدرة فيجازيهم بكفرهم .

* * *

٤٢ - سورة الشورى مكية

إلا الآيات (قل لا أسألكم) [٢٣: ٢٦] فمدنية وآياتها ٥٣ ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ﴾ [الشورى :١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به .

﴿عٓسٓقٓ﴾ [الشورى :٢]

٢ (عسق) الله أعلم بمراده به

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

٣ (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الإيحاء (يُوحِي إِلَيْكَ و) أوحى (إِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ) فاعل الإيحاء (العَزِيزُ) في ملكه (الحَكِيمُ) في صنعه

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

٤ (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (وهُوَ العَلِيُّ) على خلقه (العَظِيمُ) الكبير

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى :٥]

٥ (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) بالنون وفي قراءة بالتاء والتشديد (مِن فَوْقِهِنَّ) أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى (والمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي ملابسين للحمد (ويَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ) من المؤمنين (أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَفُورُ) لأوليائه (الرَّحِيمُ) بهم

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى :٦]

٦ (والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ) أي الأصنام (أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ) مُحصٍ (عَلَيْهِمْ) ليجازيهم (ومَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) تحصل المطلوب منهم فإنما عليك البلاغ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى :٧]

٧ (وكَذَٰلِكَ) مثل ذلك الايحاء (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ) تخوف (أُمَّ القُرَى ومَنْ حَوْلَهَا) أهل مكة وسائر الناس (وتُنذِرَ) الناس (يَوْمَ الجَمْعِ) أي يوم القيامة تجمع فيه الخلائق (لا رَيْبَ) لا شك (فِيهِ فَرِيقٌ) منهم (فِي الجَنَّةِ وفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) النار

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

٨ (ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً) أي على دين واحد وهو الإسلام (ولَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظَّالِمُونَ) الكافرون (مَا لَهُم مِّن ولِيٍّ ولا نَصِيرٍ) يدفع عنهم العذاب.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى :٩]

٩ (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ) أي الأصنام (أَوْلِيَاءَ) أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للإنكار أي ليس المتخذون أولياء (فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ) أي الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف (وهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

١٠ (ومَا اخْتَلَفْتُمْ) مع الكفار (فِيهِ مِن شَيْءٍ) من الدين وغيره (فَحُكْمُهُ) مردود (إِلَى اللَّهِ) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

١١ (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) مبدعهما (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) حيث خلق حواء من ضلع آدم (ومِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (يَذْرَؤُكُمْ) بالمعجمة يخلقكم (فِيهِ) في الجعل المذكور أي يكثركم بسببه بالتوالد والضمير

للأناسي والأنعام بالتغليب (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْبَصِيرُ) لما يفعل

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى :١٢]

١٢ (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما (يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَن يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾

١٣ (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) هو أول أنبياء الشريعة (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد (كَبُرَ) عظم (عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من التوحيد (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ) إلى التوحيد (مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) يقبل إلى طاعته

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى :١٤]

١٤ (وَمَا تَفَرَّقُوا) أي أهل الأديان في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) بالتوحيد (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) بتأخير الجزاء (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يوم القيامة (لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بتعذيب الكافرين في الدنيا (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ) وهم اليهود والنصارى (لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ) من محمد ﷺ (مُرِيبٍ) موقع في الريبة

﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى :١٥]

١٥ (فَلِذَلِكَ) التوحيد (فَادْعُ) يا محمد الناس (وَاسْتَقِمْ) عليه (كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) في تركه (وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ) أي بأن أعدل (بَيْنَكُمُ) في الحكم (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) فكل يجازى بعمله (لَا حُجَّةَ) خصومة (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) هذا قبل أن يؤمر بالجهاد (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) في المعاد لفصل القضاء (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى :١٦]

١٦ (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي) دين (اللَّهِ) نبيه (مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) بالإيمان لظهور معجزاته وهم اليهود (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) باطلة (عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (١).

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى :١٧]

١٧ (اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (وَالْمِيزَانَ) العدل (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّ السَّاعَةَ) أي إتيانها (قَرِيبٌ) ولعل معلق للفعل عن العمل وما بعده سد مسد مفعولين

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

---

(١) أسباب نزول الآية ١٦: أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: لما نزلت: «إذا جاء نصر الله والفتح» قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين قد دخل الناس في دين الله أفواجاً فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا فنزلت: «والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له» الآية.

* وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله: «والذين يحاجون» الآية. قال: هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم.

١٨ (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا) يقولون متى تأتي ظنا منهم أنها غير آتية (والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ) يجادلون (فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ)

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى :١٩]

١٩ (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم (يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ) من كل منهم ما يشاء (وَهُوَ القَوِيُّ) على مراده (العَزِيزُ) الغالب على أمره

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى :٢٠]

٢٠ (مَن كَانَ يُرِيدُ) بعمله (حَرْثَ الآخِرَةِ) أي كسبها وهو الثواب (نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) بلا تضعيف ما قسم له (وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى :٢١]

٢١ (أَمْ) بل (لَهُمْ) لكفار مكة (شُرَكَاءُ) هم شياطينهم (شَرَعُوا) أي الشركاء (لَهُم) للكفار (مِّنَ الدِّينِ) الفاسد (مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) كالشرك وإنكار البعث (ولَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ) أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى :٢٢]

٢٢ (تَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وهُوَ) أي الجزاء عليها (واقِعٌ بِهِمْ) يوم القيامة لا محالة (والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ) أنزهها بالنسبة إلى من دونهم (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ)

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

٢٣ (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ) من البشارة مخففا ومثقلا (اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أي على تبليغ الرسالة (أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) استثناء منقطع أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضا فإن له في كل بطن من قريش قرابة (وَمَن يَقْتَرِفْ) يكتسب (حَسَنَةً) طاعة (نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) بتضعيفها (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للقليل فيضاعفه.(1)

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى :٢٤]

٢٤ (أَمْ) بل (يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة القرآن إلى الله تعالى (فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ) يربط (عَلَى قَلْبِكَ) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل (ويَمْحُ اللَّهُ البَاطِلَ) الذي قالوه (ويُحِقُّ الحَقَّ) يثبته (بِكَلِمَاتِهِ) المنزلة على نبيه (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى :٢٥]

٢٥ (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) منهم (ويَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) المتاب عنها (ويَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) بالياء والتاء

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٣: وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالاً فأنزل الله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم فأنزل الله: «أم يقولون افترى على الله كذباً» إلى قوله: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده» فعرض لهم التوبة إلى قوله: «ويزيدهم من فضله».

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى :٢٦]

٢٦ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يجيبهم إلى ما يسألون (وَيَزِيدُهُم) الله (مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾

٢٧ (ولَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) جميعهم (لَبَغَوْا) جميعهم أي طغوا (فِي الأَرْضِ ولَكِن يُنَزِّلُ) بالتخفيف وضده من الأرزاق (بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ).(١)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى :٢٨]

٢٨ (وهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ) المطر (مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) يئسوا من نزوله (وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) يبسط مطره (وهُوَ الوَلِيُّ) المحسن للمؤمنين (الحَمِيدُ) المحمود عندهم

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾

٢٩ (ومِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ و) خلق (مَا بَثَّ) فرق ونشر (فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ) هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (وهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ) للحشر (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) في الضمير تغليب العاقل على غيره

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى :٣٠]

٣٠ (ومَا أَصَابَكُم) خطاب للمؤمنين (مِّن مُّصِيبَةٍ) بلية وشدة (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) كسبتم من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها (ويَعْفُو عَن كَثِيرٍ) منها فلا يجازي عليه وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى :٣١]

٣١ (ومَا أَنتُم) يا مشركون (بِمُعْجِزِينَ) الله هربا (فِي الأَرْضِ) فتفوتونه (ومَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ) غيره (مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ) يدفع عذابه عنكم

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾

٣٢ (ومِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ) السفن (فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ) كالجبال في العظم

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى :٣٣]

٣٣ (إن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ) يصرن (رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجري (عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾

٣٤ (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) عطف على يسكن أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن (بِمَا كَسَبُوا) أي أهلهن من الذنوب (ويَعْفُ عَن كَثِيرٍ) منها فلا يغرق أهله

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾

٣٥ (ويَعْلَمَ) بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

٣٦ (فَمَا أُوتِيتُم) خطاب للمؤمنين وغيرهم (مِّن شَيْءٍ) من أثاث الدنيا (فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (ومَا عِندَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ويعطف عليه

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٧ وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض» وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا فتمنوا الدنيا.

* وأخرج الطبراني عن عمرو بن حريث مثله

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى :٣٧]

٣٧ (والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والْفَوَاحِشَ) موجبات الحدود من عطف البعض على الكل (وإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) يتجاوزون

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى :٣٨]

٣٨ (والَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة (وأَقَامُوا الصَّلاةَ) أداموها (وأَمْرُهُمْ) الذي يبدو لهم (شُورَى بَيْنَهُمْ) يتشاورون فيه ولا يعجلون (ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنفِقُونَ) من طاعة الله ومن ذكر صنف

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى :٣٩]

٣٩ (والَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ) الظلم (هُمْ يَنتَصِرُونَ) صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى :٤٠]

٤٠ (وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات قال بعضهم وإذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك الله (فَمَنْ عَفَا) عن ظالمه (وأَصْلَحَ) الود بينه وبين المعفو عنه (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أي إن الله يأجره لا محالة (إنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أي البادئين بالظلم فيرتب عليهم عقابه

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى :٤١]

٤١ (ولَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) أي ظلم الظالم إياه (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ) مؤاخذة

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٤٢ (إنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ) يعملون (فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) بالمعاصي (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

٤٣ (ولَمَن صَبَرَ) فلم ينتصر (وغَفَرَ) تجاوز (إنَّ ذَلِكَ) الصبر والتجاوز (لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى :٤٤]

٤٤ (ومَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وليٍّ مِنْ بَعْدِهِ) أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه (وتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ) إلى الدنيا (مِّن سَبِيلٍ) طريق ؟

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى :٤٥]

٤٥ (وتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) أي النار (خَاشِعِينَ) خائفين متواضعين (مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ) اليها (مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائية أو بمعنى الباء (وقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ) بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا والموصول خبر إن (أَلا إنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) دائم هو من مقول الله تعالى

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى :٤٦]

٤٦ (ومَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ) أي غيره يدفع عذابه عنهم (ومَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ) طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى :٤٧]

٤٧ (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم) أجيبوه بالتوحيد والعبادة

(مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ) هو يوم القيامة (لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) أي أنه إذا أتى به لا يرده (مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ) تلجئون إليه (يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ) إنكار لذنوبكم

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى :٤٨]

٤٨ (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإجابة (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم (إِنْ) ما (عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) وهذا قبل الأمر بالجهاد (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) نعمة كالغنى والصحة (فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ) الضمير للإنسان باعتبار الجنس (سَيِّئَةٌ) بلاء (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أي قدموه وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها (فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ) للنعمة

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى :٤٩]

٤٩ (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ) من الأولاد (إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ)

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى :٥٠]

٥٠ (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) أي يجعلهم (ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا) فلا يلد ولا يولد له (إِنَّهُ عَلِيمٌ) بما يخلق (قَدِيرٌ) على ما يشاء

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى :٥١]

٥١ (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا) أن يوحي إليه (وحيًا) في المنام أو بإلهام (أَوْ) إلا (مِن وَرَاءِ حِجَابٍ) بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام (أَوْ) إلا أن (يُرْسِلَ رَسُولًا) ملكا كجبريل (فَيُوحِيَ) الرسول إلى المرسل إليه أي يكلمه (بِإِذْنِهِ) أي الله (مَا يَشَاءُ) الله (إِنَّهُ عَلِيٌّ) عن صفات المحدثين (حَكِيمٌ) في صنعه

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

٥٢ (وَكَذَلِكَ) مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (رُوحًا) هو القرآن به تحيا القلوب (مِّنْ أَمْرِنَا) الذي نوحيه إليك (مَا كُنتَ تَدْرِي) تعرف قبل الوحي إليك (مَا الْكِتَابُ) القرآن (ولا الإِيمَانُ) أي شرائعه ومعالمه والنفي معلق للفعل عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (ولكن جَعَلْنَاهُ) أي الروح أو الكتاب (نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وإِنَّكَ لَتَهْدِي) تدعو بالوحي إليك (إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُّسْتَقِيمٍ) دين الإسلام

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى :٥٣]

٥٣ (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وما فِي الأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) ترجع.

* * *

٤٣ سورة الزخرف

مكية وقيل: إلا آية ﴿وأسأل من أرسلنا﴾ [٤٥] فمدنية وآياتها ٨٩ تسع وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حم﴾ [الزخرف :١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف :٢]

٢ (والْكِتَابِ) القرآن (المُبِينِ) المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف :٣]

٣ (إِنَّا جَعَلْنَاهُ) أوجدنا الكتاب (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغة

العرب (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون معانيه

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾

٤ (وإنَّهُ) مثبت (فِي أُمِّ الكِتَابِ) أصل الكتب أي اللوح المحفوظ (لَدَيْنَا) بدل عندنا (لَعَلِيٌّ) على الكتب قبله (حَكِيمٌ) ذو حكمة بالغة

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف :٥]

٥ (أَفَنَضْرِبُ) نمسك (عَنكُمُ الذِّكْرَ) القرآن (صَفْحًا) إمساكا فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل (أن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ) مشركين ؟ لا .

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف :٦]

٦ (وكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ)

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزخرف :٧]

٧ (ومَا يَأْتِيهِم) أتاهم (مِّن نَّبِيٍّ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

٨ (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم) من قومك (بَطْشًا) قوة (ومَضَى) سبق إثبات (مَثَلُ الأَوَّلِينَ) صفتهم في الإهلاك فعاقبة قومك كذلك

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف :٩]

٩ (ولَئِن) لام قسم (سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ) آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف :١٠]

١٠ - زاد تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا) فرشا كالمهد للصبي (وجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً) طرقا (لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم في أسفاركم

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف :١١]

١١ (والَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفانا (فَأَنشَرْنَا) أحيينا (بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ) أي مثل هذا الإحياء (تُخْرَجُونَ) من قبوركم أحياء

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف :١٢]

١٢ (والَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا وجَعَلَ لَكُم مِّنَ الفُلْكِ) السفن (والأَنْعَامِ) كالإبل (مَا تَرْكَبُونَ) حذف العائد اختصارا وهو مجرور في الأول أي فيه منصوب في الثاني

﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف :١٣]

١٣ (لِتَسْتَوُوا) لتستقروا (عَلَى ظُهُورِهِ) ذكر الضمير وجمع الظهر نظرا للفظ ما ومعناها (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيقين

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف :١٤]

١٤ (وإنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ) لمنصرفون

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف :١٥]

١٥ (وجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) حيث قالوا الملائكة بنات الله لأن الولد جزء من الوالد والملائكة من عباد الله تعالى (إنَّ الإِنسَانَ) القائل ما تقدم (لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) بين ظاهر الكفر

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾

١٦ (أَمِ) بمعنى همزة الإنكار والقول مقدر أي أتقولون (اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) لنفسه (وأَصْفَاكُم) أخلصكم (بِالْبَنِينَ) ؟ اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف :١٧]

١٧ (وإذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً) جعل له شبها بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد المعنى إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له (ظَلَّ) صار (وجْهُهُ مُسْوَدًّا) متغير تغير مغتم (وهُوَ كَظِيمٌ) ممتلئ غما فكيف ينسب البنات إليه ؟ تعالى عن ذلك

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾

١٨ (أَوَ) همزة الإنكار وواو العطف بجملة أي يجعلون لله (مَن يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ) الزينة (وهُوَ فِي الخِصَام غَيْرُ مُبِينٍ) مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة ؟

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾

١٩ (وجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا) حضروا (خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) بأنهم إناث (ويُسْأَلُونَ) عنها في الآخرة فيرتب عليها العقاب[1]

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف :٢٠]

٢٠ (وقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم) أي الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى (مَّا لَهُم بِذَلِكَ) المقول من الرضا بعبادتها (مِنْ عِلْم إنْ) ما (هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ) يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾

٢١ (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ) أي القرآن بعبادة غير الله (فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) أي لم يقع ذلك

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف :٢٢]

٢٢ (بَلْ قَالُوا إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وإنَّا) ماشون (عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) بهم وكانوا يعبدون غير الله

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف :٢٣]

٢٣ (وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا) متنعموها مثل قول قومك (إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) متبعون

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف :٢٤]

٢٤ (قَالَ) لهم (أ) تتبعون ذلك (وَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُم قَالُوا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ) أنت ومن قبلك (كَافِرُونَ)

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

٢٥ – قال تعالى تخويفًا (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ) أي من المكذبين للرسل قبلك (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف :٢٦]

٢٦ (و) اذكر (إذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ إنَّنِي بَرَاءٌ) أي بريء (مِمَّا تَعْبُدُونَ)

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف :٢٧]

٢٧ (إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي) خلقني (فَإنَّهُ سَيَهْدِينِ) يرشدني لدينه.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

٢٨ (وجَعَلَهَا) أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) (كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله (لَعَلَّهُمْ) أي أهل مكة (يَرْجِعُونَ) عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف :٢٩]

---

٤٣ – سورة الزخرف

(١) أسباب نزول الآية ١٩ : أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة فنزل فيهم: «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا».

٢٩ (بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ) المشركين (وآباءَهُمْ) ولم أعاجلهم العقوبة (حتّى جاءَهُمُ الحَقُّ) القرآن (ورَسُولٌ مُبِينٌ) مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾

٣٠ (ولَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ) القرآن (قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف :٣١]

٣١ (وقَالُوا لَوْلا) هلا (نُزِّلَ هَٰذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ) أهل (القَرْيَتَيْنِ) من أية منهما (عَظِيمٍ) أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.(١)

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف :٣٢]

٣٢ (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) النبوة (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا (ورَفَعْنَا بَعْضَهُمْ) بالغنى (فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم) الغني (بَعْضًا) الفقير (سُخْرِيًّا) مسخرا في العمل له بالأجرة والياء للنسب وقرىء بكسر السين (ورَحْمَتُ رَبِّكَ) أي الجنة (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) في الدنيا.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف :٣٣]

٣٣ (ولَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً) على الكفر (لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ) بدل من لمن (سُقُفًا) بفتح السين وسكون القاف وبضمها جمعا (مِّن فِضَّةٍ ومَعَارِجَ) كالدرج من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعلون إلى السطح.

(١) أسباب نزول الآية ٣١: وتقدم في سورة يونس سبب قوله تعالى: «وَقَالُواْ لَوْلَآ نُزِّلَ...» الآيتين.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾

٣٤ (ولِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا) من فضة (و) جعلنا لهم (سُرُرًا) من فضة جمع سرير (عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ)

﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف :٣٥]

٣٥ (وزُخْرُفًا) ذهبا لمعنى لولا خوف الكفر على المؤمنين من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة خطر الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم (وإن) مخففة من الثقيلة (كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا) بالتخفيف فما زائدة بالتشديد بمعنى إلا فإن نافية (مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (والآخِرَةُ) الجنة (عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف :٣٦]

٣٦ (ومَن يَعْشُ) يعرض (عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) أي القرآن (نُقَيِّضْ) نسبب (لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) لا يفارقه.(١)

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف :٣٧]

٣٧ (وإِنَّهُمْ) أي الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ) أي العاشين (عَنِ السَّبِيلِ) أي طريق الهدى (ويَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) في الجمع رعاية معنى «من».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف :٣٨]

(١) أسباب نزول الآية ٣٦: وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل عليّ هذا القرآن أو على ابن مسعود الثقفي فنزلت.
* وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشاً قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه فقيضوا لأبي بكر طلحة فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر: إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا قال: وما العزى؟ قال: بنات الله قال : فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل فسكت القوم فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأنزل الله: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً» الآية.

٣٨ (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) العاشي بقرينه يوم القيامة (قَالَ) له (يا) للتنبيه (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ) أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فَبِئْسَ القَرِينُ) أنت لي

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الزخرف :٣٩]

٣٩ (ولَن يَنفَعَكُمْ) أي العاشين تمنيكم وندمكم (اليَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ) أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا وإذ بدل من اليوم (أَنَّكُمْ) مع قرنائكم بتقدير لام العلة (فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) لعدم النفع

﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الزخرف :٤٠]

٤٠ (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي العُمْيَ ومَن كَانَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين أي فهم لا يؤمنون

﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ﴾

٤١ (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (نَذْهَبَنَّ بِكَ) بأن نميتك قبل تعذيبهم (فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ) في الآخرة

﴿أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ﴾

٤٢ (أَوْ نُرِيَنَّكَ) في حياتك (الَّذِي وعَدْنَاهُمْ) به من العذاب (فَإِنَّا عَلَيْهِم) على عذابهم (مُّقْتَدِرُونَ) قادرون

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزخرف :٤٣]

٤٣ (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ) أي القرآن (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُّسْتَقِيمٍ)

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾

٤٤ (وإِنَّهُ لَذِكْرٌ) لشرف (لَّكَ ولِقَوْمِكَ) لنزوله بلغتهم (وسَوْفَ تُسْأَلُونَ) عن القيام بحقه

﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف :٤٥]

٤٥ (واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ) أي غيره (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء وقيل المراد أمم من أي أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزخرف :٤٦]

٤٦ (ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ) القبط (فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ)

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ﴾

٤٧ (فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته (إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ)

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف :٤٨]

٤٨ (ومَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ) من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد (إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قرينتها التي قبلها (وأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الكفر

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف :٤٩]

٤٩ (وقَالُوا) لموسى لما رأوا العذاب (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) أي العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنا (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) أي مؤمنون

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾

٥٠ (فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى (عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾

٥١ (ونَادَى فِرْعَوْنُ) افتخارا (فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وهَذِهِ الأَنْهَارُ) من النيل

(تَجْرِي مِن تَحْتِي) تحت قصوري ؟ (أَفَلا تُبْصِرُونَ) عظمتي

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف :٥٢]

٥٢ (أَمْ) تبصرون ؟ وحينئذ (أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا) أي موسى (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير (ولا يَكَادُ يُبِينُ) يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف :٥٣]

٥٣ (فَلَوْلا) هلا (أُلْقِيَ عَلَيْهِ) إن كان صادقا (أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقونه طوق ذهب (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) متتابعين يشهدون بصدقه

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف :٥٤]

٥٤ (فَاسْتَخَفَّ) استفز فرعون (قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) فيما يريد من تكذيب موسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف :٥٥]

٥٥ (فَلَمَّا آسَفُونَا) أغضبونا (انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف :٥٦]

٥٦ (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) جمع سالف كخادم وخدم أي سابقين عبرة (وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ) بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف :٥٧]

٥٧ (ولَمَّا ضُرِبَ) جعل (ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً) حين نزل قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) فقال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنه عبد من دون الله (إِذَا قَوْمُكَ) المشركون (مِنْهُ) من المثل (يَصِدُّونَ) يضحكون فرحا بما سمعوا [1].

﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف :٥٨]

٥٨ (وقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أي عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه (مَا ضَرَبُوهُ) أي المثل (لَكَ إِلاَّ جَدَلاً) خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) شديدو الخصومة

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف :٥٩]

٥٩ (إِنْ هُوَ) ما عيسى (إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة (وجَعَلْنَاهُ) بوجوده من غير أب (مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) أي كالمثل لغرابته يستدل بها على قدرة الله تعالى على ما يشاء

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾

٦٠ (ولَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم) بدلكم (مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ) بأن نهلككم

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف :٦١]

٦١ (وإِنَّهُ) عيسى (لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) تعلم بنزوله (فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا) تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين (و) قل لهم (اتَّبِعُونِ) على التوحيد (هَذَا) الذي آمركم به (صِرَاطٌ) طريق (مُّسْتَقِيمٌ)

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

٦٢ (ولا يَصُدَّنَّكُمُ) يصرفنكم عن دين الله (الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) بين العداوة

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥٧:** وأخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير» فقالوا: ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً وقد عبد من دون الله فأنزل الله: «ولما ضرب ابن مريم مثلاً» الآية.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الزخرف :٦٣]

٦٣ (ولَمَّا جاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات والشرائع (قَالَ قَدْ جِئْتُكم بِالْحِكْمَةِ) بالنبوة وشرائع الإنجيل (ولأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف :٦٤]

٦٤ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي ورَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ)

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف :٦٥]

٦٥ (فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) في عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ؟ (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بما قالوه في عيسى (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) مؤلم

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف :٦٦]

٦٦ (هَلْ يَنظُرُونَ) أي كفار مكة أي ما ينتظرون (إلاَّ السَّاعَةَ أن تَأْتِيَهُم) بدل من الساعة (بَغْتَةً) فجأة (وهُمْ لا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئها قبله

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف :٦٧]

٦٧ (الأَخِلاَّءُ) على المعصية في الدنيا (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة متعلق بقوله (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ المُتَّقِينَ) المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء، ويقال لهم:

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

٦٨ (يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ ولا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ)

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

٦٩ (الَّذِينَ آمَنُوا) نعت لعبادي (بِآيَاتِنَا) القرآن (وكَانُوا مُسْلِمِينَ).

﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾

٧٠ (ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنتُمْ) مبتدأ (وأَزْوَاجُكُمْ) زوجاتكم (تُحْبَرُونَ) تسرون وتكرمون خبر المبتدأ

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف :٧١]

٧١ (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ) بقصاع (مِّن ذَهَبٍ وأَكْوَابٍ) جمع كوب وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ) تلذذا (وتَلَذُّ الأَعْيُنُ) نظرا (وأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٧٢ (وتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

٧٣ (لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا) أي بعضها (تَأْكُلُونَ) وكل ما يؤكل يخلف بدله

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾

٧٤ (إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف :٧٥]

٧٥ (لا يُفَتَّرُ) يخفف (عَنْهُمْ وهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) ساكتون سكوت يأس

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٧٦ (ومَا ظَلَمْنَاهُمْ ولَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)

﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾

٧٧ (ونَادَوْا يَا مَالِكُ) هو خازن النار (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ليمتنا (قَالَ) بعد ألف سنة (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) مقيمون في العذاب دائما

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾

٧٨ قال تعالى (لَقَدْ جِئْنَاكُم) أي أهل مكة (بِالْحَقِّ) على لسان الرسول (ولَكِنَّ أَكْثَرَكُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف :٧٩]

٧٩ (أَمْ أَبْرَمُوا) أي كفار مكة أحكموا (أَمْرًا) في كيد محمد النبي (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) محكمون كيدنا في إهلاكهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف :٨٠]

٨٠ (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُم) ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم (بَلَى) نسمع ذلك (ورُسُلُنَا) الحفظة (لَدَيْهِمْ) عندهم (يَكْتُبُونَ) ذلك [١].

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾

٨١ (قُلْ إن كَانَ لِلرَّحمَنِ ولَدٌ) فرضا (فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ) للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى فانتفت عبادته

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف :٨٢]

٨٢ (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ رَبِّ العَرْشِ) الكرسي (عَمَّا يَصِفُونَ) يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف :٨٣]

٨٣ (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا) في باطلهم (ويَلْعَبُوا) في دنياهم (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) فيه العذاب وهو يوم القيامة

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف :٨٤]

٨٤ (وهُوَ الَّذِي) هو (فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ) بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء أي معبود (وفِي الأَرْضِ إِلَهٌ) وكل من الظرفين متعلق بما بعده (وهُوَ الحَكِيمُ) في تدبير خلقه (العَلِيمُ) بمصالحهم

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٨٥ (وتَبَارَكَ) تعظم (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا وعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم ؟ (وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالياء والتاء

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف :٨٦]

٨٦ (ولا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون أي الكفار (مِن دُونِهِ) أي من دون الله (الشَّفَاعَةَ) لأحد (إلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ) أي قال لا إله إلا الله (وهُمْ يَعْلَمُونَ) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعُزيز والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

٨٧ (ولَئِن) لام قسم (سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع وواو الضمير (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن عبادة الله ؟

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾

٨٨ (وقِيلِهِ) أي قول محمد النبي ﷺ ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال (يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ)

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

٨٩ (فَاصْفَحْ) أعرض (عَنْهُمْ وقُلْ سَلامٌ) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء والتاء تهديد لهم.

* * *

---

(١) أسباب نزول الآية ٨٠: وأخرج ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم: أترون الله يسمع كلامنا فقال آخر: إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع فأنزلت: «أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم» الآية.

٤٤ سورة الدخان

مكية إلا (إنا كاشفوا العذاب) الآية ١٥، وآياتها تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ﴾ [الدخان :١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان :٢]

٢ (والْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر الحلال من الحرام

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾

٣ (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب أي: اللوح المحفوظ من السماء السابعة إلى سماء الدنيا (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) مخوفين به

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان :٤]

٤ (فِيهَا) أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان (يُفْرَقُ) يفصل (كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) محكم من الأرزاق والآجال وغيرها التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان :٥]

٥ (أَمْرًا) فرقا (مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) الرسل محمدًا ومن قبله.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

٦ (رَحْمَةً) رأفة بالمرسل إليهم (مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأفعالهم.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان :٧]

٧ (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) برفع رب خبر ثالث وبجره بدل من ربك (إِن كُنتُم) يا أهل مكة (مُوقِنِينَ) بأنه تعالى رب السموات والأرض فأيقنوا بأن محمدًا رسوله

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الدخان :٨]

٨ (لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ يُحْيِي ويُمِيتُ رَبُّكُمْ ورَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ)

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان :٩]

٩ (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ) من البعث (يَلْعَبُونَ) استهزاء بك يا محمد فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾

١٠ - قال تعالى: (فَارْتَقِبْ) لهم (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) فأجدبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض.

﴿يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان :١١]

١١ (يَغْشَى النَّاسَ) فقالوا (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)

﴿رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾

١٢ (رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) مصدقون نبيك.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾

١٣ (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) ؟ أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب (وقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ) بين الرسالة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان :١٤]

١٤ (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وقَالُوا مُعَلَّمٌ) أي يعلمه القرآن بشر (مَّجْنُونٌ).

﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾

٤٤- سورة الدخان

(١) **أسباب نزول الآية ١٠:** أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله: «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت فاستسقى فسقوا، فنزلت.

١٥ (إِنَّا كَاشِفُوا العَذَابِ) أي الجوع عنكم زمنا (قَلِيلاً) فكشف عنهم (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى كفركم فعادوا إليه [1] .

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾

١٦ اذكر (يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى) هو يوم بدر (إِنَّا مُنتَقِمُونَ) منهم والبطش الأخذ بالقوة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان :١٧]

١٧ (ولَقَدْ فَتَنَّا) بلونا (قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه (وجَاءَهُمْ رَسُولٌ) هو موسى عليه السلام (كَرِيمٌ) على الله تعالى

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾

١٨ (أَنْ) أي بأن (أَدُّوا إِلَيَّ) ما أدعوكم إليه من الإيمان أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا (عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على ما أرسلت به

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

١٩ (وأَن لاَّ تَعْلُوا) تتجبروا (عَلَى اللَّهِ) بترك طاعته (إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ) برهان (مُّبِينٍ) بين على رسالتي فتوعدوه بالرجم

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان :٢٠]

٢٠ فقال (وإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي ورَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) بالحجارة

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان :٢١]

٢١ (وإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي) تصدقوني (فَاعْتَزِلُونِ) فاتركوا أذاي فلم يتركوه

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان :٢٢]

٢٢ (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ) أي بأن (هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) مشركون.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الدخان :٢٣]

٢٣ فقال تعالى (فَأَسْرِ) بقطع الهمزة ووصلها (بِعِبَادِي) بني إسرائيل (لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وقومه.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾

٢٤ (واتْرُكِ البَحْرَ) إذا قطعته أنت وأصحابك (رَهْوًا) ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط (إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ) فاطمأن بذلك فأغرقوا

﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان :٢٥]

٢٥ (كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ) بساتين (وعُيُونٍ) تجري

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان :٢٦]

٢٦ (وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان :٢٧]

٢٧ (ونَعْمَةٍ) متعة (كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) ناعمين

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان :٢٨]

٢٨ (كَذَلِكَ) خبر مبتدأ أي الأمر (وأَوْرَثْنَاهَا) أي أموالهم (قَوْمًا آخَرِينَ) أي بني إسرائيل

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾

٢٩ (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ) بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء (ومَا كَانُوا مُنظَرِينَ) مؤخرين للتوبة

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾

٣٠ (ولَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ العَذَابِ المُهِينِ) قتل الأبناء واستخدام النساء

﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾

٣١ (مِن فِرْعَوْنَ) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب وقيل حال من العذاب (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ المُسْرِفِينَ)

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٣٢ (ولَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ) أي بني إسرائيل (عَلَى عِلْمٍ) منا بحالهم (عَلَى العَالَمِينَ) أي عالمي زمانهم أي العقلاء

---

(١) **أسباب نزول الآيتين ١٥ - ١٦** : فنزل قوله تعالى: «إنكم عائدون» فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله: «يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون» يعني يوم بدر.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾

٣٣ (وآتيناهم مِّنَ الآياتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ) نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ [الدخان :٣٤]

٣٤ (إنَّ هَؤُلاءِ) أي كفار مكة (لَيَقُولُونَ)

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾

٣٥ (إنْ هِيَ) ما الموتة التي بعدها الحياة (إلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى) أي وهم نطف (وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) بمبعوثين أحياء بعد الثانية

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الدخان :٣٦]

٣٦ (فَأْتُوا بِآبَائِنَا) أحياء (إن كُنتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعث بعد موتنا أي نحيا

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان :٣٧]

٣٧ قال تعالى (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) ؟ هو نبي أو رجل صالح (والَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم (أَهْلَكْنَاهُمْ) بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (إنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾

٣٨ (ومَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ) بخلق ذلك الحال

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٣٩ (مَا خَلَقْنَاهُمَا) وما بينهما (إلاَّ بِالْحَقِّ) أي محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك (ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أي كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ).

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٤٠ (إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) للعذاب الدائم

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

٤١ (يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى) بقرابة أو صداقة أي لا يدفع عنه (شَيْئًا) من العذاب (ولا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون منه ويوم بدل من يوم الفصل

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾

٤٢ (إلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ) وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله (إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ) الغالب في انتقامه من الكفار (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الدخان :٤٣]

٤٣ (إنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ) هي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم [(١)]

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان :٤٤]

٤٤ (طَعَامُ الأَثِيمِ) أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان :٤٥]

٤٥ (كَالْمُهْلِ) أي كدردي الزيت الأسود خبر ثان (يَغْلِي فِي البُطُونِ) بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل

﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان :٤٦]

٤٦ (كَغَلْيِ الحَمِيمِ) الماء الشديد الحرارة

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان :٤٧]

٤٧ (خُذُوهُ) يقال للزبانية خذوا الأثيم (فَاعْتِلُوهُ) بكسر التاء وضمها جروه بغلظة وشدة (إلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ) وسط النار

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾

٤٨ (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ) أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما في آية (يصب من فوق رؤوسهم) .

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾

٤٩ ويقال له (ذُقْ) أي العذاب (إنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ) بزعمك وقولك : ما بين جبليها أعز وأكرم مني [(٢)].

(١) أسباب نزول الآية ٤٣ : وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد فنزلت: «إن شجرة الزقوم طعام الأثيم».

(٢) أسباب نزول الآية ٤٩ : وأخرج الأموي في مغازيه عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل فقال: «إن الله

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان :٥٠]

٥٠ ويقال لهم (إِنَّ هَـٰذَا) الذي ترون من العذاب (مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ) فيه تشكون

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان :٥١]

٥١ (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ) مجلس (أَمِينٍ) يؤمن فيه من الخوف.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان :٥٢]

٥٢ (فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ)

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾

٥٣ (يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وإسْتَبْرَقٍ) أي ما رقَّ من الديباج وما غلظ منه (مُتَقَابِلِينَ) حال أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان :٥٤]

٥٤ (كَذَلِكَ) يقدر قبله الأمر (وزَوَّجْنَاهُم) من التزوج أو قرناهم (بِحُورٍ عِينٍ) بنساء بيض واسعات الأعين حسانها

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾

٥٥ (يَدْعُونَ) يطلبون من الخدم (فِيهَا) أي الجنة أن يأتوا (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ) منها (آمِنِينَ) من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان :٥٦]

٥٦ (لا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولَى) أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم إلا بمعنى بعد (ووَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ)

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

٥٧ (فَضْلاً) مصدر بمعنى تفضلا منصوب تفضل مقدرا (مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

٥٨ (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) أي سهلنا القرآن (بِلِسَانِكَ) بلغتك لتفهمه العرب عنك (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون بك لكنهم لا يؤمنون

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان :٥٩]

٥٩ (فَارْتَقِبْ) انتظر هلاكهم (إنَّهُم مُرْتَقِبُونَ) هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

* * *

٤٥ سورة الجاثية

مكية إلا آية (قل للذين آمنوا) الآية (١٤) فمدنية، وآياتها ٣٧ ست أو سبع وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ﴾ [الجاثية :١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجاثية :٢]

٢ (تَنزِيلُ الكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (العَزِيزِ) في ملكه (الحَكِيمِ) في صنعه

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية :٣]

٣ (إنَّ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) أي في خلقهما (لآيَاتٍ) دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى (لِّلْمُؤْمِنِينَ)

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

٤ (وفِي خَلْقِكُمْ) أي في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانا (و) خلق (مَا يَبُثُّ) يفرق في الأرض (مِن دَابَّةٍ) هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

٥ (و) في (اخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ) ذهابهما ومجيئهما (ومَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ) مطر لأنه سبب الرزق (فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

أمرني أن أقول لك: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» قال: فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء لقد علمت أني أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته ونزل فيه: «ذق إنك أنت العزيز الكريم».

* وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.

وتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة (آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) الدليل فيؤمنون

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية :٦]

٦ (تِلْكَ) الآيات المذكورة (آيَاتُ اللَّهِ) حججه الدالة على وحدانيته (نَتْلُوهَا) نقصها (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) متعلق بنتلو (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ) أي حديثه وهو القرآن (وآيَاتِهِ) حججه (يُؤْمِنُونَ) ؟ أي كفار مكة أي لا يؤمنون وفي قراءة بالتاء.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية :٧]

٧ (ويْلٌ) كلمة عذاب (لِّكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) كثير الإثم

﴿يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية :٨]

٨ (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره (مُسْتَكْبِرًا) متكبرا عن الإيمان (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية :٩]

٩ (وإذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا) أي القرآن (شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) أي مهزوءا بها (أُوْلَئِكَ) أي الأفاكون (لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

١٠ (مِن ورَائِهِمْ) أي أمامهم لأنهم في الدنيا (جَهَنَّمُ ولا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا) من المال والفعال (شَيْئًا ولا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ) أي الأصنام (أَوْلِيَاءَ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

﴿هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية :١١]

١١ (هَـٰذَا) أي القرآن (هُدًى) من الضلالة (والَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ) حظ (مِّن رِّجْزٍ) أي عذاب (أَلِيمٌ) موجع.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية :١٢]

١٢ (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِ) بإذنه (ولِتَبْتَغُوا) تطلبوا بالتجارة (مِن فَضْلِهِ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية :١٣]

١٣ (وسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره (ومَا فِي الأَرْضِ) من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها أي خلق ذلك لمنافعكم (جَمِيعًا) تأكيد (مِّنْهُ) حال أي سخرها كائنة منه تعالى (إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيها فيؤمنون

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية :١٤]

١٤ (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ) يخافون (أَيَّامَ اللَّهِ) وقائعه أي اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم وهذا قبل الأمر بجهادهم (لِيَجْزِيَ) أي الله وفي قراءة بالنون (قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الغفر للكفار أذاهم

﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية :١٥]

١٥ (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (ومَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أساء (ثُمَّ إلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) تصيرون فيجازي المصلح والمسيء

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

١٦ (ولَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إسْرَائِيلَ الكِتَابَ) التوراة (والْحُكْمَ) به بين الناس (والنُّبُوَّةَ) لموسى وهارون منهم (ورزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) الحلالات كالمن والسلوى (وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى العَالَمِينَ) عالمي زمانهم العقلاء

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية :١٧]

١٧ (وآتيناهم بيِّنات مِّنَ الأَمْرِ) أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (فَمَا اخْتَلَفُوا) في بعثته (إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أي لبغي حدث بينهم حسدا له (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية :١٨]

١٨ (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يا محمد (عَلَى شَرِيعَةٍ) طريقة (مِّنَ الأَمْرِ) أمر الدين (فَاتَّبِعْهَا ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) في عبادة غير الله

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

١٩ (إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا) يدفعوا (عَنكَ مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا وإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ واللَّهُ وليُّ المُتَّقِينَ) المؤمنين

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

٢٠ (هَـذَا) القرآن (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود (وهُدًى ورَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية :٢١]

٢١ (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا) اكتسبوا (السَّيِّئَاتِ) الكفر والمعاصي (أن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) خبر (مَّحْيَاهُمْ ومَمَاتُهُمْ) ؟ مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار والمعنى أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير أي كالمؤمنين في رغد من العيش مساو لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) أي ليس الأمر كذلك فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية أي بئس حكما حكمهم هذا.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية :٢٢]

٢٢ (وخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ و) خلق (الأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته (ولِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من المعاصي والطاعات فلا يساوي الكافر المؤمن (وهُمْ لا يُظْلَمُونَ)

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية :٢٣]

٢٣ (أَفَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن (وأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) منه تعالى أي عالما بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه (وخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وقَلْبِهِ) فلم يسمع الهدى ولم يعقله (وجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت أيهتدي (فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) أي بعد إضلاله إياه أي لا يهتدي (أَفَلا تَذَكَّرُونَ) تتعظون فيه إدغام إحدى التاءين في الذال [1].

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

٢٤ (وقَالُوا) أي منكرو البعث (مَا هِيَ) أي الحياة (إلاَّ حَيَاتُنَا) التي في (الدُّنْيَا نَمُوتُ ونَحْيَا) أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا (ومَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ) مرور الزمان قال تعالى (ومَا لَهُم بِذَلِكَ) المقول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ) ما (هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ) [2].

* * *

٤٥- سورة الجاثية

(١) **أسباب نزول الآية ٢٣** : أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حيناً من الدهر فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر فأنزل الله: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٤** : وأخرج عن أبي هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار فأنزل الله: «وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر».

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجاثية :٢٥]

٢٥ (وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إلاَّ أن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا) أحياء (إن كُنتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعث

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية :٢٦]

٢٦ (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) حين كنتم نطفا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ) أحياء (إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ) شك (فِيهِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم القائلون ما ذكر (لا يَعْلَمُونَ)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية :٢٧]

٢٧ (ولِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يبدل منه (يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المُبْطِلُونَ) الكافرون أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية :٢٨]

٢٨ (وتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ) أي أهل الدين (جَاثِيَةً) على الركب أو مجتمعة (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلَى كِتَابِهَا) كتاب أعمالها ويقال لهم (اليَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاءه

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية :٢٩]

٢٩ (هَذَا كِتَابُنَا) ديوان الحفظة (يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ) نثبت ونحفظ (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الجاثية :٣٠]

٣٠ (فَأَمَّا الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) جنته (ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ) البين الظاهر

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية :٣١]

٣١ (وأَمَّا الَذِينَ كَفَرُوا) فيقال لهم (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) القرآن (تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم (وكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) كافرين

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾

٣٢ (وإذَا قِيلَ) لكم أيها الكفار (إنَّ وعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ والسَّاعَةُ) بالرفع والنصب (لا رَيْبَ) شك (فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إن) ما (نَّظُنُّ إلاَّ ظَنًّا) قال المبرد أصله إن نحن إلا نظن ظنا (ومَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أنها آتية

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الجاثية :٣٣]

٣٣ (وبَدَا) ظهر (لَهُمْ) في الآخرة (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) في الدنيا أي جزاؤها (وحَاقَ) نزل (بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجاثية :٣٤]

٣٤ (وقِيلَ اليَوْمَ نَنسَاكُمْ) نترككم في النار (كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أي تركتم العمل للقائه (ومَأْوَاكُمُ النَّارُ ومَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ) مانعين منها

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

٣٥ (ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (هُزُوًا وغَرَّتْكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ) بالبناء للفاعل وللمفعول (مِنْهَا) النار (ولا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٣٦ (فَلِلَّهِ الحَمْدُ) الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين (رَبِّ السَّمَوَاتِ ورَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ) خلق ما ذكر والعالم ما سوى الله

وجمع لاختلاف أنواعه ورب بدل

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية :٣٧]

٣٧ (ولَهُ الكِبْرِيَاءُ) العظمة (فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) حال أي كائنة فيهما (وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) تقدم.

* * *

٤٦ سورة الأحقاف

مكية إلا الآية ١٠ - ١٥ - ٣٥ ، فمدنية وآياتها ٣٥ خمس وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ﴾ [الأحقاف :١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾

٢ (تَنزِيلُ الكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (العَزِيزِ) في ملكه (الحَكِيمِ) في صنعه

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾

٣ (مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا إلاَّ) خلقا (بِالْحَقِّ) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وأَجَلٍ مُسَمًّى) إلى فنائهما يوم القيامة (والَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا) خوفوا به من العذاب (مُعْرِضُونَ)

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

٤ (قُلْ أَرَأَيْتُم) أخبروني (مَّا تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ) أي الأصنام مفعول أول (أَرُونِي) أخبروني ما تأكيد (مَاذَا خَلَقُوا) مفعول ثان (مِنَ الأَرْضِ) بيان ما (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) مشاركة (فِي) خلق (السَّمَوَاتِ) مع الله ؟ وأم بمعنى همزة الإنكار (ائْتُونِي بِكِتَابٍ) منزل (مِّن قَبْلِ هَذَا) القرآن (أَوْ أَثَارَةٍ) بقية (مِّنْ عِلْمٍ) يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله (إن كُنتُمْ صَادِقِينَ) في دعواكم

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾

٥ (ومَنْ) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو) يعبد (مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدا (وهُمْ عَن دُعَائِهِمْ) عبادتهم (غَافِلُونَ) لأنهم جماد لا يعقلون

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف :٦]

٦ (وإذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا) أي الأصنام (لَهُمْ) لعابديهم (أَعْدَاءً وكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ) بعبادة عابديهم (كَافِرِينَ) جاحدين

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف :٧]

٧ (وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ) أي أهل مكة (آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (لِلْحَقِّ) أي القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين ظاهر

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف :٨]

٨ (أَمْ) بمعنى بل وهمزة الإنكار (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أي القرآن ؟ (قُلْ إنِ افْتَرَيْتُهُ) فرضا (فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ) أي من عذابه (شَيْئًا) أي لا تقدرون على دفعه عني إذا عذبني الله (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) تقولون في القرآن (كَفَى بِهِ) تعالى (شَهِيدًا بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وهُوَ الغَفُورُ) لمن تاب (الرَّحِيمُ) بكم فلم يعاجلكم بالعقوبة

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف :٩]

٩ (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا) بديعا (مِّنَ الرُّسُلِ) أي

أول مرسل قد سبق قبلي كثيرون منهم فكيف تكذبونني ؟ (ومَا أدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ) في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي ؟ أو ترمونني بالحجارة أو يخسف بكم كالمكذبين قبلكم (إنْ) ما (أَتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إلَيَّ) أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا (ومَا أَنَا إلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الإنذار

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف :١٠]

١٠ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني ماذا حالكم (إن كَانَ) أي القرآن (مِنْ عِندِ اللَّهِ وكَفَرْتُم بِهِ) جملة حالية (وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إسْرَائِيلَ) هو عبد الله بن سلام (عَلَى مِثْلِهِ) عليه أنه من عند الله (فَآمَنَ) الشاهد (واسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين ؟ دل عليه (إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) [(١)].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف :١١]

١١ (وقَالَ الَذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أي في حقهم (لَوْ كَانَ) الإيمان (خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إلَيْهِ وإذْ لَمْ يَهْتَدُوا) أي القائلون (بِهِ) أي بالقرآن (فَسَيَقُولُونَ هَذَا) القرآن (إفْكٌ) كذب (قَدِيمٌ) [(١)] .

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف :١٢]

١٢ (ومِن قَبْلِهِ) أي القرآن (كِتَابُ مُوسَى) التوراة (إمَامًا ورَحْمَةً) للمؤمنين به حالان (وهَذَا) القرآن (كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ) للكتب قبله (لِّسَانًا عَرَبِيًّا) حال من الضمير في مصدق (لِّيُنذِرَ الَذِينَ ظَلَمُوا) مشركي مكة (و) هو (بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) المؤمنين

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف :١٣]

١٣ (إنَّ الَذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على الطاعة (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ)

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف :١٤]

١٤ (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) حال (جَزَاءً) منصوب على المصدر بفعله المقدر أي يجزون (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف :١٥]

٤٦- سورة الأحقاف

(١) **أسباب نزول الآية ١٠** : أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه». * فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد فأقبل فقال: «أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟» قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال: «فإني أشهد أنه النبي الذي تجدون في التوراة» قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا فيه شراً، فأنزل الله: «قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به» الآية.

* وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: في عبد الله بن سلام نزلت: «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله».

* وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن سلام قال: فيَّ نزلت.

---

(١) **أسباب نزول الآية ١١** : وأخرج أيضاً عن قتادة قال: قال أناس من المشركين: نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان فنزل: «وقال الذين كفروا».

* وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها: زنين فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زنين فأنزل الله في شأنها: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه...» الآية. وأخرج ابن سعد نحوه عن الضحاك والحسن.

١٥ (ووَصَّيْنا الإنسانَ بِوالِدَيْهِ إحْسانًا) وفي قراءة حُسْنًا أي أمرناه أن يحسن إليهما فنصب إحسانا على المصدر بفعله المقدر ومثله حسنا (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ووَضَعَتْهُ كُرْهًا) أي على مشقة (وحَمْلُهُ وفِصَالُهُ) من الرضاع (ثَلاثُونَ شَهْرًا) ستة أشهر أقل مدة الحمل والباقي أكثر مدة الرضاع وقيل إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي (حَتَّى) غاية لجملة مقدرة أي وعاش حتى (إذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) هو كمال قوته وعقله ورأيه أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون (وبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً) أي تمامها وهو أكثر الأشد (قَالَ رَبِّ) الخ نزل في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أَوْزِعْني) ألهمني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وعَلَى والِدَيَّ) وهي التوحيد (وأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله (وأَصْلِحْ لي في ذُرِّيَّتي) فكلهم مؤمنون (إنِّي تُبْتُ إلَيْكَ وإنِّي مِنَ المُسْلِمِينَ)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف :١٦]

١٦ (أُوْلَئِكَ) أي قائلو هذا القول أبو بكر وغيره (الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ) بمعنى حسن (مَا عَمِلُوا ونَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ في أَصْحَابِ الجَنَّةِ) حال أي كائنين في جملتهم (وعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) في قوله تعالى (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات) .

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾

١٧ (والَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ) بالإفراد وفي قراءة بالإدغام أريد به الجنس (أُفٍّ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتنا وقبحا (لَكُمَا) أتضجر منكما (أَتَعِدَانِنِي) وفي قراءة بالإدغام (أَنْ أُخْرَجَ) من القبر (وقَدْ خَلَتِ القُرُونُ) الأمم (مِن قَبْلي) ولم تخرج من القبور (وهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ) يسألانه الغوث برجوعه ويقولان إن لم ترجع (ويْلَكَ) أي هلاكك بمعني هلكت (آمِنْ) بالبعث (إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا) أي القول بالبعث (إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أكاذيبهم [1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الأحقاف :١٨]

١٨ (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ) وجب (عَلَيْهِمُ القَوْلُ) بالعذاب (في أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الجِنِّ والإنسِ إنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأحقاف :١٩]

١٩ (ولِكُلٍّ) من جنس المؤمن والكافر (دَرَجَاتٌ) فدرجات المؤمنين في الجنة عالية ودرجات الكافرين في النار سافلة (مِمَّا عَمِلُوا) أي المؤمنون من الطاعات والكافرون في المعاصي (ولِيُوَفِّيَهُمْ) أي الله وفي قراءة بالنون (أَعْمَالَهُمْ) أي جزاءها (وهُمْ لا يُظْلَمُونَ) شيئا ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ [الأحقاف :٢٠]

---

(١) أسباب نزول الآية ١٧ : وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي قال: نزلت هذه الآية: «والذي قال لوالديه أف لكما» في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه: وكانا قد أسلما وأبى هو أن يُسلم فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما ويكذبهما ويقول: فأين فلان وأين فلان، يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسُن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: «ولكل درجات مما عملوا» الآية.

*وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله.

*لكن أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال: قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر أن هذا الذي أنزل الله فيه: «والذي قال لوالديه أف لكما» فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وقالت: إنما نزلت في فلان سمّت رجلاً.

*قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسناداً وأولى بالقبول.

٢٠ (ويَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن تكشف لهم يقال لهم (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة وهمزتين وبهمزة ومدة وبها وتسهيل الثانية (طَيِّبَاتِكُمْ) باشتغالكم بلذاتكم (فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا واسْتَمْتَعْتُمْ) تمتعتم (بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ) أي الهوان (بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ) به وتعذبون بها

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف :٢١]

٢١ (واذْكُرْ أَخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام (إِذْ) إلخ بدل اشتمال (أَنذَرَ قَوْمَهُ) خوفهم (بِالأَحْقَافِ) واد باليمن به منازلهم (وقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ) مضت الرسل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ) أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم (أ) ن أي بأن قال (لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ) وجملة قد خلت معترضة (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غير الله (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف :٢٢]

٢٢ (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا) لتصرفنا عن عبادتها (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) من العذاب على عبادتها (إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في أنه يأتينا

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف :٢٣]

٢٣ (قَالَ) هود (إِنَّمَا العِلْمُ عِندَ اللَّهِ) هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب (وأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ) إليكم (ولَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) باستعجالكم العذاب

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٢٤ (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أي ما هو العذاب (عَارِضًا) سحابا عرض في أفق السماء (مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) أي مطر أتانا قال تعالى (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ) من العذاب (رِيحٌ) بدل من ما (فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

٢٥ (تُدَمِّرُ) تهلك (كُلَّ شَيْءٍ) مرت عليه (بِأَمْرِ رَبِّهَا) بإرادته أي كل شيء أراد إهلاكه بها فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته وبقي هود ومن آمن معه (فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ) غيرهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

٢٦ (ولَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا) في الذي (إِن) نافية أو زائدة (مَّكَّنَّاكُمْ) يا أهل مكة (فِيهِ) من القوة والمال (وجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا) بمعنى أسماعا (وأَبْصَارًا وأَفْئِدَةً) قلوبا (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ولا أَبْصَارُهُمْ ولا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ) أي شيئا من الإغناء ومن زائدة (إِذْ) معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل (كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) حججه البينة (وحَاقَ) نزل (بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف :٢٧]

٢٧ (ولَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ القُرَى) أي من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط (وصَرَّفْنَا الآيَاتِ) كررنا الحجج البينات (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾

٢٨ (فَلَوْلا) هلا (نَصَرَهُمْ) بدفع العذاب عنهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره (قُرْبَانًا) متقربا بهم إلى الله (آلِهَةً) معه وهم الأصنام ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم وقربانا الثاني وآلهة بدل منه (بَلْ ضَلُّوا) غابوا (عَنْهُمْ) عند نزول العذاب (وذَلِكَ) أي اتخاذهم الأصنام آلهة قربانا (إِفْكُهُمْ) كذبهم (ومَا كَانُوا

يَفْتَرُونَ) يكذبون وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي فيه.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف :٢٩]

٢٩ (و) اذكر (إِذْ صَرَفْنَا) أملنا (إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ) جن نصيبين باليمن أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان ﷺ ببطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان (يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا) أي قال بعضهم لبعض (أَنصِتُوا) أصغوا لاستماعه (فَلَمَّا قُضِيَ) فرغ من قراءته (وَلَّوْا) رجعوا (إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا.(١)

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف :٣٠]

٣٠ (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا) هو القرآن (أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه كالتوراة (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) الإسلام (وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) أي طريقه

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف :٣١]

٣١ (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) محمدا ﷺ إلى الإيمان (وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ) الله (لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) أي بعضها لأن منها المظالم لا تغفر إلا برضاء أربابها (وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

٣٢ (وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته (وَلَيْسَ لَهُ) لمن لا يجيب (مِن دُونِهِ) أي الله (أَوْلِيَاءُ) أنصار يدفعون عنه العذاب (أُولَئِكَ) الذين لم يجيبوا (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ظاهر

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف :٣٣]

٣٣ (أَوَ لَمْ يَرَوْا) يعلموا أي منكرو البعث (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ) لم يعجز عنه (بِقَادِرٍ) خبر أن وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة أليس الله بقادر ؟ (عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى) هو قادر على إحياء الموتى (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف :٣٤]

٣٤ (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن يعذبوا بها يقال لهم (أَلَيْسَ هَذَا) التعذيب (بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

٣٥ (فَاصْبِرْ) على أذى قومك (كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ) ذوو الثبات والصبر على الشدائد (مِنَ الرُّسُلِ) قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى (ولم نجد له عزما) ولا يونس لقوله تعالى (ولا تكن كصاحب الحوت) (وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ) لقومك نزول العذاب بهم قيل: كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل بهم لا محالة (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ) من العذاب في الآخرة لطوله (لَمْ يَلْبَثُوا) في الدنيا في ظنهم (إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ) هذا القرآن (بَلاغٌ) تبليغ من الله إليكم (فَهَلْ) أي لا (يُهْلَكُ) عند رؤية العذاب (إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أي الكافرون.

(١) أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا: أنصتوا وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله: «وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن» إلى قوله: «ضلال مبين».

٤٧ سورة محمد أو القتال

مدنية إلا الآية ١٣ فمكية وآياتها تسع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

١ (الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (وَصَدُّوا) غيرهم (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي الإيمان (أَضَلَّ) أحبط (أَعْمَالَهُمْ) كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى (١).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٢]

٢ (والَّذِينَ آمَنُوا) أي الأنصار وغيرهم (وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) أي القرآن (وهُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ) غفر لهم (سَيِّئَاتِهِمْ وأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أي حالهم فلا يعصونه

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾

٣ (ذَلِكَ) أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات (بِأَنَّ) بسبب أن (الَذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ) الشيطان (وأَنَّ الَذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ) القرآن (مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ) أي مثل ذلك البيان (يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يبين أحوالهم أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زَلَله

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

٤ (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة (حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ) أكثرتم فيهم القتل (فَشُدُّوا) فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا (الوَثَاق) ما يوثق به الأسرى (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء (وإِمَّا فِدَاءً) تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين (حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ) أي أهلها (أَوْزَارَهَا) أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد وهذه غاية للقتل والأسر (ذَلِكَ) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر فيهم ما ذكر (ولَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ) بغير قتال (ولَكِن) أمركم به (لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ) منهم في القتال فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار (والَّذِينَ قُتِلُوا) وفي قراءة قاتلوا الآية نزلت يوم أحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ) يحبط (أَعْمَالَهُمْ) (١).

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد :٥]

٥ (سَيَهْدِيهِمْ) في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم (ويُصْلِحُ بَالَهُمْ) حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل وادرجوا في« قتلوا» تغليبا

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد :٦]

٦ (ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا) بينها (لَهُمْ) فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد :٧]

٤٧- سورة محمد

(١) أسباب نزول الآية ١ : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم» قال: هم أهل مكة نزلت فيهم «والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم» قال: هم الأنصار.

(١) أسباب نزول الآية ٤ : وأخرج عن قتادة في قوله: «والذين قتلوا في سبيل الله» قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون يومئذ: اعْلُ هبل، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ : « قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» إن القتلى مختلفة، أما قتلانا فأحياء يرزقون، وأما قتلاكم في النار يعذبون.

٧ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ) دينه ورسوله (يَنصُرْكُمْ) على عدوكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) يثبتكم في المعترك

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد :٨]

٨ (والَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه (فَتَعْسًا لَّهُمْ) أي هلاكا وخيبة من الله (وأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) عطف على تعسوا

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾

٩ (ذَلِكَ) أي التعس والإضلال (بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ) من القرآن المشتمل على التكاليف (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد :١٠]

١٠ (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم (ولِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) أي أمثال عاقبة ما قبلهم

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد :١١]

١١ (ذَلِكَ) نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى) ولي وناصر (الَّذِينَ آمَنُوا وأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد :١٢]

١٢ (إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ والَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ) في الدنيا (ويَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ) أي ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة (والنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) منزل ومقام ومصير

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد :١٣]

١٣ (وكَأَيِّن) وكم (مِّن قَرْيَةٍ) أريد بها أهلها (هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ) قوة أهل مكة (الَّتِي أَخْرَجَتْكَ) روعي لفظ قرية (أَهْلَكْنَاهُمْ) روعي معنى قرية الأولى (فَلا نَاصِرَ لَهُمْ) من إهلاكنا[1].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد :١٤]

١٤ (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ) حجة وبرهان (مِّن رَّبِّهِ) وهم المؤمنون (كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) فرآه حسنا وهم كفار مكة (واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في عبادة الأوثان ؟ أي لا مماثلة بينهما

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد :١٥]

١٥ (مَثَلُ) صفة (الجَنَّةِ الَّتِي وعِدَ المُتَّقُونَ) المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره (فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) بالمد والقصر كضارب وحذر أي غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير لعارض (وأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ) لذيذة (لِّلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (وأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى) بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالط الشمع وغيره (ولَهُمْ فِيهَا) أصناف (مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ومَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ) فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) خبر مبتدأ مقدر أي أمن هو في هذا النعيم (وسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) أي شديد الحرارة (فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) أي مصارينهم وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان.

* * *

[1] أسباب نزول الآية ١٣ : وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال: أنت أحب بلاد الله إليّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج منك فأنزل الله: «وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك» الآية.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد :١٦]

١٦ (ومِنْهُم) أي الكفار (مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) في خطبة الجمعة وهم المنافقون (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (مَاذَا قَالَ آنِفًا) بالمد والقصر أي الساعة أي لا نرجع إليه (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالكفر (واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في النفاق (١).

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾

١٧ (والَّذِينَ اهْتَدَوْا) وهم المؤمنون (زَادَهُمْ) الله (هُدًى وآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) ألهمهم ما يتقون به النار

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد :١٨]

١٨ (فَهَلْ يَنظُرُونَ) ما ينتظرون أي كفار مكة (إلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم) بدل اشتمال من الساعة أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم (بَغْتَةً) فجأة (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها منها بعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ) الساعة (ذِكْرَاهُمْ) تذكرهم أي لا ينفعهم

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾

١٩ (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة (واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) لأجله قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال ﷺ إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة (ولِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ) فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم (واللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) متصرفكم لأشغالكم في النهار (ومَثْوَاكُمْ) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد :٢٠]

٢٠ (ويَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) طلبا للجهاد (لَوْلا) هلا (نُزِّلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ) أي لم ينسخ منها شيء (وذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ) أي طلبه (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك وهم المنافقون (يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ) المغمى (عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) خوفا منه وكراهة له أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فَأَوْلَى لَهُمْ) مبتدأ خبره

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد :٢١]

٢١ (طَاعَةٌ وقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) أي حسن لك (فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) أي فرض القتال (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) في الإيمان والطاعة (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) وجملة لو جواب إذا.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد :٢٢]

٢٢ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب أي لعلكم (إن تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الإيمان (أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أي تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾

٢٣ (أُوْلَئِكَ) أي المفسدون (الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ) عن استماع الحق (وأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) عن طريق الهداية

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾

٢٤ (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ) فيعرفون الحق (أَمْ) بل (عَلَى قُلُوبٍ) لهم (أَقْفَالُهَا) فلا يفهمونه ؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾

---

(١) أسباب نزول الآية ١٦ : وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه ويسمعه المنافقون فلا يعونه فإذا خرجوا سألوا المؤمنين: ماذا قال آنفا؟ فنزلت: «ومنهم من يستمع إليك» الآية.

٢٥ (إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا) بالنفاق (عَلَى أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) أي زين (لَهُمْ وأَمْلَى لَهُمْ) بضم أوله وبفتحه واللام والمملي الشيطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد :٢٦]

٢٦ (ذَلِكَ) أي إضلالهم (بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) أي للمشركين (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ) أي المعاونة على عداوة النبي ﷺ وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى (واللَّهُ يَعْلَمُ إسْرَارَهُمْ) بفتح الهمزة جمع سر وبكسرها مصدر

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد :٢٧]

٢٧ (فَكَيْفَ) حالهم (إذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ) حال من الملائكة (وجُوهَهُمْ وأَدْبَارَهُمْ) ظهورهم بمقامع من حديد ؟

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد :٢٨]

٢٨ (ذَلِكَ) أي التوفي على الحالة المذكورة (بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) أي العمل بما يرضيه (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد :٢٩]

٢٩ (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين ؟

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد :٣٠]

٣٠ (ولَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ) عرفناكهم وكررت اللام في (فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ) علامتهم (ولَتَعْرِفَنَّهُمْ) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه (فِي لَحْنِ القَوْلِ) أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين (واللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد :٣١]

٣١ (ولَنَبْلُوَنَّكُمْ) نختبركم بالجهاد وغيره (حَتَّى نَعْلَمَ) علم ظهور (المُجَاهِدِينَ مِنكُمْ والصَّابِرِينَ) في الجهاد وغيره (ونَبْلُوَ) نظهر (أَخْبَارَكُمْ) من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد :٣٢]

٣٢ (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الحق (وشَاقُّوا الرَّسُولَ) خالفوه (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى) هو معنى سبيل الله (لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ) يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد :٣٣]

٣٣ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ ولا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بالمعاصي مثلا [1] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد :٣٤]

٣٤ (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) طريقه وهو الهدى (ثُمَّ مَاتُوا وهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) نزلت في أصحاب القليب

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد :٣٥]

٣٥ (فَلا تَهِنُوا) تضعفوا (وتَدْعُوا إلَى السَّلْمِ) بفتح السين وكسرها أي الصلح مع الكفار إذ لقيتموهم (وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ) حذف منه واو لام الفعل

(١) أسباب نزول الآية ٣٣ : أخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم» فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

الأغلبون القاهرون (واللَّهُ مَعَكُمْ) بالعون والنصر (ولَن يَتِرَكُمْ) ينقصكم (أَعْمَالَكُمْ) أي ثوابها

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد :٣٦]

٣٦ (إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا) أي الاشتغال فيها (لَعِبٌ ولَهْوٌ وإن تُؤْمِنُوا وتَتَّقُوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يُؤْتِكُمْ أُجورَكُمْ ولا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾

٣٧ (إن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ) يبالغ في طلبها (تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ) البخل (أَضْغَانَكُمْ) لدين الإسلام

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾

٣٨ (هَا أَنتُمْ) يا (هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ما فرض عليكم (فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ومَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) يقال بخل عليه وعنه (واللَّهُ الغَنِيُّ) عن نفقتكم (وأَنتُمُ الفُقَرَاءُ) إليه (وإن تَتَوَلَّوْا) عن طاعته (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أي يجعلهم بدلكم (ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) في التولي عن طاعته بل مطيعين له عز وجل.

* * *

٤٨ سورة الفتح

مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح :١]

١ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك (فَتْحًا مُّبِينًا) بينا ظاهرا

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح :٢]

٢ (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) بجهادك (مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ ومَا تَأَخَّرَ) منه لترغب أمتك في الجهاد وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب واللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب (ويُتِمَّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتَهُ) إنعامه (عَلَيْكَ ويَهْدِيَكَ) به (صِرَاطًا) طريقا (مُّسْتَقِيمًا) يثبتك عليه وهو دين الإسلام [1].

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح :٣]

٣ (ويَنصُرَكَ اللَّهُ) به (نَصْرًا عَزِيزًا) ذا عز لا ذل له

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح :٤]

٤ (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ) الطمأنينة (فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ) بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها ومنها الجهاد (ولِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل (وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح :٥]

٥ (لِيُدْخِلَ) متعلق بمحذوف أي أمر الجهاد (المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ويُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا)

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ

٤٨- سورة الفتح

(١) أسباب نزول الآية ٢: أخرج الحاكم وغيره عن المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها.

* وأخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» مرجعه من الحديبية فقال النبي ﷺ «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله قد بيَّن الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت: «ليدخل المؤمنين والمؤمنات» حتى بلغ: «فوزاً عظيماً».

ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾

٦ (ويُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَاتِ والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمدا ﷺ والمؤمنين (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) بالذل والعذاب (وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ولَعَنَهُمْ) أبعدهم (وأعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيرًا) أي مرجعا

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

٧ (ولِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) في ملكه (حَكِيمًا) في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

٨ (إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على أمتك في القيامة (ومُبَشِّرًا) لهم في الدنيا بالجنة (ونَذِيرًا) منذرا مخوفا فيها من عمل سوءا بالنار

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح :٩]

٩ (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ) بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده (وتُعَزِّرُوهُ) تنصروه وقرىء بزايين مع الفوقانية (وتُوَقِّرُوهُ) تعظموه وضميرهما لله أو لرسوله (وتُسَبِّحُوهُ) أي الله (بُكْرَةً وأَصِيلًا) بالغداة والعشي

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح :١٠]

١٠ (إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بيعة الرضوان بالحديبية (إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) هو نحو (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) التي بايعوا بها النبي أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها (فَمَن نَّكَثَ) نقض البيعة (فَإِنَّمَا يَنكُثُ) يرجع وبال نقصه (عَلَى نَفْسِهِ ومَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء والنون (أَجْرًا عَظِيمًا)

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾

١١ (سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ) حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) الله من ترك الخروج معك قال تعالى مكذبا لهم (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم) أي من طلب الاستغفار وما قبله (مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون في اعتذارهم (قُلْ فَمَن) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضاد وضمها (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أي لم يزل متصفا بذلك

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح :١٢]

١٢ (بَلْ) في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر (ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ والمُؤْمِنُونَ إلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون (وظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) هذا وغيره (وكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر أي هالكين عند الله بهذا الظن

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾

١٣ (ومَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ورَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) نارا شديدة

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

١٤ (ولِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) أي لم يزل متصفا بما ذكر

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

١٥ (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) المذكورون (إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ) هي مغانم خيبر (لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا) اتركونا (نَتَّبِعْكُمْ) لنأخذ منها (يُرِيدُونَ) بذلك (أن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وفي قراءة «كلم الله» بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة (قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ) أي قبل عودنا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ؟ (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) من الدين (إِلَّا قَلِيلًا) منه.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح :١٦]

١٦ (قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) المذكورين اختبارا (سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي) أصحاب (بَأْسٍ شَدِيدٍ) قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة وقيل فارس والروم (تُقَاتِلُونَهُمْ) حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى (أَوْ) هم (يُسْلِمُونَ) فلا تقاتلونهم (فَإِن تُطِيعُوا) إلى قتالهم (يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

١٧ (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ولا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ولا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) في ترك الجهاد (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ) بالياء والنون (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ) بالياء والنون (عَذَابًا أَلِيمًا)

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح :١٨]

١٨ (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ) بالحديبية (تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هي سمرة وهم ألف وثلثمائة وأكثر ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشا، وأن لا يفروا، وعلى الموت (فَعَلِمَ) الله (مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الصدق والوفاء (فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية [١].

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

١٩ (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) من خيبر (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أي لم يزل متصفا بذلك

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح :٢٠]

٢٠ (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) من الفتوحات (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) غنيمة خيبر (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ) في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب (وَلِتَكُونَ) أي المعجلة عطف على مقدر أي لتشكروه (آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) في نصرهم (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) أي طريق التوكل عليه وتفويض الأمر إليه تعالى

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح :٢١]

٢١ (وَأُخْرَى) صفة مغانم مقدرا مبتدأ (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) هي من فارس والروم (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) علم أنها ستكون لكم (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) أي لم يزل متصفا بذلك

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح :٢٢]

٢٢ (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالحديبية (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يحرسهم (ولا نَصِيرًا)

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح :٢٣]

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٨** :وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمة ابن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ «يا أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس» فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله: «لقد رضي الله عن المؤمنين» الآية.

٢٣ (سُنَّةَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين أي سن الله في ذلك سنة (الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) منه

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح :٢٤]

٢٤ (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ) بالحديبية (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) بالتاء والياء أي لم يزل متصفا بذلك [(١)].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

٢٥ (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي عن الوصول إليه (وَالْهَدْيَ) معطوف على كم (مَعْكُوفًا) محبوسا حال (أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ) موجودون بمكة مع الكفار (لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ) بصفة إيمان (أَن تَطَئُوهُمْ) أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من هم (فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ) أي إثم (بِغَيْرِ عِلْمٍ) منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) كالمؤمنين المذكورين (لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما [(١)].

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح :٢٦]

٢٦ (إِذْ جَعَلَ) متعلق بعذبنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ) الأنفة من الشيء (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم (وَأَلْزَمَهُمْ) أي المؤمنين (كَلِمَةَ التَّقْوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) بالكلمة من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطف تفسيري (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أي لم يزل متصفا بذلك ومن معلوماته تعالى أنهم أهلها

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح :٢٧]

٢٧ (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت وقوله «بالحق» متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسير لها

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٤: وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً في السلاح من جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فأخذوا فأعتقهم فأنزل الله: «وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم» الآية.

* وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع.
* وأحمد والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني.
* وابن إسحاق نحوه من حديث ابن عباس.

(١) أسباب نزول الآية ٢٥: وأخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي جمعة جنيد بن سبع قال: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً وقاتلت معه آخر النهار مسلماً وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة وفينا نزلت: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات».

(لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إن شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ) أي جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها وهما حالان مقدرتان (لا تَخَافُونَ) أبدا (فَعَلِمَ) في الصلح (مَا لَمْ تَعْلَمُوا) من الصلاح (فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ) أي الدخول (فَتْحًا قَرِيبًا) هو بفتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل [1].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾

٢٨ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) أي دين الحق (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جميع باقي الأديان (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح :٢٩]

٢٩ (مُحَمَّدٌ) مبتدأ (رَّسُولُ اللَّهِ) خبره (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره (أَشِدَّاءُ) غلاظ (عَلَى الْكُفَّارِ) لا يرحمونهم (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) خبر ثان أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تَرَاهُمْ) تبصرهم (رُكَّعًا سُجَّدًا) حالان (يَبْتَغُونَ) مستأنف يطلبون (فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ) علاماتهم مبتدأ (فِي وُجُوهِهِم) خبره وهو نور وبياض يعرفون به بالآخرة أنهم سجدوا في الدنيا (مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر (ذَلِكَ) أي الوصف المذكور (مَثَلُهُمْ) صفتهم مبتدأ (فِي التَّوْرَاةِ) خبره (وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ) مبتدأ خبره (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) بسكون الطاء وفتحها فراخه (فَآزَرَهُ) بالمد والقصر قواه وأعانه (فَاسْتَغْلَظَ) غلظ (فَاسْتَوَى) قوي واستقام (عَلَى سُوقِهِ) أصوله جمع ساق (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) أي زراعه لحسنه مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لأنهم بدأوا في قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أي شبهوا بذلك (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم) الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة (مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الجنة وهما لمن بعدهم أيضا في آيات.

* * *

٤٩ سورة الحجرات

مدنية وآياتها ١٨ ثماني عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات :١]

١ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا) من قدم بمعنى تقدم أي لا تتقدموا بقول ولا فعل (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه أي بغير إذنهما (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بفعلكم نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ [1] .

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٧**: وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أري النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ قال : فنزلت:« لقد صدق الله رسوله الرؤيا...» الآية.

٤٩- سورة الحجرات

(١) **أسباب نزول الآية ١**: أخرج البخاري وغيره من طريق ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي وقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» إلى قوله : «ولو أنهم صبروا».

* وأخرج ابن المنذر عن الحسن أن أناسًا ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر فأمرهم أن يعيدوا ذبحًا فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله».

* وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي بلفظ ذبح

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات :٢]

٢ (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) إذا نطقتم (فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إذا نطق (ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) إذا ناجيتموه (كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْض) بل دون ذلك إجلالا له (أن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ) أي خشية ذلك بالرفع والجر المذكورين ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم (١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات :٣]

٣ (إِنَّ الَذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَذِينَ امْتَحَنَ) اختبر (اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أي لتظهر منهم (لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ) الجنة ونزل في قوم جاءوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فنادوه (٢).

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات :٤].

٤ (إنَّ الَذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وراءِ الحُجُرَاتِ) حجرات نسائه ﷺ جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه في أي حجرة مناداة الأعراب بغلظة وجفاء (أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.(١)

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات :٥]

٥ (ولَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل لفعل مقدر أي ثبت (حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن تاب منهم ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقا فخافهم لترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهم النبي ﷺ بغزوهم فجاءوا منكرين ما قاله عنهم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾

٦ (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) خبر (فَتَبَيَّنُوا) صدقه من كذبه وفي قراءة «فتثبتوا»

رجل قبل الصلاة فنزلت .

* وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة أن ناسًا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله».

* وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله».

(١) **أسباب نزول الآية ٢ :** وأخرج عنه قال: كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم فأنزل الله: «لا ترفعوا أصواتكم» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ٣:** وأخرج أيضًا عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية : «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمرَّ به عاصم بن عدي بن العجلان فقال: ما يبكيك؟ قال: هذه الآية أتخوَّف أن تكون نزلت فيّ وأنا صيِّت رفيع الصوت فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به فقال: «أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة» قال: رضيت ولا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله ﷺ فأنزل الله: «إن الذين يغضون أصواتهم» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ٤ :** أخرج الطبراني وأبو يعلى بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى حجر النبي ﷺ فجعلوا ينادون: يا محمد يا محمد فأنزل الله: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات» الآية.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فناداه من وراء الحجر، فقال: يا محمد إن مدحي زين وإن شتمي شين فقال النبي ﷺ: «ويلك ذاك هو الله» فنزلت: «إن الذين ينادونك» الآية. مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذي بدون نزول الآية.

* وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن.

* وأخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه فقال: يا محمد إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال: «ذلكم الله».

* وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضًا أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا؛ فنزلت.

من الثبات (أَن تُصِيبُوا قَوْمًا) مفعوله أي خشية ذلك (بِجَهَالَةٍ) حال من الفاعل أي جاهلين (فَتُصْبِحُوا) تصيروا (عَلَى مَا فَعَلْتُمْ) من الخطأ بالقوم (نَادِمِينَ) وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالدا فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي ﷺ بذلك (١).

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات :٧]

٧ (واعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّٰهِ) فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ) الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه (لَعَنِتُّمْ) لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب (ولَكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وزَيَّنَهُ) حسنه (فِي قُلُوبِكُمْ وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ) استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب إليه الإيمان إلخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره (أُولَئِكَ هُمُ) فيه التفات عن الخطاب (الرَّاشِدُونَ) الثابتون على دينهم

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

٨ (فَضْلاً مِّنَ اللّٰهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل (ونِعْمَةً) منه (واللّٰهُ عَلِيمٌ) بهم (حَكِيمٌ) في إنعامه عليهم

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات :٩]

٩ (وإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ) الآية نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمارا ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه فقال ابن رواحة والله لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف (اقْتَتَلُوا) جمع نظرا إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة وقرىء اقتتلا (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) ثني نظرا إلى اللفظ (فَإِن بَغَتْ) تعدت (إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ) ترجع (إِلَى أَمْرِ اللّٰهِ) الحق (فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ) بالإنصاف (وأَقْسِطُوا) أعدلوا (إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ) (١).

---

(١) أسباب نزول الآية ٦ : وأخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، فقال: قدمتُ على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل إلي الإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة فدعا سروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان قد وقَّت وقتًا يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أدري حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: إلى أين بُعثتم؟ قالوا: إليك قال: ولم؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته ولا أتاني فلما دخل على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي» قال: لا والذي بعثك بالحق فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءك فاسق بنبأ» إلى قوله: «والله عليم حكيم» رجال إسناده ثقات.

* وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله وعلقمة بن ناجية وأم سلمة.

* وروى ابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسلة.

(١) أسباب نزول الآية ٩ : وأخرج الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ ركب حمارًا وانطلق إلى عبد الله بن أبيّ فقال: «إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحماره أطيب ريحًا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فنزلت فيهم: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما».

* وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي مالك قال: تلاحى رجلان من المسلمين فغضب قوم هذا لهذا وهذا لهذا فاقتتلوا بالأيدي والنعال وأنزل الله: «وإن طائفتان» الآية.

* وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السُّدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحته امرأة يقال لها: أم زيد وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات :١٠]

١٠ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) في الدين (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا تنازعا وقرئ «إخوتكم» بالفوقانية (واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

١١ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ) الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية: الازدراء والاحتقار (قَوْمٌ) أي رجال منكم (مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ) عند الله (ولا نِسَاءٌ) منكم (مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) لا تعيبوا فتعابوا، أي لا يعب بعضكم بعضا (ولا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) لا يدع بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يا فاسق ويا كافر (بِئْسَ الاسْمُ) المذكور من السخرية واللمز والتنابز (الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ) بدل من الاسم لإفادة أنه فسق لتكرره عادة (وَمَن لَّمْ يَتُبْ) من ذلك (فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات :١٢]

١٢ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) أي مؤثم وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم (ولا تَجَسَّسُوا) حذف منه إحدى التاءين لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها (ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) بالتخفيف والتشديد أي لا يحسن به (فَكَرِهْتُمُوهُ) أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول (واتَّقُوا اللَّهَ) عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) قابل توبة التائبين (رَّحِيمٌ) بهم (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات :١٣]

١٣ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى) آدم وحواء (وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب (وقَبَائِلَ) هم دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عِمارة بكسر العين قصي بطن هاشم فخذ العباس فصيلة (لِتَعَارَفُوا) حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضهم بعضا لا تتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر

بها وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله.

* وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعون إلى الحكم فيأبون أن يجيبوا فأنزل الله: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» الآية.

* وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى فلم يزل الأمر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف.

(١) **أسباب نزول الآية ١١** : أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه فنزلت: «ولا تنابزوا بالألقاب» قال الترمذي: حسن.

* وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضًا قال: كانت الألقاب في الجاهلية فدعا النبي ﷺ رجلًا منهم بلقبه فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه فأنزل الله: «ولا تنابزوا بالألقاب».

* ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت في بني سلمة «ولا تنابزوا بالألقاب» قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت.

(١) **أسباب نزول الآية ١٢** : أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجل أكله ورقاده فنزلت.

بالتقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بكم (خَبِيرٌ) ببواطنكم (١).

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١٤ (قَالَتِ الأَعْرَابُ) نفر من بني أسد (آمَنَّا) صدقنا بقلوبنا (قُل) لهم (لَّمْ تُؤْمِنُوا ولَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا) انقدنا ظاهرا (ولَمَّا) أي لم (يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) إلى الآن لكنه يتوقع منكم (وإِن تُطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ) بالإيمان وغيره (لا يَلِتْكُم) بالهمزة وتركه وبإبداله ألفا لا ينقصكم (مِّنْ أَعْمَالِكُمْ) من ثوابها (شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَّحِيمٌ) بهم

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]

١٥ (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ) أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) لم يشكوا في الإيمان (وجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فجهادهم يظهر بصدق إيمانهم (أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) في إيمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

١٦ (قُلْ) لهم (أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) أي مضعف «علم» بمعنى شعر أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا ؟ (واللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

١٧ (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم (قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ) منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن في الموضعين (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم آمنا(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

١٨ (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) أي ما غاب فيهما (واللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء ولا يخفى عليه شيء منه.

* * *

٥٠ سورة ق

مكية إلا الآية ٣٨ فمدنية، وآياتها خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]

١ (ق) الله أعلم بمراده به (والْقُرْآنِ المَجِيدِ)

---

(١) أسباب نزول الآية ١٣: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقي بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره فأنزل الله: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» الآية.

* وقال ابن عساكر في مبهماته: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا فنزلت الآية.

(١) أسباب نزول الآية ١٧: أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن أبي أوفى أن ناسًا من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان فأنزل الله: «يمنون عليك أن أسلموا» الآية.

* وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله.

* وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن وأن ذلك لما فتحت مكة.

* وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع وفيهم طلحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثًا ونحن لمن وراءنا سلم فأنزل الله: «يمنون عليك أن أسلموا» الآية.

* وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جئناك ولم نقاتلك فأنزل الله: «يمنون عليك أن أسلموا» الآية.

الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق :٢]

٢ (بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ) رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث (فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا) الإنذار (شَيْءٌ عَجِيبٌ)

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق :٣]

٣ (أَئِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا)؟ نرجع (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) في غاية البعد

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾

٤ (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ) تأكل منهم (مِنْهُمْ وعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾

٥ (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ) في شأن النبي ﷺ والقرآن (فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ) مضطرب قالوا مرة ساحر وسحر ومرة شاعر وشعر ومرة كاهن وكهانة

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق :٦]

٦ (أَفَلَمْ يَنظُرُوا) بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث (إِلَى السَّمَاءِ) كائنة (فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) بلا عمد (وزَيَّنَّاهَا) بالكواكب (ومَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) شقوق تعيبها

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق :٧]

٧ (والأَرْضَ) معطوف على موضع إلى السماء كيف (مَدَدْنَاهَا) دحوناها على وجه الماء (وأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا تثبتها (وأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) يبهج به لحسنه

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق :٨]

٨ (تَبْصِرَةً) مفعول له أي فعلنا ذلك تبصيرا منا (وذِكْرَى) تذكيرا (لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) رجاع إلى طاعتنا

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق :٩]

٩ (ونَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا) كثير البركة (فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ) بساتين (وحَبَّ) الزرع (الحَصِيدِ) المحصود

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق :١٠]

١٠ (والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) طوالا حال مقدرة (لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ) متراكب بعضه فوق بعض

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾

١١ (رِزْقًا لِّلْعِبَادِ) مفعول له (وأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا) يستوي فيه المذكر والمؤنث (كَذَلِكَ) مثل هذا الإحياء (الخُرُوجُ) من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾

١٢ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (وأَصْحَابُ الرَّسِّ) هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبيهم قيل حنظلة ابن صفوان وقيل غيره (وثَمُودُ) قوم صالح

﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ [ق :١٣]

١٣ (وعَادٌ) قوم هود (وفِرْعَوْنُ وإِخْوَانُ لُوطٍ)

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾

١٤ (وأَصْحَابُ الأَيْكَةِ) أي الغيضة قوم شعيب (وقَوْمُ تُبَّعٍ) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه (كُلٌّ) من المذكورين (كَذَّبَ الرُّسُلَ) كقريش (فَحَقَّ وعِيدِ) وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

١٥ (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ) أي لم نعي به فلا نعيا بالإعادة (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) شك (مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) وهو البعث

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق :١٦]

١٦ (ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ ونَعْلَمُ) حال بتقدير نحن (مَا) مصدرية (تُوَسْوِسُ) تحدث (بِهِ) الباء زائدة أو للتعدية والضمير للإنسان (نَفْسُهُ ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ) بالعلم (مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) الإضافة للبيان والوريدان عرقان بصفحتي العنق

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾

١٧ (إذْ) منصوبة باذكر مقدرا (يَتَلَقَّى) يأخذ ويثبت (المُتَلَقِّيَانِ) الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله (عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ) منه (قَعِيدٌ) قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٨]

١٨ (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ) حافظ (عَتِيدٌ) حاضر وكل منهما بمعنى المثنى

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

١٩ (وجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ) غمرته وشدته (بِالْحَقِّ) من أمر الآخرة حتى يراها المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة (ذَلِكَ) أي الموت (مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ) تهرب وتفزع

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق :٢٠]

٢٠ (ونُفِخَ فِي الصُّورِ) للبعث (ذَلِكَ) أي يوم النفخ (يَوْمُ الوَعِيدِ) للكفار بالعذاب

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق :٢١]

٢١ (وجَاءَتْ) فيه (كُلُّ نَفْسٍ) إلى المحشر (مَّعَهَا سَائِقٌ) ملك يسوقها إليه (وشَهِيدٌ) يشهد عليها بعملها وهو الأيدي والأرجل وغيرها ويقال للكافر

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق :٢٢]

٢٢ (لَقَدْ كُنتَ) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا) النازل بك اليوم (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ) أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم (فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق :٢٣]

٢٣ (وقَالَ قَرِينُهُ) الملك الموكل به (هَذَا مَا) الذي (لَدَيَّ عَتِيدٌ) حاضر فيقال لمالك

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق :٢٤]

٢٤ (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) ألق ألق أو ألقين وبه قرأ الحسن فأبدلت النون ألفا (كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) معاند للحق.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق :٢٥]

٢٥ (مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ) كالزكاة (مُعْتَدٍ) ظالم (مُّرِيبٍ) شاك في دينه

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق :٢٦]

٢٦ (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إلَهًا آخَرَ) مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره (فَأَلْقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ) تفسيره مثل ما تقدم

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾

٢٧ (قَالَ قَرِينُهُ) الشيطان (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) أضللته (ولَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ) فدعوته فاستجاب لي وقال هو أطغاني بدعائه له

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾

٢٨ (قَالَ) تعالى (لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ) أي ما ينفع الخصام هنا (وقَدْ قَدَّمْتُ إلَيْكُم) في الدنيا (بِالْوَعِيدِ) بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق :٢٩]

٢٩ (مَا يُبَدَّلُ) يغير (القَوْلُ لَدَيَّ) في ذلك (ومَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ) فأعذبهم بغير جرم وظلام بمعنى ذي ظلم لقوله لا ظلم اليوم

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾

٣٠ (يَوْمَ) ناصبة ظلام (نَقُولُ) بالنون والياء (لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ) استفهام تحقيق لوعده بملئها (وتَقُولُ) بصورة الاستفهام كالسؤال (هَلْ مِن مَّزِيدٍ) أي لا أسع غير ما امتلأت به أي قد امتلأت

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق :٣١]

٣١ (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) مكانا

(غَيْرَ بَعِيدٍ) منهم فيرونها ويقال لهم

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق :٣٢]

٣٢ (هَٰذَا) المرئي (مَا تُوعَدُونَ) بالتاء والياء في الدنيا ويبدل من للمتقين قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاع إلى طاعة الله (حَفِيظٍ) حافظ لحدوده

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق :٣٣]

٣٣ (مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) خافه ولم يره (وجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) مقبل على طاعته ويقال للمتقين أيضا

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق :٣٤]

٣٤ (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) سالمين من كل خوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا (ذَٰلِكَ) اليوم الذي حصل فيه الدخول (يَوْمُ الْخُلُودِ) الدخول في الجنة

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق :٣٥]

٣٥ (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا ولَدَيْنَا مَزِيدٌ) زيادة على ما عملوا وطلبوا

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق :٣٦]

٣٦ (وكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ) أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا) قوة (فَنَقَّبُوا) فتشوا (فِي البِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ) لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق :٣٧]

٣٧ (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَذِكْرَى) لعظة (لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) عقل (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) استمع الوعظ (وَهُوَ شَهِيدٌ) حاضر بالقلب

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق :٣٨]

٣٨ (ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ومَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) تعب نزل ردا على اليهود في قولهم إن الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه بتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.[1]

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق :٣٩]

٣٩ (فَاصْبِرْ) خطاب للنبي ﷺ (عَلَى مَا يَقُولُونَ) أي اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) صل حامدا (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) أي صلاة الصبح (وقَبْلَ الغُرُوبِ) أي صلاة الظهر والعصر

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق :٤٠]

٤٠ (ومِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) أي صل العشائين (وأَدْبَارَ السُّجُودِ) بفتح الهمزة جمع دبر وكسرها مصدر أدبر أي صل النوافل المسنونة عقب الفرائض وقيل المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابسا للحمد

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق :٤١]

٤١ (واسْتَمِعْ) يا مخاطب مقولي (يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ) هو إسرافيل (مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول أيتها العظام البالية والأوصال المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾

٥٠- سورة ق

(١) **أسباب نزول الآية ٣٨**: أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة الآجال حتى يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة.

* قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش قالوا: قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا فنزل: «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون».

٤٢ (يَوْمَ) بدل من يوم قبله (يَسْمَعُونَ) أي الخلق كلهم (الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده (ذَلِكَ) أي يوم النداء والسماع (يَوْمُ الخُرُوجِ) من القبور وناصب «يوم» ينادي مقدرا أي يعلمون عاقبة تكذيبهم

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق :٤٣].

٤٣ (إنَّا نَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ وإلَيْنَا المَصِيرُ)

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق :٤٤]

٤٤ (يَوْمَ) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها (الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) جمع سريع حال من مقدر أي فيخرجون مسرعين (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر ذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق :٤٥]

٤٥ (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أي كفار قريش (ومَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وعِيدِ) وهم المؤمنون.[1]

* * *

٥١ سورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ ستون آية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات :١]

١ (وَالذَّارِيَاتِ) الرياح تذرو التراب وغيره (ذَرْوًا) مصدر ويقال تذريه ذريا تهب فيه

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات :٢]

٢ (فَالْحَامِلاتِ) السحب تحمل الماء (وِقْرًا) ثقلا مفعول الحاملات

﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ [الذاريات :٣]

٣ (فَالْجَارِيَاتِ) السفن تجري على وجه الماء (يُسْرًا) بسهولة مصدر في موضع الحال أي ميسرة

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات :٤]

٤ (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البلاد والعباد

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات :٥]

٥ (إنَّمَا تُوعَدُونَ) ما مصدرية أي وعدهم بالبعث وغيره (لَصَادِقٌ) لوعد صادق

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات :٦]

٦ (وإنَّ الدِّينَ) الجزاء بعد الحساب (لَوَاقِعٌ) لا محالة

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات :٧]

٧ (والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ) جمع حبيكة كطريقة وطرق أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطريق في الرمل

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات :٨]

٨ (إنَّكُمْ) يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن (لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) قيل شاعر ساحر كاهن شعر سحر كهانة

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات :٩]

٩ (يُؤْفَكُ) يصرف (عَنْهُ) عن النبي ﷺ والقرآن أي عن الإيمان به (مَنْ أُفِكَ) صرف عن الهداية في علم الله تعالى

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات :١٠]

١٠ (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) لعن الكاذبون أصحاب القول المختلف

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات :١١]

---

(١) أسباب نزول الآية ٤٥: وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ثم أخرج عن عمرو مرسلًا مثله.

١١ (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) جهل يغمرهم (سَاهُونَ) غافلون عن أمر الآخرة

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات :١٢]

١٢ (يَسْأَلُونَ) النبي استفهام استهزاء (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أي متى مجيئه وجوابهم يجيء

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات :١٣]

١٣ (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أي يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب

﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾

١٤ (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) تعذيبكم (هَذَا) التعذيب (الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) في الدنيا استهزاء

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات :١٥]

١٥ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) تجري فيها

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾

١٦ (آخِذِينَ) حال من الضمير في خبر إن (مَا آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ) من الثواب (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) أي دخولهم الجنة (مُحْسِنِينَ) في الدنيا

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات :١٧]

١٧ (كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات :١٨]

١٨ (وبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقولون اللهم اغفر لنا

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات :١٩]

١٩ (وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ والْمَحْرُومِ) الذي لا يسأل لتعففه [١].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات :٢٠]

٢٠ (وفِي الأَرْضِ) من الجبال والأرض والبحار والأشجار والنبات وغيرها (آيَاتٌ) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (لِّلْمُوقِنِينَ)

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات :٢١]

٢١ (وفِي أَنفُسِكُمْ) آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب (أَفَلا تُبْصِرُونَ) ذلك فتستدلوا به على صانعه وقدرته

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات :٢٢]

٢٢ (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق (ومَا تُوعَدُونَ) من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾

٢٣ (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ) ما توعدون (لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) برفع «مثل» صفة و«ما» مزيدة وبفتح اللام مركبة مع ما المعنى مثل نطقكم في حقيقته أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾

٢٤ (هَلْ أَتَاكَ) خطاب للنبي ﷺ (حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾

٢٥ (إِذْ) ظرف لحديث ضيف (دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا) أي هذا اللفظ (قَالَ سَلامٌ) أي هذا اللفظ (قَوْمٌ مُّنكَرُونَ) لا نعرفهم قال ذلك في نفسه وهو خبر مبتدأ مقدر أي هؤلاء

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات :٢٦]

٢٦ (فَرَاغَ) مال (إِلَى أَهْلِهِ) سرا (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) وفي سورة هود بعجل حنيذ أي مشوي

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات :٢٧]

٢٧ (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ) عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا

٥١- سورة الذاريات

(١) **أسباب نزول الآية ١٩**: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا فجاء قوم يشهد من الغنيمة فنزلت: «وفي أموالهم حق للسائل والمحروم».

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾

٢٨ (فَأَوْجَسَ) أضمر في نفسه (مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ) إنا رسل ربك (وبَشَّرُوهُ بِغُلام عَلِيم) ذي علم كثير وهو إسحاق كما ذكر في هود

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات :٢٩]

٢٩ (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ) سارة (فِي صَرَّةٍ) صيحة حال أي جاءت صائحة (فَصَكَّتْ وجْهَهَا) لطمته (وقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسع وتسعون سنة

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾

٣٠ (قَالُوا كَذَلِكِ) أي مثل قولنا في البشارة (قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الحَكِيمُ) في صنعه (العَلِيمُ) بخلقه

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات :٣١]

٣١ (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا المُرْسَلُونَ)

﴿قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الذاريات :٣٢]

٣٢ (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) كافرين هم قوم لوط

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات :٣٣]

٣٣ (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ) مطبوخ بالنار

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات :٣٤]

٣٤ (مُسَوَّمَةً) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عِندَ رَبِّكَ) ظرف لها (لِلْمُسْرِفِينَ) بإتيانهم الذكور مع كفرهم

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

٣٥ (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا) أي قرى قوم لوط (مِنَ المُؤْمِنِينَ) لإهلاك الكافرين

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

٣٦ (فَمَا وجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ المُسْلِمِينَ) وهو لوط وابنتاه وصفوا بالإيمان والإسلام أي مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾

٣٧ (وتَرَكْنَا فِيهَا) بعد إهلاك الكافرين (آيَةً) علامة على إهلاكهم (لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ) فلا يفعلون مثل فعلهم

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

٣٨ (وفِي مُوسَى) معطوف على «فيها» المعنى وجعلنا في قصة موسى آية (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ) متلبسا (بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة واضحة

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات :٣٩]

٣٩ (فَتَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (بِرُكْنِهِ) مع جنوده لأنهم له كالركن (وقَالَ) لموسى هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

٤٠ (فَأَخَذْنَاهُ وجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ) طرحناهم (فِي اليَمِّ) البحر فغرقوا (وهُوَ) أي فرعون (مُلِيمٌ) آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾

٤١ (وفِي) إهلاك (عَادٍ) آية (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ) هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾

٤٢ (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ) نفس أو مال (أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) كالبالي المتفتت

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

٤٣ (وفِي) إهلاك (ثَمُودَ) آية (إِذْ قِيلَ لَهُمْ) بعد عقرهم الناقة (تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ) إلى انقضاء آجالكم كما في آية تمتعوا في داركم ثلاثة أيام

﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾

٤٤ (فَعَتَوْا) تكبروا (عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) عن امتثاله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) بعد مضي الثلاثة أيام أي الصيحة المهلكة (وهُمْ يَنظُرُونَ) أي بالنهار

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾

٤٥ (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ) ما قدروا على

النهوض حين نزول العذاب (وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ) على من أهلكهم

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

٤٦ (وَقَوْمَ نُوحٍ) بالجر عطف على ثمود أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح (مِّن قَبْلُ) قبل إهلاك هؤلاء المذكورين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات :٤٧]

٤٧ (والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) بقوة (وإنَّا لَمُوسِعُونَ) قادرون يقال آد الرجل يئيد قوي وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات :٤٨]

٤٨ (والأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) مهدناها (فَنِعْمَ المَاهِدُونَ) نحن

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

٤٩ (ومِن كُلِّ شَيْءٍ) متعلق بقوله خلقنا (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بحذف إحدى التاءين في الأصل فتعلموا أن خالق الأزواج فرد فتعبدوه

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

٥٠ (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) أي إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه (إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الإنذار

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات :٥١]

٥١ (ولا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) يقدر قبل ففروا قل لهم

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات :٥٢]

٥٢ (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إلاَّ قَالُوا) هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) أي مثل تكذيبهم لك بقولهم إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات :٥٣]

٥٣ (أَتَوَاصَوْا) كلهم (بِهِ) استفهام بمعنى النفي (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) جمعهم على هذا القول طغيانهم

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات :٥٤]

٥٤ (فَتَوَلَّ) أعرض (عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ) لأنك بلغتهم الرسالة [1]

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات :٥٥]

٥٥ (وذَكِّرْ) عظ بالقرآن (فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِينَ) من علم الله تعالى أنه مؤمن.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

٥٦ (ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ) ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾

٥٧ (مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ) لي ولأنفسهم وغيرهم (ومَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ) ولا أنفسهم ولا غيرهم

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

٥٨ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ) الشديد

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات :٥٩]

٥٩ (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم (ذَنُوبًا) نصيبا من العذاب (مِّثْلَ

---

(١) **أسباب نزول الآيات ٥٤ - ٥٥**: وأخرج أيضًا ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: لما نزلت: «فتول عنهم فما أنت بملوم» لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا فنزلت: «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» فطابت أنفسنا.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت: «فتول عنهم» الآية. اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله: «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

ذَنُوبِ) نصيب (أَصْحَابِهِمْ) الهالكين قبلهم (فَلا يَسْتَعْجِلُونِ) بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

٦٠ (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن) في (يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) أي يوم القيامة.

* * *

٥٢ سورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ تسع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور :١]

١ (وَالطُّورِ) أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور :٢]

٢ (وكِتَابٍ مَّسْطُورٍ)

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور :٣]

٣ (فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ) أي التوراة أو القرآن

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور :٤]

٤ (وَالْبَيْتِ المَعْمُورِ) هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدا

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور :٥]

٥ (والسَّقْفِ المَرْفُوعِ) أي السماء

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور :٦]

٦ (والْبَحْرِ المَسْجُورِ) أي المملوء

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور :٧]

٧ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) لنازل بمستحقه

﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور :٨]

٨ (مَا لَهُ مِن دَافِعٍ) عنه

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور :٩]

٩ (يَوْمَ) معمول لواقع (تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) تتحرك وتدور

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور :١٠]

١٠ (وتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْرًا) تصير هباء منثورا وذلك في يوم القيامة

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الطور :١١]

١١ (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) للرسل

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور :١٢]

١٢ (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ) باطل (يَلْعَبُونَ) أي يتشاغلون بكفرهم

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور :١٣]

١٣ (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ويقال لهم تبكيتا

﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور :١٤]

١٤ (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ)

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور :١٥]

١٥ (أَفَسِحْرٌ هَذَا) العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي هذا سحر (أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ)

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور :١٦]

١٦ (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا) عليها (أَوْ لا تَصْبِرُوا) صبركم وجزعكم (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ) لأن صبركم لا ينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاؤه

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور :١٧]

١٧ (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ونَعِيمٍ)

﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور :١٨]

١٨ (فَاكِهِينَ) متلذذين (بِمَا) مصدرية (آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ ووَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ) عطفا على آتاهم أي بإتيانهم ووقايتهم ويقال لهم

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور :١٩]

١٩ (كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئًا) حال مهنئين (بِمَا) الباء سببية (كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾

٢٠ (مُتَّكِئِينَ) حال من الضمير المستكن في قوله تعالى في جنات (عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ) بعضها إلى جنب بعض (وزَوَّجْنَاهُم) عطف على جنات أي قرناهم (بِحُورٍ عِينٍ) عظام الأعين حسانهن

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور :٢١]

٢١ (والَّذِينَ آمَنُوا) مبتدأ (واتَّبَعَتْهُمْ) معطوف على آمنوا (ذُرِّيَّتُهُم) وفي قراءة ذرياتهم الصغار والكبار (بِإِيمَانٍ) من الكبار ومن أولادهم الصغار والخبر (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) المذكورين في الجنة فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم (ومَا أَلَتْنَاهُم) بفتح اللام وكسرها نقصناهم (مِّنْ عَمَلِهِم مِّن) زائدة (شَيْءٍ) يزاد في عمل الأولاد (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ) من عمل خير أو شر (رَهِينٌ) مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الطور :٢٢]

٢٢ (وأَمْدَدْنَاهُم) زدناهم في وقت بعد وقت (بِفَاكِهَةٍ ولَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) وإن لم يصرحوا بطلبه

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾

٢٣ (يَتَنَازَعُونَ) يتعاطون بينهم (فِيهَا) الجنة (كَأْسًا) خمرا (لاَّ لَغْوٌ فِيهَا) بسبب شربها يقع بينهم (ولا تَأْثِيمٌ) به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا

﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾

٢٤ (ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (غِلْمَانٌ) أرقاء (لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ) حسنا ولطافة (لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منها في غيرها

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور :٢٥]

٢٥ (وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾

٢٦ (قَالُوا) إيماء إلى علة الوصول (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا) في الدنيا (مُشْفِقِينَ) خائفين من عذاب الله

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾

٢٧ (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بالمغفرة (ووَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) النار لدخولها في المسام وقالوا إيماء أيضا

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾

٢٨ (إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ) في الدنيا (نَدْعُوهُ) نعبده موحدين (إِنَّهُ) بالكسر استئنافا وإن كان تعليلا معنى وبالفتح تعليلا لفظا (هُوَ البَرُّ) المحسن الصادق في وعده (الرَّحِيمُ) العظيم الرحمة

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾

٢٩ (فَذَكِّرْ) دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك كاهن مجنون (فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ) بإنعامه عليك (بِكَاهِنٍ) خبر «ما» (ولا مَجْنُونٍ) معطوف عليه

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾

٣٠ (أَمْ) بل (يَقُولُونَ) هو (شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء [1].

﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾

٣١ (قُلْ تَرَبَّصُوا) هلاكي (فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ المُتَرَبِّصِينَ) هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر والتربص الانتظار

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾

٣٢ (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ) عقولهم (بِهَذَا) قولهم له ساحر كاهن مجنون أي لا تأمرهم بذلك (أَمْ) بل (هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) بعنادهم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الطور :٣٣]

٥٢- سورة الطور

(١) **أسباب نزول الآية ٣٠**: أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن قريشًا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك: «أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون».

٣٣ (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) اختلق القرآن ؟ لم يختلقه (بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ) استكبارا فإن قالوا اختلقه

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾

٣٤ (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ) مختلق (مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) في قولهم

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾

٣٥ (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) من غير خالق (أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ) أنفسهم ؟ ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه ؟

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾

٣٦ (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ) ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه ؟ (بَل لاَّ يُوقِنُونَ) به وإلا لآمنوا بنبيه

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾

٣٧ (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاءوا (أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ) المتسلطون الجبارون وفعله سيطر ومثله بيطر وبيقر

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الطور :٣٨]

٣٨ (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ) مرقى إلى السماء (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم إن ادعوا ذلك (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم) مدعي الاستماع عليه (بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور :٣٩]

٣٩ (أَمْ لَهُ البَنَاتُ) بزعمكم (ولَكُمُ البَنُونَ) تعالى الله عما زعمتموه

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور :٤٠]

٤٠ (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) على ما جئتهم به من الدين (فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ) غرم ذلك (مُّثْقَلُونَ) فلا يسلمون

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور :٤١]

٤١ (أَمْ عِندَهُمُ الغَيْبُ) علمه (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم ؟

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾

٤٢ (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) بك ليهلكوك في دار الندوة (فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ) المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

٤٣ (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الآلهة والاستفهام بأم في وضعها للتقبيح والتوبيخ

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾

٤٤ (وإن يَرَوْا كِسْفًا) بعضا (مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا) عليهم كما قالوا فأسقط علينا كسفا من السماء أي تعذيبا لهم (يَقُولُوا) هذا (سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) نروى به ولا يؤمنون

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

٤٥ (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) يموتون

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

٤٦ (يَوْمَ لا يُغْنِي) بدل من يومهم (عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ولا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون من العذاب في الآخرة

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٤٧ (وإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) بكفرهم (عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) في الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر (ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) أن العذاب ينزل بهم

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور :٤٨]

٤٨ (واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بإمهالهم ولا يضيق صدرك (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا نراك ونحفظك

(وسَبِّحْ) متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أي قل سبحان الله وبحمده (حِينَ تَقُومُ) من منامك أو من مجلسك

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور :٤٩]

٤٩ (ومِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) حقيقة أيضا (وإِدْبَارَ النُّجُوم) مصدر أي عقب غروبها سبحه أيضا أوصل في الأول العشاءين وفي الثاني الفجر وقيل الصبح.

* * *

٥٣ سورة النجم

مكية وآياتها ٦٢ اثنتان وستون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم :١]

١ (وَالنَّجْمِ) الثريا (إِذَا هَوَى) غاب

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم :٢]

٢ (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهداية (ومَا غَوَى) ما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم :٣]

٣ (ومَا يَنطِقُ) بما يأتيكم به (عَنِ الهَوَى) هوى نفسه.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم :٤]

٤ (إِنْ) ما (هُوَ إِلاَّ وحْيٌ يُوحَى) إليه

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم :٥]

٥ (عَلَّمَهُ) إياه ملك (شَدِيدُ القُوَى)

﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [النجم :٦]

٦ (ذُو مِرَّةٍ) قوة وشدة أو منظر حسن أي جبريل عليه السلام (فَاسْتَوَى) استقر

﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النجم :٧]

٧ (وهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى) أفق الشمس أي عند مطلعها على صورته التي خلق عليها فرآه النبي ﷺ وكان بحراء قد سد الأفق إلى المغرب فخر مغشيا عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل في صورة الآدميين

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم :٨]

٨ (ثُمَّ دَنَا) قرب منه (فَتَدَلَّى) زاد في القرب

﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النجم :٩]

٩ (فَكَانَ) منه (قَابَ) قدر (قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) من ذلك حتى أفاق وسكن روعه

﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم :١٠]

١٠ (فَأَوْحَى) تعالى (إِلَى عَبْدِهِ) جبريل (مَا أَوْحَى) جبريل إلى النبي ﷺ ولم يذكر الموحي تفخيما لشأنه

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم :١١]

١١ (مَا كَذَبَ) بالتخفيف والتشديد أنكر (الفُؤَادُ) فؤاد النبي (مَا رَأَى) ببصره من صور جبريل

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم :١٢]

١٢ (أَفَتُمَارُونَهُ) تجادلونه وتغلبونه (عَلَى مَا يَرَى) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ [النجم :١٣]

١٣ (ولَقَدْ رَآهُ) على صورته (نَزْلَةً) مرة (أُخْرَى)

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم :١٤]

١٤ (عِندَ سِدْرَةِ المُنتَهَى) لما أسري به في السموات وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم :١٥]

١٥ (عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَى) تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين

﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ [النجم :١٦]

١٦ (إِذْ) حين (يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) من طير وغيره وإذ معمولة لرآه

﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم :١٧]

١٧ (مَا زَاغَ البَصَرُ) من النبي ﷺ (ومَا طَغَى)

أي ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم :١٨]

١٨ (لَقَدْ رَأَى) فيها (مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى) العظام أي بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم :١٩]

١٩ (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّى)

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم :٢٠]

٢٠ (ومَنَاةَ الثَّالِثَةَ) للتين قبلها (الأُخْرَى) صفة ذم للثالثة وهي أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول أفرأيتم الأول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى أخبروه ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدوها دون الله القادر على ما تقدم ذكره ؟ ولما زعموا أيضا أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم :٢١]

٢١ (أَلَكُمُ الذَّكَرُ ولَهُ الأُنْثَى)

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم :٢٢]

٢٢ (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) جائرة من ضازه يضيزه إذا ظلمه وجار عليه

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم :٢٣]

٢٣ (إِنْ هِيَ) أي المذكورات (إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا) أي سميتم بها (أَنْتُمْ وآبَاؤُكُم) أصناما تعبدونها (مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا) أي بعبادتها (مِن سُلْطَانٍ) حجة وبرهان (إن) ما (يَتَّبِعُونَ) في عبادتها (إِلاَّ الظَّنَّ ومَا تَهْوَى الأَنفُسُ) مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى (ولَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الهُدَى) على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النجم :٢٤]

٢٤ (أَمْ لِلإِنسَانِ) أي لكل إنسان منهم (مَا تَمَنَّى) من أن الأصنام تشفع لهم ليس الأمر كذلك

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم :٢٥]

٢٥ (فَلِلَّهِ الآخِرَةُ والأُولَى) أي الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم :٢٦]

٢٦ (وكَم مِّن مَّلَكٍ) أي وكثير من الملائكة (فِي السَّمَوَاتِ) وما أكرمهم عند الله (لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلاَّ مِنْ بَعْدِ أن يَأْذَنَ اللَّهُ) لهم فيها (لِمَن يَشَاءُ) من عباده (ويَرْضَى) عنه لقوله «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه»

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم :٢٧]

٢٧ (إنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى) حيث قالوا هم بنات الله

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم :٢٨]

٢٨ (ومَا لَهُم بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ إن) ما (يَتَّبِعُونَ) فيه (إلاَّ الظَّنَّ) الذي تخيلوه (وإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا) أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم :٢٩]

٢٩ (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا) القرآن (ولَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا) وهذا قبل الأمر بالجهاد

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم :٣٠]

٣٠ (ذَلِكَ) أي طلب الدنيا (مَبْلَغُهُم مِّنَ العِلْمِ) نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) عالم بهما فيجازيهما

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم :٣١]

٣١ (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهدي من يشاء (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا) من الشرك وغيره (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بِالْحُسْنَى) الجنة وبين المحسنين بقوله

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم :٣٢]

٣٢ (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع والمعنى لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر (إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ المَغْفِرَةِ) بذلك وبقبول التوبة ونزل فيمن كان يقول صلاتنا وصيامنا حجنا (هُوَ أَعْلَمُ) عالم (بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ) أي خلق أباكم آدم من التراب (وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ) جمع جنين (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) لا تمدحوها على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَنِ اتَّقَى). [(١)]

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ [النجم :٣٣]

٣٣ (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) عن الإيمان ارتد لما عير به وقال إني خشيت عقاب الله فضمن له المعير أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم :٣٤]

٣٤ (وَأَعْطَى قَلِيلاً) من المال المسمى (وَأَكْدَى) منع الباقي مأخوذ من الكدية وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم :٣٥]

٣٥ (أَعِندَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره وجملة أعنده المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ [النجم :٣٦]

٣٦ (أَمْ) بل (لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى) أسفار التوراة أو صحف قبلها

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم :٣٧]

٣٧ (وَ) صحف (إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) تمم ما أمر به نحو «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن وبيان ماء

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم :٣٨]

٣٨ (أَ) ن (لاَّ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) إلخ وأن مخففة من الثقيلة أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم :٣٩]

٥٣- سورة النجم

(١) **أسباب نزول الآية ٣٢**: أخرج الواحدي والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: «هو صديق» فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت اليهود ما من نسمة يخلقه الله في بطن أمه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد» فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: «هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآيات ٣٣ - ٤١**: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن النبي ﷺ خرج في غزوة فجاء رجل يريد أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه فلقي صديقًا له فقال: أعطني شيئًا فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي فقال له: نعم فأنزل الله: «أفرأيت الذي تولى» الآيات.

* وأخرج عن دراج أبي السمح قال: خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله ﷺ أن يحمله فقال: لا أجد ما أحملك عليه فانصرف حزينًا فمرّ برجل رحاله منيخة بين يديه فشكا إليه فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك؟ فقال: نعم فركب فنزلت: «أفرأيت الذي تولى» إلى قوله: «ثم يجزاه الجزاء الأوفى».

* وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: إن رجلًا أسلم فلقيه بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار قال: إني خشيت عذاب الله قال: أعطني شيئًا وأنا أحمل كل عذاب كان عليك فأعطاه شيئًا فقال: زدني فتعاسر حتى أعطاه شيئًا وكتب كتابًا وأشهد له ففيه نزلت هذه الآية : «أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلًا وأكدى».

٣٩ (وأن) أنه (لَّيسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى) من خير فليس له من سَعْيِ غيره للخير شيء

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم :٤٠]

٤٠ (وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) يبصر في الآخرة

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم :٤١]

٤١ (ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى) الأكمل يقال له جزيته سعيه وبسعيه.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم :٤٢]

٤٢ (وأَنَّ) بالفتح عطفا وقرىء بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني (إِلَى رَبِّكَ المُنتَهَى) المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم :٤٣]

٤٣ (وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ) من شاء أفرحه (وأَبْكَى) من شاء أحزنه

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم :٤٤]

٤٤ (وأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ) في الدنيا (وأَحْيَا) للبعث

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم :٤٥]

٤٥ (وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ) الصنفين (الذَّكَرَ والأُنثَى)

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم :٤٦]

٤٦ (مِن نُّطْفَةٍ) مني (إِذَا تُمْنَى) تصب في الرحم

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم :٤٧]

٤٧ (وأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ) بالمد والقصر (الأُخْرَى) الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم :٤٨]

٤٨ (وأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى) الناس بالكفاية بالأموال (وأَقْنَى) أعطى المتخذ قنية

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم :٤٩]

٤٩ (وأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية

﴿وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم :٥٠]

٥٠ (وأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى) وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة وهي قوم عاد والأخرى قوم صالح

﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم :٥١]

٥١ (وثَمُودَ) بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة وهو معطوف على «عادا» (فَمَا أَبْقَى) منهم أحدًا

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾

٥٢ (وقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ) أي قبل عاد وثمود أهلكناهم (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وأَطْغَى) من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم :٥٣]

٥٣ (والْمُؤْتَفِكَةَ) وهي قرى قوم لوط (أَهْوَى) أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم :٥٤]

٥٤ (فَغَشَّاهَا) من الحجارة بعد ذلك (مَا غَشَّى) أبهم تهويلا وفي هود (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) .

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم :٥٥]

٥٥(فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ) أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته (تَتَمَارَى) تتشكك أيها الإنسان أو تكذب ؟

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم :٥٦]

٥٦ (هَذَا) محمد (نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى) من جنسهم أي رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ [النجم :٥٧]

٥٧ (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) قربت القيامة

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم :٥٨]

٥٨ (لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ) نفس (كَاشِفَةٌ) أي

لا يكشفها ويظهرها إلا هو كقوله «لا يجليها لوقتها إلا هو»

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم :٥٩]

٥٩ (أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ) القرآن (تَعْجَبُونَ) تكذيبا

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم :٦٠]

٦٠ (وتَضْحَكُونَ) استهزاء (ولا تَبْكُونَ) لسماع وعده ووعيده

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم :٦١]

٦١ (وأَنتُمْ سَامِدُونَ) لاهون غافلون عما يطلب منكم[١].

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم :٦٢]

٦٢ (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ) الذي خلقكم (واعْبُدُوا) ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

* * *

٥٤ سورة القمر

مكية إلا آية ٤٤، وآياتها خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر :١]

١ (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) قربت القيامة (وانشَقَّ القَمَرُ) انفلق فلقتين على أبي قبيس وقيقعان آية له ﷺ وقد سئلها فقال «اشهدوا» رواه الشيخان. [٢]

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾

٢ (وإن يَرَوْا) كفار قريش (آيَةً) معجزة له ﷺ (يُعْرِضُوا ويَقُولُوا) هذا (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) قوي من المرة القوة أو دائم

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾

٣ (وكَذَّبُوا) النبي ﷺ (واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في الباطل (وكُلُّ أَمْرٍ) من الخير والشر (مُسْتَقِرٌّ) بأهله في الجنة أو النار

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾

٤ (ولَقَدْ جاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ) أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) لهم اسم مصدر أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر :٥]

٥ (حِكْمَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بَالِغَةٌ) تامة (فَمَا تُغْنِ) تنفع فيهم (النُّذُرُ) جمع نذير بمعنى منذر أي الأمور المنذرة لهم وما للنفي أو للاستفهام الإنكاري وهي على الثاني مفعول مقدم

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾

٦ (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) هو فائدة ما قبله وتم به الكلام (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) هو إسرافيل وناصب يوم يخرجون بعد (إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ) بضم الكاف وسكونها أي منكر تنكره النفوس وهو الحساب

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾

٧ (خُشَّعًا) أي ذليلا وفي قراءة بضم الخاء وفتح الشين مشددة (أَبْصَارُهُمْ) حال من الفاعل (يَخْرُجُونَ) أي الناس (مِنَ الأَجْدَاثِ) القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ) لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾

٨ (مُهْطِعِينَ) مسرعين مادين أعناقهم (إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ) منهم (هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) صعب على الكافرين كما في المدثر (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير).

* * *

(١) **أسباب نزول الآية ٦١** : وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين فنزلت: «وأنتم سامدون».

٥٤- سورة القمر

(٢) **أسباب نزول الآية ١** : أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقًا شقين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ فقالوا: سحر القمر فنزلت: «اقتربت الساعة وانشق القمر».

* وأخرج الترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: «اقتربت الساعة وانشق القمر» إلى قوله: «سحر مستمر» .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾

٩ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قريش (قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحاً (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وازْدُجِرَ) انتهروه بالسب وغيره

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر :١٠]

١٠ (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي) بالفتح أي بأني (مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ)

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر :١١]

١١ (فَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ) منصب انصبابا شديدا

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾

١٢ (وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا) تنبع (فَالْتَقَى المَاءُ) ماء السماء والأرض (عَلَى أَمْرٍ) حال (قَدْ قُدِرَ) قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقا

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر :١٣]

١٣ (وحَمَلْنَاهُ) نوحا (عَلَى) سفينة (ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُرٍ) وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر :١٤]

١٤ (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا أي محفوظة (جَزَاءً) منصوب بفعل مقدر أي أغرقوا انتصارا (لِّمَن كَانَ كُفِرَ) وهو نوح عليه السلام وقرىء كفر بالبناء للفاعل أي أغرقوا عقابا لهم

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر :١٥]

١٥ (ولَقَد تَّرَكْنَاهَا) أبقينا هذه الفعلة (آيَةً) لمن يعتبر بها أي شاع خبرها واستمر (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر :١٦]

١٦ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُرِ) أي إنذاري ؟ استفهام تقرير وكيف خبر كان وهي للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الأقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

١٧ (ولَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ) سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر أي احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر قلب غيره

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر :١٨]

١٨ (كَذَّبَتْ عَادٌ) نبيهم هودا فعذبوه (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُرِ) إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله ؟ أي وقع موقعه وقد بينه بقوله

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾

١٩ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) شديدة الصوت (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) شؤم (مُّسْتَمِرٍّ) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر

﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر :٢٠]

٢٠(تَنزِعُ النَّاسَ) تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رءوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد (كَأَنَّهُمْ) وحالهم ما ذكر (أَعْجَازُ) أصول (نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ) منقطع ساقط على الأرض وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث في الحاقة (نخل خاوية) مراعاة للفواصل في الموضعين

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر :٢١]

٢١ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُرِ)

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

٢٢ (ولَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر :٢٣]

٢٣ (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) جمع نذير بمعنى منذر أي بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾

٢٤ (فَقَالُوا أَبَشَرًا) منصوب على الاشتغال (مِّنَّا واحِدًا) صفتان (لبشر) (نَّتَّبِعُهُ) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك ؟ أي لا نتبعه (إِنَّا إِذًا) إن اتبعناه (لَّفِي ضَلَالٍ) ذهاب

عن الصواب (وسُعُر) جنون

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾

٢٥ (أَؤُلْقِيَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذِّكْرُ) الوحي (عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا) لم يوح إليه (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ) في قوله إنه أوحي إليه ما ذكر (أَشِرٌ) متكبر بطر قال تعالى

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر :٢٦]

٢٦ (سَيَعْلَمُونَ غَدًا) في الآخرة (مَّنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ) هو أو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحا

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾

٢٧ (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ) مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فِتْنَةً) محنة (لَّهُمْ) لنختبرهم (فَارْتَقِبْهُمْ) يا صالح انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم (واصْطَبِرْ) الطاء بدل من تاء الافتعال أي اصبر على أذاهم

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾

٢٨ (ونَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ) مقسوم (بَيْنَهُمْ) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كُلُّ شِرْبٍ) نصيب من الماء (مُحْتَضَرٌ) يحضره القوم يومهم والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر :٢٩]

٢٩ (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ) قدارا ليقتلها (فَتَعَاطَى) تناول السيف (فَعَقَرَ) به الناقة أي قتلها موافقة لهم

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر :٣٠]

٣٠ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُرِ) إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وبينه بقوله

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾

٣١ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

٣٢ (ولَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر :٣٣]

٣٣ (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ) بالأمور المنذرة لهم على لسانه

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾

٣٤ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) ريحا ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا (إلاَّ آلَ لُوطٍ) أهله وابنتاه معه (نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ) من الأسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا ؟ قولان وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع وإن كان من الجنس تسمحا

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾

٣٥ (نِعْمَةً) مصدر أي إنعاما (مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ) مثل ذلك الجزاء (نَجْزِي مَن شَكَرَ) أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاع الله ورسوله

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر :٣٦]

٣٦ (ولَقَدْ أَنذَرَهُم) خوفهم لوط (بَطْشَتَنَا) أخذتنا إياهم بالعذاب (فَتَمَارَوْا) تجادلوا وكذبوا (بِالنُّذُرِ) بإنذارهم

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر :٣٧]

٣٧ (ولَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ) أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحيه (فَذُوقُوا) فقلنا لهم ذوقوا (عَذَابِي ونُذُرِ) إنذاري وتخويفي أي ثمرته وفائدته

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر :٣٨]

٣٨ (ولَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً) وقت الصبح من يوم غير معين (عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ) دائم متصل بعذاب الآخرة.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر :٣٩]

٣٩ (فَذُوقُوا عَذَابِي ونُذُرِ)

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

٤٠ (ولَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [القمر :٤١]

٤١ (ولَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (النُّذُرُ) الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا بل

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

٤٢ (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا) التسع التي أوتيها موسى (فَأَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (أَخْذَ عَزِيزٍ) قوي (مُّقْتَدِرٍ) قادر لا يعجزه شيء

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾

٤٣ (أَكُفَّارُكُمْ) يا قريش (خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ) المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا (أَمْ لَكُم) يا كفار قريش (بَرَاءَةٌ) من العذاب (فِي الزُّبُرِ) الكتب والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي أي ليس الأمر كذلك

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر :٤٤]

٤٤ (أَمْ يَقُولُونَ) كفار قريش (نَحْنُ جَمِيعٌ) جمع (مُّنتَصِرٌ) على محمد ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر :٤٥]

٤٥ (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ) فهزموا ببدر ونصر رسول الله ﷺ عليهم [1]

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾

٤٦ (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) بالعذاب (والسَّاعَةُ) عذابها (أَدْهَى) أعظم بلية (وَأَمَرُّ) أشد مرارة من عذاب الدنيا

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر :٤٧]

٤٧ (إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ) هلاك بالقتل في الدنيا (وسُعُرٍ) نار مسعرة بالتشديد أي مهيجة في الآخرة [1].

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾

٤٨ (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وجُوهِهِمْ) في الآخرة ويقال لهم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) إصابة جهنم لكم

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر :٤٩]

٤٩ (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ) منصوب بفعل يفسره (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) بتقدير حال من كل أي مقدرا وقرى كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر :٥٠]

٥٠ (ومَا أَمْرُنَا) لشيء نريد وجوده (إلَّا) مرة (واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) في السرعة وهي قول «كن فيوجد» (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

٥١ (ولَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) استفهام بمعنى الأمر أي اذكروا واتعظوا

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر :٥٢]

٥٢ (وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أي العباد مكتوب (فِي الزُّبُرِ) كتب الحفظة

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر :٥٣]

٥٣ (وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ) من الذنب أو العمل (مُسْتَطَرٌ) مكتوب في اللوح المحفوظ

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر :٥٤]

٥٤ (إنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين (ونَهَرٍ) أريد به الجنس وقرىء بضم النون والهاء جمعا كأسد وأسد والمعنى أنهم يشربون من أنهار الماء واللبن والعسل والخمر.

---

(١) **أسباب نزول الآية ٤٥**: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا يوم بدر: نحن جميع منتصر فنزلت: «سيهزم الجمع ويولون الدبر».

(١) **أسباب نزول الآية ٤٧**: وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: «إن المجرمين في ضلال وسعر» إلى قوله: «إنا كل شيء خلقناه بقدر».

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر :٥٥]

٥٥ (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم أريد به الجنس وقرىء مقاعد المعنى أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبرا ثانيا وبدلا وهو صادق ببدل البعض وغيره (عِندَ مَلِيكٍ) مثال مبالغة أي عزيز الملك واسعه (مُّقْتَدِرٍ) قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى.

* * *

٥٥ سورة الرحمن

مكية إلا الآية ٢٩ فمدنية، وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ [الرحمن :١]

١ (الرَّحْمَٰنُ) الله تعالى

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن :٢]

٢ (عَلَّمَ) من شاء (الْقُرْآنَ)

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن :٣]

٣ (خَلَقَ الإِنسَانَ) أي الجنس

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن :٤]

٤ (عَلَّمَهُ البَيَانَ) النطق

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن :٥]

٥ (الشَّمْسُ والْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) يجريان

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن :٦]

٦ (والنَّجْمُ) ما لا ساق له من النبات (والشَّجَرُ) ما له ساق (يَسْجُدَانِ) يخضعان لما يراد منهما

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن :٧]

٧ (والسَّمَاءَ رَفَعَهَا ووَضَعَ المِيزَانَ) أثبت العدل

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن :٨]

٨ (أَلاَّ تَطْغَوْا) أي لأجل أن لا تجوروا (فِي المِيزَانِ) ما يوزن به

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

٩ (وأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (ولا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) تنقصوا الموزون

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن :١٠]

١٠ (والأَرْضَ وضَعَهَا) أثبتها (لِلأَنَامِ) للخلق من الإنس والجان وغيرهم

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن :١١]

١١ (فِيهَا فَاكِهَةٌ والنَّخْلُ) المعهود (ذَاتُ الأَكْمَامِ) أوعية طلعها

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن :١٢]

١٢ (والحَبُّ) كالحنطة والشعير (ذُو العَصْفِ) التبن (والرَّيْحَانُ) الورق المشموم

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :١٣]

١٣ (فَبِأَيِّ آلاءِ) نعم (رَبِّكُمَا) أيها الإنس والجن (تُكَذِّبَانِ) ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا ولابشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾

١٤ (خَلَقَ الإِنسَانَ) آدم (مِن صَلْصَالٍ) طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر (كَالْفَخَّارِ) وهو ما طبخ من طين

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن :١٥]

١٥ (وخَلَقَ الجَانَّ) أبا الجن وهو إبليس (مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) هو لهبها الخالص من الدخان

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :١٦]

١٦ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن :١٧]

١٧ (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ) مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورَبُّ المَغْرِبَيْنِ) كذلك

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :١٨]

١٨ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن :١٩]

١٩ (مَرَجَ) أرسل (البَحْرَيْنِ) العذب والملح (يَلْتَقِيَانِ) في رأي العين

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن :٢٠]

٢٠ (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) حاجز من قدرته تعالى (لاَّ يَبْغِيَانِ) لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٢١]

٢١ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :٢٢]

٢٢ (يَخْرُجُ) بالبناء للمفعول والفاعل (مِنْهُمَا) من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح (اللُّؤْلُؤُ والْمَرْجَانُ) خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٢٣]

٢٣ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن :٢٤]

٢٤ (ولَهُ الجَوَارِ) السفن (المُنشَآتُ) المحدثات (فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ) كالجبال عظما وارتفاعا

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٢٥]

٢٥ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن :٢٦]

٢٦ (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) الأرض من الحيوان (فَانٍ) هالك وعبر بمن تغليبا للعقلاء

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن :٢٧]

٢٧ (ويَبْقَى وجْهُ رَبِّكَ) ذاته (ذُو الجَلالِ) العظمة (والإِكْرَامِ) للمؤمنين بأنعمه عليهم

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٢٨]

٢٨ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾

٢٩ (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) بنطق أو حال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغيرذلك (كُلَّ يَوْمٍ) وقت (هُوَ فِي شَأْنٍ) أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٣٠]

٣٠ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن :٣١]

٣١ (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) سنقصد لحسابكم (أَيُّهَا الثَّقَلانِ) الإنس والجن

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٣٢]

٣٢ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾

٣٣ (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا) تخرجوا (مِنْ أَقْطَارِ) نواحي (السَّمَوَاتِ والأَرْضِ فَانفُذُوا) أمر تعجيز (لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ) بقوة ولا قوة لكم على ذلك

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٣٤]

٣٤ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾

٣٥ (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ) هو لهبها الخالص من الدخان أو معه (ونُحَاسٌ) دخان لا لهب فيه (فَلا تَنتَصِرَانِ) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٣٦]

٣٦ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾

٣٧ (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ) انفرجت أبوابا لنزول الملائكة (فَكَانَتْ وَرْدَةً) أي مثلها محمرة (كَالدِّهَانِ) كالأديم الأحمر على خلاف العهد بها

وجواب إذا فما أعظم الهول

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٣٨]

٣٨ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾

٣٩ (فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ ولا جَانٌّ) عن ذنبه ويسألون في وقت آخر فوربك لنسألنهم أجمعين والجان هنا وفيما سيأتي بمعنى الجني والإنس فيهما بمعنى الإنسي

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٤٠]

٤٠ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾

٤١ (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) سواد الوجوه وزرقة العيون (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي والأَقْدَامِ)

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٤٢]

٤٢ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى في النار ويقال لهم

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن :٤٣]

٤٣ (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ)

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن :٤٤]

٤٤ (يَطُوفُونَ) يسعون (بَيْنَهَا وبَيْنَ حَمِيمٍ) ماء حار (آنٍ) شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٤٥]

٤٥ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن :٤٦]

٤٦ (ولِـمَـنْ خَـافَ) أي لـكـل مـنـهـم أو لمجموعهم (مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جَنَّتَانِ) [1].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٤٧]

٤٧ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن :٤٨]

٤٨ (ذَوَاتَا) تثنية ذوات على الأصل ولامها ياء (أَفْنَانٍ) أغصان جمع فنن كطلل

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٤٩]

٤٩ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن :٥٠]

٥٠ (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ)

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٥١]

٥١ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن :٥٢]

٥٢ (فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ) في الدنيا أو كل ما يتفكه به (زَوْجَانِ) نوعان رطب ويابس والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٥٣]

٥٣ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن :٥٤]

٥٤ (مُتَّكِئِينَ) حال عامله محذوف أي يتنعمون (عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ما غلظ من الديباج وخشن والظهائر من السندس (وجَنَى الجَنَّتَيْنِ) ثمرهما (دَانٍ) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٥٥]

٥٥ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾

٥٦ (فِيهِنَّ) في الجنتين وما اشتملتا عليه من

٥٥- سورة الرحمن

(١) **أسباب نزول الآية ٤٦** : أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء: أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم وفكر في القيامة والموازين والجنة والنار فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر تأتي عليّ بهيمة تأكلني وأني لم أخلق فنزلت: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق.

العلالي والقصور (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) العين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) يفتضهن وهن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت (إِنسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌّ)

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٥٧]
٥٧ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :٥٨]
٥٨ (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ) صفاء (وَالْمَرْجَانُ) اللؤلؤ بياضا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٥٩]
٥٩ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن :٦٠]
٦٠ (هَلْ) ما (جَزَاءُ الإِحْسَانِ) بالطاعة (إِلاَّ الإِحْسَانُ) بالنعيم

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٦١]
٦١ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن :٦٢]
٦٢ (وَمِن دُونِهِمَا) الجنتين المذكورتين (جَنَّتَانِ) أيضا لمن خاف مقام ربه

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٦٣]
٦٣ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن :٦٤]
٦٤ (مُدْهَامَّتَانِ) سوداوان من شدة خضرتهما

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٦٥]
٦٥ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن :٦٦]
٦٦ (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) فوارتان بالماء

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٦٧]
٦٧ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن :٦٨]
٦٨ (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) هما منها وقيل من غيرها

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٦٩]
٦٩ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن :٧٠]
٧٠ (فِيهِنَّ) الجنتين وما فيهما (خَيْرَاتٌ) أخلاقا (حِسَانٌ) وجوها

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٧١]
٧١ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن :٧٢]
٧٢ (حُورٌ) شديدات سواد العيون وبياضها (مَّقْصُورَاتٌ) مستورات (فِي الخِيَامِ) من در مجوف مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٧٣]
٧٣ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن :٧٤]
٧٤ (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ) قبل أزواجهن (ولا جَانٌّ)

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٧٥]
٧٥ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾
٧٦ (مُتَّكِئِينَ) أي أزواجهن وإعرابه كما تقدم (عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ) جمع رفرفة أي بسط أو وسائد (وعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) جمع عبقرية أي طنافس

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن :٧٧]
٧٧ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ)

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن :٧٨]
٧٨ (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ والإِكْرَامِ) تقدم ولفظ اسم زائد.

* * *

٥٦ سورة الواقعة

مكية إلا الآية ٢٣ ، ٨١، وآياتها ٩٦ وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة :١]

١ (إِذَا وقَعَتِ الوَاقِعَةُ) قامت القيامة

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة :٢]

٢ (لَيسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة :٣]

٣ (خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ) مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ولرفع آخرين بدخولهم الجنة

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة :٤]

٤ (إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًا) حركت حركة شديدة

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة :٥]

٥ (وبُسَّتِ الجبَالُ بَسًا) فتتت

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة :٦]

٦ (فَكَانَتْ هَبَاءً) غباراً (مُّنبَثًا) منتشراً، و«إذا» الثانية بدل من الأولى

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة :٧]

٧ (وكُنتُمْ) في القيامة (أَزْوَاجًا) أصنافاً (ثَلاثَةً)

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة :٨]

٨ (فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره (مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ) تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة :٩]

٩ (وأَصْحَابُ المَشْأَمَةِ) الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله (مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ) تحقير لشأنهم بدخول النار

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة :١٠]

١٠ (والسَّابِقُونَ) إلى الخير وهم الأنبياء، مبتدأ (السَّابِقُونَ) تأكيد لتعظيم شأنهم

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة :١١]

١١ - والخبر (أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ)

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة :١٢]

١٢ (فِي جنَّاتِ النَّعِيمِ)

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة :١٣]

١٣ (ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ) مبتدأ، جماعة من الأمم الماضية (١) .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة :١٤]

١٤ (وقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ) من أمة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة . والخبرُ :

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة :١٥]

١٥ (عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ) منسوجة بقضبان الذهب والجواهر

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ [الواقعة :١٦]

١٦ (مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) حالان من الضمير في الخبر

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة :١٧]

١٧ (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)

٥٦- سورة الواقعة

(١) **أسباب نزول الآيتين ١٣ ، ٣٩:** أخرج أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند فيه من لا يعرف عن أبي هريرة قال: لما نزلت: «ثلة من الأولين وقليل من الآخرين» شق ذلك على المسلمين فنزلت: «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين».

* وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت «إذا وقعت الواقعة» وذكر فيها «ثلة من الأولين وقليل من الآخرين» قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا ؟ فأمسك آخر السورة سنة ثم نزلت: «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» فقال رسول الله ﷺ : «يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين».

* وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلاً.

على شكل الأولاد لا يهرمون

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة :١٨]

١٨ (بِأَكْوَابٍ) أقداح لا عُرا لها (وَأَبَارِيقَ) لها عرا وخراطيم (وَكَأْسٍ) إناء شرب الخمر (مِّن مَّعِينٍ) أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة :١٩]

١٩ (لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا ولاَ يُنْزِفُونَ) بفتح الزاي وكسرها، من نزف الشارب وأنزف أي لايحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة :٢٠]

٢٠ (وفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ)

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة :٢١]

٢١ (ولَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ)

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة :٢٢]

٢٢ (و) لهم للاستمتاع (حُورٌ) نساء شديدات سواد العيون وبياضها (عِينٌ) ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ومفرده عيناء كحمراء، وفي قراءة بجر حورٍ عينٍ

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة :٢٣]

٢٣ (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ) المصون

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة :٢٤]

٢٤ (جَزَاءً) مفعول له أو مصدر والعامل مقدر جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾

[الواقعة :٢٥]

٢٥ (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا) في الجنة (لَغْوًا) فاحشاً من الكلام (ولا تَأْثِيمًا) ما يؤثم

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة :٢٦]

٢٦ (إلاَّ) لكن (قِيلاً) قولاً (سَلامًا سَلامًا) بدل من قيلاً فإنهم يسمعونه

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة :٢٧]

٢٧ (وأَصْحَابُ اليَمِينِ مَا أَصْحَابُ اليَمِينِ) [١].

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة :٢٨]

٢٨ (في سِدْرٍ) شجر النبق (مَّخْضُودٍ) لا شوك فيه.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة :٢٩]

٢٩ (وطَلْحٍ) شجر الموز (مَّنضُودٍ) بالحمل من أسفله إلى أعلاه [٢].

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة :٣٠]

٣٠ (وظِلٍّ مَّمْدُودٍ) دائم

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة :٣١]

٣١ (ومَاءٍ مَّسْكُوبٍ) جار دائماً

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ [الواقعة :٣٢]

٣٢ (وفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ)

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة :٣٣]

٣٣ (لا مَقْطُوعَةٍ) في زمن (ولا مَمْنُوعَةٍ) بثمن

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة :٣٤]

٣٤ (وفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) على السرر

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة :٣٥]

٣٥ (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً) الحور العين من غير ولادة

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة :٣٦]

٣٦ (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة :٣٧]

٣٧ (عُرُبًا) بضم الراء وسكونها جمع عروب،

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في البعث عن عطاء ومجاهد قالا: لما سأل أهل الطائف الوادي يحمي لهم وفيه عسل ففعل وهو واد معجب فسمعوا الناس يقولون: إن في الجنة كذا وكذا قالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فأنزل الله: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج البيهقي من وجه آخر عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوج (وادٍ بالطائف) وظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود».

وهي المتحببة إلى زوجها عشقاً له (أَتْرَابًا) جمع ترب أي مستويات في السن

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة :٣٨]

٣٨ (لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) صلة أنشأناهن أو جعلناهن وهم

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة :٣٩]

٣٩ (ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ)

﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة :٤٠]

٤٠ (وثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ)

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة :٤١]

٤١ (وأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ)

﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة :٤٢]

٤٢ (فِي سَمُومٍ) ريح حارة من النار تنفذ في المسام (وحَمِيمٍ) ماء شديدة الحرارة

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة :٤٣]

٤٣ (وظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ) دخان شديد السواد

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة :٤٤]

٤٤ (لا بَارِدٍ) كغيره من الظلال (ولا كَرِيمٍ) حسن المنظر

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة :٤٥]

٤٥ (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) في الدنيا (مُتْرَفِينَ) منعمين لا يتعبون في الطاعة

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة :٤٦]

٤٦ (وكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنثِ) الذنب (العَظِيمِ) الشرك

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة :٤٧]

٤٧ (وكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا وعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) في الهمزتين في الموضعين للتحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة :٤٨]

٤٨ (أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ) بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد وفي قراءة بسكون الواو عطفا بأو والمعطوف عليه محل إن واسمها

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة :٤٩]

٤٩ (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ)

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة :٥٠]

٥٠ (لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ) لوقت (يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) أي يوم القيامة

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة :٥١]

٥١ (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ المُكَذِّبُونَ)

﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة :٥٢]

٥٢ (لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ) بيان للشجر

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الواقعة :٥٣]

٥٣ (فَمَالِئُونَ مِنْهَا) من الشجر (البُطُونَ)

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الواقعة :٥٤]

٥٤ (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ) أي الزقوم المأكول (مِنَ الحَمِيمِ)

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة :٥٥]

٥٥ (فَشَارِبُونَ شُرْبَ) بفتح الشين وضمها مصدر (الهِيمِ) الإبل العطاش، جمع هَيمان الذكر وهيمى للأنثى، كعطشان وعطشى

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة :٥٦]

٥٦ (هَذَا نُزُلُهُمْ) ما أعد لهم (يَوْمَ الدِّينِ) يوم القيامة

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة :٥٧]

٥٧ (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) أوجدناكم من عدم (فَلَوْلا) هلا (تُصَدِّقُونَ) بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة :٥٨]

٥٨ (أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ) تريقون من المني في أرحام النساء

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة :٥٩]

٥٩ (أَأَنتُم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه في المواضع الأربعة (تَخْلُقُونَهُ) أي المني بشراً (أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ)

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾

٦٠ (نَحْنُ قَدَّرْنَا) بالتشديد والتخفيف (بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

٦١ (عَلَى) عن (أَن نُّبَدِّلَ) نجعل (أَمْثَالَكُمْ) مكانكم (وَنُنشِئَكُمْ) نخلقكم (فِي مَا لا تَعْلَمُونَ) من الصور والقردة والخنازير

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾

٦٢ (ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى) بسكون الشين (فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة :٦٣]

٦٣ (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ) تثيرون في الأرض وتلقون البذر فيها

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة :٦٤]

٦٤ (أَأَنتُم تَزْرَعُونَهُ) تنبتونه (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

٦٥ (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) نباتا يابسا لا حب فيه (فَظَلْتُمْ) أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفا أي أقمتم نهارا (تَفَكَّهُونَ) حذفت منه إحدى التاءين في الأصل تعجبون من ذلك وتقولون

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة :٦٦]

٦٦ (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) نفقة زرعنا

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة :٦٧]

٦٧ (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ممنوعون رزقنا

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة :٦٨]

٦٨ (أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ)

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾

٦٩ (أَأَنتُم أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ) السحاب جمع مزنة (أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ)

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾

٧٠ (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) ملحا لا يمكن شربه (فَلَوْلا) هلا (تَشْكُرُونَ)

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ [الواقعة :٧١]

٧١ (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) تخرجون من الشجر الأخضر

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾

٧٢ (أَأَنتُم أَنشَأْتُم شَجَرَتَهَا) كالمرخ والعفار والكلخ (أَمْ نَحْنُ المُنشِئُونَ)

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة :٧٣]

٧٣ (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) لنار جهنم (ومَتَاعًا) بلغة (لِّلْمُقْوِينَ) للمسافرين من أقوى القوم أي صاروا بالقوى بالقصر والمد أي القفز وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة :٧٤]

٧٤ (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) زائد (رَبِّكَ العَظِيمِ) الله

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة :٧٥]

٧٥ (فَلا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) بمساقطها لغروبها [1]

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة :٧٦]

٧٦ (وإِنَّهُ) القسم بها (لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة :٧٧]

٧٧ (إِنَّهُ) المتلو عليكم (لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)

---

(١) **أسباب نزول الآيات ٧٥ - ٨٢**: وأخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر» قالوا: هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآيات: «فلا أقسم بمواقع النجوم» حتى بلغ:

﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ [الواقعة :٧٨]

٧٨ (فِي كِتَابٍ) مكتوب (مَّكْنُونٍ) مصون وهو المصحف

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة :٧٩]

٧٩ (لا يَمَسُّهُ) خبر بمعنى النهي (إِلاَّ المُطَهَّرُونَ) الذين طهروا أنفسهم من الأحداث

﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة :٨٠]

٨٠ (تَنزِيلٌ) منزل (مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ)

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ [الواقعة :٨١]

٨١ (أَفَبِهَذَا الحَدِيثِ) القرآن (أَنتُم مُّدْهِنُونَ) متهاونون مكذبون

﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة :٨٢]

٨٢* (وتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) من المطر أي شكره (أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) بسقيا الله حيث قلتم مطرنا بنوء كذا.

﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [الواقعة :٨٣]

٨٣ (فَلَوْلا) فهلا (إِذَا بَلَغَتِ) الروح وقت النزع (الحُلْقُومَ) هو مجرى الطعام

﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة :٨٤]

٨٤ (وأَنتُمْ) يا حاضري الميت (حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ) إليه

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾

٨٥ (ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ) بالعلم (ولَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ) من البصيرة أي لا تعلمون ذلك

﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة :٨٦]

«وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حزرة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئًا ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبي ﷺ؟ فأمطر الله علينا السماء فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا.

٨٦ (فَلَوْلا) فهلا (إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) مجزيين بأن تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمكم

﴿تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة :٨٧]

٨٧ (تَرْجِعُونَهَا) تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيما زعمتم فلولا الثانية تأكيد للأولى وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه؟ أي لينتفي من محلها الموت كالبعث

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة :٨٨]

٨٨ (فَأَمَّا إِن كَانَ) الميت (مِنَ المُقَرَّبِينَ)

﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ [الواقعة :٨٩]

٨٩ (فَرَوْحٌ) فله استراحة (ورَيْحَانٌ) رزق حسن (وجَنَّةُ نَعِيمٍ) وهل الجواب لأما أو لإن أو لهما ؟ أقوال

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة :٩٠]

٩٠ (وأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ)

﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة :٩١]

٩١ (فَسَلامٌ لَّكَ) له السلامة من العذاب (مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ) من جهة أنه منهم

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾

٩٢ (وأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ)

﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ [الواقعة :٩٣]

٩٣ (فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ)

﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة :٩٤]

٩٤ (وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ)

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة :٩٥]

٩٥ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) من إضافة الموصوف إلى صفته

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة :٩٦]

٩٦ (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ) تقدم

* * *

٥٧ سورة الحديد

مكية أو مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

١ (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للأكثر (وهُوَ العَزِيزُ) في ملكه (الحَكِيمُ) في صنعه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد :٢]

٢ (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يُحْيِي) بالإنشاء (ويُمِيتُ) بعده (وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد :٣]

٣ (هُوَ الأَوَّلُ) قبل كل شيء بلا بداية (والآخِرُ) بعد كل شيء بلا نهاية (والظَّاهِرُ) بالأدلة عليه (والبَاطِنُ) عن إدراك الحواس (وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد :٤]

٤ (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ) الكرسي استواء يليق به (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (فِي الأَرْضِ) كالمطر والأموات (ومَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كالنبات والمعادن (ومَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) كالرحمة والعذاب (ومَا يَعْرُجُ) يصعد (فِيهَا) كالأعمال الصالحة والسيئة (وهُوَ مَعَكُمْ) بعلمه (أَيْنَ مَا كُنتُمْ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

٥ (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) الموجودات جميعها

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد :٦]

٦ (يُولِجُ اللَّيْلَ) يدخله (فِي النَّهَارِ) فيزيد وينقص الليل (ويُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) فيزيد وينقص النهار (وهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

٧ (آمِنُوا) داوموا على الإيمان (بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وأَنفِقُوا) في سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وأَنفَقُوا) إشارة إلى عثمان رضي الله عنه (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

٨ (ومَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ) خطاب للكفار أي لا مانع لكم من الإيمان (بِاللَّهِ والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وقَدْ أَخَذَ) بضم الهمزة وكسر الخاء وبفتحها ونصب ما بعدهما (مِيثَاقَكُمْ) عليه أي أخذه الله في عالم الذر حين أشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى (إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) أي مريدين الإيمان به فبادروا إليه

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

٩ (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) آيات القرآن (لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إلَى النُّورِ) الإيمان (وإنَّ اللَّهَ بِكُمْ) في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان (لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

١٠ (ومَا لَكُمْ) بعد إيمانكم (أَلَّا) فيه إدغام نون أن في لام لا (تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ولِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) بما فيهما فتصل إليه أموالكم

من غير أجر الإنفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون (لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْح) لمكة (وقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وقَاتَلُوا وكُلاًّ) من الفريقين وفي قراءة بالرفع مبتدأ (وعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى) الجنة (واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فيجازيكم به

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد :١١]

١١ (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ) بإنفاق ماله في سبيل الله (قَرْضًا حَسَنًا) بأن ينفقه لله (فَيُضَاعِفَهُ) وفي قراءة فيضعفه بالتشديد (لَهُ) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر في البقرة (ولَهُ) مع المضاعفة (أَجْرٌ كَرِيمٌ) مقترن به رضا وإقبال

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد :١٢]

١٢ اذكر (يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (وَ) يكون (بِأَيْمَانِهِم) ويقال لهم (بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ) أي ادخلوها (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد :١٣]

١٣ (يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا) أبصرونا وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء أمهلونا (نَقْتَبِسْ) نأخذ القبس والإضاءة (مِن نُّورِكُمْ قِيلَ) لهم استهزاء بهم (ارْجِعُوا ورَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) فرجعوا (فَضُرِبَ بَيْنَهُم) وبين المؤمنين (بِسُورٍ) قيل هو سور الأعراف (لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) من جهة المؤمنين (وظَاهِرُهُ) من جهة المنافقين (مِن قِبَلِهِ العَذَابُ)

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد :١٤]

١٤ (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) على الطاعة (قَالُوا بَلَى ولَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ) بالنفاق (وتَرَبَّصْتُمْ) بالمؤمنين الدوائر (وارْتَبْتُمْ) شككتم في دين الإسلام (وغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ) الأطماع (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) الموت (وغَرَّكُم بِاللَّهِ الغَرُورُ) الشيطان

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾

١٥ (فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ) بالتاء والياء (مِنكُمْ فِدْيَةٌ ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ) أولى بكم (وبِئْسَ المَصِيرُ) هي

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد :١٦]

١٦ (أَلَمْ يَأْنِ) يحن (لِلَّذِينَ آمَنُوا) نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ومَا نَزَلَ) بالتشديد والتخفيف (مِنَ الحَقِّ) القرآن (ولا يَكُونُوا) معطوف على تخشع (كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ) هم اليهود والنصارى (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) لم تلن لذكر الله (وكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)(1).

٥٧- سورة الحديد

(١) **أسباب نزول الآية ١٦**: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي رواد أن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان أصحاب النبي ﷺ قد أخذوا في شيء من المزاح فأنزل الله: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» الآية.

وأخرج عن السُّدي عن القاسم قال: ملّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله: «نحن نقص عليك أحسن القصص» ثم ملوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» الآية.

* وأخرج ابن المبارك في الزهد أنبأنا سفيان عن الأعمش قال: لما قدِمَ أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد :١٧]

١٧ (اعْلَمُوا) خطاب للمؤمنين المذكورين (أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم يردها إلى الخشوع (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد :١٨]

١٨ (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ) من التصدق أدغمت التاء في الصاد أي الذين تصدقوا (وَالْمُصَّدِّقَاتِ) اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق والإيمان (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة أل لأنه فيها حل محل الفعل وذكر القرض بوصفه بعد التصديق تقييد له (يُضَاعَفُ) وفي قراءة يضعف بالتشديد أي قرضهم (لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾

١٩ (والَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) المبالغون في التصديق (والشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ) على المكذبين من الأمم (لَهُمْ أَجْرُهُمْ ونُورُهُمْ والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على وحدانيتنا (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) النار

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد :٢٠]

٢٠ (اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ولَهْوٌ وزِينَةٌ) تزيين (وتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلادِ) أي الاشتغال فيها وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة (كَمَثَلِ) أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غَيْثٍ) مطر (أَعْجَبَ الكُفَّارَ) الزراع (نَبَاتُهُ) الناشيء عنه (ثُمَّ يَهِيجُ) ييبس (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) فتاتا يضمحل بالرياح (وفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) لمن آثر عليها الدنيا (ومَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ ورِضْوَانٌ) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا) ما التمتع فيها (إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ)

﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد :٢١]

٢١ (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ والأَرْضِ) لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد :٢٢]

٢٢ (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ) بالجدب (ولا فِي أَنفُسِكُمْ) كالمرض وفقد الولد (إلاَّ فِي كِتَابٍ) يعني اللوح المحفوظ (مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا) نخلقها ويقال في النعمة كذلك (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

٢٣ (لِكَيْلا) كي ناصبة للفعل بمعنى أن أي أخبر تعالى بذلك لئلا (تَأْسَوْا) تحزنوا (عَلَى مَا فَاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بِمَا آتَاكُمْ) بالمد أعطاكم وبالقصر جاءكم منه (واللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر بما أوتي (فَخُورٍ) به على الناس

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد :٢٤]

بعض ما كانوا عليه، فنزلت: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم» الآية.

٢٤ (الَذِينَ يَبْخَلُونَ) بما يجب عليهم (ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) به لهم وعيد شديد (ومَن يَتَوَلَّ) عما يجب عليه (فَإنَّ اللَّهَ هُوَ) ضمير فصل وفي قراءة بسقوطه (الغَنِيُّ) عن غيره (الحَمِيدُ) لأوليائه

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد :٢٥]

٢٥ (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) الملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج القواطع (وأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ) بمعنى الكتب (والْمِيزَانَ) العدل (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وأَنزَلْنَا الحَدِيدَ) أخرجناه من المعادن (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقاتل به (ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ ولِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (مَن يَنصُرُهُ) بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره (ورُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) حال من هاء «ينصره» أي غائبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس : ينصرونه ولا يبصرونه (إنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) لا حاجة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتي بها

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد :٢٦]

٢٦ (ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وإبْرَاهِيمَ وجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ والْكِتَابَ) يعني الكتب الأربعة التوراة والانجيل والزبور والقرآن فإنها في ذرية إبراهيم (فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾

٢٧ (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وآتَيْنَاهُ الإنجِيلَ وجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ورَحْمَةً ورَهْبَانِيَّةً) هي رفض النساء واتخاذ الصوامع (ابْتَدَعُوهَا) من قبل انفسهم (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ما أمرناهم بها (إلاَّ) لكن فعلوها (ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ) مرضاة (اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا (فَآتَيْنَا الَذِينَ آمَنُوا) به (مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد :٢٨]

٢٨ (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا) بعيسى (اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ) محمد ﷺ (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِن رَّحْمَتِهِ) لإيمانكم بالنبيين (ويَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) على الصراط (ويَغْفِرْ لَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [1].

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد :٢٩]

٢٩ (لِئَلاَّ يَعْلَمَ) أعلمكم بذلك ليعلم (أَهْلُ الكِتَابِ) التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ (أ) ن محففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والمعنى أنهم (لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ) خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه (وأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ) يعطيه (مَن يَشَاءُ) فآتى

(١) **أسباب نزول الآية ٢٨**: وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أحدًا فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين فأنزل الله فيهم: « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون» الآيات. فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: لما نزلت: «أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا» الآية. فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته» الآية. فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب.

المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم (واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) (١).

* * *

٥٨ سورة المجادلة

مدنية وآياتها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

١ (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) تراجعك أيها النبي (فِي زَوْجِهَا) المظاهر منها وكان قال لها أنت علي كظهر أمي وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار موجبه فرقة مؤبدة وهي خولة بنت ثعلبة وهو أوس بن الصامت (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) وحدتها وفاقتها وصبية صغارا إن ضمنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا (واللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) تراجعكما (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) عالم (٢).

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة :٢]

٢ (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ) أصله يتظهرون وأدغمت التاء في الظاء وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة وفي قراءة كيقاتلون والموضع الثاني كذلك (مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي) بهمزة وياء وبلا ياء (وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ) بالظهار (لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ القَوْلِ وَزُورًا) كذبا (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) للمظاهر بالكفارة

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة :٣]

٣ (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) فيه بأن يخالفوه بامساك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) إعتاقها عليه (مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا) بالوطء (ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة :٤]

٤ (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) رقبة (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ) أي الصيام (فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) عليه أي من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد لكل مسكين مد من غالب قوت البلد (ذَٰلِكَ) التخفيف في الكفارة (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وتِلْكَ) أي الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ ولِلْكَافِرِينَ) بها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

٥ (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ) يخالفون (اللَّهَ ورَسُولَهُ كُبِتُوا) اذلوا (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) في مخالفتهم رسلهم (وقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) دالة على صدق الرسول (ولِلْكَافِرِينَ) بالآيات (عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة <

---

(١) أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت: «يؤتكم كفلين من رحمته» حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» الآية.

* وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» الآية. يعني بالفضل: النبوّة.

* * *

٥٨- سورة المجادلة

(٢) أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهمّ إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» وهو أوس بن الصامت.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

٦ (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ ونَسُوهُ واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة :٧]

٧ (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ) بعلمه (ولا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ولا أَدْنَى مِن ذَلِكَ ولا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾

٨ (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ويَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ والْعُدْوَانِ ومَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) هم اليهود نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة (وإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ) أيها النبي (بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) وهو قولهم السام عليك أي الموت (ويَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا) هلا (يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) من التحية وأنه ليس بنبي إن كان نبيا (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المَصِيرُ) هي [1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة :٩]

٩ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ والْعُدْوَانِ ومَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ والتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة :١٠]

١٠ (إِنَّمَا النَّجْوَى) بالإثم ونحوه (مِنَ الشَّيْطَانِ) لغروره (لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ولَيْسَ) هو (بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ) أي إرادته (وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ) [1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة :١١]

١١ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا) توسعوا (فِي المَجَالِسِ) مجلس النبي ﷺ أو الذكر حتى يجلس من جاءكم وفي قراءة المجلس (فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) في الجنة (وإِذَا قِيلَ) لكم (انشُزُوا) قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات (فَانشُزُوا) وفي قراءة بضم الشين فيهما (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ) بالطاعة في ذلك (و) يرفع (الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ) في الجنة (واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [2].

---

(١) **أسباب نزول الآية ٨**: وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل ابن حيان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا فأنزل الله: «ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى» الآية.

* وأخرج أحمد والبزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: «وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله» وفي الباب عن أنس وعائشة.

(١) **أسباب نزول الآية ١٠**: وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان المنافقون يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله: «إنما النجوى من الشيطان» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية ١١**: وأخرج أيضًا عنه قال: كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت يوم الجمعة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]

١٢ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) أردتم مناجاته (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ) قبلها (صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ) لذنوبكم (فَإِن لَّمْ تَجِدُوا) ما تتصدقون به (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لمناجاتكم (رَّحِيمٌ) بكم يعني فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة ثم نسخ ذلك بقوله[١]:

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

١٣ (أَأَشْفَقْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي خفتم من (أن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) لفقر (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا) الصدقة (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) رجع بكم عنها (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي دوموا على ذلك (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾

١٤ (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا) هم

وقد جاء ناس من أهل بدر وفي المكان ضيق فلم يفسح لهم فقاموا على أرجلهم فأقام ﷺ نفرًا بعدتهم وأجلسهم مكانهم فكره أولئك النفر ذلك فنزلت.

(١) **أسباب نزول الآيتين ١٢، ١٣**: وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه ﷺ فأنزل: «يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم» الآية. فلما نزلت صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد ذلك: «أأشفقتم» الآية.

* وأخرج الترمذي وحسّنه وغيره عن علي قال: لما نزلت: «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقات» قال لي النبي ﷺ: «ما ترى دينار؟» قلت: لا يطيقونه قال: «فنصف دينار؟» قلت: لا يطيقونه قال: «فكم؟» قلت: شعيرة قال: إنك لزهيد فنزلت: «ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات» الآية. فبي خفّف الله عن هذه الأمة، قال الترمذي: حسن.

المنافقون (قَوْمًا) هم اليهود (غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم) أي المنافقون (مِّنكُمْ) من المؤمنين (وَلا مِنْهُمْ) من اليهود بل هم مذبذبون (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ) أي قولهم إنهم مؤمنون (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون فيه[١].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

١٥ (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من المعاصي

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [المجادلة: ١٦]

١٦ (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) سترا على أنفسهم وأموالهم (فَصَدُّوا) بها المؤمنين (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة

﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

١٧ (لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا) من الإغناء (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾

١٨ اذكر (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ) أنهم مؤمنون (كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ) من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ)[٢].

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٤**: وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي في قوله: «ألم تر إلى الذين تولوا قومًا» الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل.

(٢) **أسباب نزول الآية ١٨**: وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص فقال: إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان فإذا جاءكم فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فدعاه رسول الله ﷺ فقال له حين رآه: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فقال: ذرني آتك بهم فانطلق فدعاهم فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا فأنزل الله: «يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم» الآية.

﴿ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

١٩ (اسْتَحْوَذَ) استولى (عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) بطاعتهم له (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) أتباعه (أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾

٢٠ (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ) يخالفون (اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) المغلوبين

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة :٢١]

٢١ (كَتَبَ اللَّهُ) في اللوح المحفوظ أو قضى (لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) بالحجة أو السيف (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة :٢٢]

٢٢ (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ) يصادقون (مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا) أي المحادون (آبَاءَهُمْ) أي المؤمنين (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم (أُوْلَئِكَ) الذين لا يوادونهم (كَتَبَ) أثبت (فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ) بنور (مِّنْهُ) تعالى (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) يتبعون أمره ويجتنبون نهيه (أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون [١].

(١) **أسباب نزول الآية ٢٢**: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر: «لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله» الآية.

٥٩ سورة الحشر

مدنية وآياتها أربع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بني النضير.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر :١]

١ (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) أي نزهه فاللام مزيدة وفي الاتيان بـ «ما» تغليب للأكثر (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) في ملكه وصنعه [١].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾

٢ (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ) هم بنو نضير من اليهود (مِن دِيَارِهِمْ) مساكنهم بالمدينة (لأَوَّلِ الحَشْرِ) هو حشرهم إلى الشام وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر (مَا ظَنَنتُمْ) أيها المؤمنون (وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ) خبر أن (حُصُونُهُم) فاعله تم به الخبر (مِّنَ اللَّهِ) من

* وأخرجه الطبراني والحاكم في المستدرك بلفظ جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله فأنزلت.

* وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أفعلت يا أبا بكر؟» فقال: والله لو كان السيف قريبًا مني لضربته به فنزلت: «لا تجد قومًا» الآية.

٥٩- سورة الحشر

(١) **أسباب نزول الآية ١**: وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح فأنزل الله فيهم: «سبح لله ما في السماوات وما في الأرض».

عذابه (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ) أمره وعذابه (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين (وقَذَفَ) ألقى (فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (يُخْرِبُونَ) بالتشديد والتخفيف من أخرب (بُيُوتَهُم) لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره (بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ)

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر :٣]

٣ (ولَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ) قضى (عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) الخروج من الوطن (لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبي كما فعله بقريظة من اليهود (ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر :٤]

٤ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا) خالفوا (اللَّهَ ورَسُولَهُ ومَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ) له

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر :٥]

٥ (مَا قَطَعْتُم) يا مسلمون (مِّن لِّينَةٍ) نخلة (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) أي خيركم في ذلك (ولِيُخْزِيَ) بالإذن في القطع (الفَاسِقِينَ) اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد [(١)].

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر :٦]

٦ (ومَا أَفَاءَ) رد (اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ) أسرعتم يا مسلمون (عَلَيْهِ مِنْ) زائدة (خَيْلٍ ولا رِكَابٍ) إبل أي لم تقاسوا فيه مشقة (ولَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فلا حق لكم فيه ويختص به النبي ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر :٧]

٧ (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى) كالصفراء ووادي القرى وينبع (فَلِلَّهِ) يأمر فيه بما يشاء (ولِلرَّسُولِ ولِذِي) صاحب (القُرْبَى) قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب (والْيَتَامَى) أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء (والْمَسَاكِينِ) ذوي الحاجة من المسلمين (وابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي (كَيْ لا) كي بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها (يَكُونَ) الفيء علة لقسمه كذلك (دُولَةً) متداولا (بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ومَا آتَاكُمُ) أعطاكم (الرَّسُولُ) من الفيء وغيره (فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ)

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر :٨]

٨ (لِلْفُقَرَاءِ) متعلق بمحذوف أي أعجبوا (الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ

---

(١) **أسباب نزول الآية ٥:** وأخرج البخاري وغيره عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع ودي البويرة فأنزل الله: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها» الآية.

* وأخرج أبو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال: رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل علينا إثم فيما قطعناه أو تركناه فأنزل الله: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها» الآية.

* وأخرج ابن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير تحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة ومجاهد مثله.

يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ ورِضْوَانًا ويَنصُرُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) في إيمانهم

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

٩ (والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ) أي المدينة (والإيمَانَ) أي ألفوه وهم الأنصار (مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ولا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً) حسدا (مِّمَّا أُوتُوا) أي آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم (ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) حاجة إلى ما يؤثرون به (ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) حرصها على المال (فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)[(١)].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

١٠ (والَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ) حقدا (لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]

١١ (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ) وهم بنو النضير واخوانهم في الكفر (لَئِنْ) لام قسم في الأربعة (أُخْرِجْتُمْ) من المدينة (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ولا نُطِيعُ فِيكُمْ) في خذلانكم (أَحَدًا أَبَدًا وإِن قُوتِلْتُمْ) حذفت منه اللام الموطئة (لَنَنصُرَنَّكُمْ واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)[(١)].

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾

١٢ (لَئِنْ أُخْرِجوا لا يَخْرُجونَ مَعَهُمْ ولَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ ولَئِن نَّصَرُوهُمْ) أي جاؤوا لنصرهم (لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ) واستغني بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة (ثُمَّ لا يُنصَرُونَ) أي اليهود

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]

١٣ (لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً) خوفا (فِي صُدُورِهِم) أي المنافقين (مِّنَ اللَّهِ) لتأخير عذابه (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)

---

(١) **أسباب نزول الآية ٩:** وأخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا: يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين قال: «لا ولكن تكفونهم المؤونة وتقاسمونهم الثمرة والأرض أرضكم» قالوا: رضينا فأنزل الله: «والذين تبوءوا الدار» الآية.

* وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد؛ فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا فقال: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة فأنزل الله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

* وأخرج مسدد في مسنده وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي: أن رجلًا من المسلمين فذكر نحوه وفيه أن الرجل الذي أضاف ثابت بن أبي قيس بن شماس، فنزلت فيه هذه الآية.

* وأخرج الواحدي من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك فنزلت: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية ١١:** وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي قال: أسلم ناس من أهل قريظة وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم فنزلت هذه الآية فيهم: «ألم تر إلى الذين نافقوا ...».

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر :١٤]

١٤ (لا يُقَاتِلُونَكُمْ) أي اليهود (جَمِيعًا) مجتمعين (إلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ) أسوار وفي قراءة جدران (بَأْسُهُم) حربهم (بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا) مجتمعين (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) متفرقة خلاف الحسبان (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ)

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر :١٥]

١٥ مثلهم في ترك الإيمان (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا) بزمن قريب وهم أهل بدر من المشركين (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبته في الدنيا من القتل وغيره (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم في الآخرة

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

١٦ مثلهم أيضا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ) كذبا منه ورياء

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١٧ (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) أي الغاوي والمغوى وقرىء بالرفع اسم كان (أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) أي الكافرين

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

١٨ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) ليوم القيامة (واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر :١٩]

١٩ (ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ) تركوا طاعته (فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) أن يقدموا لها خيرا (أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ)

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر :٢٠]

٢٠ (لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ)

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر :٢١]

٢١ (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ) وجعل فيه تمييز كالإنسان (لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا) متشققا (مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وتِلْكَ الأَمْثَالُ) المذكورة (نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فيؤمنون

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر :٢٢]

٢٢ (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ) السر والعلانية (هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر :٢٣]

٢٣ (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ) الطاهر عما لا يليق به (السَّلامُ) ذو السلامة من النقائص (المُؤْمِنُ) المصدق رسله بخلق المعجزة لهم (المُهَيْمِنُ) من هيمن يهيمن إذا كان رقيبا على الشيء أي الشهيد على عباده بأعمالهم (العَزِيزُ) القوي (الجَبَّارُ) جبر خلقه على ما أرادد (المُتَكَبِّرُ) عما لا يليق به (سُبْحَانَ اللَّهِ) نزه نفسه (عَمَّا يُشْرِكُونَ) به

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

٢٤ (هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ) المنشيء من العدم (المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث الحسنى مؤنث الأحسن (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) تقدم أولها.

٦٠ سورة الممتحنة

مدنية وآياتها ١٣ ثلاث عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

١ (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ) أي كفار مكة (أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ) توصلون (إلَيْهِم) قصد النبي ﷺ غزوهم الذي أسره إليكم وورى بحنين (بِالْمَوَدَّةِ) بينكم وبينهم كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتابا بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فيه (وقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الحَقِّ) أي دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإيَّاكُمْ) من مكة بتضييقهم عليكم (أَن تُؤْمِنُوا) أي لأجل أن آمنتم (بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا) للجهاد (فِي سَبِيلِي وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي) وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فلا تتخذوهم أولياء (تُسِرُّونَ إلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ ومَا أَعْلَنتُمْ ومَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ) أي إسرار خبر النبي إليهم (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط[1].

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

[الممتحنة: ٢]

٢ (إن يَثْقَفُوكُمْ) يظفروا بكم (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً ويَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتل والضرب (وأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ) بالسب والشتم (ووَدُّوا) تمنوا (لَوْ تَكْفُرُونَ)

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٣]

٣ (لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ) قرابتكم (ولا أَوْلادُكُمْ) المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة (يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ) بالبناء للمفعول والفاعل (بَيْنَكُمْ) وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار (واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]

٤ (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) بكسر الهمزة وضمها في الموضعين قدوة (فِي إبْرَاهِيمَ) أي به قولا وفعلا (والَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين (إذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ) جمع بريء كظريف (مِنكُمْ ومِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ) أنكرناكم (وبَدَا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والْبَغْضَاءُ أَبَدًا) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوا (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وحْدَهُ إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) مستثنى من «أسوة» أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار

سورة الممتحنة

(١) **أسباب نزول الآية ١**: أخرج الشيخان عن عليّ قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ.

فقال: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله إني كنت ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ يدًا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر فقال النبي ﷺ: صدق وفيه أنزلت هذه السورة: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تقلون إليهم بالمودة».

وقوله (وما أملك لك من الله) أي من عذابه وثوابه (من شيء) كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه (قل فمن يملك لكم من الله شيئاً) واستغفاره له قبل أن يتبين (له أنه عدو الله) كما ذكره في براءة (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) من منقول الخليل ومن معه أي وقالوا:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥]

٥ (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا أي تذهب عقولهم بنا (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) في ملكك وصنعك

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

٦ (لقد كان لكم) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فيهم أسوة حسنة لمن كان) بدل اشتمال من «كم» بإعادة الجار (يرجو الله واليوم الآخر) أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب (ومن يتول) بأن يوالي الكفار (فإن الله هو الغني) عن خلقه (الحميد) لأهل طاعته

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧]

٧ (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مودة) بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء (والله قدير) على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة (والله غفور) لهم ما سلف (رحيم) بهم

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

٨ (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) من الكفار (في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) بدل اشتمال من الذين (وتقسطوا) تقضوا (إليهم) بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم (إن الله يحب المقسطين) العادلين[1].

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]

٩ (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا) عاونوا (على إخراجكم أن تولوهم) بدل اشتمال من الذين أي تتخذوهم أولياء (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]

١٠ (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات) بألسنهن (مهاجرات) من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد (فامتحنوهن) بالحلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان ﷺ يحلفهن (الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن) ظننتموهن بالحلف (مؤمنات فلا ترجعوهن) تردوهن (إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم) أي أعطوا الكفار أزواجهن (ما أنفقوا) عليهن من

(١) **أسباب نزول الآية ٨**: وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبة فسألت النبي ﷺ أأصلها؟ قال: «نعم» فأنزل الله فيها: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين».

* وأخرج أحمد والبزار والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية فقدمت على بنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها فأنزل الله: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين» الآية.

المهور (ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ) بشرطه (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (ولا تُمْسِكُوا) بالتشديد والتخفيف (بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) زوجاتكم لقطع ارتدادهن نكاحهم بشرطه أو اللاحقات بالمشركين مرتدات لقطع إسلامكم لها بشرطه (واسْأَلُوا) اطلبوا (مَا أَنفَقْتُمْ) عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجن من الكفار (وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا) على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه (ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) به (واللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [1].

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة: ١١]

١١ (وإن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ) أي واحدة فأكثر منهن أو شيء من مهورهن بالذهاب (إِلَى الكُفَّارِ) مرتدات (فَعَاقَبْتُمْ) فغزوتم وغنمتم (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم) من الغنيمة (مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا) لفواته عليهم من جهة الكفار (واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ) وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم [1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]

١٢ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ولا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنِينَ ولا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ) كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر (ولا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وأَرْجُلِهِنَّ) أي بولد ملقوط ينسبنه إلى الزوج وصفه بصفة الولد الحقيقي فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها (ولا يَعْصِينَكَ فِي) فعل (مَعْرُوفٍ) هو ما وافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخمش الوجه (فَبَايِعْهُنَّ) فعل ذلك ﷺ بالقول ولم يصافح واحدة منهن (واسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]

١٣ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) هم اليهود (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) أي من ثوابها مع إيقافهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقة (كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ) الكائنون (مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ) أي المقبورين من خير الآخرة إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار [2].

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠**: وأخرج الشيخان عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات» إلى قوله: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر».

* وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ وكلماه في أم كلثوم أن يردها إليهم فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء ومنع أن يرددن إلى المشركين فأنزل الله آية الامتحان.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه أنها نزلت في أميمة بنت بشر امرأة أبي حسان الدحداحة.

وأخرج عن مقاتل أن امرأة تسمى سعيدة كانت تحت صيفي بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة فقالوا: ردها علينا فنزلت.

* وأخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية وكان صالحهم أنه من أتاه رده إليهم فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية.

* وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب فتأخرت امرأته في المشركين فأنزل الله: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر».

(١) **أسباب نزول الآية ١١**: وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: «وإن فاتكم شيء من أزواجكم» الآية. قال: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقفي ولم ترتدّ امرأة من قريش غيرها.

(٢) **أسباب نزول الآية ١٣**: وأخرج ابن المنذر من طريق ابن إسحاق عن محمد عن عكرمة وأبو سعيد عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجالاً من يهود فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم» الآية.

٦١ سورة الصف

مكية أو مدنية وآياتها ١٤ أربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]

١ (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) أي نزهه فاللام مزيدة وجيء بما دون «من» تغليبا للأكثر (وهُوَ العَزِيزُ) في ملكه (الحَكِيمُ) في صنعه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

٢ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ) في طلب الجهاد (مَا لا تَفْعَلُونَ) إذ انهزمتم بأحد(١) ؟

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

٣ (كَبُرَ) عظم (مَقْتًا) تمييز (عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا) فاعل كبر (مَا لا تَفْعَلُونَ)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]

٤ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ) ينصر ويكرم (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) حال أي صافين (كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) ملزق بعضه إلى بعض ثابت

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]

٥ (و) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي) قالوا إنه آدر أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وقَد) للتحقيق (تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) الجملة حال والرسول يحترم (فَلَمَّا زَاغُوا) عدلوا عن الحق بإيذائه (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل (واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ) الكافرين في علمه

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

٦ (و) اذكر (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) لم يقل يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبلي (مِنَ التَّوْرَاةِ ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُم) جاء أحمد الكفار (بِالْبَيِّنَاتِ) الآيات والعلامات (قَالُوا هَذَا) أي المجيء به (سِحْرٌ) وفي قراءة «ساحر» أي الجائي به (مُّبِينٌ) بين

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

٧ (ومَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ) أشد ظلما (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ) بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر (وهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

[الصف: ٨]

٨ (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة (نُورَ اللَّهِ) شرعه وبراهينه (بِأَفْوَاهِهِمْ) بأقوالهم أنه سحر وشعر وكهانة (واللَّهُ مُتِمُّ) مظهر (نُورِهِ) وفي قراءة بالإضافة (ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) ذلك

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]

٩ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) يعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) جميع الأديان المخالفة (ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ) ذلك

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

١٠ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ

٦١- سورة الصف

(١) **أسباب نزول الآيتين (١-٢):** أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله: «سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون» فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

تُنجِيكُم) بالتخفيف والتشديد (مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم فكأنهم قالوا نعم فقال[1]:

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]

١١ (تُؤْمِنُونَ) تدومون على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فافعلوه[2].

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

١٢ (يَغْفِرْ) جواب شرط مقدر أي إن تفعلوه يغفر (لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١٣ (و) يؤتكم نعمة (أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ وبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالنصر والفتح

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]

١٤ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ) لدينه

وفي قراءة بالإضافة (كَمَا قَالَ) الخ المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ) أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجها إلى نصرة الله؟ (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ) والحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعيسى ابن مريم وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء (وكَفَرَت طَّائِفَةٌ) لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه فاقتتلت الطائفتان (فَأَيَّدْنَا) قوينا (الَّذِينَ آمَنُوا) من الطائفتين (عَلَى عَدُوِّهِمْ) الطائفة الكافرة (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) غالبين.

* * *

٦٢ سورة الجمعة

مدنية وآياتها ١١ إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]

١ (يُسَبِّحُ لِلَّهِ) ينزهه فاللام زائدة (مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ) في ذكره ما تغليب للأكثر (المَلِكِ القُدُّوسِ) المنزه عما لا يليق به (العَزِيزِ الحَكِيمِ) في ملكه وصنعه

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

٢ (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ) العرب والأمي من لا يكتب ولا يقرأ كتابا (رَسُولاً مِّنْهُمْ) هو محمد ﷺ (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (ويُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ) القرآن (والْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وإِن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وإنهم (كَانُوا مِن قَبْلُ) مجيئه (لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

٣ (وآخَرِينَ) عطف على الأميين أي الموجودين

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٠**: وأخرج عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة» الآية. فكرهوا الجهاد فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس نحوه.
* وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس وابن جرير عن الضحاك قال: أنزلت «لم تقولون ما لا تفعلون» في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل.
* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في توليهم يوم أحد.

(٢) **أسباب نزول الآية ١١**: وأخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم» قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين فنزلت: «تؤمنون بالله ورسوله».

(مِنْهُمْ) والآتين منهم بعدهم (لَمَّا) لم (يَلْحَقُوا بِهِمْ) في السابقة والفضل (وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) في ملكه وصنعه وهم التابعون والاقتصار عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

٤ (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) النبي ومن ذكر معه (واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٥ (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) كلفوا العمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يؤمنوا به (كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) أي كتبا في عدم انتفاعه بها (بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) المصدقة للنبي ﷺ والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

٦ (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة :٧]

٧ (ولا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (واللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٨ (قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ) الفاء زائدة (مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ) السر والعلانية (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة :٩]

٩ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن) بمعنى في (يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا) فامضوا (إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أي لصلاة (وذَرُوا البَيْعَ) أي اتركوا عقده (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير فافعلوه

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

١٠ (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ) أمر إباحة (وابْتَغُوا) اطلبوا الرزق (مِن فَضْلِ اللَّهِ واذْكُرُوا اللَّهَ) ذكرا (كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون كان ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلا فنزل

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة :١١]

١١ (وإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا) أي التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو (وتَرَكُوكَ) في الخطبة (قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ) للذين آمنوا (مِّنَ اللَّهْوِ ومِنَ التِّجَارَةِ واللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل لإنسان يرزق عائلته أي من رزق الله تعالى (١).

٦٢- سورة الجمعة

(١) **أسباب نزول الآية ١١**: أخرج الشيخان عن جابر قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير قد قدمت فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا فأنزل الله: «وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا».

* وأخرج ابن جرير عن جابر أيضًا قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرون بالكبر والمزامير ويتركون النبي ﷺ قائمًا على المنبر وينفضون إليها فنزلت: وكأنها نزلت في الأمرين معًا. ثم رأيت ابن المنذر أخرجه عن جابر لقصة النكاح وقدوم العير معًا من طريق واحد وأنها نزلت في الأمرين فلله الحمد.

سورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

١ (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا) بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ واللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ واللَّهُ يَشْهَدُ) يعلم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) فيما أضمروه مخالفا لما قالوه .

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون :٢]

٢ (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) سترة على أموالهم ودمائهم (فَصَدُّوا) بها (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الجهاد فيه (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون :٣]

٣ (ذَلِكَ) أي سوء عملهم (بِأَنَّهُمْ آمَنُوا) باللسان (ثُمَّ كَفَرُوا) بالقلب أي استمروا على كفرهم به (فَطُبِعَ) ختم (عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالكفر (فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) الإيمان

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

٤ (وإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) لجمالها (وإن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) لفصاحته (كَأَنَّهُمْ) من عظم أجسامهم في ترك التفهم (خُشُبٌ) بسكون الشين وضمها (مُسَنَّدَةٌ) ممالة إلى الجدار (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ) تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة (عَلَيْهِمْ) لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) فإنهم يفشون سرك للكفار (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان ؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾

٥ (وإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) معتذرين (يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا) بالتشديد والتخفيف عطفوا (رُءُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يعرضون عن ذلك (وهُم مُسْتَكْبِرُونَ) [(١)].

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

٦ (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ) [(٢)].

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون :٧]

٧ (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) لأصحابهم من الأنصار (لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ) من المهاجرين (حَتَّى يَنفَضُّوا) يتفرقوا عنه (ولِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) بالرزق فهو الرزاق للمهاجرين وغيرهم (ولَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ) [(٣)] .

٦٣- سورة المنافقون

(١) **أسباب نزول الآية ٥** : أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك فجعل يلوي رأسه فنزلت فيه: «وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله» الآية. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

(٢) **أسباب نزول الآية ٦** : وأخرج عن عروة قال: لما نزلت: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» قال النبي ﷺ : «لأزيدن على السبعين» فأنزل الله: «سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم» الآية.

* وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله. وأخرجه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ وأنا أسمع: «إنّي قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم» فنزلت.

(٣) **أسباب نزول الآيتين (٧-٨)**: أخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم قال: سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ فدعاني النبي ﷺ فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني وصدقه فأصابني شيء لم يصبني قط مثله فجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله: «إذا جاءك المنافقون» فبعث إليّ رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: «إن الله قد صدقك». له طرق كثيرة عن

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون :٨]

٨ (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا) أي من غزوة بني المصطلق (إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ) عنوا به أنفسهم (مِنْهَا الأَذَلَّ) عنوا به المؤمنين (وللّهِ العِزَّةُ) الغلبة (ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ ولَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون :٩]

٩ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ) تشغلكم (أَمْوَالُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) الصلوات الخمس (ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ)

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون :١٠]

١٠ (وأَنفِقُوا) في الزكاة (مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا) بمعنى هلا أو «لا» زائدة و«لو» للتمني (أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) بإدغام التاء في الأصل في الصاد أتصدق بالزكاة (وأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) بأن أحج قال ابن عباس رضي الله عنهما ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون :١١]

١١ (ولَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء

* * *

زيد وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك وأن نزول السورة ليلاً.

٦٤ سورة التغابن

مكية أو مدنية وآياتها ١٨ ثماني عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن :١]

١ (يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) أي ينزهه فاللام زائدة وأتى بـ «ما» دون «من» تغليبًا للأكثر (لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن :٢]

٢ (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ) في أصل الخلقة ثم يميتكم ويعيدكم على ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن :٣]

٣ (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال (وَإِلَيْهِ المَصِيرُ)

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن :٤]

٤ (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن :٥]

٥ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) يا كفار مكة (نَبَأُ) خبر (الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبة كفرهم في الدنيا (وَلَهُمْ) في الآخرة (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ؟

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾

٦ (ذَلِكَ) أي عذاب الدنيا (بِأَنَّهُ) ضمير الشأن (كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات

علي الإيمان (فَقَالُوا أَبَشَر) أريد به الجنس (يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (وَاسْتَغْنَى اللَّهُ) عن إيمانهم (وَاللَّهُ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود في أفعاله.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن :٧]

٧ (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن) مخففة واسمها محذوف أي أنهم (لَن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن :٨]

٨ (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ) القرآن (الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن :٩]

٩ اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) يوم القيامة (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ) وفي قراءة «نكفر» و «ندخلهم» بالنون في الفعلين (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾

١٠ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن :١١]

١١ (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ) في قوله إن المصيبة بقضائه (يَهْدِ قَلْبَهُ) للصبر عليها (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن :١٢]

١٢ (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) البين

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

١٣ (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن :١٤]

١٤ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) أن تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك (وَإِن تَعْفُوا) عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم (وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [1].

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن :١٥]

١٥ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) لكم شاغلة عن أمور الآخرة (وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تفوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن :١٦]

٦٤- سورة التغابن

(١) أسباب نزول الآية١٤: أخرج الترمذي والحاكم وصححاه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: «إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم» في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا المدينة فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله: «وإن تعفوا وتصفحوا» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات «يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم» نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم فنزلت هذه الآية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

١٦ (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ناسخة لقوله (اتقوا الله حق تقاته) (وَاسْمَعُوا) ما أمرتم به سماع قبول (وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا) في الطاعة (خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ) خبر يكن مقدرة جواب الأمر (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون [(١)].

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن :١٧]

١٧ (إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بأن تتصدقوا عن طيب قلب (يُضَاعِفْهُ لَكُمْ) وفي قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشرا إلى سبعمائة وأكثر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ما يشاء (وَاللَّهُ شَكُورٌ) مجاز على الطاعة (حَلِيمٌ) في العقاب على المعصية.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١٨ (عَالِمُ الْغَيْبِ) السر (وَالشَّهَادَةِ) العلانية (الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه.

* * *

٦٥ سورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ اثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾

١ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) المراد أمته بقرينة ما بعده أو قل لهم (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) أي أردتم الطلاق (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) لأولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) أطيعوه في أمره ونهيه (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ولا يَخْرُجْنَ) منها حتى تنقضي عدتهن (إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ) زنا (مُّبَيِّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها أي بينت أو بينة فيخرجن لإقامة الحد عليهن (وتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللَّهِ ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ) الطلاق (أَمْرًا) مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين [(١)].

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق :٢]

٢ (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قاربن انقضاء عدتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة (وأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) على المراجعة أو الفراق (وأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) لا للمشهود عليه أو له (ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) من كرب الدنيا والآخرة [(٢)].

---

(١) **أسباب نزول الآية ١٦ :** وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير قال: لما نزلت: «اتقوا الله حق تقاته» اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تخفيفًا على المسلمين: «فاتقوا الله ما استطعتم».

٦٥- سورة الطلاق

(١) **أسباب نزول الآية ١ :** أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة ثم نكح امرأة من مزينة فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ما تغني عني إلا ما تغني عني هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها. فنزلت: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن».

* وقال الذهبي: الإسناد واه والخبر خطأ فإن عبد يزيد لم يدرك الإسلام.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» فقيل له: راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة.

* وأخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلًا. وابن المنذر عن ابن سيرين مرسلًا.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص وطفيل بن الحارث وعمرو بن سعيد بن العاص.

(٢) **أسباب نزول الآية٢ :** وأخرج الحاكم عن جابر قال: نزلت هذه الآية: «ومن يتق الله يجعل له مخرجًا» في رجل من أشجع كان فقيرًا خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال له: اتق الله واصبر فلم يلبث إلا يسيرًا حتى

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق :٣]

٣ (ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) يخطر بباله (ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) في أموره (فَهُوَ حَسْبُهُ) كافيه (إنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) مراده وفي قراءة بالإضافة (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ) كرخاء وشدة (قَدْرًا) ميقاتا.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق :٤]

٤ (واللاَّئِي) بهمزة وياء وبلا ياء في الموضعين (يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ) بمعنى الحيض (مِن نِّسَائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُمْ) شككتم في عدتهن (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ واللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ) لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر والمسألتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن أما هن فعدتهن ما في آية (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) (وأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ) انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفي عنهن أزواجهن (أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) في الدنيا والآخرة [١].

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق :٥]

٥ (ذَلِكَ) المذكور في العدة (أَمْرُ اللَّهِ) حكمه (أَنزَلَهُ إلَيْكُمْ ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ويُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾

٦ (أَسْكِنُوهُنَّ) أي المطلقات (مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم) أي بعض مساكنكم (مِّن وجْدِكُمْ) أي سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله باعادة الجار وتقدير مضاف أي أمكنة سعتكم لا ما دونها (ولا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وإن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ) أولادكم منهن (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) على الإرضاع (وأْتَمِرُوا بَيْنَكُم) وبينهن (بِمَعْرُوفٍ) بجميل من حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم للإرضاع (وإن تَعَاسَرْتُمْ) تضايقتم في الرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله (فَسَتُرْضِعُ لَهُ) للأب (أُخْرَى) ولا تكره الأم على إرضاعه

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق :٧]

٧ (لِيُنفِقْ) على المطلقات والمرضعات (ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ومَن قُدِرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ) أعطاه (اللَّهُ) على قدره (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) وقد جعله بالفتوح

جاء ابن له بغنم وكان العدوّ أصابوه فأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرها فقال: كلها فنزلت. قال الذهبي: حديث منكر له شاهد.

* وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد. والسُّدي وسمي الرجل عوفًا الأشجعي.

* وأخرج الحاكم أيضًا من حديث ابن مسعود وسماه كذلك. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدوّ وجزعت أمه فما تأمرني؟ قال : آمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت المرأة: نعم ما أمرك فجعلا يكثران منها فتغفل عنه العدوّ فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه فنزلت: «ومن يتق الله يجعل له مخرجًا» الآية.

* وأخرجه الخطيب في تاريخه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

* وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف. وابن أبي حاتم من وجه آخر مرسلًا.

(١) **أسباب نزول الآية٤ :** وأخرج ابن جرير وإسحاق بن راهويه والحاكم وغيرهم عن أبيّ بن كعب قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار وأولات الأحمال فأنزلت: «واللائي يئسن من المحيض» الآية. صحيح الإسناد.

* وأخرج مقاتل في تفسيره: أن خلاد بن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ عن عدة التي لا تحيض فنزلت.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق :٨]

٨ (وكَأَيِّن) هي كاف الجر دخلت على أي بمعنى كم (مِّن قَرْيَةٍ) أي وكثير من القرى (عَتَتْ) عصت يعني أهلها (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا) في الآخرة وإن لم تجئ لتحقق وقوعها (حِسَابًا شَدِيدًا وعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها فظيعا وهو عذاب النار

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾

٩ (فَذَاقَتْ وبَالَ أَمْرِهَا) عقوبته (وكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) خسارا وهلاكا

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق :١٠]

١٠ (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) تكرير الوعيد توكيد (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) أصحاب العقول (الَّذِينَ آمَنُوا) نعت للمنادى أو بيان له (قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) هو القرآن

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق :١١]

١١ (رَسُولاً) أي محمدا ﷺ منصوب بفعل مقدر أي وأرسل (يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرها كما تقدم (لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعد مجيء الذكر والرسول (مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر الذي كانوا عليه (إِلَى النُّورِ) الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر (ومَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ويَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ) وفي قراءة «ندخله» بالنون (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق :١٢]

١٢ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ومِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يعني سبع أرضين (يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ) الوحي (بَيْنَهُنَّ) بين السموات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة (لِتَعْلَمُوا) متعلق بمحذوف أي أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا).

* * *

٦٦ سورة التحريم

مدنية وآياتها ١٢ اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم :١]

١ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) من أمتك مارية القبطية لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها حيث قلت هي حرام علي (تَبْتَغِي) بتحريمها (مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) أي رضاهن (واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) غفر لك هذا التحريم (١).

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم :٢]

٢ (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ) شرع (لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ومن الأيمان ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كفر ﷺ؟ قال مقاتل أعتق رقبة في تحريم مارية وقال الحسن لم يكفر لأنه ﷺ مغفور له (واللَّهُ مَوْلاكُمْ) ناصركم (وهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) (٢).

٦٦- سورة التحريم

(١) **أسباب نزول الآية١**: أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حرامًا، فأنزل الله: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» الآية.

(٢) **أسباب نزول الآية٢**: وأخرج الضياء في المختارة من حديث ابن عمر عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحدًا أن أم إبراهيم عليّ حرام» فلم يقربها حتى أخبرت عائشة فأنزل الله: «قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم».

* وأخرج الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية سريته بيت حفصة فجاءت فوجدتها معه فقالت: يا رسول الله في بيتي دون بيوت نسائك

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

٣ واذكر (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ) هي حفصة (حَدِيثًا) هو تحريم مارية وقال لها لا تفشيه (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) عائشة ظنا منها أن لا حرج في ذلك (وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ) أطلعه (عَلَيْهِ) على المنبئ به (عَرَّفَ بَعْضَهُ) لحفصة (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) تكرما منه (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) أي الله

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم :٤]

٤ (إِن تَتُوبَا) أي حفصة وعائشة (إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له وذلك ذنب وجواب الشرط محذوف أي تقبلا وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وَإِن تَظَاهَرَا) بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء وفي قراءة بدونها تعاونا (عَلَيْهِ) أي النبي فيما يكرهه (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ) فصل (مَوْلاهُ) ناصره (وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصريه (وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ) بعد نصر الله والمذكورين (ظَهِيرٌ) ظهراء أعوان له في نصره عليكما

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم :٥]

٥ (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ) أي طلق النبي أزواجه (أَن يُبْدِلَهُ) بالتشديد والتخفيف (أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مُسْلِمَاتٍ) مقرات بالإسلام (مُّؤْمِنَاتٍ) مخلصات (قَانِتَاتٍ) مطيعات (تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ) صائمات أو مهاجرات (ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم :٦]

٦ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) بالحمل على طاعة الله (نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر (غِلاظٌ) من غلظ القلب (شِدَادٌ) في البطش (لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) بدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) تأكيد والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم :٧]

قال: «فإنها عليّ حرام أن أمسها يا حفصة واكتمي هذا عليّ» فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها فأنزل الله: «يا أيها النبي لم تحرم» الآيات.

* وأخرج البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال: نزلت: «يا أيها النبي لم تحرم» الآية. في سريته.

* وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب عند سودة العسل فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحًا ثم دخل على حفصة فقالت: مثل ذلك فقال: أراه من شراب شربته عند سودة والله لا أشربه فنزلت: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك» وله شاهد في الصحيحين. قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معًا.

* وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية : «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» قالت: كان عندي عكة من عسل أبيض فكان النبي ﷺ يلعق منها وكان يحبه فقالت له عائشة: نحلها يجرس عرفطا فحرمها فنزلت هذه الآية.

* وأخرج الحارث بن أبى أسامة في مسنده عن عائشة قالت: لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح أنزل الله: «قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم» فأنفق عليه، غريب جدًا في سبب نزولها.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ غريب أيضًا وسنده ضعيف.

(١) أسباب نزول الآية ٥: تقدم سبب نزولها وهو قول عمر في سورة البقرة.

٧ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) يقال لهم ذلك عند دخولهم النار أي لأنه لا ينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاءه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم :٨]

٨ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) بفتح النون وضمها صادقة بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه (عَسَى رَبُّكُمْ) ترجية تقع (أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ) بساتين (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ) بإدخال النار (النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (و) يكون (بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ) مستأنف (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) إلى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم (وَاغْفِرْ لَنَا) ربنا (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

٩ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) بالانتهار والمقت (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم :١٠]

١٠ (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) في الدين إذ كفرتا وكانت امرأة نوح واسمها واهلة تقول لقومه إنه مجنون وامرأة لوط واسمها واعلة تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلا بإيقاد النار ونهارا بالتدخين (فَلَمْ يُغْنِيَا) أي نوح ولوط (عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا وقِيلَ) لهما (ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) من كفار قوم نوح وقوم لوط.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

١١ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) آمنت بموسى واسمها آسية فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة (إِذْ قَالَتْ) في حال التعذيب (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب (وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وتعذيبه (وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أهل دينه فقبض الله روحها وقال ابن كيسان رفعت إلى الجنة حية فهي تأكل وتشرب

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم :١٢]

١٢ (وَمَرْيَمَ) عطف على امرأة فرعون (ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعيسى (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) شرائعه (وَكُتُبِهِ) المنزلة (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) من القوم المطيعين.

* * *

٦٧ سورة الملك

مكية وآياتها ٣٠ ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١ (تَبَارَكَ) تنزه عن صفات المحدثين (الَّذِي بِيَدِهِ) في تصرفه (الْمُلْكُ) السلطان والقدرة (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك :٢]

٢ (الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ) في الدنيا (والْحَيَاةَ) في الآخرة أو هما في الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة وهي ما به الإحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثاني بمعنى التقدير (لِيَبْلُوَكُمْ) ليختبركم في الحياة (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) أطوع لله (وَهُوَ العَزِيزُ) في انتقامه ممن عصاه (الغَفُورُ) لمن تاب إليه

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾

٣ (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض من غير مماسة (مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ) لهن أو لغيرهن (مِن تَفَاوُتٍ) تباين وعدم تناسب (فَارْجِعِ البَصَرَ) أعده إلى السماء (هَلْ تَرَى) فيها (مِن فُطُورٍ) صدوع وشقوق

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك :٤]

٤ (ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرة بعد كرة (يَنقَلِبْ) يرجع (إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا) ذليلا لعدم إدراك الخلل (وَهُوَ حَسِيرٌ) منقطع عن روية خلل

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك :٥]

٥ (ولَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القربى إلى الأرض (بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وجَعَلْنَاهَا رُجُومًا) مراجم (لِّلشَّيَاطِينِ) إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكواكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله لا أن الكواكب يزول عن مكانه (وأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) النار الموقدة

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

٦ (ولِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وبِئْسَ المَصِيرُ) هي

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك :٧]

٧ (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا) صوتا منكرا كصوت الحمار (وهِيَ تَفُورُ) تغلي

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك :٨]

٨ (تَكَادُ تَمَيَّزُ) وقرئ تتميز على الأصل تتقطع (مِنَ الغَيْظِ) غضبا على الكفار (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ) جماعة منهم (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) سؤال توبيخ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول ينذركم عذاب الله تعالى

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك :٩]

٩ (قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ) ما (أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾

١٠ (وقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) أي سماع تفهم (أَوْ نَعْقِلُ) عقل تفكر (مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾

١١ (فَاعْتَرَفُوا) حيث لا ينفع الاعتراف (بِذَنبِهِمْ) وهو تكذيب النذر (فَسُحْقًا) بسكون الحاء وضمها (لأَصْحَابِ السَّعِيرِ) فبُعدًا لهم عن رحمة الله

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك :١٢]

١٢ (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم) يخافون (بِالْغَيْبِ) في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى (لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ) أي الجنة

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

١٣ (وأَسِرُّوا) أيها الناس (قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ) تعالى (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها فكيف بما نطقتم به وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك :١٤]

١٤ (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) ما تسرون أي أينتفي علمه بذلك (وهُوَ اللَّطِيفُ) في علمه (الخَبِيرُ) فيه

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك :١٥]

١٥ (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً) سهلة

للمشي فيها (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) جوانبها (وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) المخلوق لأجلكم (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) من القبور للجزاء

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك :١٦]

١٦ (ءَأَمِنتُم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفا (مَّن فِي السَّمَاءِ) سلطانه وقدرته (أَن يَخْسِفَ) بدل من «من» (بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) تتحرك بكم وترتفع فوقكم

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك :١٧]

١٧ (أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ) بدل من «من» (عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) ريحا ترميكم بالحصباء (فَسَتَعْلَمُونَ) عند معاينة العذاب (كَيْفَ نَذِيرِ) إنذاري بالعذاب أنه حق

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

١٨ (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم أي إنه حق

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾

١٩ (أَوَ لَمْ يَرَوْا) ينظرون (إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ) في الهواء (صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) أجنحتهن بعد البسط أي وقابضات (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع في حال البسط والقبض (إِلاَّ الرَّحْمَنُ) بقدرته (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب ؟

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك :٢٠]

٢٠ (أَمَّنْ) مبتدأ (هَذَا) خبره (الَّذِي) بدل من هذا (هُوَ جُندٌ) أعوان (لَّكُمْ) صلة الذي (يَنصُرُكُم) صفة جند (مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ) أي غيره يدفع عنكم عذابه أي لا ناصر لكم (إِنِ) ما (الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ) غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك :٢١]

٢١ (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ) الرحمن (رِزْقَهُ) أي المطر عنكم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم غيره (بَل لَّجُّوا) تمادوا (فِي عُتُوٍّ) تكبر (وَنُفُورٍ) تباعد عن الحق

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك :٢٢]

٢٢ (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا) واقعا (عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا) معتدلا (عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُّسْتَقِيمٍ) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى أي أهدى والمثل في المؤمن والكافر أيهما على هدى

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك :٢٣]

٢٣ (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ) خلقكم (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) ما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

٢٤ (قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

٢٥ (وَيَقُولُونَ) للمؤمنين (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) وعد الحشر (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيه

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

٢٦ (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ) بمجيئه (عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الانذار

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك :٢٧]

٢٧ (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أي العذاب بعد الحشر (زُلْفَةً) قريبا (سِيئَتْ) اسودت (وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ) أي قال الخزنة لهم (هَذَا) العذاب (الَّذِي كُنتُم بِهِ)

بإنذاره (تَدَّعُونَ) أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتي عبر عنها بطريق المضي لتحقيق وقوعها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك :٢٨]

٢٨ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ) من المؤمنين بعذابه كما تقصدون (أَوْ رَحِمَنَا) فلم يعذبنا (فَمَن يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) أي لا مجير لهم منه

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك :٢٩]

٢٩ (قُلْ هُوَ الرَّحمَنُ آمَنَّا بِهِ وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) بين أنحن أم أنتم أم هم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾

٣٠ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) غائرا في الأرض (فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ) جار تناله الأيدي والدلاء كمائكم أي لا يأتي به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم ويستحب أن يقول القارئ عقب معين «الله رب العالمين» كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به الفئوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته.

* * *

٦٨ سورة القلم

مكية وآياتها ٥٢ اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم :١]

١ (ن) أحد حروف الهجاء الله أعلم بمراده به (والْقَلَمِ) الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ (ومَا يَسْطُرُونَ) أي الملائكة من الخير والصلاح

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم :٢]

٢ (مَا أَنتَ) يا محمد (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أي انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم إنه مجنون [١]

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم :٣]

٣ (وإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) مقطوع

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم :٤]

٤ (وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ) دين (عَظِيمٍ) [٢]

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم :٥]

٥ (فَسَتُبْصِرُ ويُبْصِرُونَ)

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم :٦]

٦ (بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) مصدر كالمعقول أي الفتون بمعنى الجنون أي أبك أم بهم

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم :٧]

٧ (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) له وأعلم بمعنى عالم

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم :٨]

٨ (فَلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ)

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم :٩]

٩ (ودُّوا) تمنوا (لَوْ مصدرية (تُدْهِنُ) تلين لهم (فَيُدْهِنُونَ) يلينون لك وهو معطوف على تدهن وإن جعل جواب التمني المفهوم من ودوا قدر قبله بعد الفاء هم

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم :١٠]

١٠ (ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف بالباطل (مَّهِينٍ) حقير [٣] .

٦٨- سورة القلم

(١) **أسباب نزول الآية٢**: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ إنه مجنون ثم شيطان فنزلت: «ما أنت بنعمة ربك بمجنون».

(٢) **أسباب نزول الآية٤**: وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحدي بسند واه عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك فلذلك أنزل الله: «وإنك لعلى خلق عظيم».

(٣) **أسباب نزول الآيات(١٠-١١-١٢)** : وأخرج ابن

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم :١١]

١١ (هَمَّازٍ) عياب أي مغتاب (مَّشَّاءِ بِنَمِيمٍ) ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم :١٢]

١٢ (مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ) بخيل بالمال عن الحقوق (مُعْتَدٍ) ظالم (أَثِيمٍ) آثم.

﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم :١٣]

١٣ (عُتُلٍّ) غليظ جاف (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) دعي في قريش وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة قال ابن عباس لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارا لا يفارقه أبدا وتعلق بزنيم الظرف قبله

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم :١٤]

١٤ (أَن كَانَ ذَا مَالٍ وبَنِينَ) أي لأن وهو متعلق بما دل عليه

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

١٥ (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ) هي (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أي كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر وفي قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم :١٦]

١٦ (سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ) سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم :١٧]

١٧ (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجَنَّةِ) البستان (إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا) يقطعون ثمرتها (مُصْبِحِينَ) وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها [1].

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم :١٨]

١٨ (ولا يَسْتَثْنُونَ) في يمينهم بمشيئة الله تعالى والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم :١٩]

١٩ (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ) نار أحرقتها ليلاً (وهُمْ نَائِمُونَ)

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم :٢٠]

٢٠ (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) كالليل الشديد الظلمة أي سوداء

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾ [القلم :٢١]

٢١ (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ)

﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ﴾ [القلم :٢٢]

٢٢ (أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ) غلتكم تفسير لتنادوا أو أن مصدرية أي بأن (إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ) مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله

﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ﴾ [القلم :٢٣]

٢٣ (فَانطَلَقُوا وهُمْ يَتَخَافَتُونَ) يتسارُّون

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم :٢٤]

٢٤ (أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا اليَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ) تفسير لما قبله أو أن مصدرية أي بأن

﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ﴾ [القلم :٢٥]

٢٥ (وغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ) منع للفقراء (قَادِرِينَ) عليه في ظنهم

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم :٢٦]

أبي حاتم عن السُّدي في قوله: «ولا تطع كل حلاف مهين» قال: نزلت في الأخنس بن شريق.

* وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود ابن عبد يغوث.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت على النبي ﷺ: «ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم» فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك «عُتل بعد ذلك زنيم» فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة.

(١) أسباب نزول الآية١٧: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذًا فاربطوهم في الحبال ولا تقتلوا منهم أحدًا فنزلت: «إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة» يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة.

٢٦ (فَلَمَّا رَأَوْهَا) سوداء محترقة (قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم :٢٧]

٢٧ (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ثمرتها بمنعنا الفقراء منها

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم :٢٨]

٢٨ (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) خيرهم (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا) هلا (تُسَبِّحُونَ) الله تائبين

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم :٢٩]

٢٩ (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بمنع الفقراء حقهم

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [القلم :٣٠]

٣٠ (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ)

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم :٣١]

٣١ (قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ)

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾

٣٢ (عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا) بالتشديد والتخفيف (خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ) ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا روي أنهم أبدلوا خيرا منها

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

٣٣ (كَذَٰلِكَ) أي مثل العذاب لهؤلاء (الْعَذَابُ) لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم (ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) عذابها ما خالفوا أمرنا ونزل لما قالوا إن بعثنا نعط أفضل منكم

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم :٣٤]

٣٤ (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم :٣٥]

٣٥ (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) أي تابعين لهم في العطاء

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم :٣٦]

٣٦ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم :٣٧]

٣٧ (أَمْ) أي بل أ(لَكُمْ كِتَابٌ) منزل (فِيهِ تَدْرُسُونَ) أي تقرءون

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم :٣٨]

٣٨ (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) تختارون

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم :٣٩]

٣٩ (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ) عهود (عَلَيْنَا بَالِغَةٌ) واثقة (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم أي أقسمنا لكم وجوابه (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) به لأنفسكم

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم :٤٠]

٤٠ (سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ) الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زَعِيمٌ) كفيل لهم

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾

٤١ (أَمْ لَهُمْ) أي عندهم (شُرَكَاءُ) موافقون في هذا القول يكفلون لهم به فإن كان كذلك (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ) الكافلين لهم به (إِن كَانُوا صَادِقِينَ)

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

٤٢ اذكر (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد الأمر فيها (ويُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) امتحانا لإيمانهم (فَلا يَسْتَطِيعُونَ) تصير ظهورهم طبقا واحدا

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم :٤٣]

٤٣ (خَاشِعَةً) حال من ضمير يدعون أي ذليلة (أَبْصَارُهُمْ) لا يرفعونها (تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم (ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ) في الدنيا (إِلَى السُّجُودِ وهُمْ سَالِمُونَ) فلا يأتون به بأن لا يصلوا

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم :٤٤]

٤٤ (فَذَرْنِي) دعني (ومَن يُكَذِّبُ بِهَذَا

الحَدِيثِ) القرآن (سَنَسْتَدْرِجُهُم) نأخذهم قليلا قليلا (مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ)

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم :٤٥]

٤٥ (وأُمْلِي لَهُمْ) أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لا يطاق

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم :٤٦]

٤٦ (أَمْ) بل أ(تَسْأَلُهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ) مما يعطونكه (مُّثْقَلُونَ) فلا يؤمنون لذلك

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم :٤٧]

٤٧ (أَمْ عِندَهُمُ الغَيْبُ) اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) منه ما يقولون

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم :٤٨]

٤٨ (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) فيهم بما يشاء (ولا تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ) في الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام (إِذْ نَادَى) دعا ربه (وهُوَ مَكْظُومٌ) مملوء غما في بطن الحوت

﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾

٤٩ (لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ) أدركه (نِعْمَةٌ) رحمة (مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ) من بطن الحوت (بِالعَرَاءِ) بالأرض الفضاء (وهُوَ مَذْمُومٌ) لكنه رحم فنبذ غير مذموم

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم :٥٠]

٥٠ (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) بالنبوة (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم :٥١]

٥١ (وإن يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء وفتحها (بِأَبْصَارِهِمْ) ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك من مكانك (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) القرآن (ويَقُولُونَ) حسدا (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) بسبب القرآن الذي جاء به

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم :٥٢]

٥٢ (ومَا هُوَ) القرآن (إِلاَّ ذِكْرٌ) موعظة (لِّلْعَالَمِينَ) الجن والإنس لا يحدث بسببه جنون.

* * *

٦٩ سورة الحاقة

مكية وآياتها إحدى أو اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة :١]

١ (الحَاقَّةُ) القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة :٢]

٢ (مَا الحَاقَّةُ) تعظيم لشأنها وهو مبتدأ وخبر، خبر الحاقة

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة :٣]

٣ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الحَاقَّةُ) زيادة تعظيم لشأنها فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة :٤]

٤ (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعَادٌ بِالقَارِعَةِ) القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة :٥]

٥ (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾

٦ (وأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) شديدة الصوت (عَاتِيَةٍ) قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾

٧ (سَخَّرَهَا) أرسلها بالقهر (عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ) أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء (حُسُومًا) متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم (فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) مطروحين هالكين (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ

أصول (نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) ساقطة فارغة.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة :٨]

٨ (فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ) صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أي باق، لا

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾

٩ (وجاءَ فِرْعَوْنُ ومَن قَبْلَهُ) أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الأمم الكافرة (والْمُؤْتَفِكَاتُ) أهلها وهي قرى قوم لوط (بِالْخَاطِئَةِ) بالفعلات ذات الخطأ

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة :١٠]

١٠ (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) لوطا وغيره (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً) زائدة في الشدة على غيرها

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة :١١]

١١ (إِنَّا لَمَّا طَغَا المَاءُ) علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان (حَمَلْنَاكُمْ) يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم (فِي الجَارِيَةِ) السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الآخرون

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة :١٢]

١٢ (لِنَجْعَلَهَا) هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين (لَكُمْ تَذْكِرَةً) عظة (وتَعِيَهَا) ولتحفظها (أُذُنٌ واعِيَةٌ) حافظة لما تسمع [1].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة :١٣]

١٣ (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ) للفصل بين الخلائق وهي الثانية

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾

١٤ (وحُمِلَتِ) رفعت (الأَرْضُ والْجِبَالُ فَدُكَّتَا) دقتا (دَكَّةً واحِدَةً)

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة :١٥]

١٥ (فَيَوْمَئِذٍ وقَعَتِ الوَاقِعَةُ) قامت القيامة

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة :١٦]

١٦ (وانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ) ضعيفة

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة :١٧]

١٧ (والْمَلَكُ) يعني الملائكة (عَلَى أَرْجَائِهَا) جوانب السماء (ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) الملائكة المذكورين (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) من الملائكة أو من صفوفهم

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة :١٨]

١٨ (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) للحساب (لا تَخْفَى) بالتاء والياء (مِنكُمْ خَافِيَةٌ) من السرائر

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾

١٩ (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ) خطابا لجماعته لما سر به (هَاؤُمُ) خذوا (اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) تنازع فيه هاؤم اقرءوا

﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة :٢٠]

٢٠ (إِنِّي ظَنَنتُ) تيقنت (أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ)

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة :٢١]

٢١ (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) مرضية

﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة :٢٢]

٢٢ (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة :٢٣]

٢٣ (قُطُوفُهَا) ثمارها (دَانِيَةٌ) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾

٢٤ فيقال لهم (كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أي متهنئين (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ) الماضية في الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾

٢٥ (وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا)

٦٩- سورة الحاقة

(١) أسباب نزول الآية١٢ : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي وحق لك أن تعي» قال: فنزلت هذه الآية: «وتعيها أذن واعية» لا يصح .

للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ)

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة :٢٦]

٢٦ (ولَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ)

﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة :٢٧]

٢٧ (يَا لَيْتَهَا) الموتة في الدنيا (كَانَتِ القَاضِيَةَ) القاطعة لحياتي بأن لا أبعث

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾ [الحاقة :٢٨]

٢٨ (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ)

﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة :٢٩]

٢٩ (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) قوتي وحجتي وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفاً ووصلاً اتباعا لمصحف الإمام والنقل ومنهم من حذفها وصلا

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة :٣٠]

٣٠ (خُذُوهُ) خطاب لخزنة جهنم (فَغُلُّوهُ) اجمعوا يديه إلىٰ عنقه في الغل

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة :٣١]

٣١ (ثُمَّ الجَحِيمَ) النار المحرقة (صَلُّوهُ) أدخلوه

﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾

٣٢ (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) بذراع الملك (فَاسْلُكُوهُ) أدخلوه فيها بعد إدخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة :٣٣]

٣٣ (إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ)

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة :٣٤]

٣٤ (ولا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ)

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة :٣٥]

٣٥ (فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ) قريب ينتفع به

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة :٣٦]

٣٦ (ولا طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ) صديد أهل النار أو شجر فيها

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة :٣٧]

٣٧ (لا يَأْكُلُهُ إلاَّ الخَاطِئُونَ) الكافرون

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة :٣٨]

٣٨ (فَلا) زائدة (أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ) من المخلوقات

﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة :٣٩]

٣٩ (ومَا لا تُبْصِرُونَ) منها أي بكل مخلوق

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة :٤٠]

٤٠ (إِنَّهُ) أي القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أي قاله رسالة عن الله تعالى

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة :٤١]

٤١ (ومَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ)

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة :٤٢]

٤٢ (ولا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) بالتاء والياء في الفعلين و«ما» مزيدة مؤكدة والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة :٤٣]

٤٣ بل هو (تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ)

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة :٤٤]

٤٤ (ولَوْ تَقَوَّلَ) أي النبي (عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ) بأن قال عنا ما لم نقله

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة :٤٥]

٤٥ (لأَخَذْنَا) لنلنا (مِنْهُ) عقابا (بِالْيَمِينِ) بالقوة والقدرة

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة :٤٦]

٤٦ (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ) نياط القلب وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة :٤٧]

٤٧ (فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ) هو اسم «ما» و«من» زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد (عَنْهُ حَاجِزِينَ) مانعين خبر ما وجمع لأن أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي ﷺ أي: لا مانع لنا عنه من حيث العقاب

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة :٤٨]

٤٨ (وإنَّهُ) القرآن (لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة :٤٩]

٤٩ (وإنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم) أيها الناس (مُّكَذِّبِينَ) بالقرآن ومصدقين

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحاقة :٥٠]

٥٠ (وإنَّهُ) القرآن (لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ) إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة :٥١]

٥١ (وإنَّهُ) القرآن (لَحَقُّ اليَقِينِ) أي اليقين المتيقن حق اليقين.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة :٥٢]

٥٢ (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) الباء زائدة (رَبِّكَ العَظِيمِ) سبحانه.

* * *

٧٠ سورة المعارج

مكية وآياتها أربع وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج :١]

١ (سَأَلَ سَائِلٌ) دعا داع (بِعَذَابٍ واقِعٍ) [1].

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج :٢]

٢ (لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) هو النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق الآية [2].

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج :٣]

٣ (مِنَ اللَّهِ) متصل بواقع (ذِي المَعَارِجِ) مصاعد الملائكة وهي السموات

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج :٤]

٤ (تَعْرُجُ) بالتاء والياء (المَلائِكَةُ والرُّوحُ) جبريل (إِلَيْهِ) إلى مهبط أمره من السماء (فِي يَوْمٍ) متعلق بمحذوف يقع العذاب بهم في يوم القيامة (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج :٥]

٥ (فَاصْبِرْ) وهذا قبل أن يؤمر بالقتال (صَبْرًا جَمِيلاً) أي لا جزع فيه

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ [المعارج :٦]

٦ (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ) العذاب (بَعِيدًا) غير واقع

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج :٧]

٧ (ونَرَاهُ قَرِيبًا) واقعا لا محالة

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج :٨]

٨ (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ) متعلق بمحذوف تقديره يقع (كَالْمُهْلِ) كذائب الفضة

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج :٩]

٩ (وتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف بالخفة والطيران بالريح

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج :١٠]

١٠ (ولا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) قريب قريبه لاشتغال كل بحاله

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج :١١]

١١ (يُبَصَّرُونَهُمْ) أي يبصر الأحماء بعضهم بعضا ولا يتكلمون والجملة مستأنفة (يَوَدُّ المُجْرِمُ) يتمنى الكافر (لَوْ) بمعنى أن (يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ

٧٠- سورة المعارج

(١) **أسباب نزول الآية١** : أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «سأل سائل» قال: هو النضر بن الحارث قال: «اللهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي في قوله: «سأل سائل» قال: نزلت بمكة في النضر بن الحارث وقد قال: «اللهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك» الآية . وكان عذابه يوم بدر.

(٢) **أسباب نزول الآية٢** : وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال: نزلت «سأل سائل بعذاب واقع» فقال الناس: على من يقع العذاب؟ فأنزل الله: «للكافرين ليس له دافع».

يَوْمِئِذٍ) بكسر الميم وفتحها (بِبَنِيهِ)

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج :١٢]

١٢ (وَصَاحِبَتِهِ) زوجته (وَأَخِيهِ)

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ [المعارج :١٣]

١٣ (وَفَصِيلَتِهِ) عشيرته لفصله منها (الَّتِي تُؤْوِيهِ) تضمه

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج :١٤]

١٤ (وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ) ذلك الافتداء عطف على يفتدي

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج :١٥]

١٥ (كَلاَّ) ردا لما يوده (إِنَّهَا) أي النار (لَظَى) اسم لجهنم لأنها تتلظى أي تتلهب على الكفار

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج :١٦]

١٦ (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) جمع شواة وهي جلدة الرأس

﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج :١٧]

١٧ (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) عن الإيمان بأن تقول إلي إلي

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج :١٨]

١٨ (وَجَمَعَ) المال (فَأَوْعَى) أمسكه في وعائه ولم يؤد حق الله منه

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج :١٩]

١٩ (إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) حال مقدرة وتفسيره

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج :٢٠]

٢٠ (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) وقت مس الشر

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج :٢١]

٢١ (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) وقت مس الخير أي المال لحق الله منه

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج :٢٢]

٢٢ (إِلاَّ الْمُصَلِّينَ) أي المؤمنين

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج :٢٣]

٢٣ (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ) مواظبون

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج :٢٤]

٢٤ (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) هو الزكاة

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج :٢٥]

٢٥ (لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) المتعفف عن السؤال فيحرم

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المعارج :٢٦]

٢٦ (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) الجزاء

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج :٢٧]

٢٧ (وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) خائفون

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج :٢٨]

٢٨ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) نزوله

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المعارج :٢٩]

٢٩ (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ)

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج :٣٠]

٣٠ (إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) من الإماء (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾

٣١ (فَمَنِ ابْتَغَى وراءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون الحلال إلى الحرام

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج :٣٢]

٣٢ (وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ) وفي قراءة بالإفراد ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وَعَهْدِهِمْ) المأخوذ عليهم في ذلك (رَاعُونَ) حافظون

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج :٣٣]

٣٣ (وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ) وفي قراءة بالإفراد (قَائِمُونَ) يقيمونها ولا يكتمونها

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج :٣٤]

٣٤ (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) بأدائها في أوقاتها

﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج :٣٥]
٣٥ (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ)

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ [المعارج :٣٦]
٣٦ (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ) نحوك (مُهْطِعِينَ) حال أي مديمي النظر

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج :٣٧]
٣٧ (عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ) منك (عِزِينَ) حال أيضا أي جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾
٣٨ (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مُنْهُمْ أن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ)

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج :٣٩]
٣٩ (كَلاَّ) ردع لهم عن طمعهم في الجنة (إِنَّا خَلَقْنَاهُم) كغيرهم (مِّمَّا يَعْلَمُونَ) من نطف فلا يطمع بذلك في الجنة وإنما يطمع فيها بالتقوى

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾
٤٠ (فَلا) لا زائدة (أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ والْمَغَارِبِ) للشمس والقمر وسائر الكواكب (إِنَّا لَقَادِرُونَ)

﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾
٤١ (عَلَى أَن نُّبَدِّلَ) نأتي بدلهم (خَيْرًا مُّنْهُمْ ومَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين عن ذلك

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾
٤٢ (فَذَرْهُمْ) اتركهم (يَخُوضُوا) في باطلهم (ويَلْعَبُوا) في دنياهم (حَتَّى يُلاقُوا) يلقوا (يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) فيه العذاب

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾
٤٣ (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ) القبور (سِرَاعًا) إلى المحشر (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ) في الأصل، وفي قراءة «نَصْبٍ» شيء منصوب كعلم أو راية (يُوفِضُونَ) يسرعون

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج :٤٤]
٤٤ (خَاشِعَةً) ذليلة (أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم (ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ومعناه يوم القيامة.

* * *

٧١ سورة نوح
مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح :١]
١ (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ) أي بإنذار (قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ) إن لم يؤمنوا (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم في الدنيا والآخرة

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [نوح :٢]
٢ (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الإنذار

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح :٣]
٣ (أَنِ) أي بأن أقول لكم (اعْبُدُوا اللَّهَ واتَّقُوهُ وأَطِيعُونِ)

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح :٤]
٤ (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) من زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد (ويُؤَخِّرْكُمْ) بلا عذاب (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) أجل الموت (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) بعذابكم إن لم تؤمنوا (إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك لآمنتم

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح :٥]
٥ (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً ونَهَارًا) أي دائما متصلا

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح :٦]
٦ (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا) عن الإيمان

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾
٧ (وإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا

أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) لئلا يسمعوا كلامي (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) غطوا رءوسهم بها لئلا ينظروني (وَأَصَرُّوا) على كفرهم (وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا عن الإيمان (اسْتِكْبَارًا)

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [نوح :٨]
٨ (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) أي بأعلى صوتي

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح :٩]
٩ (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ) صوتي (وَأَسْرَرْتُ) الكلام (لَهُمْ إِسْرَارًا)

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح :١٠]
١٠ (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح :١١]
١١ (يُرْسِلِ السَّمَاءَ) المطر وكانوا قد منعوه (عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) كثير الدرور

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح :١٢]
١٢ (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ) بساتين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) جارية

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح :١٣]
١٣ (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) أي تأملون وقارا لله إياكم بأن تؤمنوا

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح :١٤]
١٤ (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) جمع طور وهو الحال فطورا نطفة وطورا علقة إلى تمام خلق الإنسان والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾
١٥ (أَلَمْ تَرَوْا) تنظروا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾
١٦ (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ) أي في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا (نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) مصباحا مضيئا وهو أقوى من نور القمر

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح :١٧]
١٧ (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ) خلقكم (مِنَ الْأَرْضِ) إذ خلق أباكم آدم منها (نَبَاتًا)

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح :١٨]
١٨ (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) مقبورين (وَيُخْرِجُكُمْ) للبعث (إِخْرَاجًا)

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح :١٩]
١٩ (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا) مبسوطة

﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح :٢٠]
٢٠ (لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا) طرقا (فِجَاجًا) واسعة

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح :٢١]
٢١ (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا) أي السفلة والفقراء (مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ) وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما والأول قيل جمع ولد بفتحهما كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل (إِلَّا خَسَارًا) طغيانا وكفرا

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح :٢٢]
٢٢ (وَمَكَرُوا) أي الرؤساء (مَكْرًا كُبَّارًا) عظيما جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه ومن اتبعه

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح :٢٣]
٢٣ (وَقَالُوا) للسفلة (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا) بفتح الواو وضمها (وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هي أسماء أصنامهم

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾
٢٤ (وَقَدْ أَضَلُّوا) بها (كَثِيرًا) من الناس بأن أمروهم بعبادتهم (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) عطفا على قد أضلوا دعا عليهم لما أوحي إليه أنه (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) .

﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح :٢٥]

٢٥ (مِّمَّا) ما صلة (خَطِيئَاتِهِمْ) بالهمز وفي قراءة خطاياهم (أُغْرِقُوا) بالطوفان (فَأُدْخِلُوا نَارًا) عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ) أي غير (اللَّهِ أَنصَارًا) يمنعون عنهم العذاب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾

٢٦ (وقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا) أي نازل دار والمعنى أحدا

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح :٢٧]

٢٧ (إِنَّكَ إن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ولا يَلِدُوا إلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا) من يفجر ويكفر قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾

٢٨ (رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوَالِدَيَّ) وكانا مؤمنين (ولِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ) منزلي أو مسجدي (مُؤْمِنًا ولِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ) إلى يوم القيامة (ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبَارًا) هلاكا فأهلكوا.

* * *

٧٢ سورة الجن

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾

١ (قُلْ) يا محمد للناس (أُوحِيَ إِلَيَّ) أي أخبرت بالوحي من الله تعالى (أَنَّهُ) الضمير للشأن (اسْتَمَعَ) لقراءتي (نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ) جن نصيبين وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية (فَقَالُوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) يتعجب منه من فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك [1].

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾

٢ (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) الإيمان والصواب (فَآمَنَّا بِهِ ولَن نُّشْرِكَ) بعد اليوم (بِرَبِّنَا أَحَدًا)

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

٣ (وأَنَّهُ) الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً) زوجة (ولا وَلَدًا)

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾

٤ (وأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾

٥ (وأَنَّا ظَنَنَّا أَن) مخففة أي أنه (لَّن تَقُولَ الإِنسُ والْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك.

* * *

٧٢- سورة الجن

(١) **أسباب نزول الآية١**: أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا هذا الذي حدث، فانطلقوا فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: «يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا» فأنزل الله على نبيه: «قل أوحي إلي» وإنما أوحي إليه قول الجن.

* وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال : كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة منقورة سقوفه وأبوابه تأويه الجن فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقه كتعجبي من طراوة جبته فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت وإن هذه الجبة عليَّ منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام فآمنت بهما فقلت له : ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيه «قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن قالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا».

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

٦ (وأَنَّـهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِّـنَ الإنـسِ يَـعُـوذُونَ) يستعيذون (بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ) حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فَزَادُوهُمْ) بعوذهم بهم (رَهَقًا) طغيانا فقالوا سدنا الجن والإنس (٢).

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾

٧ (وأَنَّهُمْ) أي الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ) يا إنس (أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بعد موته

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾

٨ قال الجن (وأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) رمنا استراق السمع (فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا) من الملائكة (شَدِيدًا وشُهُبًا) نجوما محرقة وذلك لما بعث النبي ﷺ

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾

٩ (وأَنَّا كُنَّا) أي قبل مبعثه (نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) أي نستمع (فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) أرصد له ليرمى به

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

١٠ (وأَنَّا لا نَـدْرِي أَشَـرٌّ أُرِيـدَ) بعد استراق السمع (بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾

١١ (وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) بعد استماع القرآن (ومِنَّا دُونَ ذَلِكَ) أي قوم غير صالحين (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾

١٢ (وأَنَّا ظَنَنَّا أَن) مخففة من الثقيلة أي أنه (لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ ولَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا) لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها في السماء.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾

١٣ (وأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى) القرآن (آمَنَّا بِهِ

---

(١) **أسباب نزول الآية٦**: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملًا من الغنم فوثب الراعي فقال عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه: يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة : «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن» الآية.

* وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بُعث رسول الله ﷺ وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم فلما بُعث النبي ﷺ خرجنا هرابًا فأتينا على فلاة من الأرض وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة فقلنا: ذاك فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله من أقرّ بها أمن على دمه وماله فرجعنا فدخلنا في الإسلام قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت فيّ وفي أصحابي «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا» الآية.

* وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجان حدثنا عبد الله ابن محمد البلوى حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير أن رجلًا من بني تميم يقال له رافع بن عمير حدّث عن بدء إسلامه قال : إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وقد تعوّذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلًا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعًا فنظرت يمينًا وشمالًا فلم أر شيئًا فقلت: هذا حلم ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي فقام الفتى فأخذ منها ثورًا وانصرف ثم التفت إلى الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت واديًا من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال: فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرآني رسول الله ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئًا ودعاني إلى الإسلام فأسلمت قال سعيد بن جبير: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا».

فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ) بتقدير هو بعد الفاء (بَخْسًا) نقصا من حسناته (ولا رَهَقًا) ظلما بالزيادة في سيئاته.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾

١٤ (وأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ ومِنَّا القَاسِطُونَ) الجائرون بكفرهم (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) قصدوا هداية.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

١٥ (وأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وقودا وأنا وأنهم وأنه في اثني عشر موضعا هي وأنه تعالى وأنا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافا وبفتحها بما يوجه به

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾

١٦ قال تعالى في كفار مكة (وأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وأنهم وهو معطوف على أنه استمع (لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) أي طريقة الإسلام (لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا) كثيرا من السماء وذلك بعدما رفع المطر عنهم سبع سنين[(١)].

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾

١٧ (لِنَفْتِنَهُمْ) لنختبرهم (فِيهِ) فنعلم كيف شكرهم علم ظهور (ومَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ) القرآن (يَسْلُكْهُ) بالياء والنون ندخله (عَذَابًا صَعَدًا) شاقا

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

١٨ (وأَنَّ المَسَاجِدَ) مواضع الصلاة (لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا) فيها (مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا[(٢)].

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾

١٩ (وأَنَّهُ) بالفتح والكسر استئنافا والضمير للشأن (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد النبي ﷺ (يَدْعُوهُ) يعبده ببطن نخل (كَادُوا) أي الجن المستمعون لقراءته (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾

٢٠ (قُلْ) مجيبا للكفار في قولهم «ارجع عما أنت فيه» وفي قراءة قال (إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) إلهًا (ولا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا)

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

٢١ (قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) غيا (ولا رَشَدًا) خيرا

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾

٢٢ (قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ) من عذابه إن عصيته (أَحَدٌ ولَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ) أي غيره (مُلْتَحَدًا) ملتجأ[(١)].

﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾

٢٣ (إِلاَّ بَلاغًا) استثناء من مفعول أملك أي لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم (مِّنَ اللَّهِ) أي عنه (ورِسَالاتِهِ) عطف على بلاغا وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة (ومَن يَعْصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ) في التوحيد فلم يؤمن (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) حال من ضمير من في له رعاية لمعناها وهي حال مقدرة والمعنى يدخلونها مقدار

---

(١) **أسباب نزول الآية١٦**: وأخرج عن مقاتل في قوله: «وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقًا» قال: نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين.

(٢) **أسباب نزول الآية١٨**: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا».

* وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك؟ أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: «وأن المساجد لله» الآية.

(١) **أسباب نزول الآية٢٢**: وأخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن جنيًا من الجن من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره فأنزل الله: «قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ...» الآية.

خلودهم (فِيهَا أَبَدًا)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾

٢٤ (حَتَّى إِذَا رَأَوْا) حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا (مَا يُوعَدُونَ) به من العذاب (فَسَيَعْلَمُونَ) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) أعوانا أهم أم المؤمنون على القول الأول أو أنا أم هم ؟ على الثاني فقال بعضهم متى هذا الوعد ؟ فنزل:

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾

٢٥ (قُلْ إِنْ) أي ما (أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ) من العذاب (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾

٢٦ (عَالِمُ الغَيْبِ) ما غاب عن العباد (فَلا يُظْهِرُ) يطلع (عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) من الناس

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾

٢٧ (إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ) مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له (يَسْلُكُ) يجعل ويسير (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) أي الرسول (وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾

٢٨ (لِيَعْلَمَ) الله علم ظهور (أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (قَدْ أَبْلَغُوا) أي الرسل (رِسَالاتِ رَبِّهِمْ) روعي بجمع الضمير معنى من (وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) عطف على مقدر أي فعلم ذلك (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) تمييز وهو محول من المفعول والأصل أحصى عدد كل شيء

* * *

٧٣ سورة المزمل

مكية إلا الآية ٢٠ إلى آخرها فمدنية وآياتها ٢٠ عشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل :١]

١ (يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ) النبي وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاي أي المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي خوفا منه لهيبته [١].

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل :٢]

٢ (قُمِ اللَّيْلَ) صل (إلاَّ قَلِيلاً) [٢].

﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل :٣]

٣ (نِّصْفَهُ) بدل من قليلا وقلته بالنظر إلى الكل (أَوِ انقُصْ مِنْهُ) من النصف (قَلِيلاً) إلى الثلث

﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل :٤]

٤ (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) إلى الثلثين وأو للتخيير (وَرَتِّلِ القُرْآنَ) تثبت في تلاوته (تَرْتِيلاً)

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل :٥]

٥ (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً) قرآنا (ثَقِيلاً) مهيبا أو شديدا لما فيه من التكاليف

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل :٦]

٦ (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) القيام بعد النوم (هِيَ أَشَدُّ وطْئًا) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وَأَقْوَمُ

٧٣- سورة المزمل

(١) **أسباب نزول الآية١** : أخرج البزار والطبراني بسند واهٍ عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سموا هذا الرجل اسمًا يصدر عنه الناس قالوا: كاهن قالوا: ليس بكاهن قالوا: مجنون قالوا: ليس بمجنون قالوا: ساحر قالوا: ليس بساحر فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فتدثر فيها فأتاه جبريل فقال: «يا أيها المزمل»، «يا أيها المدثر».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله: «يا أيها المزمل» قال: نزلت وهو في قطيفة.

(٢) **أسباب نزول الآية٢** : وأخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما نزلت: «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا» قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم فأنزلت: «فاقرءوا ما تيسر من القرآن».

* وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره.

قِيلاً﴾ أبين قولا

﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل :٧]

٧(إنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحًا طَوِيلاً) تصرفا لأشغالك تفرغ فيه لتلاوة القرآن

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل :٨]

٨(واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك (وتَبَتَّلْ) انقطع (إِلَيْهِ) في العبادة (تَبْتِيلاً) مصدر بتل جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾

٩ ـ هو (رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وكِيلاً) موكلا له أمورك

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾

١٠ (واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) أي كفار مكة من أذاهم (واهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً) لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم

﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾

١١ (وذَرْني) اتركني (والْمُكَذِّبِينَ) عطف على المفعول أو مفعول معه والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش (أُوْلِي النَّعْمَةِ) التنعم (ومَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) من الزمن فقتلوا بعد يسير منه ببدر

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل :١٢]

١٢ (إنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً) قيودا أثقالا جمع نكل بكسر النون (وجَحِيمًا) نارا محرقة

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل :١٣]

١٣ (وطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل (وعَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل :١٤]

١٤ (يَوْمَ تَرْجُفُ) تزلزل (الأَرْضُ والْجِبَالُ وكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيبًا) رملا مجتمعا (مَهِيلاً) سائلا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل :١٥]

١٥ (إنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولاً) هو محمد ﷺ(شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً) هو موسى عليه الصلاة والسلام

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾

١٦ (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وبِيلاً) شديدا

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾

١٧ (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إن كَفَرْتُمْ) في الدنيا (يَوْمًا) مفعول تتقون أي عذابه بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم (يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا) جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل في شين شيبا الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾

١٨ (السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ) ذات انفطار أي انشقاق (بِهِ) بذلك اليوم لشدته (كَانَ وعْدُهُ) تعالى بمجيء ذلك اليوم (مَفْعُولاً) أي هو كائن لا محالة

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل :١٩]

١٩ (إنَّ هَذِهِ) الآيات المخوفة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) طريقا بالإيمان والطاعة

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا

﴿حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٢٠ (إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى) أقل (مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ونِصْفَهُ وثُلُثَهُ) بالجر عطف على ثلثي وبالنصب عطف على أدنى وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة (وطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم قال تعالى (واللَّهُ يُقَدِّرُ) يحصي (اللَّيْلَ والنَّهَارَ عَلِمَ أَن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَّن تُحْصُوهُ) أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) رجع بكم إلى التخفيف (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر (عَلِمَ أَن) مخففة من الثقيلة أي أنه (سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ) يسافرون (يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) كما تقدم (وأَقِيمُوا الصَّلاةَ) المفروضة (وآتُوا الزَّكَاةَ وأَقْرِضُوا اللَّهَ) بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير (قَرْضًا حَسَنًا) عن طيب قلب (ومَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا) مما خلفتم وهو فصل وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف (وأَعْظَمَ أَجْرًا واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) للمؤمنين.

* * *

٧٤ سورة المدثر

مكية وآياتها ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر :١]

١ (يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ) النبي ﷺ وأصله المتدثر أدغمت التاء في الدال أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه [(١)(٢)].

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر :٢]

٢ (قُمْ فَأَنذِرْ) خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر :٣]

٣ (ورَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظم عن إشراك المشركين

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر :٤]

٤ (وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) عن النجاسة أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر :٥]

٥ (والرُّجْزَ) فسره النبي ﷺ بالأوثان (فَاهْجُرْ) أي دم على هجره

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر :٦]

٦ (ولا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) بالرفع حال أي لا تعط

٧٤- سورة المدثر

(١) **أسباب نزول الآيتين (١-٢)** : أخرج الشيخان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «جاورت بحراء شهرًا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فلم أر أحدًا فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت فقلت: دثروني فأنزل الله: «يا أيها المدثر قم فأنذر».

(٢) **أسباب نزول الآيات (من١ إلى٧)**: وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا فلما أكلوا، قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر وقال بعضهم: كاهن وقال بعضهم: ليس بكاهن وقال بعضهم: شاعر وقال بعضهم: ليس بشاعر وقال بعضهم: سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله: «يا أيها المدثر قم فأنذر» إلى قوله تعالى: «ولربك فاصبر».

شيئا فتطلب أكثر منه وهذا خاص به ﷺ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر :٧]

٧ (ولِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) على الأوامر والنواهي.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر :٨]

٨ (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) نفخ في الصور وهو القرن النفخة الثانية

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر :٩]

٩ (فَذَلِكَ) أي وقت النقر (يَوْمَئِذٍ) بدل مما قبله المبتدأ وبني لإضافته إلى غير متمكن وخبر المبتدأ (يَوْمٌ عَسِيرٌ) والعامل في إذا ما دلت عليه الجملة أي اشتد الأمر

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر :١٠]

١٠ (عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أي في عسره

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر :١١]

١١ (ذَرْنِي) اتركني (ومَنْ خَلَقْتُ) عطف على المفعول أو مفعول معه (وحِيدًا) حال من من أو من ضميره المحذوف من خلقت أي منفردا بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومي[1].

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر :١٢]

١٢ (وجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدودًا) واسعا متصلا من الزروع والضروع والتجارة

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر :١٣]

١٣ (وبَنِينَ) عشرة أو أكثر (شُهُودًا) يشهدون المحافل وتسمع شهاداتهم

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ [المدثر :١٤]

١٤ (ومَهَّدتُّ) بسطت (لَهُ) في العيش والعمر والولد (تَمْهِيدًا)

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر :١٥]

١٥ (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ)

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر :١٦]

١٦ (كَلاَّ) لا أزيده على ذلك (إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا) القرآن (عَنِيدًا) معاندا

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر :١٧]

١٧ (سَأُرْهِقُهُ) أكلفه (صَعُودًا) مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوي أبدا

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر :١٨]

١٨ (إِنَّهُ فَكَّرَ) فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ (وقَدَّرَ) في نفسه ذلك

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر :١٩]

١٩ (فَقُتِلَ) لعن وعذب (كَيْفَ قَدَّرَ) على أي حال كان تقديره

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر :٢٠]

٢٠ (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر :٢١]

٢١ (ثُمَّ نَظَرَ) في وجوه قومه أو فيما يقدح به فيه

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر :٢٢]

٢٢ (ثُمَّ عَبَسَ) قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول (وبَسَرَ) زاد في القبض والكلوح

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر :٢٣]

٢٣ (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الإيمان (واسْتَكْبَرَ) تكبر عن اتباع النبي ﷺ

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر :٢٤]

---

(١) أسباب نزول الآية ١١: وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقَّ له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا ليعطوكه فإنك أتيت محمدًا لتتعرض لما قبله قال: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالًا قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا ووالله إنَّ لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله وأنه ليعلو وما يُعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: «ذرني ومن خلقت وحيدًا» إسناده صحيح على شرط البخاري.

* وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى نحوه.

٢٤ (فَقَالَ) فيما جاء به (إِنْ) ما (هَـٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) ينقل عن السحرة

﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر :٢٥]

٢٥ (إِنْ) ما (هَـٰذَا إِلاَّ قَوْلُ البَشَرِ) كما قالوا إنما يعلمه بشر

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر :٢٦]

٢٦ (سَأُصْلِيهِ) أدخله (سَقَرَ) جهنم

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر :٢٧]

٢٧ (ومَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) تعظيم لشأنها

﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر :٢٨]

٢٨ (لا تُبْقِي ولا تَذَرُ) شيئا من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر :٢٩]

٢٩ (لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ) محرقة لظاهر الجلد

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر :٣٠]

٣٠ (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) ملكا خزنتها قال بعض الكفار وكان قويا شديد البأس أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين[(١)].

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر :٣١]

٣١ (ومَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً) أي فلا يطاقون كما يتوهمون (ومَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) ذلك (إِلاَّ فِتْنَةً) ضلالا (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر (لِيَسْتَيْقِنَ) ليستبين (الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) أي اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم (ويَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا) من أهل الكتاب (إِيمَانًا) تصديقا لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم (ولا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ والْمُؤْمِنُونَ) من غيرهم في عدد الملائكة (ولِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك بالمدينة (والْكَافِرُونَ) بمكة (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـٰذَا) العدد (مَثَلاً) سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا (كَذَٰلِكَ) أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ويَهْدِي مَن يَشَاءُ ومَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم (إِلاَّ هُوَ ومَا هِيَ) أي سقر (إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)[(١)].

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [المدثر :٣٢]

٣٢ (كَلاَّ) استفتاح بمعنى ألا (والْقَمَرِ)

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر :٣٣]

٣٣ (واللَّيْلِ إِذْ) بسكون الذال بعدها همزة (أَدْبَرَ) أي مضى وفي قراءة (إذا أدبر) بفتح الدال جاء بعد النهار.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [المدثر :٣٤]

٣٤ (والصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) ظهر

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [المدثر :٣٥]

٣٥ (إِنَّهَا) أي سقر (لإحْدَى الكُبَرِ) البلايا العظام

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر :٣٦]

٣٦ (نَذِيرًا) حال من إحدى وذكر لأنها بمعنى العذاب (لِّلْبَشَرِ)

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر :٣٧]

٣٧ (لِمَن شَاءَ مِنكُمْ) بدل من البشر (أَن يَتَقَدَّمَ) إلى الخير أو الجنة بالإيمان (أَوْ يَتَأَخَّرَ) إلى

---

(١) أسباب نزول الآية٣٠: وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء أن رهطًا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم فجاء فأخبر النبي ﷺ فنزل عليه ساعتئذ «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ».

(١) أسباب نزول الآية٣١: وأخرج عن ابن إسحاق قال: قال أبو جهل يومًا: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددًا أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله: «وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة» الآية. وأخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا فذكره.

* وأخرج عن السُّدي قال: لما نزلت «عليها تسعة عشر» قال رجل من قريش يدعي أبا الأشد: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر التسعة فأنزل الله: «وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة».

الشر أو النار بالكفر

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر :٣٨]

٣٨ (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) مرهونة مأخوذة بعملها في النار

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر :٣٩]

٣٩ (إلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) وهم المؤمنون فناجون منها كائنون

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المدثر :٤٠]

٤٠ (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) بينهم

﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر :٤١]

٤١ (عَنِ الْمُجْرِمِينَ) وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر :٤٢]

٤٢ (مَا سَلَكَكُمْ) أدخلكم (فِي سَقَرَ)

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر :٤٣]

٤٣ (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر :٤٤]

٤٤ (ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ)

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر :٤٥]

٤٥ (وكُنَّا نَخُوضُ) في الباطل (مَعَ الخَائِضِينَ)

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر :٤٦]

٤٦ (وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) البعث والجزاء

﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر :٤٧]

٤٧ (حَتَّى أَتَانَا اليَقِينُ) الموت

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر :٤٨]

٤٨ (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) من الملائكة والأنبياء والصالحين والمعنى لا شفاعة لهم

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر :٤٩]

٤٩ (فَمَا) مبتدأ (لَهُمْ) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه (عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ) حال من الضمير والمعنى أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر :٥٠]

٥٠ (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ) وحشية

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر :٥١]

٥١ (فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) أسد أي هربت منه أشد الهرب

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾

٥٢ (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً) أي من الله تعالى باتباع النبي كما (قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) [1].

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدثر :٥٣]

٥٣ (كَلاَّ) ردع عما أرادوه (بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ) أي عذابها

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر :٥٤]

٥٤ (كَلاَّ) استفتاح (إِنَّهُ) أي القرآن (تَذْكِرَةٌ) عظة

﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [المدثر :٥٥]

٥٥ (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ) قرأه فاتعظ به

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر :٥٦]

٥٦ (ومَا يَذْكُرُونَ) بالياء والتاء (إلاَّ أن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى) بأن يتقى (وأَهْلُ المَغْفِرَةِ) بأن يغفر لمن اتقاه.

* * *

٧٥ سورة القيامة

مكية وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة :١]

١ (لا) زائدة في الموضعين (أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ)

---

(١) أسباب نزول الآية٥٢: وأخرج ابن المنذر عن السُدي قال: قالوا: لئن كان محمد صادقًا فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار فنزلت: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة :٢]

٢ (ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دل عليه

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة :٣]

٣ (أَيَحْسَبُ الإنسَانُ) أي الكافر (أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ) للبعث والإحياء

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة :٤]

٤ (بَلَى) نجمعها (قَادِرِينَ) مع جمعها (عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ) وهو الأصابع أي نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة :٥]

٥ (بَلْ يُرِيدُ الإنسَانُ لِيَفْجُرَ) اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة أي أن يكذب (أَمَامَهُ) أي يوم القيامة

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة :٦]

٦ (يَسْأَلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ القِيَامَةِ) سؤال استهزاء وتكذيب

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة :٧]

٧ (فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ) بكسر الراء وفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذبه

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة :٨]

٨ (وخَسَفَ القَمَرُ) أظلم وذهب ضوؤه

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة :٩]

٩ (وجُمِعَ الشَّمْسُ والْقَمَرُ) فطلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما وذلك يوم القيامة

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة :١٠]

١٠ (يَقُولُ الإنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ) الفرار

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة :١١]

١١ (كَلاَّ) ردع عن طلب الفرار (لا وزَرَ) لا ملجأ يتحصن به

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة :١٢]

١٢ (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرُّ) مستقر الخلائق فيحاسبون ويجازون

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة :١٣]

١٣ (يُنَبَّأُ الإنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وأَخَّرَ) بأول عمله وآخره

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة :١٤]

١٤ (بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) شاهد تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة :١٥]

١٥ (ولَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) جمع معذرة على غير قياس أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه قال تعالى لنبيه

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة :١٦]

١٦ (لا تُحَرِّكْ بِهِ) بالقرآن قبل فراغ جبريل منه (لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) خوف أن ينفلت منك [1].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة :١٧]

١٧ (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) في صدرك (وقُرْآنَهُ) قراءتك إياه أي جريانه على لسانك

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة :١٨]

١٨ (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) عليك بقراءة جبريل (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) استمع قراءته فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة :١٩]

١٩ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) بالتفهيم لك والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة :٢٠]

٢٠ (كَلاَّ) استفتاح بمعنى ألا (بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ) الدنيا بالتاء والياء في الفعلين

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة :٢١]

٧٥- سورة القيامة

(١) **أسباب نزول الآية ١٦**: وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله: «لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» الآية.

٢١ (وتَذَرُونَ الآخِرَةَ) فلا تعملون لها

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢]

٢٢ (وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة (نَّاضِرَةٌ) حسنة مضيئة

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٣]

٢٣ (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٤]

٢٤ (ووُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوس

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٥]

٢٥ (تَظُنُّ) توقن (أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) داهية عظيمة تكسر فقار الظهر

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة :٢٦]

٢٦ (كَلاَّ) بمعنى ألا (إِذَا بَلَغَتِ) النفس (التَّرَاقِيَ) عظام الحلق

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة :٢٧]

٢٧ (وقِيلَ) قال من حوله (مَنْ رَاقٍ) يرقيه ليشفى

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة :٢٨]

٢٨ (وظَنَّ) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أَنَّهُ الفِرَاقُ) فراق الدنيا

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة :٢٩]

٢٩ (والْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أي إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة :٣٠]

٣٠ (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ) أي السوق وهذا يدل على العامل في إذا والمعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة :٣١]

٣١ (فَلا صَدَّقَ) الإنسان (ولا صَلَّى) أي لم يصدق ولم يصل

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة :٣٢]

٣٢ (ولكِن كَذَّبَ) بالقرآن (وتَوَلَّى) عن الإيمان

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ [القيامة :٣٣]

٣٣ (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يتبختر في مشيته إعجابا

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة :٣٤]

٣٤ (أَوْلَى لَكَ) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ما تكره (فَأَوْلَى) أي فهو أولى بك من غيرك [1] .

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة :٣٥]

٣٥ (ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) تأكيد.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة :٣٦]

٣٦ (أَيَحْسَبُ) يظن (الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) هملا لا يكلف بالشرائع أي لا يحسب ذلك

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة :٣٧]

٣٧ (أَلَمْ يَكُ) أي كان (نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى) بالياء والتاء تصب في الرحم

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة :٣٨]

٣٨ (ثُمَّ كَانَ) المني (عَلَقَةً فَخَلَقَ) الله منها الإنسان (فَسَوَّى) عدل أعضاءه

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [القيامة :٣٩]

٣٩ (فَجَعَلَ مِنْهُ) من المني الذي صار علقة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم (الزَّوْجَيْنِ) النوعين (الذَّكَرَ والأُنثَى) يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة

---

(١) **أسباب نزول الآيتين (٣٤-٣٥)**: وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت: «عليها تسعة عشر» قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحى الله إلى رسوله أن يأتي أبا جهل فيقول له: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى».

* وأخرج النسائي عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن قوله: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه أم أمره الله به؟ قال: بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة :٤٠]

٤٠ (أَلَيْسَ ذَلِكَ) الفعال لهذه الأشياء (بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِيَ المَوْتَى) قال ﷺ: بلى.

* * *

٧٦ سورة الإنسان

مكية أو مدنية وآياتها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان :١]

١ (هَلْ) قد (أَتَى عَلَى الإنسَانِ) آدم (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) أربعون سنة (لَمْ يَكُن) فيه (شَيْئًا مَّذْكُورًا) كان فيه مصورا من طين لا يذكر أو المراد بالإنسان الجنس وبالحين مدة الحمل

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان :٢]

٢ (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ) الجنس (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين (نَّبْتَلِيهِ) نختبره بالتكليف والجملة مستأنفة أو حال مقدرة أي مريدين ابتلاءه حين تأهله (فَجَعَلْنَاهُ) بسبب ذلك (سَمِيعًا بَصِيرًا)

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

٣ (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) بينا له طريق الهدى ببعث الرسل (إِمَّا شَاكِرًا) أي مؤمنا (وَإِمَّا كَفُورًا) حالان من المفعول أي بيناه له في حال شكره أو كفره المقدرة وإما لتفصيل الأحوال

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾

٤ (إِنَّا أَعْتَدْنَا) هيأنا (لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ) يسحبون بها في النار (وَأَغْلالاً) في أعناقهم تشد فيها السلاسل (وَسَعِيرًا) نارا مسعرة أي مهيجة يعذبون بها

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾

٥ (إِنَّ الأَبْرَارَ) جمع بر أو بار وهم المطيعون (يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ) هو إناء شرب الخمر وهي فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض (كَانَ مِزَاجُهَا) ما تمزج به (كَافُورًا)

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾

٦ (عَيْنًا) بدل من كافورا فيها رائحته (يَشْرَبُ بِهَا) منها (عِبَادُ اللَّهِ) أولياؤه (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يقودونها حيث شاءوا من منازلهم

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾

٧ (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) في طاعة الله (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) منتشرا

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

٨ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) أي الطعام وشهوتهم له (مِسْكِينًا) فقيرا (وَيَتِيمًا) لا أب له (وَأَسِيرًا) يعني المحبوس بحق [1].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾

٩ (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) لطلب ثوابه (لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً ولا شُكُورًا) شكرا فيه علة الإطعام وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به ؟ قولان.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان :١٠]

١٠ (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا) تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدته (قَمْطَرِيرًا) شديدا في ذلك

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾

١١ (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّاهُمْ) أعطاهم (نَضْرَةً) حسنا وإضاءة في وجوههم (وسُرُورًا)

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان :١٢]

١٢ (وجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم عن المعصية (جَنَّةً) ادخلوها (وحَرِيرًا) البسوه

٧٦- سورة الإنسان

(١) **أسباب نزول الآية ٨**: أخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله: «وأسيرًا» قال: لم يكن النبي ﷺ يأسر أهل الإسلام ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك كانوا يأسرونهم في العذاب ، فنزلت فيهم فكان النبي ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾

١٣ (مُتَّكِئِينَ) حال من مرفوع ادخلوها المقدر (فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) السرر في الحجال (لا يَرَوْنَ) لا يجدون حال ثانية (فِيهَا شَمْسًا ولا زَمْهَرِيرًا) لا حرا ولا بردا وقيل الزمهرير القمر فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾

١٤ (ودَانِيَةً) قريبة عطف على محل لا يرون أي غير رائين (عَلَيْهِمْ) منهم (ظِلالُهَا) شجرها (وذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً) أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾

١٥ (ويُطَافُ عَلَيْهِم) فيها (بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وأَكْوَابٍ) أقداح بلا عرى (كَانَتْ قَوَارِيرَ)

﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان :١٦]

١٦ (قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ) أي إنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج (قَدَّرُوهَا) أي الطائفون (تَقْدِيرًا) على قدر ري الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألذ الشراب

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾

١٧ (ويُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا) أي خمرا (كَانَ مِزَاجُهَا) ما تمزج به (زَنْجَبِيلاً)

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان :١٨]

١٨ (عَيْنًا) بدل من زنجبيلا (فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً) يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾

١٩ (ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ ولْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) بصفة الولدان لا يشيبون (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) لحسنهم وانتشارهم في الخدمة (لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا) من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان :٢٠]

٢٠ (وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ) أي وجدت الرؤية منك في الجنة (رَأَيْتَ) جواب إذا (نَعِيمًا) لا يوصف (ومُلْكًا كَبِيرًا) واسعا لا غاية له [(١)].

﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان :٢١]

٢١ (عَالِيَهُمْ) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر لمبتدأ بعده وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبر والضمير المتصل به للمعطوف عليهم (ثِيَابُ سُندُسٍ) حرير (خُضْرٌ) بالرفع (وإِسْتَبْرَقٌ) بالجر ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما وفي أخرى برفعهما وفي أخرى بجرهما (وحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ) وفي موضع من «ذهب» للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا (وسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) مبالغا في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا

﴿إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾

٢٢ (إِنَّ هَـٰذَا) النعيم (كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان :٢٣]

٢٣ (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد لاسم إن أو فصل (نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنزِيلاً) خبر إن أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾

٢٤ (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) عليك بتبليغ رسالته (ولا تُطِعْ مِنْهُمْ) أي الكفار (آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أي عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة قالا للنبي ﷺ ارجع عن هذا الأمر ويجوز أن يراد كل آثم وكافر ولا تطع أحدهما أيا كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر [(٢)].

---

(١) **أسباب نزول الآية ٢٠**: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد وقد أثر في جنبه فبكى عمر فقال له: «ما يبكيك؟» قال: ذكرت كسرى وملكه، وهرمز وملكه، وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول الله ﷺ على حصير من جريد فقال رسول الله ﷺ «أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» فأنزل الله: «وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا».

(٢) **أسباب نزول الآية ٢٤**: وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن عنقه فأنزل الله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا» .

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان :٢٥]
٢٥ (واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) في الصلاة (بُكْرَةً وأَصِيلاً) يعني الفجر والظهر والعصر

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾
٢٦ (ومِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) يعني المغرب والعشاء (وسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان :٢٧]
٢٧ (إنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ) الدنيا (ويَذَرُونَ وراءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً) شديدا أي يوم القيامة لا يعملون له

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان :٢٨]
٢٨ (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وشَدَدْنَا) قوينا (أَسْرَهُمْ) أعضاءهم ومفاصلهم (وإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا) جعلنا (أَمْثَالَهُمْ) في الخلقة بدلا منهم بأن نهلكهم (تَبْدِيلاً) تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو (إن يشأ يذهبكم) لأنه تعالى لم يشأ ذلك وإذا لما يقع

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾
٢٩ (إنَّ هَذِهِ) السورة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) طريقا بالطاعة

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان :٣٠]
٣٠ (ومَا تَشَاءُونَ) بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة (إلاَّ أن يَشَاءَ اللَّهُ) ذلك (إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) في فعله

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
٣١ (يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) جنته وهم المؤمنون (والظَّالِمِينَ) ناصبه فعل مقدر أي أوعد يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما وهم الكافرون.

* * *

٧٧ سورة المرسلات

مكية وآياتها خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات :١]
١ (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا) أي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا ونصبه على الحال

﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات :٢]
٢ (فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) الرياح الشديدة

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات :٣]
٣ (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) الرياح تنشر المطر

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ [المرسلات :٤]
٤ (فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا) أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات :٥]
٥ (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) أي الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل يلقون الوحي إلى الأمم

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات :٦]
٦ (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) أي للإعذار والإنذار من الله تعالى وفي قراءة بضم ذال نذرا وقرئ بضم ذال عذرا

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات :٧]
٧ (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) أي يا كفار مكة من البعث والعذاب (لَوَاقِعٌ) كائن لا محالة

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات :٨]
٨ (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) محي نورها

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات :٩]
٩ (وإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) شقت

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات :١٠]
١٠ (وإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ) فتتت وسيرت

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات :١١]
١١ (وإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) بالواو وبالهمزة بدلا

منها أي جمعت لوقت

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [المرسلات :١٢]

١٢ (لأَيِّ يَوْمٍ) ليوم عظيم (أُجِّلَتْ) للشهادة على أممهم بالتبليغ

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات :١٣]

١٣ (لِيَوْمِ الفَصْلِ) بين الخلق ويؤخذ منه جواب إذا أي وقع الفصل بين الخلائق

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات :١٤]

١٤ (ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ) تهويل لشأنه

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :١٥]

١٥ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) هذا وعيد لهم

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات :١٦]

١٦ (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ) بتكذيبهم أي أهلكناهم

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ [المرسلات :١٧]

١٧ (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ) ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات :١٨]

١٨ (كَذَلِكَ) مثل ما فعلنا بالمكذبين (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :١٩]

١٩ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) تأكيد

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات :٢٠]

٢٠ (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ) ضعيف وهو المني

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات :٢١]

٢١ (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) حريز وهو الرحم

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [المرسلات :٢٢]

٢٢ (إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ) وهو وقت الولادة

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات :٢٣]

٢٣ (فَقَدَرْنَا) على ذلك (فَنِعْمَ القَادِرُونَ) نحن

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٢٤]

٢٤ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات :٢٥]

٢٥ (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا) مصدر كفت بمعنى ضم أي ضامة

﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات :٢٦]

٢٦ (أَحْيَاءً) على ظهرها (وأَمْوَاتًا) في بطنها

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات :٢٧]

٢٧ (وجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ) جبالا مرتفعات (وأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا) عذبا

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٢٨]

٢٨ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) ويقال للمكذبين يوم القيامة

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات :٢٩]

٢٩ (انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ) من العذاب (تُكَذِّبُونَ)

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات :٣٠]

٣٠ (انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ) هو دخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته

﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات :٣١]

٣١ (لا ظَلِيلٍ) كنين يظلهم من حر ذلك اليوم (ولا يُغْنِي) يرد عنهم شيئا (مِنَ اللَّهَبِ) النار

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات :٣٢]

٣٢ (إنَّهَا) أي النار (تَرْمِي بِشَرَرٍ) هو ما تطاير منها (كَالْقَصْرِ) من البناء في عظمه وارتفاعه

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات :٣٣]

٣٣ (كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ) جمع جمالة جمع جمل وفي قراءة جمالة (صُفْرٌ) في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار النار أسود كالقير والعرب تسمي سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر في الآية بمعنى سود لما ذكر وقيل لا والشرر جمع شرارة والقير القار

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٣٤]

٣٤ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات :٣٥]

٣٥ (هَـٰذَا) أي يوم القيامة (يَوْمُ لا يَنطِقُونَ) فيه بشيء

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات :٣٦]

٣٦ (ولا يُؤْذَنُ لَـهُـمْ) في العذر (فَيَعْتَذِرُونَ) عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٣٧]

٣٧ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات :٣٨]

٣٨ (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ جَمَعْنَاكُم) أيها المكذبون من هذه الأمة (والأَوَّلِينَ) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات :٣٩]

٣٩ (فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة في دفع العذاب عنكم (فَكِيدُونِ) فافعلوها

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٤٠]

٤٠ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات :٤١]

٤١ (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ) أي تكاثف أشجار إذ لا شمس يظل من حرها (وعُيُونٍ) نابعة من الماء

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات :٤٢]

٤٢ (وفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب ويقال لهم

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٤٣ (كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أي مهنئين (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من الطاعة

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات :٤٤]

٤٤ (إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جزينا المتقين (نَجْزِي المُحْسِنِينَ)

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٤٥]

٤٥ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات :٤٦]

٤٦ (كُلُوا وتَمَتَّعُوا) خطاب للكفار في الدنيا (قَلِيلاً) من الزمان وغايته إلى الموت وفي هذا تهديد لهم (إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ)

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٤٧]

٤٧ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات :٤٨]

٤٨ (وإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا) صلوا (لا يَرْكَعُونَ) لا يصلون[1].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات :٤٩]

٤٩ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات :٥٠]

٥٠ (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أي القرآن (يُؤْمِنُونَ) أي لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

٧٨ سورة النبأ

مكية وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ :١]

١ (عَمَّ) عن أي شيء (يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعض قريش بعضا[2].

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ :٢]

٢ (عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ) بيان لذلك الشيء والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبيﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره.

٧٧- سورة المرسلات

(١) **أسباب نزول الآية٤٨** : أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله: «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» قال: نزلت في ثقيف.

٧٨- سورة النبأ

(٢) **أسباب نزول الآيتين(١-٢)** : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما بُعث النبيﷺ جعلوا يتساءلون

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ :٣]

٣ (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ :٤]

٤ (كَلاَّ) ردع (سَيَعْلَمُونَ) ما يحل بهم على إنكارهم له

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ :٥]

٥ (ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ) تأكيد وجيء فيه بـ «ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ :٦]

٦ (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا) فراشا كالمهد

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ :٧]

٧ (والْجِبَالَ أَوْتَادًا) تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ :٨]

٨ (وخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ :٩]

٩ (وجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) راحة لأبدانكم

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ :١٠]

١٠ (وجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساترا بسواده

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ :١١]

١١ (وجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقتا للمعايش

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ :١٢]

١٢ (وبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا) جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ :١٣]

١٣ (وجَعَلْنَا سِرَاجًا) منيرا (وهَّاجًا) وقادا يعني الشمس

بينهم فنزلت: «عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ».

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ :١٤]

١٤ (وأَنزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ) السحابات التي حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض (مَاءً ثَجَّاجًا) سبابا

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ [النبأ :١٥]

١٥ (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًا) كالحنطة (ونَبَاتًا) كالتين

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ :١٦]

١٦ (وجَنَّاتٍ) بساتين (أَلْفَافًا) ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النبأ :١٧]

١٧ (إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ) بين الخلائق (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا للثواب والعقاب

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ :١٨]

١٨ (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل (فَتَأْتُونَ) من قبوركم إلى الموقف (أَفْوَاجًا) جماعات مختلفة

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ :١٩]

١٩ (وفُتِحَتِ السَّمَاءُ) بالتشديد والتخفيف شققت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) ذات أبواب

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ :٢٠]

٢٠ (وسُيِّرَتِ الجِبَالُ) ذهب بها عن أماكنها (فَكَانَتْ سَرَابًا) هباء أي مثله في خفة سيرها

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ :٢١]

٢١ (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) راصدة أو مرصدة

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ :٢٢]

٢٢ (لِلطَّاغِينَ) الكافرين فلا يتجاوزونها (مَآبًا) مرجعا لهم فيدخلونها

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ :٢٣]

٢٣ (لابِثِينَ) حال مقدرة أي مقدرا لبثهم (فِيهَا أَحْقَابًا) دهورا لا نهاية لها جمع حقب بضم أوله

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ :٢٤]

٢٤ (لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا) نوما فإنهم لا

يذوقونه (ولا شَرَابًا) ما يشرب تلذذا

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ :٢٥]

٢٥ (إلا) لكن (حَمِيمًا) ماء حارا غاية الحرارة (وغَسَّاقًا) بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار فإنهم يذوقونه جوزوا بذلك

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ :٢٦]

٢٦ (جَزَاءً وِفَاقًا) موافقا لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ :٢٧]

٢٧ (إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ) يخافون (حِسَابًا) لإنكارهم البعث

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ :٢٨]

٢٨ (وكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (كِذَّابًا) تكذيبا

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ :٢٩]

٢٩ (وكُلَّ شَيْءٍ) من الأعمال (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه (كِتَابًا) كتبا في اللوح المحفوظ لنجازي عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن

﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ :٣٠]

٣٠ (فَذُوقُوا) أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فَلَن نَّزِيدَكُمْ إلاَّ عَذَابًا) فوق عذابكم

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ :٣١]

٣١ (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) مكان فوز في الجنة

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبأ :٣٢]

٣٢ (حَدَائِقَ) بساتين بدل من «مفازا» أو بيان له (وأَعْنَابًا) عطف على «مفازا»

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ :٣٣]

٣٣ (وكَوَاعِبَ) جوار تكعبت ثديهن جمع كاعب (أَتْرَابًا) على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ :٣٤]

٣٤ (وكَأْسًا دِهَاقًا) خمرا مالئة محالها وفي سورة القتال و(أنهار من خمر)

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [النبأ :٣٥]

٣٥ (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أي الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال (لَغْوًا) باطلا من القول (ولا كِذَّابًا) بالتخفيف أي كذبا وبالتشديد أي تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ :٣٦]

٣٦ (جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ) أي جزاهم الله بذلك جزاء (عَطَاءً) بدل من جزاء (حِسَابًا) أي كثيرا من قولهم أعطاني فأحسبني أي أكثر علي حتى قلت حسبي

﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾

٣٧ (رَبِّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) بالجر والرفع (ومَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ) كذلك وبرفعه مع جر رب (لا يَمْلِكُونَ) أي الخلق (مِنْهُ) تعالى (خِطَابًا) أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ :٣٨]

٣٨ (يَوْمَ) ظرف «لايملكون» (يَقُومُ الرُّوحُ) جبريل أو جند الله (والْمَلائِكَةُ صَفًّا) حال أي مصطفين (لاَّ يَتَكَلَّمُونَ) أي الخلق (إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) في الكلام (وقَالَ) قولا (صَوَابًا) من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى

﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾

٣٩ (ذَلِكَ الْيَوْمُ الحَقُّ) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا) مرجعا أي رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ :٤٠]

٤٠ (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ) يا كفار مكة (عَذَابًا قَرِيبًا) عذاب يوم القيامة الآتي وكل آت قريب (يَوْمَ) ظرف لـ «عذابا» بصفته (يَنظُرُ المَرْءُ) كل امرئ (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من خير وشر (ويَقُولُ الكَافِرُ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) يعني فلا أعذب يقول ذلك

عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض كوني ترابا.

* * *

٧٩ سورة النازعات

مكية وآياتها ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات :١]

١ (وَالنَّازِعَاتِ) الملائكة تنزع أرواح الكفار (غَرْقًا) نزعا بشدة

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات :٢]

٢ (والنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تسلها برفق

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات :٣]

٣ (والسَّابِحَاتِ سَبْحًا) الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات :٤]

٤ (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات :٥]

٥ (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره وجواب هذه الأقسام محذوف أي لتبعثن يا كفار مكة وهو عامل في

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات :٦]

٦ (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى بها يرجف كل شيء أي يتزلزل فوصف بما يحدث بها

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات :٧]

٧ (تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات :٨]

٨ (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ) خائفة قلقة

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات :٩]

٩ (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) ذليلة لهول ما ترى

﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات :١٠]

١٠ (يَقُولُونَ) أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكارا للبعث (أَئِنَّا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ) أي أنرد بعد الموت إلى الحياة ؟ والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان حافرته والحافرة إذا رجع من حيث جاء

﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ [النازعات :١١]

١١ (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً) وفي قراءة ناخرة بالية متفتتة نحيا ؟

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات :١٢]

١٢ (قَالُوا تِلْكَ) أي رجعتنا إلى الحياة (إِذًا) إن صحت (كَرَّةٌ) رجعة (خَاسِرَةٌ) ذات خسران [1]

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات :١٣]

١٣ (فَإِنَّمَا هِيَ) أي الرادفة التي يعقبها البعث (زَجْرَةٌ) نفخة (واحِدَةٌ) فاذا نفخت

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات :١٤]

١٤ (فَإِذَا هُم) أي كل الخلائق (بِالسَّاهِرَةِ) بوجه الأرض أحياء بعد ما كانوا ببطنها أمواتا

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [النازعات :١٥]

١٥ (هَلْ أَتَاكَ) يا محمد (حَدِيثُ مُوسَى) عامل في :

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات :١٦]

١٦ (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) اسم الوادي بالتنوين وتركه فقال

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [النازعات :١٧]

١٧ (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) تجاوز الحد في الكفر

٧٩- سورة النازعات

(١) **أسباب نزول الآية١٢** : أخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال: لما نزل قوله: «أئنا لمردودون في الحافرة» قال كفار قريش: لئن حيينا بعد الموت لنخسرن فنزل: «قالوا تلك إذًا كرة خاسرة».

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات :١٨]

١٨ (فَقُلْ هَل لَّكَ) أدعوك (إِلَى أَن تَزَكَّى) وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات :١٩]

١٩ (وأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ) أدلك على معرفته ببرهان (فَتَخْشَى) فتخافه

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات :٢٠]

٢٠ (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) من آياته التسع وهي اليد أو العصا

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات :٢١]

٢١ (فَكَذَّبَ) فرعون موسى (وعَصَى) الله تعالى

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ [النازعات :٢٢]

٢٢ (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الإيمان (يَسْعَى) في الأرض بالفساد

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات :٢٣]

٢٣ (فَحَشَرَ) جمع السحرة وجنده (فَنَادَى)

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات :٢٤]

٢٤ (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) لا رب فوقي

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات :٢٥]

٢٥ (فَأَخَذَهُ اللَّهُ) أهلكه بالغرق (نَكَالَ) عقوبة (الآخِرَةِ) أي هذه الكلمة (والأُولَى) أي قوله قبلها: «ما علمت لكم من إله غيري»، وكان بينهما أربعون سنة

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات :٢٦]

٢٦ (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى) الله تعالى

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات :٢٧]

٢٧ (أَأَنتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي منكرو البعث (أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ) أشد خلقا ؟ (بَنَاهَا) بيان لكيفية خلقها

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات :٢٨]

٢٨ (رَفَعَ سَمْكَهَا) تفسير لكيفية البناء أي جعل سمكها في جهة العلو رفيعا وقيل سمكها سقفها (فَسَوَّاهَا) جعلها مستوية بلا عيب

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات :٢٩]

٢٩ (وأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها والشمس لأنها سراجها

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات :٣٠]

٣٠ (والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات :٣١]

٣١ (أَخْرَجَ) حال بإضمار قد أي مخرجا (مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير عيونها (ومَرْعَاهَا) ما ترعاه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات :٣٢]

٣٢ (والْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أثبتها على وجه الأرض لتسكن

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات :٣٣]

٣٣ (مَتَاعًا) مفعول له لمقدر أي فعل ذلك متعة أو مصدر أي تمتيعا (لَّكُمْ ولأَنْعَامِكُمْ) جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات :٣٤]

٣٤ (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى) النفخة الثانية

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات :٣٥]

٣٥ (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ) بدل من إذا (مَا سَعَى) في الدنيا من خير وشر

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات :٣٦]

٣٦ (وبُرِّزَتِ) أظهرت (الجَحِيمُ) النار المحرقة (لِمَن يَرَى) لكل راء وجواب إذا:

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ [النازعات :٣٧]

٣٧ (فَأَمَّا مَن طَغَى) كفر

﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النازعات :٣٨]

٣٨ (وآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا) باتباع الشهوات

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات :٣٩]

٣٩ (فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى) مأواه

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾

٤٠ (وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه (ونَهَى النَّفْسَ) الأمارة (عَنِ الهَوَى) المردي باتباع الشهوات

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات :٤١]

٤١ (فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى) وحاصل الجواب: فالعاصي في النار والمطيع في الجنة

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ [النازعات :٤٢]

٤٢ (يَسْأَلُونَكَ) كفار مكة (عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) متى وقوعها وقيامها ؟ [1] .

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾ [النازعات :٤٣]

٤٣ (فِيمَ) في أي شيء (أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا) ليس عندك علمها حتى تذكرها

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النازعات :٤٤]

٤٤ (إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا) منتهى علمها لا يعلمه غيره

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات :٤٥]

٤٥ (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ) إنما ينفع إنذارك (مَن يَخْشَاهَا) يخافها

(١) أسباب نزول الآية٤٢ : أخرج الحاكم وابن جرير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل عليه: «يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها» فانتهى.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن مشركي أهل مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم فأنزل الله: «يسألونك عن الساعة أيان مرساها» إلى آخر السورة.

* وأخرج الطبراني وابن جرير عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت: «فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها».

* وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن عروة.

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾

٤٦ (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا) في قبورهم (إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) عشية يوم أو بكرته وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما طرفا النهار وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

* * *

٨٠ سورة عبس

آياتها ٤٢ اثنان وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس :١]

١ (عَبَسَ) النبي كلح وجهه (وتَوَلَّى) أعرض لأجل [1] .

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس :٢]

٢ (أَن جَاءَهُ الأَعْمَى) عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذين هو حريص على إسلامهم ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه علمني مما علمك الله فانصرف النبي ﷺ إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه».

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس :٣]

٣ (ومَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك

٨٠- سورة عبس

(١) أسباب نزول الآيتين(١-٢) : أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: أنزل« عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له: أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا. فنزلت: «عبس وتولى أن جاءه الأعمى».

* وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس :٤]

٤ (أَوْ يَذَّكَّرُ) فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ (فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى) العظة المسموعة منك وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ [عبس :٥]

٥ (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى) بالمال

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس :٦]

٦ (فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى) وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تقبل وتتعرض

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس :٧]

٧ (ومَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى) يؤمن

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ [عبس :٨]

٨ (وأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى) حال من فاعل جاء

﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾ [عبس :٩]

٩ (وهُوَ يَخْشَى) الله حال من فاعل «يسعى» وهو الأعمى

﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس :١٠]

١٠ (فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى) فيه حذف التاء الأخرى في الأصل أي تتشاغل

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ [عبس :١١]

١١ (كَلاَّ) لا تفعل مثل ذلك (إِنَّهَا) السورة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس :١٢]

١٢ (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ) حفظ ذلك فاتعظ به

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ [عبس :١٣]

١٣ (فِي صُحُفٍ) خبر ثان لإنها وما قبله اعتراض (مُكَرَّمَةٍ) عند الله

﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾ [عبس :١٤]

١٤ (مَرْفُوعَةٍ) في السماء (مُطَهَّرَةٍ) منزهة من مس الشياطين

﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ [عبس :١٥]

١٥ (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ

﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس :١٦]

١٦ (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) مطيعين لله تعالى وهم الملائكة

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس :١٧]

١٧ (قُتِلَ الإِنسَانُ) لعن الكافر (مَا أَكْفَرَهُ) استفهام توبيخ أي ما حمله على الكفر [١].

﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس :١٨]

١٨ (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) استفهام تقرير ثم بينه فقال

﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس :١٩]

١٩ (مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس :٢٠]

٢٠ (ثُمَّ السَّبِيلَ) أي طريق خروجه من بطن أمه (يَسَّرَهُ)

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس :٢١]

٢١ (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) جعله في قبر يستره

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس :٢٢]

٢٢ (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ) للبعث

﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس :٢٣]

٢٣ (كَلاَّ) حقا (لَمَّا يَقْضِ) لم يفعل (مَا أَمَرَهُ) به ربه

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس :٢٤]

٢٤ (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ) نظر اعتبار (إِلَى طَعَامِهِ) كيف قدر ودبر له

﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾ [عبس :٢٥]

٢٥ (أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ) من السحاب (صَبًّا)

﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس :٢٦]

(١) أسباب نزول الآية١٧ : وأخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: «قُتل الإنسان ما أكفره» قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس :٢٦]
٢٦ (ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ) بالنبات (شَقًّا)

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [عبس :٢٧]
٢٧ (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) كالحنطة والشعير

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [عبس :٢٨]
٢٨ (وعِنَبًا وقَضْبًا) هو القت الرطب

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس :٢٩]
٢٩ (وزَيْتُونًا ونَخْلاً)

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس :٣٠]
٣٠ (وحَدَائِقَ غُلْبًا) بساتين كثيرة الأشجار

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس :٣١]
٣١ (وفَاكِهَةً وأَبًّا) ما ترعاه البهائم وقيل التبن

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس :٣٢]
٣٢ (مَتَاعًا) متعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها (لَكُمْ ولأَنْعَامِكُمْ) تقدم فيها أيضا

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس :٣٣]
٣٣ (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) النفخة الثانية

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس :٣٤]
٣٤ (يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ)

﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس :٣٥]
٣٥ (وأُمِّهِ وأَبِيهِ)

﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس :٣٦]
٣٦ (وصَاحِبَتِهِ) زوجته (وبَنِيهِ) يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس :٣٧]
٣٧ (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) حال يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل واحد بنفسه

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ [عبس :٣٨]
٣٨ (وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) مضيئة

﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس :٣٩]
٣٩ (ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) فرحة وهم المؤمنون

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس :٤٠]
٤٠ (ووُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) غبار

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس :٤١]
٤١ (تَرْهَقُهَا) تغشاها (قَتَرَةٌ) ظلمة وسواد

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس :٤٢]
٤٢ (أُولَئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ) الجامعون بين الكفر والفجور.

* * *

٨١ سورة التكوير

مكية وآياتها ٢٩ تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير :١]
١ (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) لففت وذهب بنورها

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير :٢]
٢ (وإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ) انقضت وتساقطت على الأرض

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير :٣]
٣ (وإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ) ذهب بها عن وجه الأرض فصارت «هباء منبثا»

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير :٤]
٤ (وإِذَا العِشَارُ) النوق الحوامل (عُطِّلَتْ) تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر ولم يكن مال أعجب إليهم منها

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير :٥]
٥ (وإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ) جمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير :٦]
٦ (وإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ) بالتخفيف والتشديد أوقدت فصارت نارا

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير :٧]
٧ (وإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قرنت بأجسادها

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير :٨]

٨ (وإذَا الـمَوْءُودَةُ) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سُئِلَتْ) تبكيتا لقاتلها

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير :٩]

٩ (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) وقرئت بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير :١٠]

١٠ (وإذَا الصُّحُفُ) صحف الأعمال (نُشِرَتْ) بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير :١١]

١١ (وإذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد من الشاة

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير :١٢]

١٢ (وإذَا الجَحِيمُ) النار (سُعِّرَتْ) بالتخفيف والتشديد أججت

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير :١٣]

١٣ (وإذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) قربت لأهلها ليدخلوها وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير :١٤]

١٤ - أي (عَلِمَتْ نَفْسٌ) كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَّا أَحْضَرَتْ) من خير وشر

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير :١٥]

١٥ (فَلا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُنَّسِ)

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير :١٦]

١٦ (الجَوَارِ الكُنَّسِ) هي النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنُس بضم النونَ أي ترجع في مجراها وراءها بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله وتكنِس بكسر النون تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير :١٧]

١٧ (واللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) أقبل بظلامه أو أدبر

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير :١٨]

١٨ (والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد حتى يصير نهارا بينا

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير :١٩]

١٩ (إِنَّهُ) أي القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) على الله تعالى وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير :٢٠]

٢٠ (ذِي قُوَّةٍ) شديد القوى (عِندَ ذِي العَرْشِ) الله تعالى (مَكِينٍ) ذي مكانة متعلق به عند

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير :٢١]

٢١ (مُطَاعٍ ثَمَّ) تطيعه الملائكة في السموات والأرض (أَمِينٍ) على الوحي

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير :٢٢]

٢٢ (ومَا صَاحِبُكُم) محمد ﷺ عطف على إنه إلى آخر المقسم عليه (بِمَجْنُونٍ) كما زعمتم

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير :٢٣]

٢٣ (ولَقَدْ رَآهُ) رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها (بِالأُفُقِ المُبِينِ) وهو الأعلى بناحية المشرق

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير :٢٤]

٢٤ (ومَا هُوَ) محمد ﷺ (عَلَى الغَيْبِ) ما غاب من الوحي وخبر السماء (بِضَنِينٍ) أي بمتهم وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينتقص شيئا منه

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير :٢٥]

٢٥ (ومَا هُوَ) أي القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ) مسترق السمع (رَّجِيمٍ) مرجوم

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير :٢٦]

٢٦ (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه ؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير :٢٧]

٢٧ (إِنْ) ما (هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ) عظة (لِّلْعَالَمِينَ) الإنس والجن

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير :٢٨]

٢٨ (لِمَن شَاءَ مِنكُمْ) من العالمين باعادة الجار (أَن يَسْتَقِيمَ) باتباع الحق

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٢٩ (ومَا تَشَاءُونَ) الاستقامة على الحق (إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ) الخلائق استقامتكم عليه[١] .

* * *

٨٢ سورة الانفطار

مكية وآياتها ١٩ تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار :١]

١ (إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ) انشقت

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار :٢]

٢ (وإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ) انقطعت وتساقطت

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار :٣]

٣ (وإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار :٤]

٤ (وإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ) قلب ترابها وبعث موتاها وجواب إذا وما عطف عليها

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار :٥]

٥ (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَّا قَدَّمَتْ) من الأعمال (و) ما (أَخَّرَتْ) منها فلم تعمله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾

٦ (يَا أَيُّهَا الإنسَانُ) الكافر (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم) حتى عصيته[١] .

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار :٧]

٧ (الَّذِي خَلَقَكَ) بعد أن لم تكن (فَسَوَّاكَ) جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف والتشديد جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار :٨]

٨ (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا) زائدة (شَاءَ رَكَّبَكَ)

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار :٩]

٩ (كَلاَّ) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بَلْ تُكَذِّبُونَ) ياكفار مكة (بِالدِّينِ) بالجزاء على الأعمال

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ [الانفطار :١٠]

١٠ (وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) من الملائكة لأعمالكم

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار :١١]

١١ (كِرَامًا) على الله (كَاتِبِينَ) لها

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار :١٢]

١٢ (يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) جميعه

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار :١٣]

١٣ (إِنَّ الأَبْرَارَ) المؤمنين الصادقين في إيمانهم (لَفِي نَعِيم) جنة

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار :١٤]

١٤ (وإِنَّ الْفُجَّارَ) الكفار (لَفِي جَحِيم) نار محرقة

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار :١٥]

١٥ (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها ويقاسون حرها (يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء

٨١- سورة التكوير

(١) أسباب نزول الآية ٢٩ : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى قال: لما نزلت: «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق بقية عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة مثله.

* وأخرج ابن المنذر من طريق سليمان عن القاسم بن مخيمرة مثله.

٨٢- سورة الانفطار

(١) اسباب نزول الآية٦ : أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: «يا أيها الإنسان ما غرك» الآية. قال: نزلت في أبي بن خلف.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار :١٦]

١٦ (ومَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) بمخرجين

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار :١٧]

١٧ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا يَوْمُ الدِّينِ)

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار :١٨]

١٨ (ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) تعظيم لشأنه

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾

١٩ (يَوْمُ) بالرفع أي هو يوم (لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا) من المنفعة (والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ) أي لا أمر لغيره فيه أي لم يمكن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا.

* * *

٨٣ سورة المطففين

مكية أو مدنية وآياتها ٣٦ ست وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين :١]

١ (وَيْلٌ) كلمة عذاب أو واد في جهنم (لِّلْمُطَفِّفِينَ)[1] .

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين :٢]

٢ (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى) أي من (النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) الكيل

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين :٣]

٣ (وإِذَا كَالُوهُمْ) أي كالوا لهم (أَو وزَنُوهُمْ) أي وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) ينقصون الكيل أو الوزن

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين :٤]

٤ (أَلا) استفهام توبيخ (يَظُنُّ) يتيقن (أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ)

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين :٥]

٥ (لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أي فيه وهو يوم القيامة

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين :٦]

٦ (يَوْمَ) بدل من محل ليوم فناصبه مبعوثون (يَقُومُ النَّاسُ) من قبورهم (لِرَبِّ العَالَمِينَ) الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين :٧]

٧ (كَلاَّ) حقا (إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ) أي كتاب أعمال الكفار (لَفِي سِجِّينٍ) قيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين :٨]

٨ (ومَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) ما كتاب سجين

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين :٩]

٩ (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) مختوم

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين :١٠]

١٠ (ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المطففين :١١]

١١ (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) الجزاء بدل أو بيان للمكذبين

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين :١٢]

١٢ (ومَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ) متجاوز الحد (أَثِيمٍ) صيغة مبالغة

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

١٣ (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) الحكايات التي سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو إسطارة بالكسر

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾

١٤ (كَلاَّ) ردع وزجر لقولهم ذلك (بَلْ رَانَ) غلب (عَلَى قُلُوبِهِم) فغشيها (مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصي فهو كالصدأ

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين :١٥]

٨٣- سورة المطففين

(١) **أسباب نزول الآية١:** أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أبخس الناس كيلاً، فأنزل الله: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

١٥ (كَلاَّ) حقا (إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (لَّمَحْجُوبُونَ) فلا يرونه

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين :١٦]

١٦ (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) لداخلو النار المحرقة

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين :١٧]

١٧ (ثُمَّ يُقَالُ) لهم (هَذَا) أي العذاب (الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ)

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين :١٨]

١٨ (كَلاَّ) حقا (إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ) أي كتاب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم (لَفِي عِلِّيِّينَ) قيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين وقيل هو مكان في السماء السابعة تحت العرش

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين :١٩]

١٩ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا عِلِّيُّونَ) ما كتاب عليين ؟

﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين :٢٠]

٢٠ هو (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) مختوم

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين :٢١]

٢١ (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) من الملائكة

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين :٢٢]

٢٢ (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) جنة

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين :٢٣]

٢٣ (عَلَى الأَرَائِكِ) السرر في الحجال (يَنظُرُونَ) ما أعطوا من النعيم

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين :٢٤]

٢٤ (تَعْرِفُ فِي وجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بهجة التنعم وحسنه

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين :٢٥]

٢٥ (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ) خمر خالصة من الدنس (مَّخْتُومٍ) على إنائها لا يفك ختمه غيرهم

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

٢٦ (خِتَامُهُ مِسْكٌ) آخر شربه تفوح منه رائحة المسك (وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله

﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين :٢٧]

٢٧ (ومِزَاجُهُ) أي ما يمزج به (مِن تَسْنِيمٍ) فسر بقوله

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين :٢٨]

٢٨ (عَيْنًا) فنصبه بأمدح مقدرا (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) منها أو ضُمِّن «يشرب» معنى يلتذ

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾

٢٩ (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) كأبي جهل ونحوه (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كعمار وبلال ونحوهما (يَضْحَكُونَ) استهزاء بهم

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين :٣٠]

٣٠ (وإِذَا مَرُّوا) أي المؤمنون (بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء

﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾

٣١ (وإِذَا انقَلَبُوا) رجعوا (إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ) وفي قراءة فكهين معجبين بذكرهم المؤمنين

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾

٣٢ (وإِذَا رَأَوْهُمْ) المؤمنين (قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ) لإيمانهم بمحمد ﷺ

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين :٣٣]

٣٣ قوله تعالى (ومَا أُرْسِلُوا) الكفار (عَلَيْهِمْ) على المؤمنين (حَافِظِينَ) لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

٣٤ (فَالْيَوْمَ) أي يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين :٣٥]

٣٥ (عَلَى الأَرَائِكِ) في الجنة (يَنظُرُونَ) من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين :٣٦]

٣٦ (هَلْ ثُوِّبَ) جوزي (الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) نعم.

* * *

٨٤ سورة الانشقاق

مكية وآياتها ٢٣ ثلاث أو خمس وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق :١]

١ (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ)

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق :٢]

٢ (وأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت في الانشقاق (لِرَبِّهَا وحُقَّتْ) وحق لها أن تسمع وتطيع

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق :٣]

٣ (وإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ) زيد في سعتها كما يمد الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق :٤]

٤ (وأَلْقَتْ مَا فِيهَا) من الموتى إلى ظاهرها (وتَخَلَّتْ) عنه

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق :٥]

٥ (وأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت في ذلك (لِرَبِّهَا وحُقَّتْ) وذلك كله يكون يوم القيامة وجواب إذا وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي الإنسان عمله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾

٦ (يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ) جاهد في عملك (إِلَى) لقاء (رَبِّكَ) وهو الموت (كَدْحًا فَمُلاقِيهِ) أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الانشقاق :٧]

٧ (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ) كتاب عمله (بِيَمِينِهِ) هو المؤمن

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٨]

٨ (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) هو عرض عمله عليه كما في حديث الصحيحين وفيه «من نوقش الحساب هلك» وبعد العرض يتجاوز عنه

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق :٩]

٩ (ويَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ) في الجنة (مَسْرُورًا) بذلك

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق :١٠]

١٠ (وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ ورَاءَ ظَهْرِهِ) هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق :١١]

١١ (فَسَوْفَ يَدْعُو) عند رؤيته ما فيه (ثُبُورًا) ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق :١٢]

١٢ (ويَصْلَى سَعِيرًا) يدخل النار الشديدة وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق :١٣]

١٣ (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ) عشيرته في الدنيا (مَسْرُورًا) بطرا باتباعه لهواه

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق :١٤]

١٤ (إِنَّهُ ظَنَّ أَن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَن يَحُورَ) يرجع إلى ربه

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق :١٥]

١٥ (بَلَى) يرجع إليه (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) عالما برجوعه إليه

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق :١٦]

١٦ (فَلا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالشَّفَقِ) هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق :١٧]

١٧ (واللَّيْلِ ومَا وسَقَ) جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشقاق :١٨]
١٨ (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق :١٩]
١٩ (لَتَرْكَبُنَّ) أيها الناس أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال والواو لالتقاء الساكنين (طَبَقًا عَن طَبَقٍ) حالا بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق :٢٠]
٢٠ (فَمَا لَهُمْ) الكفار (لا يُؤْمِنُونَ) أي مانع لهم عن الإيمان أو أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه ؟

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾
٢١ (وَ) ما لهم (إذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ) يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق :٢٢]
٢٢ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) بالبعث وغيره

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق :٢٣]
٢٣ (واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق :٢٤]
٢٤ (فَبَشِّرْهُم) أخبرهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ [الانشقاق :٢٥]
٢٥ (إلاَّ) لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع ولا منقوص ولا يمن به عليهم.

* * *

٨٥ سورة البروج

مكية وآياتها ٢٢ اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج :١]
١ (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ) للكواكب اثنا عشر برجا تقدمت في الفرقان

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [البروج :٢]
٢ (والْيَوْمِ المَوْعُودِ) يوم القيامة

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج :٣]
٣ (وشَاهِدٍ) يوم الجمعة (ومَشْهُودٍ) يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة في الحديث فالأول موعود به والثاني شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج :٤]
٤ (قُتِلَ) لعن (أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) الشق في الأرض

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [البروج :٥]
٥ (النَّارِ) بدل اشتمال منه (ذَاتِ الوَقُودِ) ما توقد به

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج :٦]
٦ (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا) حولها على جانب الأخدود على الكراسي (قُعُودٌ)

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج :٧]
٧ (وهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم (شُهُودٌ) حضور روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾
٨ (ومَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ) في ملكه (الحَمِيدِ) المحمود

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج :٩]

٩ (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرض واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج :١٠]

١٠ (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ) بالإحراق (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) بكفرهم (ولَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ) أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة وقيل في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقتهم كما تقدم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج :١١]

١١ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج :١٢]

١٢ (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ) بالكفار (لَشَدِيدٌ) بحسب إرادته

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج :١٣]

١٣ (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ) الخلق (ويُعِيدُ) فلا يعجزه ما يريد

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج :١٤]

١٤ (وهُوَ الغَفُورُ) للمذنبين من المؤمنين (الوَدُودُ) المتودد إلى أوليائه بالكرامة

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج :١٥]

١٥ (ذُو العَرْشِ) خالقه ومالكه (المَجِيدُ) بالرفع المستحق لكمال صفات العلو

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج :١٦]

١٦ (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) لا يعجزه شيء

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ [البروج :١٧]

١٧ (هَلْ أَتَاكَ) يا محمد (حَدِيثُ الجُنُودِ)

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج :١٨]

١٨ (فِرْعَوْنَ وثَمُودَ) بدل الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ [البروج :١٩]

١٩ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) بما ذكر

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج :٢٠]

٢٠ (واللَّهُ مِن ورَائِهِم مُّحِيطٌ) لا عاصم لهم منه

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج :٢١]

٢١ (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ) عظيم

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج :٢٢]

٢٢ (فِي لَوْحٍ) هو في الهواء فوق السماء السابعة (مَّحْفُوظٍ) بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء منه طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

* * *

٨٦ سورة الطارق

مكية وآياتها ١٧ سبع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق :١]

١ (وَالسَّمَاءِ والطَّارِقِ) أصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ [الطارق :٢]

٢ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الطَّارِقُ) مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لأدرى وما بعد «ما» الأولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق :٣]

٣ (النَّجْمُ) أي الثريا أو كل نجم (الثَّاقِبُ) المضيء لثقبه الظلام بضوئه وجواب القسم

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق :٤]

٤ (إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) بتخفيف ما فهي مزيدة وإن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه واللام فارقة وبتشديدها فإن نافية ولما بمعنى إلا والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق :٥]

٥ (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ) نظر اعتبار (مِمَّ خُلِقَ) من أي شيء (١).

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق :٦]

٦ جوابه (خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ) ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق :٧]

٧ (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ) للرجل (وَالتَّرَائِبِ) للمرأة وهي عظام الصدر

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق :٨]

٨ (إِنَّهُ) تعالى (عَلَى رَجْعِهِ) بعث الإنسان بعد موته (لَقَادِرٌ) فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق :٩]

٩ (يَوْمَ تُبْلَى) تختبر وتكشف (السَّرَائِرُ) ضمائر القلوب في العقائد والنيات

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق :١٠]

١٠ (فَمَا لَهُ) لمنكر البعث (مِن قُوَّةٍ) يمتنع بها من العذاب (ولا نَاصِرٍ) يدفعه عنه

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق :١١]

١١ (والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) المطر لعوده كل حين

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق :١٢]

١٢ (والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) الشق عن النبات

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق :١٣]

١٣ (إِنَّهُ) القرآن (لَقَوْلٌ فَصْلٌ) يفصل بين الحق والباطل

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق :١٤]

١٤ (ومَا هُوَ بِالْهَزْلِ) باللعب والباطل

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق :١٥]

١٥ (إِنَّهُمْ) الكفار (يَكِيدُونَ كَيْدًا) يعملون المكايد للنبي ﷺ

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق :١٦]

١٦ (وأَكِيدُ كَيْدًا) أستدرجهم من حيث لا يعلمون

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق :١٧]

١٧ (فَمَهِّلِ) يا محمد (الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ) تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أي أنظرهم (رُوَيْدًا) قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العمل مصغر «رود» أو «إرواد» على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الإمهال بآية السيف أي الأمر بالقتال والجهاد.

* * *

٨٧ سورة الأعلى

وآياتها ١٩ تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى :١]

١ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ) نزه ربك عما لا يليق به واسم زائد (الأَعْلَى) صفة لربك

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى :٢]

٢ (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) مخلوقه جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى :٣]

٣ (والَّذِي قَدَّرَ) ما شاء (فَهَدَى) إلى ما قدره من خير وشر

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى :٤]

٨٦- سورة الطارق

(١) أسباب نزول الآية ٥ : أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: «فلينظر الإنسان مم خلق» قال: نزلت في أبي الأشد كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا ويقول: إن محمدًا يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدي عشرة واكفوني أنتم تسعة.

٤ (والَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى) أنبت العشب

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى :٥]

٥ (فَجَعَلَهُ) بعد الخضرة (غُثَاءً) جافا هشيما (أَحْوَى) أسود يابسا

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى :٦]

٦ (سَنُقْرِئُكَ) القرآن (فَلا تَنسَى) ما تقرؤه [١].

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى :٧]

٧ (إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ) أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له لا تعجل بها إنك لا تنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الجَهْرَ) من القول والفعل (ومَا يَخْفَى) منهما

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى :٨]

٨ (ونُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) للشريعة السهلة وهي الإسلام

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى :٩]

٩ (فَذَكِّرْ) عظ بالقرآن (إن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) من تذكرة المذكور في سيذكر يعني وإن لم تنفع ونفعها البعض وعدم النفع لبعض آخر

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى :١٠]

١٠ (سَيَذَّكَّرُ) بها (مَن يَخْشَى) يخاف الله تعالى كآية (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [الأعلى :١١]

١١ (ويَتَجَنَّبُهَا) أي الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت إليها (الأَشْقَى) بمعنى الشقي أي الكافر

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى :١٢]

١٢ (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى) هي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى :١٣]

١٣ (ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (ولا يَحْيَى) حياة هنيئة

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى :١٤]

١٤ (قَدْ أَفْلَحَ) فاز (مَن تَزَكَّى) تطهر بالإيمان

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى :١٥]

١٥ (وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) مكبرا (فَصَلَّى) الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة وكفار مكة معرضون عنها

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى :١٦]

١٦ (بَلْ تُؤْثِرُونَ) بالفوقانية والتحتانية (الحَيَاةَ الدُّنْيَا) على الآخرة

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى :١٧]

١٧ (والآخِرَةُ) المشتملة على الجنة (خَيْرٌ وأَبْقَى)

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى :١٨]

١٨ (إِنَّ هَذَا) إفلاح من تزكي وكون الآخرة خير (لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى) المنزلة قبل القرآن

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى :١٩]

١٩ (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى) وهي عشر صحف لإبراهيم والتوراة لموسى.

* * *

٨٨ سورة الغاشية

مكية وآياتها ٢٦ ست وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية :١]

١ (هَلْ) قد (أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ) القيامة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية :٢]

٢ (وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) عبر بها عن الذوات في الموضعين (خَاشِعَةٌ) ذليلة

---

٨٧ - سورة الأعلى

(١) أسباب نزول الآية٦: أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان النبيﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبيﷺ بأوله، مخافة أن ينساه فأنزل الله: «سنقرئك فلا تنسى» في إسناده جوبير ضعيف جدًا.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية :٣]

٣(عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية :٤]

٤(تَصْلَى) بفتح التاء وضمها (نَارًا حَامِيَةً)

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية :٥]

٥(تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) شديدة الحرارة

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية :٦]

٦(لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِن ضَرِيعٍ) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية :٧]

٧(لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي مِن جُوعٍ)

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية :٨]

٨(وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ) حسنة

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية :٩]

٩(لِسَعْيِهَا) في الدنيا بالطاعة (رَاضِيَةٌ) في الآخرة لما رأت ثوابه

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية :١٠]

١٠(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) حسا ومعنى

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية :١١]

١١(لا تَسْمَعُ) بالياء والتاء (فِيهَا لاغِيَةً) أي نفس ذات لغو أي هذيان من الكلام

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية :١٢]

١٢(فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) بالماء بمعنى عيون

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية :١٣]

١٣(فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ) ذاتا وقدرا ومحلا

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية :١٤]

١٤(وأَكْوَابٌ) أقداح لا عرا لها (مَّوْضُوعَةٌ) على حافات العيون معدة لشربهم

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية :١٥]

١٥(ونَمَارِقُ) وسائد (مَصْفُوفَةٌ) بعضها بجانب بعض يستند إليها

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية :١٦]

١٦(وزَرَابِيُّ) بسط طنافس لها خمل (مَبْثُوثَةٌ) مبسوطة

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

١٧(أَفَلا يَنظُرُونَ) أي كفار مكة نظر اعتبار (إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (١)

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية :١٨]

١٨(وإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية :١٩]

١٩(وإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية :٢٠]

٢٠(وإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أي بسطت فيستدلوا بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته وصدرت بالإبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها، وقوله (سطحت) ظاهر في أن الأرض سطح، وعليه علماء الشرع، لا كرة كما قال أهل الهيئة، إن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية :٢١]

٢١(فَذَكِّرْ) هم نعم الله ودلائل توحيده (إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ)

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية :٢٢]

٢٢(لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ) وفي قراءة بالسين بدل الصاد، أي بمسلط وهذا قبل الأمر بالجهاد

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية :٢٣]

٢٣(إلاَّ) لكن (مَن تَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (وكَفَرَ) بالقرآن

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية :٢٤]

٢٤(فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ) عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر

٨٨ – سورة الغاشية

(١) **أسباب نزول الآية١٧**: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله: « أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ».

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية :٢٥]

٢٥ (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) رجوعهم بعد الموت

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية :٢٦]

٢٦ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) جزاءهم لا نتركه أبدا.

* * *

٨٩ سورة الفجر

مكية وآياتها ٣٠ ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر :١]

١ (وَالْفَجْرِ) أي فجر كل يوم

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر :٢]

٢ (ولَيَالٍ عَشْرٍ) أي عشر ذي الحجة

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر :٣]

٣ (والشَّفْعِ) الزوج (والْوَتْرِ) بفتح الواو وكسرها لغتان الفرد

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر :٤]

٤ (واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) مقبلا ومدبرا

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر :٥]

٥ (هَلْ فِي ذَلِكَ) القسم (قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) عقل وجواب القسم محذوف أي لتعذبن يا كفار مكة

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر :٦]

٦ (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا محمد (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)

﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر :٧]

٧ (إِرَمَ) هي عاد الأولى فإرم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذَاتِ العِمَادِ) أي الطول.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر :٨]

٨ (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ) في بطشهم وقوتهم

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر :٩]

٩ (وثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا) قطعوا (الصَّخْرَ) جمع صخرة واتخذوها بيوتا (بِالْوَادِ) وادي القرى

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر :١٠]

١٠ (وفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ) كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر :١١]

١١ (الَّذِينَ طَغَوْا) تجبروا (فِي البِلَادِ)

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر :١٢]

١٢ (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ) القتل وغيره

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر :١٣]

١٣ (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ) نوع (عَذَابٍ)

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر :١٤]

١٤ (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر :١٥]

١٥ (فَأَمَّا الإنسَانُ) الكافر (إِذَا مَا ابْتَلاهُ) اختبره (رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ) بالمال وغيره (ونَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾

١٦ (وأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ) ربه (فَقَدَرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر :١٧]

١٧ (كَلاَّ) ردع أي ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك (بَل لاَّ تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ) لا يحسنون إليه مع غناهم أو لا يعطونه حقه من الميراث .

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾

١٨ (ولا تَحَاضُّونَ) أنفسهم أو غيرهم (عَلَى طَعَامِ) أي إطعام (المِسْكِينِ)

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر :١٩]

١٩ (وتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ) الميراث (أَكْلاً لَّمًا) أي شديدا للمهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر :٢٠]

٢٠ (وتُحِبُّونَ المَالَ حُبًا جَمًا) أي كثيرا فلا ينفقونه وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر :٢١]

٢١ (كَلاَّ) ردع لهم عن ذلك (إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًا دَكًا) زلزلت حتى يتهدم كل بناء عليها وينعدم

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر :٢٢]

٢٢ (وجَاءَ رَبُّكَ) أي أمره (والْمَلَكُ) أي الملائكة (صَفًّا صَفًّا) حال أي مصطفين أو ذوي صفوف كثيرة

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر :٢٣]

٢٣ (وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّم) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ) أي الكافر ما فرط فيه (وأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) استفهام بمعنى النفي أي لا ينفعه تذكره ذلك

﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر :٢٤]

٢٤ (يَقُولُ) مع تذكره (يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي قَدَّمْتُ) الخير والإيمان (لِحَيَاتِي) الطيبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر :٢٥]

٢٥ (فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ) بكسر الذال (عَذَابَهُ) أي الله (أَحَدٌ) أي لا يكله إلى غيره

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر :٢٦]

٢٦ (وَ) كذا (لا يُوثِقُ) بكسر الثاء (وثَاقَهُ أَحَدٌ) وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر :٢٧]

٢٧ (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) الآمنة وهي المؤمنة[1].

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر :٢٨]

٢٨ (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) يقال لها ذلك عند الموت أي ارجعي إلى أمره وإرادته (رَاضِيَةً) بالثواب (مَّرْضِيَّةً) عند الله بعملك أي جامعة بين الوصفين وهما حالان ويقال لها في القيامة

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾ [الفجر :٢٩]

٢٩ (فَادْخُلِي فِي) جملة (عِبَادِي) الصالحين

﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر :٣٠]

٣٠ (وادْخُلِي جَنَّتِي) معهم

* * *

٩٠ سورة البلد

مكية وآياتها ٢٠ عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد :١]

١ (لا) زائدة (أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ) مكة

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد :٢]

٢ (وأَنْتَ) يا محمد (حِلٌّ) حلال (بِهَذَا البَلَدِ) بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد :٣]

٣ (ووَالِدٍ) أي آدم (ومَا ولَدَ) ذريته و«ما» بمعنى «من».

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد :٤]

٨٩ - سورة الفجر

(١) **أسباب نزول الآية٢٧**: أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: «يا أيتها النفس المطمئنة» قال: نزلت في حمزة. وأخرج من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من يشتري بئر رومة يستعذب بها غفر الله له» فاشتراها عثمان فقال: هل لك أن تجعلها سقاية للناس؟ قال: نعم، فأنزل الله في عثمان: «يأيتها النفس المطمئنة».

٤ (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ) الجنس (فِي كَبَدٍ) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد :٥]

٥ (أَيَحْسَبُ) أيظن الإنسان قوي قريش وهو أبو الأشد بن كلدة بقوته (أَن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) والله قادر عليه

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد :٦]

٦ (يَقُولُ أَهْلَكْتُ) على عداوة محمد (مَالاً لُّبَدًا) كثيرا بعضه على بعض

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد :٧]

٧ (أَيَحْسَبُ أَن) أي أنه (لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ) فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد :٨]

٨ (أَلَمْ نَجْعَل) استفهام تقرير أي جعلنا (لَّهُ عَيْنَيْنِ)

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد :٩]

٩ (ولِسَانًا وشَفَتَيْنِ)

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد :١٠]

١٠ (وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) بينا له طريق الخير والشر

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد :١١]

١١ (فَلا) فهلا (اقْتَحَمَ العَقَبَةَ) اجتازها

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد :١٢]

١٢ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا العَقَبَةُ) التي يقتحمها تعظيما لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب اجتيازها بقوله

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد :١٣]

١٣ (فَكُّ رَقَبَةٍ) من الرق بأن أعتقها

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد :١٤]

١٤ (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) مجاعة

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد :١٥]

١٥ (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) قرابة

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد :١٦]

١٦ (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) لصوق بالتراب لفقره وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثاني فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد :١٧]

١٧ (ثُمَّ كَانَ) عطف على اقتحم وثم للترتيب بالذكري والمعنى كان وقت الاقتحام (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضا (بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية (وتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) الرحمة على الخلق

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد :١٨]

١٨ (أُولَئِكَ) الموصوفون بهذه الصفات (أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ) اليمين

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾

١٩ (والَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ) الشمال

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد :٢٠]

٢٠ (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ) بالهمزة والواو بدله مطبقة.

* * *

٩١ سورة الشمس

مكية وآياتها ١٥ خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس :١]

١ (وَالشَّمْسِ وضُحَاهَا) ضوئها

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس :٢]

٢ (والْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا) تبعها طالعا عند غروبها

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس :٣]

٣ (والنَّهَارِ إذَا جَلاَّهَا) بارتفاعه

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس :٤]

٤ (واللَّيلِ إذَا يَغْشَاهَا) يغطيها بظلمته وإذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس :٥]

٥ (والسَّمَاءِ ومَا بَنَاهَا)

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس :٦]

٦ (والأَرْضِ ومَا طَحَاهَا) بسطها

﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس :٧]

٧ (ونَفْسٍ) بمعنى نفوس (ومَا سَوَّاهَا) في الخلقة و«ما» في الثلاثة مصدرية أو بمعنى من

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس :٨]

٨ (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا) بين لها طريقي الخير والشر وأخر التقوى رعاية لرءوس الآي وجواب القسم

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس :٩]

٩ (قَدْ أَفْلَحَ) حذفت منه اللام لطول الكلام (مَن زَكَّاهَا) طهرها من الذنوب

﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس :١٠]

١٠ (وقَدْ خَابَ) خسر (مَن دَسَّاهَا) أخفاها بالمعصية وأصله دسسها أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [الشمس :١١]

١١ (كَذَّبَتْ ثَمُودُ) رسولها صالحا (بِطَغْوَاهَا) بسبب طغيانها

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس :١٢]

١٢ (إِذِ انْبَعَثَ) أسرع (أَشْقَاهَا) واسمه «قدار» إلى عقر الناقة برضاهم

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾

١٣ (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح (نَاقَةَ اللَّهِ) ذروها (وسُقْيَاهَا) شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس :١٤]

١٤ (فَكَذَّبُوهُ) في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه (فَعَقَرُوهَا) قتلوها ليسلم لهم ماء شربها (فَدَمْدَمَ) أطبق (عَلَيْهِمْ رَبُّهُم) العذاب (بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) أي الدمدمة عليهم أي عمهم بها فلم يفلت منهم أحد

﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا﴾ [الشمس :١٥]

١٥ (ولا) بالواو والفاء (يَخَافُ) تعالى (عُقْبَاهَا) تبعتها.

* * *

٩٢ سورة الليل

مكية وآياتها ٢١ إحدى وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل :١]

١ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) بظلمته كل ما بين السماء والأرض[١].

---

٩٢ - سورة الليل

(١) **أسباب نزول السورة كاملة** : أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلًا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فربما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل من نخلته فيأخذ الثمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: «اذهب» ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: «أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة» فقال الرجل: لقد أعطيت وأن لي لنخلًا كثيرًا وما فيه نخلة أعجب إلى ثمرة منها، ثم ذهب الرجل ولقي رجلًا كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أتعطيني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها قال: «نعم» فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة ولكليهما نخل فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمدًا ﷺ أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها ولي نخل كثير ما فيه نخلة أعجب إليّ ثمرة منها فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ فقال: لا إلا أن أعطى بها ما أريد ولا أظن أن أعطى فقال: فكم مناك فيها؟ قال: أربعون نخلة. قال: لقد جئت بأمر عظيم ثم سكت

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل :٢]

٢ (والنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) تكشف وظهر وإذا في الموضعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل :٣]

٣ (ومَا) بمعنى من أو مصدرية (خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثَى) آدم وحواء وكل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل :٤]

٤ (إنَّ سَعْيَكُمْ) عملكم (لَشَتَّى) مختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل :٥]

٥ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى) حق الله (واتَّقَى) الله

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل :٦]

٦ (وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) أي بلا إله إلا الله في الموضعين

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل :٧]

٧ (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) للجنة

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ [الليل :٨]

٨ (وأَمَّا مَنْ بَخِلَ) بحق الله (واسْتَغْنَى) عن ثوابه.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل :٩]

٩ (وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل :١٠]

١٠ (فَسَنُيَسِّرُهُ) نهيئه (لِلْعُسْرَى) للنار

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل :١١]

١١ (ومَا) نافية (يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) في النار

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل :١٢]

١٢ (إنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى) لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثاني

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل :١٣]

١٣ (وإنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ والأُولَى) أي الدنيا فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل :١٤]

١٤ (فَأَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم يا أهل مكة (نَارًا تَلَظَّى) بحذف إحدى التاءين من الأصل وقرئ «تتلظى» بثبوتها أي تتوقد

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل :١٥]

١٥ (لا يَصْلاهَا) يدخلها (إلاَّ الأَشْقَى) بمعنى الشقي

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل :١٦]

١٦ (الَّذِي كَذَّبَ) النبي (وتَوَلَّى) عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فيكون المراد الصلي المؤبد

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل :١٧]

١٧ (وسَيُجَنَّبُهَا) يبعد عنها (الأَتْقَى) بمعنى التقي

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل :١٨]

١٨ (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) متزكيا به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله تعالى وهذا نزل في الصديق رضي الله عنه لما اشترى بلالا المعذب على إيمانه

عنه فقال له : أنا أعطيك أربعين نخلة فأشهد لي إن كنت صادقًا فدعا قومه فأشهد له ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك» فأنزل الله: «والليل إذا يغشى» إلى آخر السورة قال ابن كثير: حديث غريب جدًا .

* وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقابًا ضعافًا فلو أنك أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بني فقال: يا أبت إني إنما أريد ما عند الله فنزلت هذه الآيات فيه: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى» إلى آخر السورة.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وفيه نزلت: «وسيجنبها الأتقى» إلى آخر السورة.

* وأخرج البزار عن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية: «وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجزَى» إلى آخرها في أبي بكر الصديق.

وأعتقه فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليَدٍ كانت له عنده ؛ فنزلت:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ [الليل :١٩]

١٩ (ومَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نُعْمَةٍ تُجزَى)

﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل :٢٠]

٢٠ (إلاَّ) لكن فعل ذلك (ابْتِغَاءَ وجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى) أي طلب ثواب الله

﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل :٢١]

٢١ (ولَسَوْفَ يَرْضَى) بما يعطاه من الثواب في الجنة والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب.

* * *

٩٣ سورة الضحى

مكية وآياتها ١١ إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبر ﷺ فَسُنَّ التكبير في آخرها، ورُوِيَ الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أو: لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [الضحى :١]

١ (وَالضُّحَى) أي أول النهار أو كله. (١) .

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى :٢]

٢ (واللَّيْلِ إذَا سَجَى) غطى بظلامه أو سكن

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى :٣]

٣ (مَا ودَّعَكَ) تركك يا محمد (رَبُّكَ ومَا قَلَى) أبغضك نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوما إن ربه ودعه وقلاه

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى :٤]

٤ (ولَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ) لما فيها من الكرامات لك (مِنَ الأُولَى) الدنيا (١).

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى :٥]

٥ (ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا (فَتَرْضَى) به فقال ﷺ إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين (٢).

﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى :٦]

٦ (أَلَمْ يَجِدْكَ) استفهام تقرير أي وجدك

---

٩٣ - سورة الضحى

(١) **أسباب نزول الآية١** : أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله: «وَالضُّحَى * وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى».

* وأخرج سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودع محمد فنزلت.

* وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: مكث رسول الله ﷺ أيامًا لا ينزل عليه جبريل فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك فأنزل الله: «والضحى» الآيات.

* وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة في مسنده والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يُعرف عن حفص بن ميسرة القرشي عن أمه عن أمها خولة، وقد كانت خادم رسول الله ﷺ أن جروًا دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟ فقلت في نفسي: لو هيأت البيت فكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو فجاء النبي ﷺ يرعد بجبته وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله: «والضحى» إلى قوله: «فترضى». قال الحافظ ابن حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح.

* وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك فنزلت.

* وأخرج أيضًا عن عروة قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعًا شديدًا فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك فنزلت. وكلاهما مرسل ورواتهما ثقات. قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلًا من أم جميل وخديجة قالت ذلك لكن أم جميل قالته شماتة وخديجة قالته توجعًا.

(١) **أسباب نزول الآية٤** : وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض عليَّ ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني فأنزل الله: «وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأولى» إسناده حسن.

(٢) **أسباب نزول الآية٥** : وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كفرًا كفرًا أي (قرية قرية) فسرّ به فأنزل الله: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى».

(يَتِيمًا) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فَآوَى) بأن ضمك إلى عمك أبي طالب

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى :٧]

٧ (ووَجَدَكَ ضَالاً) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فَهَدَى) أي هداك إليها

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى :٨]

٨ (ووَجَدَكَ عَائِلاً) فقيرا (فَأَغْنَى) أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها وفي «الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى :٩]

٩ (فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ) بأخذ ماله أو غير ذلك

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى :١٠]

١٠ (وأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) تزجره لفقره

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى :١١]

١١ (وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) عليك بالنبوة وغيرها (فَحَدِّثْ) أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل.

* * *

٩٤ سورة الشرح

مكية وآياتها ٨ ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح :١]

١ (أَلَمْ نَشْرَحْ) استفهام تقرير أي شرحنا (لَكَ) يا محمد (صَدْرَكَ) بالنبوة وغيرها

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح :٢]

٢ (ووَضَعْنَا) حططنا (عَنكَ وِزْرَكَ)

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح :٣]

٣ (الَّذِي أَنقَضَ) أثقل (ظَهْرَكَ) وهكذا كقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك)

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح :٤]

٤ (ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) بأن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح :٥]

٥ (فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ) الشدة (يُسْرًا) سهولة

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح :٦]

٦ (إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم [1].

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح :٧]

٧ (فَإِذَا فَرَغْتَ) من الصلاة (فَانصَبْ) اتعب في الدعاء

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح :٨]

٨ (وإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) تضرع.

* * *

٩٥ سورة التين

مكية أو مدنية وآياتها ٨ ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين :١]

١ (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) أي المأكولين أو جبلين بالشام.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين :٢]

٢ (وطُورِ سِينِينَ) الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين :٣]

٣ (وهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ) مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين :٤]

---

٩٤ - سورة الشرح

(١) **أسباب نزول الآية٦**: قال: نزلت لما عيَّر المشركون المسلمين بالفقر.

* وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: «إن مع العسر يسرا» قال رسول الله ﷺ: «أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين».

٤ (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ) الجنس (فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم) تعديل لصورته

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين :٥]

٥ (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ) في بعض أفراده (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره [(١)].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

٦ (إلاَّ) لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع وفي الحديث: «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل»

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين :٧]

٧ (فَمَا يُكَذِّبُكَ) أيها الكافر (بَعْدُ) بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بِالدِّينِ) بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أي ما يجعلك مكذبا بذلك ولا جاعل له

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين :٨]

٨ (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ) هو أقضى القاضين وحكم بالجزاء من ذلك وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» .

* * *

٩٦ سورة العلق

مكية وآياتها ١٩ تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق :١]

١ (اقْرأْ) أوجد القراءة مبتدأ (بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) الخلائق

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق :٢]

٢ (خَلَقَ الإنسَانَ) الجنس (مِنْ عَلَقٍ) جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق :٣]

٣ (اقْرَأْ) تأكيد للأول (ورَبُّكَ الأَكْرَمُ) الذي لا يوازيه كريم حال من الضمير في اقرأ

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق :٤]

٤ (الَّذِي عَلَّمَ) الخط (بِالْقَلَمِ) وأول من خط به إدريس عليه السلام

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق :٥]

٥ (عَلَّمَ الإنسَانَ) الجنس (مَا لَمْ يَعْلَمْ) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق :٦]

٦ (كَلاَّ) حقا (إنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى) [(١)].

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق :٧]

٧ (أَن رَّآهُ) أي نفسه (اسْتَغْنَى) بالمال نزل في أبي جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق :٨]

٨ (إنَّ إِلَى رَبِّكَ) يا إنسان (الرُّجْعَى) الرجوع تخويف له فيجازى الطاغي بما يستحقه

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ [العلق :٩]

٩ (أَرَأَيْتَ) في الثلاثة مواضع للتعجب (الَّذِي يَنْهَى) هو أبو جهل [(٢)].

---

٩٥ - سورة التين

(١) **أسباب نزول الآية٥** : أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: «ثم رددناه أسفل سافلين» قال: هم نفر ردُوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فسئل عنهم حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

٩٦ - سورة العلق

(١) **أسباب نزول الآية٦** : أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب فأنزل الله:«كلا إن الإنسان ليطغى» الآيات.

(٢) **أسباب نزول الآية٩** : وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فنهاه فأنزل الله: «أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى» إلى قوله: «كاذبة خاطئة».

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق :١٠]

١٠(عَبْدًا) هو النبي ﷺ(إذَا صَلَّى)

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [العلق :١١]

١١(أَرَأَيْتَ إن كَانَ) المنهي (عَلَى الهُدَى)

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ [العلق :١٢]

١٢(أَوْ) للتقسيم (أَمَرَ بِالتَّقْوَى)

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [العلق :١٣]

١٣(أَرَأَيْتَ إن كَذَّبَ) أي الناهي النبي (وتَوَلَّى) عن الإيمان

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق :١٤]

١٤(أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) ما صدر منه، أي يعلمه فيجازيه عليه أي اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث إن المنهي عن الهدى آمر بالتقوى ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق :١٥]

١٥ (كَلاَّ) ردع له (لَئِن) لام قسم (لَّمْ يَنتَهِ) عما هو عليه من الكفر (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) لنجرن بناصيته إلى النار

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق :١٦]

١٦ (نَاصِيَةٍ) بدل نكرة من معرفة (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق :١٧]

١٧ (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) أي أهل ناديه وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر ناديا مني لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا [(١)].

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق :١٨]

(١) **أسباب نزول الآية١٧** : وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: «فليدع ناديه سندع الزبانية» قال الترمذي: حسن صحيح.

١٨(سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه كما في الحديث «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا»

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق :١٩]

١٩(كَلاَّ) ردع له (لا تُطِعْهُ) يا محمد في ترك الصلاة (واسْجُدْ) صل لله (واقْتَرِبْ) منه بطاعته.

* * *

٩٧ سورة القدر

مكية أو مدنية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر :١]

١ (إنَّا أَنزَلْنَاهُ) أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا (فِي لَيْلَةِ القَدْرِ) أي الشرف العظيم [(١)].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر :٢]

٢ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك يا محمد (مَا لَيْلَةُ القَدْرِ) تعظيم لشأنها وتعجيب منه

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر :٣]

٣ (لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها [(٢)].

٩٧ - سورة القدر

(١) **أسباب نزول الآية١** : أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير عن الحسن بن علي قال: «إن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت: «إنا أعطيناك الكوثر» ونزلت: «إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر «تملكها بعدك بنو أمية».

* قال القاسم الحداني: فعددنا وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. قال الترمذي: غريب. وقال المزني وابن كثير: منكر جدًا.

* وأخرج ابن أبي حاتم والواحدي عن مجاهد: أن رسول الله ﷺ ذكر رجل من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله.

(٢) **أسباب نزول الآية٣**: وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾

٤ (تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل (والرُّوحُ) أي جبريل (فِيهَا) في الليلة (بِإِذْنِ رَبِّهِم) بأمره (مِّن كُلِّ أَمْرٍ) قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل و«من» سببية بمعنى الباء

﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر :٥]

٥ (سَلامٌ هِيَ) خبر مقدم ومبتدأ (حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ) بفتح اللام وكسرها إلى وقت طلوعه جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة لا تمر بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

* * *

٩٨ سورة البينة

مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة :١]

١ (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) للبيان (أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِينَ) أي عبدة الأصنام عطف على أهل (مُنفَكِّينَ) خبر يكن أي زائلين عما هم عليه (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ) أي أتتهم (البَيِّنَةُ) أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة :٢]

٢ (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ) بدل من البينة وهو النبي محمد ﷺ (يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً) من الباطل

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة :٣]

٣ (فِيهَا كُتُبٌ) أحكام مكتوبة (قَيِّمَةٌ) مستقيمة أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة :٤]

٤ (ومَا تَفَرَّقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ) في الإيمان به ﷺ (إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ) أي هو ﷺ أو القرآن الجائي به معجزة له وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾

٥ (ومَا أُمِرُوا) في كتابيهم التوراة والإنجيل (إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) أي أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (حُنَفَاءَ) مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ؟ (ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وذَلِكَ دِينُ) الملة (القَيِّمَةِ) المستقيمة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾

٦ (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة أي مقدرا خلودهم فيها من الله تعالى (أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة :٧]

٧ (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ) الخليقة

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة :٨]

٨ (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (ورَضُوا عَنْهُ) بثوابه (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى.

* * *

يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي فعمل ذلك ألف شهر فأنزل الله: «لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل.

٩٩ سورة الزلزلة

مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة :١]

١ (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ) حركت لقيام الساعة (زِلْزَالَهَا) تحريكها الشديد المناسب لعظمتها

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة :٢]

٢ (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة :٣]

٣ (وَقَالَ الإِنسَانُ) الكافر بالبعث (مَا لَهَا) إنكارا لتلك الحالة

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة :٤]

٤ (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) تخبر بما عمل عليها من خير وشر

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة :٥]

٥ (بِأَنَّ) بسبب أن (رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) أي أمرها بذلك في الحديث «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾

٦ (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) يتصرفون من موقف الحساب (أَشْتَاتًا) متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أي جزاءها من الجنة أو النار

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

٧ (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) زنة نملة صغيرة (خَيْرًا يَرَهُ) ير ثوابه[1].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

٨ (وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ير جزاءه.

* * *

١٠٠ سورة العاديات

مكية أو مدنية وآياتها ١١ إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات :١]

١ (وَالْعَادِيَاتِ) الخيل تعدو في الغزو وتضبح (ضَبْحًا) هو صوت أجوافها إذا عدت[1].

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العاديات :٢]

٢ (فَالْمُورِيَاتِ) الخيل توري النار (قَدْحًا) بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات :٣]

٣ (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [العاديات :٤]

٤ (فَأَثَرْنَ) هيجن (بِهِ) بمكان عدوهن أو بذلك الوقت (نَقْعًا) غبارا بشدة حركتهن

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات :٥]

٥ (فَوَسَطْنَ بِهِ) بالنقع (جَمْعًا) من العدو أي صرن وسطه وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل أي واللاتي عدون فأورين فأغرن

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات :٦]

٦ (إِنَّ الإِنسَانَ) الكافر (لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لكفور يجحد نعمته تعالى

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات :٧]

---

٩٩ - سورة الزلزلة

(١) **أسباب نزول الآية (٧-٨)** : أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: «ويطعمون الطعام على حبه» الآية، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه وكان آخرون يرون أنهم لا يُلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة ، والغيبة وأشباه ذلك ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر فأنزل الله: «فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره».

١٠٠ - سورة العاديات

(١) **أسباب نزول الآية١** : أخرج البزار وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلًا ولبث شهرًا لا يأتيه منها خبر فنزلت: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا».

٧ (وإنَّهُ عَلَى ذَلِكَ) كنوده (لَشَهِيدٌ) يشهد على نفسه بصنعه

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات :٨]

٨ (وإنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ) المال (لَشَدِيدٌ) الحب له فيبخل به

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات :٩]

٩ (أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ) أثير وأخرج (مَا فِي القُبُورِ) من الموتى أي بعثوا

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات :١٠]

١٠ (وحُصِّلَ) بين وأفرز (مَا فِي الصُّدُورِ) القلوب من الكفر والإيمان

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾

١١ (إنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعا نظرا لمعنى الإنسان وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم أي إنا نجازيه وقت ما ذكر وتعلق خبير يومئذ وهو تعالى خبير دائما لأنه يوم المجازاة.

* * *

١٠١ سورة القارعة

مكية أو مدنية وآياتها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة :١]

١ (القَارِعَةُ) القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة :٢]

٢ (مَا القَارِعَةُ) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة :٣]

٣ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا القَارِعَةُ) زيادة تهويل لها و«ما» الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾

٤ (يَوْمَ) ناصبة دل عليه القارعة أي تقرع (يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ المَبْثُوثِ) كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يُدْعَوْا للحساب

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾

٥ (وتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ المَنفُوشِ) كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة :٦]

٦ (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بأن رجحت حسناته على سيئاته

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة :٧]

٧ (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) في الجنة أي ذات رضى بأن يرضاها أي مرضية له

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة :٨]

٨ (وأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بأن رجحت سيئاته على حسناته

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة :٩]

٩ (فَأُمُّهُ) فمسكنه (هَاوِيَةٌ)

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة :١٠]

١٠ (ومَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ) أي ما هاوية

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة :١١]

١١ هي (نَارٌ حَامِيَةٌ) شديدة الحرارة وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلا ووقفًا وفي قراءة تحذف وصلا.

* * *

١٠٢ سورة التكاثر

مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر :١]

١ (أَلْهَاكُمُ) شغلكم عن طاعة الله (التَّكَاثُرُ) التفاخر بالأموال والأولاد والرجال [1].

١٠٢ - سورة التكاثر

(١) **أسباب نزول الآية ١**: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر :٢]

٢ (حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ) بأن متم فدفنتم فيها أو عددتم الموتى تكاثرا

﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [التكاثر :٣]

٣ (كَلاَّ) ردع (سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [التكاثر :٤]

٤ (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر

﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر :٥]

٥ (كَلاَّ) حقا (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ) علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ [التكاثر :٦]

٦ (لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر :٧]

٧ (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا) تأكيد (عَيْنَ اليَقِينِ) مصدر لأن رأى وعاين بمعنى واحد

﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر :٨]

٨ (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (يَوْمَئِذٍ) يوم رؤيتها (عَنِ النَّعِيمِ) ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

* * *

١٠٣ سورة العصر

مكية أو مدنية وآياتها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر :١]

١ (وَالْعَصْرِ) الدهر أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاة العصر

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر :٢]

٢ (إِنَّ الإِنسَانَ) الجنس (لَفِي خُسْرٍ) في تجارته

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر :٣]

٣ (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فليسوا في خسران (وتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضا (بِالْحَقِّ) الإيمان (وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية.

* * *

١٠٤ سورة الهمزة

مكية أو مدنية وآياتها تسع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة :١]

١ (وَيْلٌ) كلمة عذاب أو واد في جهنم (لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) كثير الهمز واللمز أي الغيبة نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما [1].

﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة :٢]

بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان ومثل فلان؟ يشيرون إلى القبر وتقول الأخرى مثل ذلك فأنزل الله: «أَلهاكمُ التَّكاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ».

* وأخرج ابن جرير عن علي قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: «ألهاكم التكاثر» إلى: «ثم كلا سوف تعلمون» في عذاب القبر.

١٠٤ - سورة الهمزة

(١) **أسباب نزول الآية ١**: أخرج ابن أبي حاتم عن عثمان وابن عمر قالا: ما زلنا نسمع أن «ويل لكل همزة» نزلت في أبيّ بن خلف.

* وأخرج عن السُّدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق.

* وأخرج ابن جرير عن رجل من أهل الرقة قال: نزلت في جميل بن عامر الجمحي.

* وأخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه فأنزل الله: «ويل لكل همزة لمزة» السورة كلها.

٢ (الَّذِي جَمَعَ) بالتخفيف والتشديد (مَالاً وعَدَّدَهُ) أحصاه وجعله عدة لحوادث الدهر

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة :٣]

٣ (يَحْسَبُ) لجهله (أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) جعله خالدا لا يموت

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة :٤]

٤ (كَلاَّ) ردع (لَيُنْبَذَنَّ) جواب قسم محذوف أي ليطرحن (فِي الحُطَمَةِ) التي تحطم كل ما ألقي فيها

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة :٥]

٥ (ومَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الحُطَمَةُ)

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة :٦]

٦ (نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ) المسعرة

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة :٧]

٧ (الَّتِي تَطَّلِعُ) تشرف (عَلَى الأَفْئِدَةِ) القلوب فتحرقها وألمها أشد من ألم غيرها للطفها

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة :٨]

٨ (إنَّهَا عَلَيْهِم) جمع الضمير رعاية لمعنى كل (مُّؤْصَدَةٌ) بالهمزة وبالواو بدلها، مطبقة

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة :٩]

٩ (فِي عَمَدٍ) بضم الحرفين وبفتحهما (مُمَدَّدَةٍ) صفة لما قبله فتكون النار داخل العمد.

* * *

١٠٥ سورة الفيل

مكية وآياتها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل :١]

١ (أَلَمْ تَرَ) استفهام تعجب أي اعجب (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ) هو محمود وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا لها فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل :٢]

٢ (أَلَمْ يَجْعَلْ) أي جعل (كَيْدَهُمْ) في هدم الكعبة (فِي تَضْلِيلٍ) خسارة وهلاك

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل :٣]

٣ (وأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) جماعات جماعات قيل لا واحد له كأساطير وقيل واحده أبول أو إبال أو إبيل كعجول ومفتاح وسكين

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل :٤]

٤ (تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ) طين مطبوخ

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل :٥]

٥ (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض وكان هذا عام مولد النبي ﷺ

* * *

١٠٦ سورة قريش

مكية أو مدنية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش :١]

١ (لإيلافِ قُرَيْشٍ) [1].

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [قريش :٢]

٢ (إِيلافِهِمْ) تأكيد وهو مصدر آلف بالمد (رِحْلَةَ الشِّتَاءِ) إلى اليمين (و) رحلة (الصَّيْفِ) إلى

---

١٠٦ - سورة قريش

(١) **أسباب نزول الآية ١**: أخرج الحاكم وغيره عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: فضل الله قريشًا بسبع خصال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابة فيهم، والسقاية وفيهم، وأن نصرهم على الفيل، وإنهم عبدوا الله سبع سنين لا يعبده غيرهم، وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم ثم تلاها: «لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ».

الشام في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم وهم ولد النضر بن كنانة

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش :٣]

٣(فَلْيَعْبُدُوا) تعلق به لإيلاف والفاء زائدة (رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ)

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾

٤ (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ) أي من أجله (وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) أي من أجله وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل.

* * *

١٠٧ سورة الماعون

مكية أو مدنية وآياتها سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون :١]

١ (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) بالجزاء والحساب أي هل عرفته ؟ وإن لم تعرفه

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون :٢]

٢ (فَذَٰلِكَ) بتقدير هو بعد الفاء (الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ) أي يدفعه بعنف عن حقه

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون :٣]

٣ (ولا يَحُضُّ) نفسه ولا غيره (عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) أي إطعامه، نزلت في العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون :٤]

٤ (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ) [1].

﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون :٥]

٥ (الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) غافلون يؤخرونها عن وقتها

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون :٦]

٦(الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) في الصلاة وغيرها

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون :٧]

٧(ويَمْنَعُونَ المَاعُونَ) كالإبرة والفأس والقدر والقصعة.

* * *

١٠٨ سورة الكوثر

مكية أو مدنية وآياتها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر :١]

١ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) يا محمد (الْكَوْثَرَ) هو نهر في الجنة هو حوضه ترد عليه أمته والكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر :٢]

٢ (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) صلاة عيد النحر (وانْحَرْ) نسكك

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر :٣]

٣(إِنَّ شَانِئَكَ) أي مبغضك (هُوَ الأَبْتَرُ) المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب، نزلت في العاص بن وائل سمى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم [1].

---

١٠٧ - سورة الماعون

(١) **أسباب نزول الآية٤** : أخرج ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: «فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ» الآية. قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعونهم العارية.

١٠٨ - سورة الكوثر

(١) **أسباب نزول الآية ٣** : أخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة قال: أنتم خير منه ، فنزلت: «إن شانئك هو الأبتر».

*وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال: لما أوحي الى النبي ﷺ قالت قريش: بتر محمد منا، فنزلت: «إن شانئك هو الأبتر».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل: بتر فلان فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل: بتر محمد فنزلت .

* وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي، وسمى الولد القاسم.

١٠٩ سورة الكافرون

مكية أو مدنية وآياتها ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة ونعبد آلهتك سنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون :١]

١ (قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ) (١).

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون :٢]

---

* وأخرج عن مجاهد قال: نزلت في العاص بن وائل وذلك أنه قال: أنا شانئ محمد.

* وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا: إن هذا الصابئ قد بُتر الليلة فأنزل الله: «إنا أعطيناك الكوثر» إلى آخر السورة.

* وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: «فصلّ لربك وانحر» قال: نزلت يوم الحديبية أتاه جبريل فقال: انحر واركع فقام فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها.

* (قلت): فيه غرابة شديدة.

* وأخرج عن شمر بن عطية قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد وهو أبتر فأنزل الله فيه: «إن شانئك هو الأبتر».

* وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: بلغني أن إبراهيم ولد النبي ﷺ لما مات قالت قريش: أصبح محمد أبتر فغاظه ذلك، فنزلت: «إنا أعطيناك الكوثر» تعزية له.

١٠٩ - سورة الكافرون

(١) **أسباب نزول الآية ١**: أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن قريشًا دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالًا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوّجوه ما أراد من النساء فقالوا: هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي فأنزل الله: «قل يا أيها الكافرون» إلى آخر السورة وأنزل: «قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون».

* وأخرج عبد الرزاق عن وهب قال: قالت كفار قريش للنبي ﷺ: إن سرّك أن تتبعنا عامًا ونرجع إلى دينك عامًا فأنزل الله: «قل يا أيها الكافرون» إلى آخر السورة وأخرج ابن المنذر نحوه عن ابن جريج.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن ميناء قال: لقي الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلمّ فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فأنزل الله: «قل يا أيها الكافرون» إلى آخر السورة.

---

٢ (لا أَعْبُدُ) في الحال (مَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون :٣]

٣ (ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ) في الحال (مَا أَعْبُدُ) وهو الله تعالى وحده

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون :٤]

٤ (ولا أَنَا عَابِدٌ) في الاستقبال (مَّا عَبَدتُّمْ)

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون :٥]

٥ (ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ) في الاستقبال (مَا أَعْبُدُ) علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق ما على الله على وجه المقابلة

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون :٦]

٦ (لَكُمْ دِينُكُمْ) الشرك (وَلِيَ دِينِ) الإسلام وهذا قبل أن يؤمر بالحرب. وحذف ياءَ الإضافة القراءُ السبعةُ وقفاً ووصلاً وأثبتها يعقوب في الحالين.

* * *

١١٠ سورة النصر

مدنية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر :١]

١ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ) نبيه ﷺ على أعدائه (والْفَتْحُ) فتح مكة(١).

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾

٢ (ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ) أي الإسلام (أَفْوَاجًا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين.

---

١١٠ - سورة النصر

(١) **أسباب نزول الآية ١**: أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم فدخلوا في الدين فأنزل الله : «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» حتى ختمها.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

٣ (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أي متلبساً بحمده (واسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه، وعلم بها أنه قد اقترب أجله وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

* * *

١١١ سورة المسد

مكية وآياتها خمس آيات

لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال عمه أبو لهب: تبًا لك ألهذا دعوتنا. نزلت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد :١]

١ (تَبَّتْ) خسرت (يَدَا أَبِي لَهَبٍ) أي جملته وعبر عنها باليدين مجاز لأن أكثر الأفعال تزاول بهما وهذه الجملة دعاء (وتَبَّ) خسر هو وهذه خبر كقولهم أهلكه الله وقد هلك، ولما خوفه النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفتدي منه بمالي وولدي نزل (١).

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد :٢]

٢ (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ ومَا كَسَبَ) أي كسبه، أي ولده و أغنى بمعنى يغني

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد :٣]

٣ (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) أي تلهب وتوقد فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقا وحمرة

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد :٤]

٤ (وامْرَأَتُهُ) عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل (حَمَّالَةَ) بالرفع والنصب (الحَطَبِ) الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي ﷺ

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد :٥]

٥ (في جِيدِهَا) عنقها (حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) أي ليف، وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذي هو نعت لامرأته أو خبر مبتدأ مقدر.

* * *

١١٢ سورة الإخلاص

مكية أو مدنية وآياتها أربع آيات

سئل النبي ﷺ عن ربه فنزل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١]

١ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فـ «الله» خبر هو و«أحد» بدل منه أو خبر ثان (١).

---

١١١ - سورة المسد

(١) **أسباب نزول الآية ١ :** أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تبًا لك ألهذا جمعتنا؟» فأنزل الله: «تبت يدا أبي لهب وتب» إلى آخرها.

* وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل عن ابن إسحاق عن رجل من همدان يقال له: يزيد بن زيد أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ الشوك فنزلت: «تبت يدا أبي لهب وتب» إلى: «وامرأته حمالة الحطب».

* وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

١١٢ - سورة الإخلاص

(١) **أسباب نزول الآية ١ :** أخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك فأنزل الله: «قل هو الله أحد» إلى آخرها.

* وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله فاستدل بها على أن السورة مكية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فأنزل الله: «قل هو الله أحد» إلى آخرها.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله فاستدل بهذا على أنها مدنية. وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قال قتادة: قالت الأحزاب: انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة وهذا المراد بالمشركين في حديث أبيّ

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص :٢]

٢ (اللَّهُ الصَّمَدُ) مبتدأ وخبر أي المقصود في الحوائج على الدوام

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص :٣]

٣ (لَمْ يَلِدْ) لانتفاء مجانسته (ولَمْ يُولَدْ) لانتفاء الحدوث عنه

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص :٤]

٤ (ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أي مكافئا ومماثلا و«له» متعلق بكفواً وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة.

* * *

١١٣ سورة الفلق

مكية أو مدنية وآياتها خمس آيات

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحله فأحضر بين يديه وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق :١]

١ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ) الصبح (١)

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق :٢]

٢ (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق :٣]

٣ (ومِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وقَبَ) أي الليل إذا أظلم أو القمر إذا غاب

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق :٤]

٤ (ومِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ) السواحر تنفث (فِي العُقَدِ) التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق وقال الزمخشري معه كبنات لبيد المذكور

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق :٥]

٥ (ومِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) أظهر حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ وذكر الثلاثة الشامل لها ما خلق بعده لشدة شرها.

* * *

فتكون السورة مدنية، كما دل عليه حديث ابن عباس وينتفي التعارض بين الحديثين. لكن أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون، وإبليس من لهب النار والسماء من دخان والأرض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك فلم يجبهم فأتاه جبريل بهذه السورة: «قل هو الله أحد».

١١٣ - سورة الفلق

١١٤ - سورة الناس

(١) أسباب نزول الآيات : وأخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: مرض رسول الله ﷺ مرضًا شديدًا فأتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما ترى؟ قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في كرية فأتوا الركية فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة ثم خذوا الكرية وأحرقوها. فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الكرية وأحرقوها فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة وأنزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة: «قل أعوذ برب الفلق»، «قل أعوذ برب الناس». لأصله شاهد في الصحيح دون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما.

* وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئًا، فأصابه من ذلك وجع شديد فدخل عليه أصحابه فظنوا أن لمًا به فأتاه جبريل بالمعوّذتين فعوّذوه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحًا.

* * *

وهذا آخر الكتاب والحمد لله على التمام، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله، عليه الصلاة والسلام.

١١٤ سورة الناس

مكية أو مدنية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس :١]

١ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) خالقهم ومالكهم خصوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس :٢]

٢ (مَلِكِ النَّاسِ)

﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس :٣]

٣ (إِلَهِ النَّاسِ) بدلان أو صفتان أو عطفا بيان وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس :٤]

٤ (مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ) الشيطان سمي بالحدث لكثرة ملابسته له (الخَنَّاسِ) لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾

٥ (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس :٦]

٦ (مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ) بيان للشيطان الموسوس أنه جني وأنسي كقوله تعالى (شياطين الجن والإنس) أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس وعلى كل ما يشمل شر لبيد وبناته المذكورين، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك والله تعالى أعلم.

* * *

فهرس أسماء السور